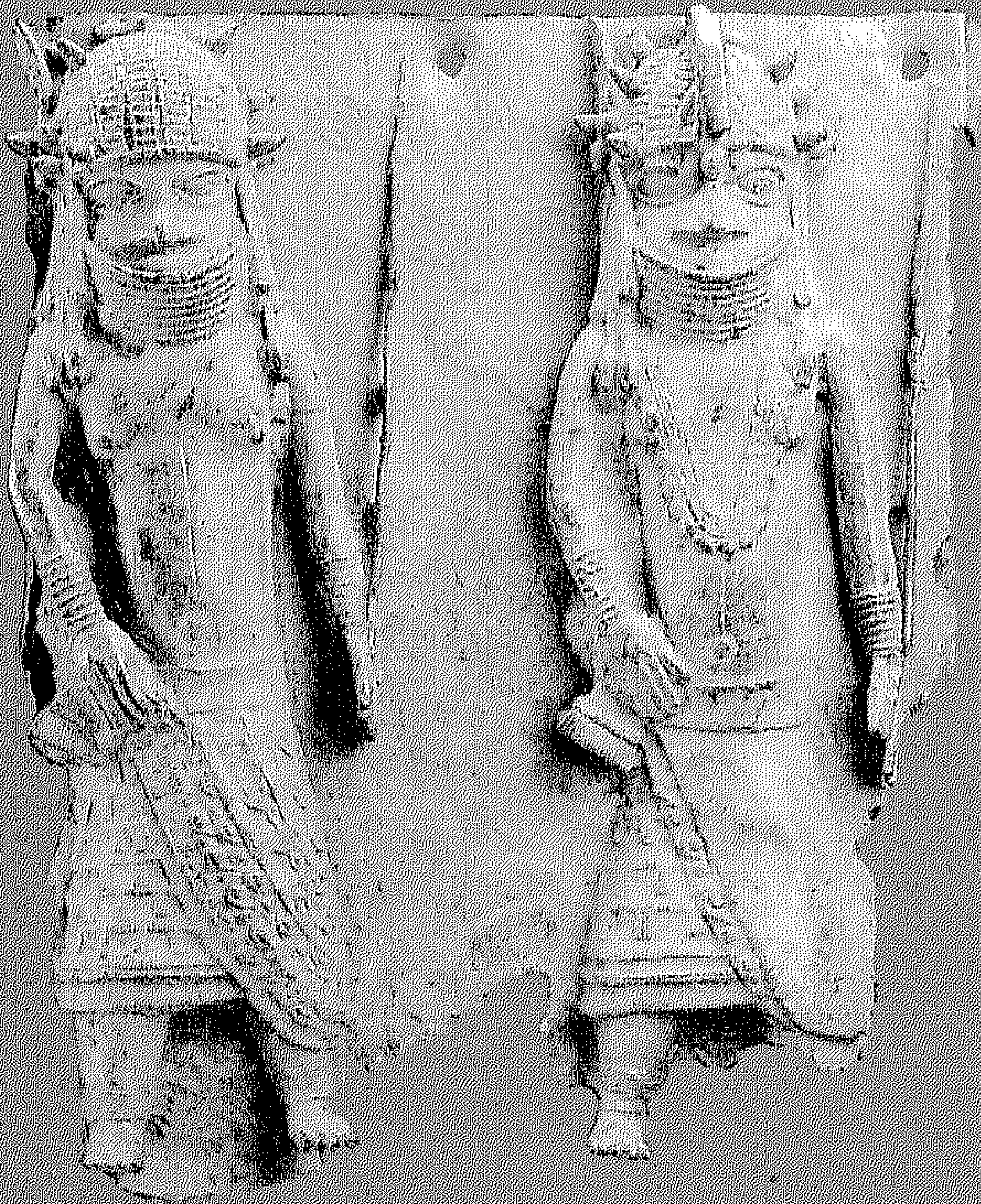
الألف كتاب الثانى
٢٨٦

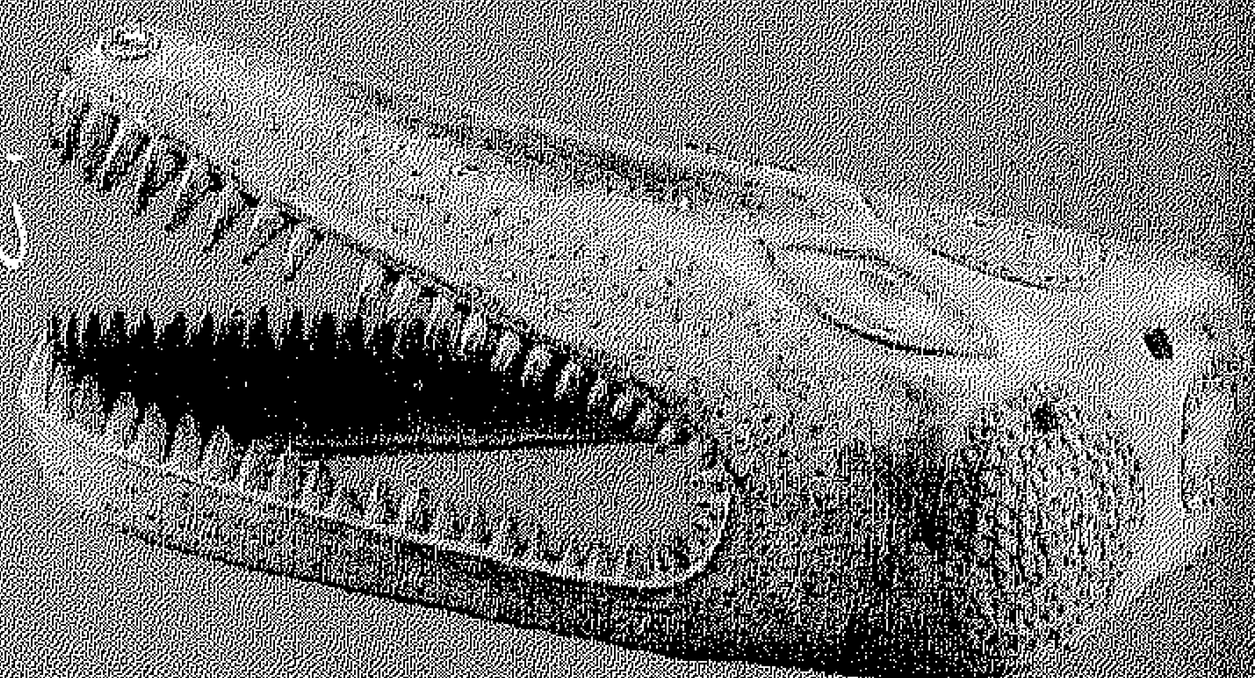
إريك اكسيلون

أشهر الرحلات فى جنوب أفريقيا





ترجمة : د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ





الهيئة المصرية العامة للكتاب

إهـــــــداء ٢٠٠٦
الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

الألف كتاب الثانى

نافذة على الثقافة العالمية

أشهر الرحلات
فى جنوب أفريقيا

تحرير

إريك أكسيلون

ترجمة

د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

هذه هى الترجمة العربيـة الكاملة لكتـــــاب :

SOUTH AFRICAN

EXPLORERS

by

ERIC AXILON

الفهـــــــــرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

مقدمة الترجمة

تلك عشرون رحلة غطت جنوب أفريقيا بمعناه الجغرافي الواسع الذى يشمل الآن اتحاد جنوب أفريقيا وناميبيا وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وأنجولا على مدى أكثر من مائتى عام .

ويلاحظ أن الرحلات الأولى ركزت على الجغرافيا الفلكية والمواقع وتضاريس المنطقة والامكانات المتوفرة بها . ومن الطبيعى أن تحدد المواقع خاصة فى الرحلات الباكرة وفقا لخطوط الطول والعرض لصعوبة تحديدها بالنسبة لمواقع أخرى معلومة (شمال كذا أو جنوب كذا ..) وان كنا فى الواقع لم نفهم خطوط الطول وخطوط العرض التى حدد بها دير ستل الرحالة الهولندى مواقعه (قام برحلته سنة ١٦٨٥ ـ ١٦٨٦م) .

أما الرحالة كارل برنك Carel Brink صاحب الرحلة الثانية (١٧٦١م) فكان مرافقا لحملة شبه عسكرية رأسها هنريك هوب لمتابعة الكشوف فيما وراء الأورانج .

لكن الرحلات التى تمت فى القرن التاسع عشر تزخر بالملاحظات البشرية الذكية ، وتتناول العادات والتقاليد والعقائد من خلال لمحات ذكية .

ولأن جغرافية المنطقة أضحت معروفة وتناولتها كتب عديدة ، لذا فقد ركزنا في مقدمتنا هذه على الملاحظات البشرية الرائعة من خلال منظور بشرى عام .

هيئة اتخاذ القرارات وحل المشكلات :

وفي القرن الثامن عشر ، شهدنا تجربة انسانية جديرة بالتوقف عندها والتمعن فيها، فنحن نعرف أنه في سنة ١٧٧٢م انضم الرحالة اندرو سبارمان الى هيئة شكلها في جنوب أفريقيا جيمس كوك لحل مشكلات المستوطنين الجدد مع البيئة الجديدة ، واتخاذ القرارات العملية السريعة ، وكانت هذه اللجنة مشكلة من ذوى خبرات وتجارب في مجالات مختلفة وقد كان سبارمان على سبيل المثال مهتما بالعلوم الطبيعية ودارسا للطب (راجع رحلة سبارمان) .

هذه الرحلات وملاحظات في الاجتماع البشرى :

صحيح ذلك القول الذى مؤداه أننا لا يمكن أن نفهم (الانسان) في مرحلته الحضارية المتطورة اذا لم نفهمه في مرحلته البدائية ، تماما كاستحالة فهم الانسان (الرجل) أو (المرأة) دون فهم الانسان (الطفل) ، فحاجات الطفل ودوافعه وغاياته هى على نحو ما نفس حاجات البالغين رجالا ونساء ، مع فارق واحد وهو أن حاجات الطفل ودوافعه أوضح ويتم التعبير عنها ببساطة وبشكل مباشر ، كما أن ردود فعله مباشرة وواضحة في غالبها ، وكلما زاد عمر (الطفل) غطى حاجاته ودوافعه بأغطية حضارية أو مدنية أو ثقافية (سمها ما شئت) كثيرا ما يجد المرء نفسه في حاجة الى ازاحتها ــ أى هذه الأغطية ــ ليجد الحقيقة مجردة عارية .

والأمر كذلك بالنسبة للشعوب في مرحلتها البدائية ، والشعوب التي بلغت شأوا حضاريا كبيرا ، وتعطينا رحلة أندرو سبارمان وهي الرحلة الثالثة في هذه المجموعة أمثلة صارخة تؤيد ذلك ، فقد خصص سبارمان جانبا من رحلته لجماعتين بدائيتين أو لشعبين بدائيين من شعوب جنوب أفريقيا هما البشمن والهوتنتوت .

حقيقة العراة :

يحدثنا سبارمان أن الهوتنتوت ليسوا عراة كما قد نتوهم ، وانما هم ــ رجالا ونساء ــ يدهنون أجسادهم بالشحوم المخلوطة بقليل من السناج (السخام) ويظل هذا الدهان والسخام على أجسادهم (أو أجسادهن) طبقة بعد طبقة فهم لا يزيلونه أبدا ، وتتراكم الأتربة والقاذورات على أجسادهم شيئا فشيئا حتى تشكل طبقة عازلة بين الجسم والهواء ، فتقي الجسم الحرارة والبرودة وتجعله يحتفظ بحرارته الداخلية (مكيفة) . فمن نظنهم عراة من الهوتنتوت مثلا ، ليسوا عراة على الحقيقة وانما هم يلبسون رداء من الوساخة والشحوم ان صح التعبير ، ويختلط العرق بهذا الرداء فيجدده ، وقد يتساءل المرء ألا يحسون بشيء قليل أو كثير من القرف نتيجة الرائحة المنبعثة ، وهنا نبادر بالقول أن الهوتنتوى (أو الهوتنتوية) يحس بسعادة وهو يعطر نفسه بمساحيق الأعشاب التي يرشها ويدعكها برأسه وسائر جسده ، ورائحة هذه الأعشاب قوية ونفاذة ونتنة .

وان صح ما يقال ان مجتمعات العراة في المدنية الحديثة تطالب بغشاء مطاطي أو لدائني يغلف الجسم البشرى فيغنيه عن الثياب التقليدية ، ويقيه ــ أى هذا الغشاء أو الدهان ــ

أثر الجو المحيط من حرارة وبرودة ، اتضح لنا أن الانسان في مرحلته البدائية هو الانسان في مجتمعات المدنية الحديثة . الأهداف هي الأهداف ، والرغبات هي الرغبات سواء غطى جسمه بشحوم وسخام أم بدهان من مادة لدائنية أو خلطة من مواد كيماوية .

الدلكة السودانية :

واذا كان الهوتنتوت لا يكفون عن دهان أجسامهم بالشحوم والسخام لحمايتها من الحر والبرد ، فان ذلك ليس ــ فيما يبدو ــ هو السبب الوحيد ، اذ يتم تجديد التشحيم أو السخام واضافة العطور خاصة الزيتية ، في أوقات بعينها ونقصد بها أوقات الأنس واللقاء بين الرجال والنساء ، ولا زالت عادة دهان الجسم كله بالشحوم والعطور الزيتية موجودة بوضوح عند الشعب السوداني ، وهو شعب غير بدائي ، وترتبط عادة الدهان هذه ــ ويسميها السودانيون الدلكة ــ بيوم معلوم في الأسبوع ، أو بيومين ، وان كانت ليلة الخميس من الليالي المؤكدة ، حيث يشم المرء رائحة الدلكة بوضوح في اليوم التالي من كل سوداني عابر . ورائحة الشحوم والعطور التي يستخدمها الهوتنتوت قد تكون غير جميلة لأنوف الذين لم يألفوها ، لكنها على أية حال مقبولة بل ومحببة لدى أصحابها لارتباطها بهذا (الشيء) المحبب للرجال والنساء على سواء .

وليس أدل على أن البشرية قد مرت جميعا بالمراحل نفسها ، أن كلمة السخام والتسخيم لازالت موجودة في كثير من اللهجات العامية في البلاد العربية للدلالة على الفعل الجنسي ، ولارتباط تسخيم الجسم وتشحيمه أو دلكه بهذه

المناسبة المذكورة آنفا ، وجدنا هذه المفاهيم الأنثروبولوجية المرتبطة بمرحلة ما من طفولة البشرية قد تسرب حتى الى اللغة الفصيحة ، فالسخام لم يرتبط فى العربية الفصحى بالهباب أو اللون الأسود أو الضغينة فحسب ، وانما ارتبط أيضا بكل ما هو طرى لين مريح • لنقرأ معا لابن منظور فى مادة سخم فى لسان العرب (ثوب سخام اذا كان لين المس ، والسخام كل شىء لين •• وخمر سخام لينة سلسة ، وشراب سخام وطعام سخام اى لين مسترسل)• انتهى ما اقتطفناه من ابن منظور ، ومن باب استخدام الكلمة فى موضعها أيضا أن نقول امرأة سخام أو مسخمة أى لينة مسترسلة • ألم اقل فى أكثر من دراسة سابقة ملحقة بكتب الرحلات ان الملاحظات الانثروبولوجية خاصة تلك المتعلقة بطفولة البشرية ضرورية الضرورة كلها لفهم كثير من الأمور الدينية والاجتماعية بل واللغوية ، والمثال المذكور آنفا والمتعلق بالسخام والتسخيم خير دليل على أهمية الملاحظات الأنثروبولوجية لفهم كثير من التعبيرات اللغوية السائدة •

الحــاجة والأصــالة :

ويدعو الرحالة أندرو سبارمان أهله الأوربيين للتعلم من الهوتنتوت كيفية صنع النعل أو الحـذاء من قطعـة جلد واحدة ، ويعـدد مزايا هـذا النعـل الهوتنتوى ويخـاطب الأوربيين قائلا انه لا بأس من التعلم من هذا الشعب البدائى ، فالمهم أن يكون الشىء مفيدا سواء تعلمنا طريقة صنعه من مصانع باريس الراقية أو من أدغال أفريقيا •

خصائص عرقية فى حاجة الى دراسة :

لم يعد مقبولا لدى علماء النفس ذلك الربط بين الصفات الفيزيقية (الخواص الشكلية) للانسان وصفاته الخلقيــة وغير الخلقية ، ولم يعد واردا مثلا الربط بين درجة الذكاء والطول أو القصر أو حتى حجم الرأس ، لكن هناك ملاحظات واضحة عن اتصاف بعض الأجناس بخصائص خلقية (بضم الخاء) بعينها ، فالرحالة سبارمان بعد أن يحدثنا عن كثير من الصفات السيئة (أو التي رآها هو سيئة) فى البشــمن يؤكد لنا مستغربا أن كل العبيد البشمن الذين تم استرقاقهم أو الحــاقهم بالخــدمة فى بيــوت المســتوطنين الأوربيين لم يستريحوا للحياة الرغدة التى تفوق حياتهم السابقة من حيث وفرة الطعام والكساء .. الخ فكانوا يدبرون أمر هروبهم ، لكن الغريب ــ كما يقول سبارمان ــ أن أحدا منهم لم يفــكر فى سرقة أى شىء من بيت السيد الأوربى الذى يخدمه رغم أن السرقة لن تكلفه جهدا لأن كل شىء متــاح أمامه . (طبعــا هذا لا ينفى أن البشمن مولعون بسرقة الماشية من القبــائل الأخرى) .

ولعل هــذا الشىء نفســه يذكرنا بأهل النــوبه قبــل اختلاطهم بغيرهم ، اذ كانت البنوك تعهد اليهم بنقل الأموال من مكان الى مكان باطمئنان تام ، وكان يكفى أن يقول هــذا النوبى ان المال قد ضاع منه أو فقد حتى يصدقه الجميع دون طلب دليل أو اثبات ، وكانت شهادة النوبى مأخوذا بها أمام المحاكم كدليل لا يرد .. كان هذا بطبيعة الحال قبل اختلاطهم بأهل المدن واندماجهم بهم . والشىء نفسه معروف عن جماعة (المهــارة) أو (المهريين) وأصلهم من اليمن وحضرموت .

كانوا باعة جوالين فى دول الخليج والاحساء ، ورغم أنهم كانوا حفاة ممزقى الثياب الا أن شهادتهم لم تكن ترد ، فالمهرى يؤتمن ــ فيما يقولون ــ على أموال الدنيا كلها ، لكن أهل الخليج كانوا يقولون دوما (آمن المهرى على مال قارون ، لكن لا تأتمنه على امرأة مهما كانت دميمة) فالمهرى ان ائتمنته على مال رده اليك ٠٠ لكن احذر منه على الزوجة والابنة والأم ٠٠٠ ولم يقل الخليجيون ذلك من فراغ ٠

هناك اذن بعض الصفات لصيقة ببعض الجماعات البشرية ٠ أهى مسألة لا تعدو كونها تراثا أو تعليما وتربية ، أم أنها مسألة مرتبطة ببعض الصفات الجسدية أو التركيب الكيميائى للجسم ؟! ان الملاحظات التى يسوردها هؤلاء الرحالة تثير كثيرا من الأفكار ، وتدعو للبحث والتأمل ٠

الدين والأفاقون :

وفى ظروف كظروف مجتمعات جنوب أفريقيا فى هذه القرون الأولى (١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) حيث كثر الغرباء الوافدون من بلاد أوربية شتى ، ومن مذاهب دينية شتى ، وحيث يسعى الجميع الى تأسيس حياة جديدة ، وحيث الطموح بلا حد ، وحيث النجاح والفشل ، وحيث البحث عن طرائق جديدة لاكتساب الثروة ، مهما كانت هذه الطرائق ، يظهر الأفاقون ، ولدينا مثال صارخ لأفاق كان مزورا للأوراق المالية ٠ انه ستيفانوس البولندى ذو الأصول اليونانية الذى استطاع أن يهرب من سجنه أكثر من مرة ، وانضم لأكثر من ارسالية تبشيرية وسرق القسس ، وسخر من المبشرين ، لكن هذا المتشرد وجد فى النهاية أن أفضل طريق

للكسب هو أن يصبح نبيا وصاحب دعوة وأنشأ معبدا ، فقدم الأهالى له الأضاحى وطالب باحضار الجميلات الى معبده ليبتن معه فيمنحهن البركة ليلا •• والغريب أن الرحالة جون بارو يخبرنا أن هذا الأفاق نجح فى تأسيس دين جديد بين أهل البلاد من الهوتنتوت •• لقد فسر هذا النبى المزيف المدعو ستيفانوس الانجيل بطريقة غير مألوفة ، وكان المؤمنون بكراماته يعتقدون أنه قريب من الله •

عود الى السخام والتشحيم :

ويصف لنا الرحالة بورشل Burchell كيف أن البشمن والهوتنتوت اذا ظفروا بوجبة لحم دسمة من صيد سمين ، كان الواحد منهم يمسح الدهن المتبقى من أكله فى ذراعيه وساقيه وفخذيه ، بل انه لا يكتفى بذلك وانما يعمد الى تلويث نفسه ـ وبوفرة ـ بالدماء والروث ، ويدلك بها كل جزء فى جسمه تطوله يداه •

الدلالات الأولى للألوان :

يحدثنا الرحالة وليم بورشل Burchell أنه التقى بفتاة بشمنية ثرية ، وكانت مغرورة جدا ولديها احساس شديد بتميزها ، فقد لطخت جسمها وشعرها بكميات كبيرة من الشحم ، وأضافت لشعرها كمية كبيرة من المغرة (بتسكين الغين) الحمراء فأصبح شعرها أحمر بشكل واضح ، ويذكر الرحالة ملاحظة غريبة وهى أن البشمنيين الرجال لم يكونوا مقبلين على هذه البشمنية الجميلة ، وربما كان هذا بسبب اللون الأحمر ، فهو لون يحمل التهديد والوعيد كما وضح لنا رحالة آخر هو جون كامبل Campbell الذى نفضل أن ننقل عنه بعض الفقرات الدالة فى هذا الصدد ، والحديث

عن البشمن (... وكانت وجوه بعضهم ملطخة باللون الأحمر بشكل مرعب ..) وكان ذلك لارهاب الغرباء فقد يكونون أعداء . نستنتج من هذا أن الأصل البدائى لدهان الوجه باللون الأحمر هو التهديد وليس الاغراء ، فاذا دهن الرجل البدائى (أو المرأة البدائية) وجهه باللون الأحمر ، فهو يهدد ويحذر ، لكن الأمور تطورت بعد ذلك ـ خاصة بالنسبة للنساء ـ فأصبح طلاء الشفتين والوجنتين باللون الأحمر نوعا من الاغراء ، وقيل من بين ما قيل تفسيرا لذلك ، ان النساء يحاولن التشبه بالورود والزهور ، لكن الورود والزهور ليست جميعا حمراء ، والأقرب الى الصحة هو العودة للأصول البدائية (البشرية فى طفولتها) لنقول ان صبغ الشفاه والوجنات باللون الأحمر كانت فى البداية نوعا من طلب الحماية وصد الرجال (المعتدين) ، لكن يبدو أن هذا التهديد لم يصلح مع الرجال ، فالواحد منهم يزعم فى نفسه أنه سبع لا تغلبه غلابة أو هكذا يتهيأ له ، ومن هنا كان اللون الأحمر على الشفاه والوجنات لاثارة روح التحدى ، فالأصل فى الاغراء هو الضعف والتظاهر بالمرض ، وخفض الصوت ، والتكسر والتهدج والتألم ، وما الى ذلك ، ومن هنا فقد ارتبطت الدعوة للرذيلة بهذا كله ، فالشفاه سوداء (لا دم فيها) وهذا ضعف ، والوجنات زرقاء أو صفراء (وهو كناية أيضا عن الضعف) ..

فى علم الاجتماع الأسرى :

لاحظ واحد من الرحالة أنه رغم أن بيت البشمنى منخفض جدا ويشبه نصف بيضة ، وله مدخل صغير يتسع ـ بشق النفس ـ لدخول البشمنى صاحب الكوخ ، ومن

المعروف أن البشمن قصار نحال ـ ومع صغر البيت على هذا النحو الا أن الرجل منهم يعيش فيه مع زوجاته أو زوجتيه • ويمكننا أن نتصور أن هذا ممكن بالنهار ففى الغابة والمناطق المحيطة بالكوخ متسع ، لكن كيف يكون الحال بالليل فالكوخ منخفض صغير كنصف بيضة ، ومن المؤكد أن الهمسة وحتى اللمسة تتردد فى أرجائه ، فكيف تجتمع فيه الزوجتان أو الزوجات ، ومع هذا فان رحالتنا يذكر لنا أنه شاهد زوجتين (ضرتين) تدخنان التوباكو بسعادة فائقة وألفة كاملة • مسألة فى حاجة الى تأمل ، وفى حاجة الى استقصاء حالات مماثلة فى المجتمعات البدائية حتى يمكن تفسير الظاهرة •

الكـــــلاب :

والمتصفح لبعض الرحلات يجد أن للكلاب مع بعض الرحالة دورا لا ينبغى اغفال تسجيله ، ففضلا عن الحراسة فبعضها ـ ببعض التدريب ـ يمكنه أن يساعد فى كشف الجريمة ، والتعرف على بعض الحيوانات حتى بمجرد رؤية عظامها ، كما يقوم بالارشاد الى مواضع المياه ، ويدل أحيانا على الطريق ، حتى أن واحدا من الرحالة الذين يضمهم هذا الكتاب قد كتب ما يشبه الترجمة (قصة حياة) كلب رافقه وراح يؤرخ لمعلوماته ومعارفه وكأنما هو يسرد حياة واحد من العلماء ، ولم يخف هذا الرحالة جزعه وحزنه العميق عند وفاة كلبه هذا اثر حادث أليم اذ حطمت عجلات العربة التى تجرها الثيران رأسه فهشمته تماما • ومن باب الاستطراد يمكننا القول ان المجتمعات الجديدة (فى توشكى مثلا) قد تلعب الكلاب فيها دورا ايجابيا مما يستلزم مصحة لها ، وادارة للتدريب للاستعانة بها فى الحراسة وغير الحراسة ، وتشجيع الأسر المستوطنة على اقتناء كلاب من نوعيات خاصة

وما الى ذلك • والحقيقة أن وليم بورشل قد لاحظ أثناء رحلته لنهر الفال أن الكلاب تتصرف بشكل أقرب ما يكون للتنبؤ أو توقع الأحداث قبل كل رحلة يقوم بها ، فقد كانت تهز ذيولها فرحة وتبدو عليها البهجة قبل الرحلة التى يكثر فيها الصيد وينعم الجمع الجميع فيها بلحم وفير •

حفر لصيد الحيوانات :

وتعلم الأوربيون من أهل البلاد حفر حفر مناسبة وتغطيتها ببعض الأغصان والفروع ، ووضع وتد قاتل وسط الحفرة وذلك للايقاع بالحيوانات التى يريدون اصطيادها •• انها أفكار جيدة بالنسبة لمجتمعات ناشئة فى مناطق نائية للايقاع بالذئاب وغيرها ولا بأس أن تكون هذه الأفكار مستقاة من مجتمعات بدائية ، فعلى حد قول واحد من الرحالة : لا يهم أن تكون الفكرة من باريس أو لندن ، أو مجتمعات الهوتنتوت ، انما المهم أن تكون فكرة مفيدة •

وظائف أخرى للثياب ــ دروس من الشعوب البدائية :

الفكرة الشائعة أن الأصل فى الثياب أنها تقى من الحر والبرد ، أو حتى ستر العورة (فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) لكن المتأمل فى حياة الشعوب البدائية (البشرية فى مرحلة طفولتها كما تتبدى لنا من خلالهم) يجد معانى أخرى تثرى التجربة الانسانية فقد وصف لنا بورشل مثلا فى رحلته لمنطقة نهر الفال بعض لباس الهوتنتوت بما يفيد وظيفة أخرى ــ بل وظائف ــ خاصة بالنسبة للمرأة الهوتنتوية التى يتدلى منها من الخلف مجموعة من السيور (الخيوط) من جلود الحيوانات ، وتسمى الكاروس الخلفى ، ويقول

بورشل ان هذا الكاروس يفيد لابسته عند الجلوس اذا كانت الأرض مبللة ، ومع كثرة الاستخدام تشابكت سيور (خيوط) هـذا الكاروس ٠٠ لم يعـد الكاروس اذن يخفى ما يراد اخفاؤه ، وانما أصبح بمثابة مقعد للجلوس ، ولاحظ رحالة آخر أن قطعة الجلد التى تتدلى لتغطى عورة الرجل الأمامية أو الخلفية لا تخفى فى حقيقة الأمر شيئا ، وخلص الى أن هذه القطعة من الجلد تتحرك بشدة عند الجرى ، فاستنتج أن المقصود منها هو التهوية ، فهى بحركتها تحدث تيارا هوائيا يريح مؤخرة الرجل أو مقدمته ٠

واذا كانت كثرة الشحوم التى يطلى بها الجسم وما عليها من سخام تفيد فى عزل الجسم عن تأثير الجو حرا وبردا ، فانها تشير أيضا الى وضعية اجتماعية ، فهى تعنى أن الرجل البشمنى أو الهوتنتوى ثرى (فى رغد من العيش) بدليـل توفر الشحوم لديه ٠٠

وهـذه الفـكرة لم تنتف تماما ، فقـد ظلت الدلالات الاجتماعية للثياب قائمـة منحدرة لنا من طفـولة البشرية ، ولنضرب أمثلة : فالسودانى التقليدى مثلا يعبر عن عظمته وعلو شأنه بحجم عمامته ، فهو يلف حول رأسه قطعة كبيرة من القماش قد تبلغ خمسة أمتار طولا ، فكلما كبر رأسـه دل هـذا عـلى علو شأنه ، ولا علاقة لكبر العمـامة بحـر أو برد ، والفلسطينى التقليدى أو الشامى عموما ، كان الى عهد قريب يلف حول خصره وجزئه الأسفل قطعـة قمـاش طويلة جدا قد يبلغ طولهـا عشرة أمتار أو يزيد ، فكلمـا تضخمت مؤخرته لفرط ما لف حولها من قماش دل هذا على علو شأنه وثرائه ، فشأنه وثراؤه مرتبط بمؤخرته ٠

وعرض الكم فى الثـوب يعـد فى مصر لدى الفـلاح التقليدى والبدوى التقليدى دليلا على علو الشأن فكلما كان طرف كم (بضم الكاف) ثوبه عريضا واسما دل ذلك عـلى رخاء الحال ، أو كأن صاحب الثوب يريد القـول : انظروا ان لدى من الامكانات ما يجعلنى أشترى قماشا كثيرا • والأمر غير منفصل عن « التشحيم » و « التسخيم » أيضا فالصعيدى التقليدى كان الى عهد قريب يتعمد اسقاط بعض الدهن أو الزيت على ثوبه وهو يأكل ، فيبدو الثوب « قذرا » من وجهة نظر الذين لا يدركون الأبعـاد الأنثروبولوجيـة للأمور ، والحقيقة أن هذه النظرة تثير سخرية هذا الرجل « المسخم » أو « المشـحم » أو « المزيت » لأن المسألة بالنسـبة له ليست قذارة وانما هو يريد أن يعبر عن أن بيته من البيوت التى لا تخلـو من « الخـير » ، وأى خير أفضـــل من « الدهن » و « الشحم » و « السمن » و « الزيت » •

وفى دول شبه الجزيرة العربية يلعب « البشت » دورا اجتماعيا وهو شيء كالعباءة كان فى الأصل يطرح على الكتفين اتقاء للبرد، لكنه بعد ذلك خف ورق ولم يغن من برد أو يمنع من برد ــ وبقيت دلالته الاجتماعية ، وأحيانا يكتفى صاحب البشت بحمله مطويا على ذراعه ، ولسان حاله يقول : « اننى من أصحاب البشوت •• أفسح لى الطريق•• » فصاحب البشت مقضية حاجته لا محالة فى المصالح الحكومية أو أن البشت أحد أسباب قضاء حاجتـه ، ولا يبعـد كثيرا عن التسـخيم والتشحيم قيام البدوية فى سيناء وغير سيناء باستقبال بول الناقة فوق رأسها ، فبول الناقة بل والجمل هو عنـد البدو نوع من العطور ، لكنه أيضا بالاضافة الى ذلك اشعار لمحدثه انه يملك ناقة وجملا بمجرد تشمم هـذه الرائحة الطيبـة لدلالتها على النعمة والثراء •

وبعض جماعات جنوب أفريقيا (راجع رحلة سيلوز) المراة تماما يستحى الواحد منهم اذا لم يكن في أذنه شوكة ، ويتساءل سيلوز هل هذه الشوكة تعد ثيابا، والمقصود طبعا شوكة نباتية تخترق الأذن • لابد ـ اذن ـ من وجود تراث ما متعلق بهذا ، قد تكون الشوكة رمزا للاحترام ••

تصفيف الشعر :

والمتصفح لهذه الرحلات يلاحظ أن كل المودات (القصات) المنتشرة بين الرجال اليوم لها أصول فى الثقافات البدائية ، وكان الأصل في طريقة صف الشعر هو تمييز قبيلة عن قبيلة أو طبقة عن طبقة ، فطريقة تصفيف الملوك والزعماء والنبلاء تختلف بالضرورة عن طريقة تصفيف العامة ، ولابد أن يكون الزعيم أو الملك متفردا على نحو خاص حتى عن بقية أفراد البيت الملكى • وهذه الأهداف العملية لم تختف حتى فى حضارات أكثر حداثة ، فالشلوح (نوع من تشريط الوجه) فى السودان له دلالات قبلية فهو يميز أفراد قبيلة أو جماعة عن أفراد قبيلة أو جماعة أخرى، تماما كما تعمد القرويات فى مصر لوضع صبغ أحمر أو أزرق أو بأى لون كان لتمييز كتاكيتها عن كتاكيت جارتها• لأن الكتاكيت كلها تتجول فى الحارة بحرية • الا أن الهدف فى الحضارات الحديثة قد يتغير مع بقاء الممارسة البدائية أو القديمة ، فاذا كان بعض الرحالة يذكرون أن ارتداء الرجال والنساء ـ فى بعض الأحيان ـ تنورات (أو جيبات) مكونة من خيوط أو شرائط جلدية ، يقصد بها أحداث (تهوية) لمؤخراتهم أو مؤخراتهن عند الجرى ، فالمؤكد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة لهذا النوع نفسه ـ وان لحقه

بعض التطور ــ من الجيبات (أو التنورات) التى تلبسها النساء المعاصرات ، فالجيبة مكونة من شرائط تتحرك بحركة الآنسة أو السيدة فتكشف عن ثوب آخر أسفلها .. ليس المقصود اذن هو التهوية ، فليست هناك مساحات واسعة للجرى كما فى الغابة أو المرج الأفريقى ، كما أن المقصود ليس هو التدفئة .

الدين والانتاج :

اذا كان الخوف اللاعقلانى لدى الشعوب البدائية قد عاقها عن الانتاج ، بالاضافة طبعا لعوامل أخرى كثيرة كانتفاء الدافع للانتاج وقسوة المناخ .. الخ ، فان المتصفح لهذه الرحلات يستطيع ببساطة شديدة أن يدرك ــ بوضوح لا يحتمل الشك ــ ان الدوافع الدينية والايمان العميق كانا وراء هذه الجهود الخارقة لهؤلاء الرحالة العلماء ، بصرف النظر عن دوافع دولهم وعن الأبعاد الاستعمارية أو التجارية ، فقد كان الرحالة موفات يراعى أيام السبوت (جمع سبت) ويرى عدم العمل بها تأسيا بالعهد القديم ، والرحالة تريشارت يقرر بشكل حاسم عدم العمل فى أيام الآحاد (جمع أحد) احتراما ليوم الصلاة فى العقيدة المسيحية ، أما الرحالة العظيم ليفنجستون ، فقد جعل هدفه ــ بشكل واضح ــ هو هداية الشعوب (القبائل) التى مر بها الى المسيحية ، وقد تأثر كثيرا لأن أحد أهل البلاد غطاه بغطائه الشخصى عندما وجده يرتعد من البرد ، وذكر أن هؤلاء الناس على قدر من الطيبة وحسن الطوية بحيث يمكن

هدايتهم للأديان السماوية . كل هـذا لا ينفى بطبيعة الحال أن الهـدف الأساسى من الكشـف الأوربى لأفريقيـا هـو استعمارها ، بل والمتاجرة فى أهلها ، فقد شهدت القارة أكبر نزيف بشرى وتم ترحيل أهلها ليعملوا خدما فى البيوت فى البرتغال واسبانيا ، وليؤسسوا بعرقهم المزارع الواسعة فى الأمريكتين ، لكننا هنا نميز بين الدوافع الفردية لدى بعض الرحالة ، والأهداف الاستعمارية لدولهم . وهذا فى الواقع أمر مفهوم ، ففى حالة الاقدام على مشروع جسور ، أو اقتحام أرض مجهولة ، أو بداية حياة جديدة ، فان الدافع الدينى يشكل ــ بلا شك ــ وازعا يهون الصعاب ، ومن الحمق تفريغه من محتواه .

الشجرة الأم :

لا شـك أن التطـور العلمى الهائل خاصـة فى مضمار هندسة الخلية وعلوم البيولوجيا ، قد يكون دافعا للانسـان لمزيد من التواضع فلا نظنه سيصعر خده بعد اليوم للحضارات البدائيـة ، وانما سيبحث فى جنباتها عن بقايا علم بائد ، لذا لا نظنه سيسخر كثيرا من اعتقاد الدامارا (راجع رحلة جالتون) بأن شجرة ضخمة هى أمهم وأباهم فى الوقت نفسه وأنهم يتعبدون حولها راقصين ، وهناك آية قرآنية تشير الى امكانية التكاثر اللاجنسى للكائنات الحية (والله أنبتكم من الأرض نباتا) سورة نوح / آية ١٧ .

التـاريخ الطبيعى :

وتقدم لنا رحلة وليم كورنوالز هاريز Harris مثالا على دور الرحالة العلماء فى الاضافة للعلم ، لا العلـم

الجغرافي أو الأنثروبولوجي فحسب وانما العلم الطبيعي أيضا فقد اكتشف الرحالة آنف الذكر نوعا جديدا من الظباء ، فأحس بفخر شديد ، لنقرأ مما ما يقول :« .. فقبل مغادرة هـذا الفردوس (منطقـة قرب نهر الفال) جللت بحـوثي باضافة رائعة لفهرس عالم اللبونات Mammalia ، فقـد نزلت للصيد في ١٣ ديسمبر (١٨٣٦م) ومعي سلاح ثقيل كنت قد حصلت عليه من السيد موفات ــ لأن بندقيتي ذات الماسورتين كان بها خلل ــ وقد نزلت بهـذا السـلاح الثقيل واعتبرته السهم الأخير الباقي ، وكانت جماعتنا تطارد فيلا جريحا بكل طاقتها ، فجذب انتباهها قطيع من الظباء السوداء سوادا غير عادي .. فتفحصتها عن طريق التلسكوب واكتشفت أنها جديدة تماما بالنسبة لعلم الحيوان ... عبثا يمكنني أن أصف شعوري وأنا أخوض هذه التجربة فبعد أيام ثلاثة من المطاردة المرهقة والقلق المحموم .. وجدت نفسي ــ أخيرا ــ أمتلك فعلا ما يعد اضافة ثرية للتاريخ الطبيعي » ثم يشرع هذا الرحالة في وصف هذا الحيوان وصفا دقيقا مما يطالعه القارىء في رحلته هذه .

حيــاة الـرواد :

أحس روبرت موفات بالسعادة عندما صعد الى مسـاكن الوطنيين التي أقاموها فوق شجرة ضخمة ، وأقام بالفعل في واحد من هذه الأكواخ ، فقد كانت الشـجرة ضـخمة تضم أكواخا عدة ، ووصف لنا محتويات الكوخ البسيطة ، وكان الرجل جوعان فقدمت له امرأة تسكن في الـكوخ المجـاور (فوق الشجرة أيضا) مسحوق الجراد ، فتناوله بسعادة . لم يطلب موفات أن يعيش كما كان يعيش في لندن ، وانما وجد في الظروف الجديدة ما يدعوه للتكيف مع حياة جـديدة ،

ولم تكن المسألة مسألة رغبة فى التكيف فحسب وانما كان الرجل يحس بسعادة حقيقية .. فهل تساعد هذه الرحلات رواد مشروعنا القومى (توشكى) على أكل الجرابيع (أو اليرابيع) وهى حيوانات يأكلها البدو بتلذذ واضح ، وهى على أية حال لحوم أو مواد بروتينية لا تختلف فى قيمتها ومذاقها عن لحوم الضأن والماشية ، كما أنها ليست من المحرمات التى حرمها الاسلام أو المسيحية . وهل سيأنفون من أكل الجراد وهو محلل شرعا ، كما أنه طعام كان محببا وشائقا للعرب الأثرياء (عرب البترول) خاصة قبل ظهور هذا الذهب الأسود . وكان يجفف ويباع بالوزن أو المكيال.

شكرا للحمار والثور :

لا يكاد المطالع لهذه الرحلات يجد واحدا من الرحالة لم يستعن بالثيران والعربات التى تجرها الثيران ، والحمير والعربات التى تجرها الحمير فى انتقاله وانتقال رفاقه ونقل أمتعته ، ثم يأتى دور الخيول متأخرا نسبيا . لقد فرضت الظروف الطبيعية خاصة الغطاء النباتى ذلك ، مع أن رحلة سيلوز تمت فى أواخر القرن التاسع عشر . ومن هنا لاحظنا أن معظم الرحالة كانوا خبراء فى معاملة هذه الحيوانات كما كانوا خبراء فى اصلاح عجلات العربات الكارو التى تجرها الثيران أو الحمير . ومع كل هذا التطور فى وسائل المواصلات فى هذا القرن العشرين ، فلا غنى – فى حالات كثيرة ، عن الحمير والخيل والبغال والجمال لا لنركبها وزينة فحسب ، وانما ستصل بنا الى أماكن لم نكن لنبلغها بالسيارة وغيرها .. فالسيارة فى حاجة الى طرق معبدة أو ممهدة ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للجمل وغيره من الدواب .. ان هذه الرحلات

بمثابة دروس لرواد المشروعات الكبرى فى الصحراء ، والمناطق النائية ٠

الزعيم :

وتقدم لنا هذه الرحلات صورة نابضة لزعيم وثنى (وطنى) وطريقة فرضه لذاته على شعبه ٠ انه شاكا الذى قام ـ بلا شك ـ بأعمال جليلة لتوحيد شعب الزولو ، ومع هذا فقد كان نموذجا لا يختلف عن نموذج الدكتاتور الذى ظهر فى فترات لاحقة حتى القرن العشرين ، فشاكا هو الزعيم « المحترم والمحبوب والمبجل » من كل شعب الزولو ، فالشمس اشراقته ، والليل غضبته ، والمطر رضاؤه ، والقحط سخطه ، وعندما أصيب شاكا فى محاولة لاغتياله ، فرضت اجراءات غريبة وصارمة :

ـ قتل رجال شاكا عددا كبيرا لأنهم لم يبكوا كما ينبغى أن يكون البكاء ٠

ـ تم قتل عدد من الرجال والنساء لأنهم كانوا يبكون وهم جلوس ٠

ـ تم بقر بطون الحوامل ، فكيف تحمل النساء وشاكا مصاب ٠

ـ تم تحريم كل اتصال جنسى بين الرجال والنساء ، فان ظهرت شواهد على ممارسة هذه اللذة تم اعدام الرجل والمرأة ٠

ـ منع نحر الماشية لاطعام الناس ، فلا لحوم وشاكا مصاب ٠

وبعد أن تأكد أن شاكا بخير وأنه سيتماثل للشفاء تغير الوضع (.. لقد دلت الشواهد كلها الآن على أن شاكا قد عوفى تماما ، فنحر الزعماء والقادة الذبائح كأضحيات ، وفى اليوم التالى فعلت نساء الزعماء الشىء نفسه ، ثم نحر شاكا الذبائح وقدمها لروح أبيه المتوفى) . راجع تفاصيل ذلك فى رحلة هنرى فين .

ولطرافة موضوع الزعامات التقليدية هذا ، نؤثر أن نكمل من مراجع أخرى (١) حقائق اضافية عن شاكا زعيم الزولو .

شاكا يحطم مزيدا من الأمم :

.. بعد انهيار الندواندوى ، أصبح شاكا أكثر الحكام قوة وجبروتا فى بلاد الزولو ، فقد هزم كثيرا من القبائل وأخضعها لسلطانه ، بينما تحركت قبائل أخرى لمناطق نائية حيث أسست أوطانا جديدة . واشتعلت حروب لا نهاية لها عبر منطقة واسعة . فقد هوجمت الناتال على سبيل المثال خمس مرات ، فى سنة ١٨١٧ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٤ م قبل أن يتم اسقاطها وتحطيمها نهائيا . وحتى الملك سوبهوزا Sobhuza ملك النجوين Ngwane ، والملك موشيش Moshesh ملك الباسوتو Basuto قد اعترفا بسيادة شاكا بدفعهم اتاوة منتظمة ، أما التسونجا Tsonga وبقية السكان الأصليين فى الناتال فقد اعترفوا بسلطان شاكا أيضا ، وان كانوا من الناحية العملية مستقلين ، ذلك هو شاكا فى ذروة مجده .

---

(١) جديون ، س وير ، تاريخ جنوب افريقيا ، الرياض ، ١٩٨٦ م . ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ ، والمؤلف استاذ بجامعة نيروبى .

لقد كان طموح شـاكا هـو ابادة جيرانه وأعدائه ومد سلطانه ، لهذا فقد قاسى البوندو Pondo والاكزوسـا Xhosa والثمبو Thembu من هجمـاته القاسية وغـزوه لبلادهم • ومن الناحية العملية تأثرت كل بلاد الزولو والناتال والمناطق الساحلية تأثيرات مباشرة بهذه الحروب • ومهما يكن من آمر ، ففى سنة ١٨٢٣م ، رغم أن الحـروب كانت ما تزال مستمرة ، الا أن ذروة المفيسين (حروب شاكا) كانت قد بدأت تخمد •

الاتصالات مع الانجليز :

لقد شهد عام ١٨٢٤م تطورا جديدا فى سياسة شاكا ، فقد تحقق من المكاسب التى يمكن أن تعود عليـه اذا كون علاقات طيبة مع المجتمع الانجليزى التجارى الصغير فى ميناء ناتال الذى أصبح فيما بعد ميناء دربان • فالتجـارة مـع الانجليز ستمكنه من الحصول على الأسلحة النارية ذات القيمة الفائقة • لقد قرر شاكا أن يكسب تأييد ومساندة هـذا المجتمع الانجليزى فى الميناء ، ففى سنة ١٨٢٤م منح جانبا مما يعرف اليوم باسم ناتال ، لتاجر انجليزى يسمى فارويل Farewell مقابل تقديم مساعدة طيبة له وقد أصبح التجار البيض فى المنطقة المتنازل عنها من رعايا شاكا وحاربوا معه رغم أنهم تركوا يعيشون بمفردهم معظم الوقت • وقد أثبتت مساعداتهم العسكرية له جدواها عندما عاود الزولو محاربة الندواندوى فى سنة ١٨٢٦م والبيجى Beje فى سنة ١٨٢٧م • ففى الحـالتين أوقعوا بأعدائهم خسـائر كبيرة ، اذ فقـد الندواندوى حوالى ٦٠٫٠٠٠ رأس ماشـية وفقـد البيجى قطعانا كثيرة • ونتيجة هـذا تحلل الندواندوى كمجتمع

موحد ، وكان زعيمهم زويدى قد مات قبل ذلك بعام ، أى سنة ١٨٢٥م ٠

مـوت شـاكا :

لقد أصبحت أيام شاكا معدودة ، وقد سـبقته أمه الى العالم الآخر سنة ١٨٢٧م وقد أثر موت أمه ناندى Nandi عليه تأثيرا شديدا فأعلن الحداد فى كل البلاد طوال العـام وخلال فترة الحداد كان محظورا على كل النساء السـماح لأزواجهن بمضاجعتهن ٠ ولمدة حوالى شهور ثلاثة منع الناس من شرب الحليب ٠ وتم اعدام آلاف الرجال والنساء لأنهـم لم يشتركوا فى الحداد أو لم يظهروه بالشكل الكافى ٠ كما وجهت التهم الى آخرين بأنهم كانوا فى موت ناندى راغبين ، وهؤلاء تم اعدامهم أيضا ، كما تم اعدام كل امرأة حبلى ٠

وفى مطلع العام التالى قام أخوا شاكا وهما مهلنجانا Mhlangane ودنجان Dingane بالتعاون مع مبهوبا Mphopa وهو أحد الزعماء القريبين منه Induna بطعنه طعنات أودت بحياته ٠ وكانت كلماته الأخيرة التى انتزعها فى سـكرات الموت بينما كان يسقط على الأرض :

(أوه ، ماذا فعلت لكم يا أولاد أبى !)

هذه الرحلات وتاريخ المنطقة :

تغطى هذه الرحلات أكثر من مائتى سنة فقـد بدأناها برحلة ديرستل ١٦٨٥م أى فى الربع الأخير من القرن السابع عشر الى رحلة سيلو Selous ١٨٨٨م أى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ٠

وسبق أن قدمنا للقارىء العربى فى كتاب آخر فى هذه السـلسلة نفسـها رحلة داجاما وتقرير دوز سـانتوس ،

وكلاهما مرتبطان بجنـــوب أفريقيـــا بمعنـــاها الجغـــرافى الواسع ، .. لقد كانت جنوب أفريقيا ميدانا لصراع قوى أوربية مختلفة ، وتمثل هذا فى جنسيات الرحالة : برتغاليون (سانتوس) وهولنديون (دير سفل) وانجليز (ليفجتـــون وغيره) ، وقد أصبح تاريخ المنطقة معروفا طرقته مراجع كثيرة ، لكننا خدمة لمن يريدون تذوق هذه الرحلات نورد ثبتا بأهم الأحداث التاريخية ذات الصلة بالمنطقة حتى أواخـــر القرن التاســـع عشر (حيث رحلة أندرســـون ، ورحلة سيلوز) .

١٤٩٧(١) فسكو دى جاما يبحر حول الكيب .

١٥٩٣ البانتو يصلون الى نهر أومتاتا Umtata

١٦٠٠ تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية .

١٦٠٢ تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية .

١٦٥٢ جان فان ريبك يصل لخليج نيبل .

١٦٥٧ المستوطنون البيض الأول يمنحون الأراضى . وفى هذا العام تم استيراد العبيد من جاوه ومدغشقر .

١٦٧٩ سيمون فان ديرستل يصبح حاكما Commander فى الكاب .

١٦٨٨ الهيجونوت يصلون للكاب .

١٦٩٩ وليم فان دير ستيل يصبح رئيسا للكاب(تم استدعاؤه سنة ١٧٠٧م) .

١٧١٣ معاهدة أوترخت والنهاية المؤقتة للحروب الأوروبية

١٧٣٧ الارســالية المورافية Moravian Brethren تبنى محطة ارسالية فى Batavian's Kloof

---

(١) هذا التاريخ ميلادى .

١٧٨٠ الحدود الشرقية لمستعمرة الكاب ـ الى نهر فش •

١٧٨٣ مولد شاكا •

١٧٩٤ افلاس شركة الهند الشرقية الهولندية •

١٧٩٥ الاحتلال البريطانى الأول •

١٨٠٢ صلح اميان : مستعمرة الكاب تنتقل لحكم جمهورية باتافيا •

١٨٠٦ الاحتلال البريطانى الثانى •

١٨١٢ حدود المستعمرة تمتد لتشمل الزوروفلد •

١٨١٥ (تقريبا) موشيش * يصبح حاكما على الباسوتو •

١٨١٦ شاكا يصبح حاكما للزولو •

١٨١٨ تداندوى بقيادة زويدى تلاقى الهزيمة أمام شاكا • بداية حروب المفيسين •

١٨١٩ الدكتور فيليب يصل للكاب •

١٨٢٠ المستوطنون الانجليز الأول يصلون للكاب •

١٨٢١ مزيليكازى يثور ضد شاكا •

١٨٢٤ جانب من الناتال ، يتنازل عنه شاكا للانجليز •

١٨٢٥ (تقريبا وما بعدها) النديبيلى بقيادة شاكا يهاجمون عبر نهر الفال •

١٨٢٦ حدود مستعمرة الكاب تمتد الى نهر الأورانج •

١٨٢٨ الانجليزية هى اللغة الرسمية / صدور اللائحة الخمسينية / موت شاكا في بلاد الزولو / دنجان يتولى حكم الزولو •

١٨٣٣ تحرير العبيد / تأسيس محطات (مراكز) تبشيرية جديدة فى Marija و Beersheba .

١٨٣٤ الحرب السادسة من سلسلة حروب الكافير / الدستور الجديد يبدأ في عهد الحاكم السير بنيامين دربان •

١٨٣٥ توسعات حدودية أخرى بناء على اقتراحات دربان لكن الحكومة البريطانية رفضت الاعتراف بها / بدء الزحف العظيم (الهجرة البويرية الكبرى / بيت رتيف يطلب أراضي من دنجان •

١٨٣٦ الدفعة الثانية والثالثة من الزاحفين البوير تغادر الكاب • الندلندوى بقيادة زوانجندابا يصلون ما يعرف اليوم باسم مالاوى •

١٨٣٧ البوير بقيادة بوتجيتر Potgieter يهزمون النديبيلى ويهاجرون شمالا الى ما يعرف اليوم باسم روديسيا •

١٨٣٨ رتيف يطلب أراضي من دنجان مرة أخرى / دنجان يلقى هزيمة على يد البوير في معركة نهر الدم •

١٨٤٠ الندلندوى بقيادة زوانجندابا يصلون الى ما يعرف باسم تنزانيا / موت سوبهوزا في بلاد السوازى •

١٨٤٢ تأسيس جمهورية الناتال •

١٨٤٥ ضم الناتال لمستعمرة الكاب • مسواتى يمنح البوير مزيدا من أراضي السوازى •

١٨٤٦ موشيش يعقد معاهدة مع بريطانيا لدعمه في صراعه مع البوير •

١٨٤٨ المنطقة الممتدة بين نهرى الأورانج والفال ودراكنبرج تلحق بمستعمرة الكاب •

١٨٥٠ الباسوتو يحققون نصرا على البوير •

١٨٥٢ ميثاق نهر الرمال يمنح البوير الحكم الذاتي شمال نهر الفال (جمهورية جنوب أفريقيا) بريطانيا

تغزو الباسوتولاند / تعدين النحاس يبدأ فى
سبرنجبوكفونتين Springbokfontein .

١٨٥٣ موشيش يهزم مانتاتيز .

١٨٥٤ ميثاق بلومفونتين يمنح الحكم الذاتى للمستوطنين فى منطقة نهر الأورانج Orange River Sovereignty .

١٨٥٦ موت شانجان فى سوازيلاند .

١٨٥٧ البوير يهاجمون الباسوتو ويستولون على أراض كثيرة / اتخاذ خطوات نحو الاتحاد الفدرالى فى ظل سير جورج جراى ، حاكم المستعمرة .

١٨٥٨ ـ ١٨٧٠ توحيد الترنسفال .

١٨٦٦ البوير يهاجمون الباسوتو مرة أخرى ويستولون على مزيد من الأراضى .

١٨٦٧ اكتشاف الماس فى جريكالاند الغربية .

١٨٦٨ موت مزيليكازى ، حاكم النديبيلى/ لوبنجولا يخلفه/ باسوتولاند تصبح محمية بريطانية .

١٨٦٩ اكتشاف الماس فى كمبرلى .

١٨٧٠ سيسل رودس يصل للكاب .

١٨٧١ جريكالاند الغربية محمية بريطانية .

١٨٧٢ رودس يذهب الى كمبرلى .

١٨٧٣ سيتيوايو Cetewayo يلقى اعتراف بريطانيا به كحاكم للزولو .

١٨٧٥ موت مسواتى فى بلاد السوازى .

١٨٧٦ البيدى بقيادة سيكوكونى يهزمون الترنسفاليين .

١٨٧٧ الزولولاند وجمهورية جنوب أفريقيا تلحقان ببريطانيا .

١٨٧٨ قانون الحفاظ على السلام لنزع سلاح الأفريقيين) ·
١٨٧٩ الزولو يهزمون الانجليز في معركة أيزاندهلوانا . Isandhlwane
١٨٨٠ حرب البنادق في الباسوتو / الحروب الاستقلالية في في الترنسفال / ضم الجريكالاند الغربية لمستعمرة الكاب ·
١٨٨١ البوير يهزمون بريطانيا في معركة تلال ماجوبا Majuba ميثاق بريتوريا / تكوين شركة المناجم التضامنية De Beers Consolidated Mines LTD.
١٨٨٣ نفي سيتيوايو / دينيزولو يخلفه / تأسيس الألمان أنجرا بكويت Angrapequena في جنوب غرب أفريقيا / انتخاب كروجر رئيسا للترنسفال ·
١٨٨٤ اكتشاف الذهب في وتووترسراند ·
١٨٨٥ الحاق البتشوانالاند ببريطانيا ·
١٨٨١ افتتاح خط سكك حديد الترنسفال ـ خليج دلجوا ·
١٨٩٠ موت مباندزيني في السوازيلاند / بانو يخلفه / رودس رئيسا لوزراء الكاب / روديسيا منطقة بريطانية / ·
١٨٩١ ـ ١٨٩٢ افتتاح خط سكة حديد (الناتال ـ الترنسفال) خط بريتوريا ـ خليج دبموا / بريتوريا ـ الكاب / الكاب ـ راند ·
١٨٩٣ شركة جنوب أفريقيا البريطانية تهزم النديبيلي / الهوتنتوت يثورون ضد الحكم الألماني في جنوب غرب أفريقيا ·
١٨٩٤ ضم الناتال لدولة الزولو · ضم السوازيلاند للترنسفال ·

١٨٩٥ حملة جيمسون / رودس يتنحى / خط سكك حديد الناتال يتم افتتاحه .

١٨٩٦ برقية تهنئة من Kaiser في ألمانيا الى الرئيس كروجر بمناسبة هزيمة حملة جيمسون .

١٨٩٧ ملند مندوب سام بريطانيا في الكاب .

١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ الحرب الانجليزية البويرية .

١٨٩٩ (ديسمبر) هزيمة الانجليز في كولنسو وستورمبرج وماجرسفونتاين .

١٩٠٠ (فبراير) احتلال بلومفنتين (يونية) سقوط بريتوريا .

واخيرا نرجو أن يجد القارىء الشغوف بضروب أخرى من المعرفة والآداب فائدة في هذه الرحلات التي يعد بعضها بمثابة دروس في رياضة القنص ، كما لا يخفى أن عددا من الرحالة الذين تضمهم هذه المجموعة اتسم عرضهم بالطرافة والجمال .

وعلى الله قصد السبيل

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

رحـــلة

سيمون فان ديرستل

SIMON VAN DER STEL

جبـال النحـاس

ولد سيمون فان دير ستل فى موريشيوس ، وكا ابنا لقائد تلك المحطة ، وتلقى تعليمه فى امستردام ، واصبح قائدا للراس فى سنة ١٦٧٩ م ، وسرعان ما طور مركز الاستيطان بهـا الى مستعمرة ، وقد ظهرت رحلة ستل الى جبال النحـاس باللغتين الانجليزية والهولندية • والنص التالى من كتاب « يوميات رحـلة ستل الى ناماكالاند ١٦٨٥ ــ ١٦٨٦م » الذى نشر سنة ١٩٣٢م فى لندن ودبلن

Simon van der stel's journal of his expedition to Namaqualand 1686 edited by G. Waterhouse. Longman, London ; Hodges Dublin, 1932.

١٦٨٥م ــ أغسطس :

السبت ، ٢٥ أغسطس • فى الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم غادرنا ــ ومعنـا أمتعتنا ــ قلعـة رأس الرجاء الصالح ، معتمدين على الله ذاكرين اسـمه • آمين • وكانت

القوة تتكون من سبعة وخمسين رجلا أبيض كما يتضح من القائمة المرفقة ·

وكان من بينهم دابن مانجل Mangele وهــو أمير ماكاسر Macessar ، ومعه خادمه ، بالاضافة الى ثلاثة خدم سود للقائد الشرفي Honourable Commander وكانت قافلتنــا تتكون من عربة تجرها ستة خيول ، وثمانية حمير وأربعــة عشر حصانا للركوب ومدفع ميدان محمــول عــلى عربة field piece وثماني عربات من النوع ذى العجلتين لحمل الأثقال تجر الواحدة منها دابة ، وسبع عربات مغطاة ، تحمل احداها قاربا ، وتســعة وثمــانين ثورا من ثيران التحميل والسحب ، بالاضافة الى قوة حماية مواكبــة لنا مكــونة من ستة من أهل البلاد بعرباتهم التى تجر الواحدة منها ثمانيــة ثيران ، وكان على هذه القوة المرافقة أن تتركنا عنــد نهــر الفيل Elephant's River بعد أن قطعنا ميلا وخمس الميل(★) عسكرنا في موضع يسمى قرية (كرال) هوج Hooge Kraal (★★) حيث التحق بنــا الــرئيس الشرفى (القــائد الفخرى) فى الساعة الرابعة بعد الظهر وكان بصحبته السيد أندرياس دى مان Andries de Man والمسئول الثانى الكابتن هيرونيموس كروس Hieronimus بالاضــافة الى عــدد من أعضاء المجلس ، وآخرين أقل رتبة · واســتعرض القــائد الفخــرى المجمــوعة بأســلحتها الــكاملة ، وقد حييناه ومن

(★) الميل المستخدم هنا يساوى حوالى ٤٫٦ ميلا انجليزيا تشريعيا (الميل التشريعى يساوى ٥٢٨٠ قدما أو ١٧٦٠ ياردة) — (المترجم) ·

(★★) راجع مادة كرال فى دليل المصطلحات بآخر الكتاب — (المترجم) ·

معه باطلاق ثلاث طلقات دفعة واحدة · وكان خط العرض حيث نحن الآن هو ٢٠ر٣٤° ·

الخميس ـ ١١ أكتوبر :

(حوالى تسعة أميال الى الشمال من الدورنبوش أو نهر جرين the Doornbosch or Green River) (★) لقد غادرنا المعسكر هنا في الساعة السابعة واتخذنا طريقنا نحـو واد ضيق شديد انحداره بين جبلين شاهقين ورحنا نصعد بشيء من المشقة ولما وصلنا للقمة وجدنا هذين الجبلين مسـطحين (مستويين) تماما ، ولما تقدمنا وصلنا الى الجبال التى كان يتحتم على أولوف بيرج Olof Bergh أن يعود منهيا رحلته في سنة ١٦٨٣ ، وقد قدرنا أن هذه الجبال تمتد لميل أو ميلين عن أيامننا ، وهى جبال شاهقة بشكل لا يصدق وهى لا تعـدو كونها كتلا صخرية ضخمة مصمته شديدة الانحدار لا يمـكن تسلقها · وبعد أن قطعنا نصف الميل ـ من هنا ـ وصلنا الى موضع كان يتحتم علينا فيه أن نعسكر فلم نكن قد صادفنا قبل الوصول لهذا المعسكر فوق هذه الهضبة سوى مستنقعات ساخت فيها الدواب والعربات واضطررنا لمرات عدة لسـحب ثور قوى ، وقد أدى هذا الى اصابتنا بالارهاق ، وظهـر الارهاق ـ كذلك ـ على الدواب فبدت خائرة القوى · ويرجع السبب في أن الطرق فوق هذه الجبال وبينها لا يمكن المرور بها ، أن الأمطار التى هطلت أثناء الرياح الموسمية الماضية ، لم يكن من الممكن أن تتسرب في هـذه الأرض الصخرية ،

(★) ترجمته كما لا يخفى النهر الاخضر ، لكن الكتب العربية دابت على عدم ترجمة الأسماء فى هـذه الانحاء ، فـهى تذكـر نهـر فش Fish ليس نهـر السـمك ونهر جرين وليس النهر الاخضر ·· وهكذا ، وربما كان ذلك لان الاسم الاجنبى صار فى حد ذاته علما ـ (المترجم) ·

وانما كان لابد من الانتظار حتى تبخرها أشعة الشــمس ، وهذا يتطلب وقتا طويلا ، ومن ثم فان الطرق فى هذه البقعة تظل صعبة الاجتياز أو بالأحرى مستحيل اجتيـازها لفترة طويلة · لقد كان الموسم المطير الماضى ـ كما أخبرنا أماكاس Amaquas هو موسم المطر الوحيد الذى روى هذه المنطقة فى أربع سنين · لقد كان المعسكر غاصا بالحشائش والمياه ، أما وقودنا فكان من أشجار شوكية صــغيرة تنمو عــلى طول المجارى المائية هنا · أما تقديرنا لخط سيرنا فهو (٦°) شرق الشمال الشرقى ـ ميلان ، وقدرنا أننا عنــد خط عــرض ٣١ر٢٩ وخط طول ٤٩ر٣٧° (★) ·

الجمعة ١٢ أكتوبر :

أرتأى القائد الفخرى أن نمكث هنا ، فقد كانت القافلة منهكة ولم يكن بمقدورنا أن نجازف بالتقدم دون القيـام باستطلاع الطريق ، ولذلك فقــد أرســلنا ضــابط النظام (الرقيب) ومعه ستة آخرون لاستطلاع الطريق ، فعاد بعــد الظهر ليقرر لنا أن الطريق أفضل ـ يقينا ـ من الطريق التى قطعناها فى اليوم السابق فلم تكن هناك أراض مستنقعيــة الا قليلا · كان الجو هذا اليوم رطبا جدا وغاصا بالضباب ، والسماء ملبدة بالسحب ·

السبت ١٣ أكتوبر :

فى الساعة السادسة والنصف من صباح هــذا اليــوم جمعنا معسكرنا فى جو ضبابى واتخذنا طريقنا نحو حيــد

(★) عن مدى دقة هذه التقديرات ، راجع المقدمة ـ (المترجم) ·

الجبل ودرنا حوله ، ومن ثم دخلنا سيلا (واديا ضيقا) عميقا جدا بين جبلين صخريين شاهق ارتفاعهما ، وكانت تنساب من الجبلين مجار مائية ماؤها عذب سائغ ، وكانت المسافة المنحدرة فى هذا الوادى تبلغ الميل طولا ، وكانت مليئة بالأحجار غير الثابتة التى تتدحرج الى الجزء الأدنى • ومن هذا المكان تابعنا مسيرنا حتى وصلنا الى نهر صغير فعبرناه وأقمنا معسكرنا على جانبه الآخر • لقد كان الموضع الذى عسكرنا فيه سهلا بهيجا تحيطه تلال منخفضة كستها الأعشاب والأشجار وبها مصادر مياه وفيرة • لقد كان الطريق الذى أتينا منه شاقا ومتعبا فى غالبه باستثناء بعض المناطق السبخة (المستنقعية) هنا وهناك التى تمكنا من عبورها دون مشقة • وقد أتى بعض الوطنيين فعسكروا قبالتنا على الشاطىء الآخر وتصبوا معسكرهم وكان يتكون من ثلاثة كرالات Krals (مساكن مؤقتة يعدها أهل البلاد لاقامتهم)، وكانوا يقصدون باقامتهم فى مقابلنا أن يبادلونا بما يملكون من حليب قليل وماشية • لقد كان موقعنا التقريبى فى هذا اليوم هو ٤ درجات شمال الشمال الشرقى بميل وثلاثة أرباع الميل • عند خط عرض ٢٨ر٢٩° وخط طول ٥٢ر٣٧° •

الأحد ١٤ أكتوبر :

لقد مكثنا فى هذا الموضع ــ كما سبق أن ذكرنا ــ لاجراء مزيد من الاتصالات مع جماعات الأماكوا Amaquas وقد كللنا هذه الاتصالات بأن نجحنا فى عقد اتفاق معهم وفقا للشروط والتعهدات التالية :

ــ أن نعيش معا (نحن وهم) فى سلام •

ـ ألا تحارب جماعات الأماكوا بعضها بعضا ، وأن يكفوا عن شن مزيد من الحروب ، واذا حدث وتجاوز الأماكوا هذا الشرط فان الشركة الموقرة ستمد يد العون للجانب الذى تراه على حق ٠

ـ وأكثر من هذا فان الشركة الموقرة ستنبه جماعات الهوتنتوت Hottentos والهيسيكوا Hesiquas والجريجركوا Gregriqua وغيرهم من رعايا الشركة فى منطقة الكاب (الرأس) وستحذرهم من القيام بأى عمل عدائى ضد الأماكوا Amaquas حتى يتمكنوا (أى الأماكوا) من اتخاذ طريقهم الى رأس الرجاء الصالح ليقوموا بأعمال تجارية مع الشركة الموقرة ٠

ولم نعقد مع الأماكوا Amaquas اتفاقا بشأن جبل النحاس لأننا لم نعرف بعد الظروف المحلية ولا كيف نبدأ بحثنا عن ميناء ، لذا فالأمر مؤجل حتى نقوم بمزيد من الاستقصاءات ٠ وقد عرض الزعيم أوديسون Oedesson خدماته ليقدم لنا معلومات كاملة وليدلنا الى مكان جبل النحاس ٠ ولدى هؤلاء نوع خاص من الصمغ يجمعونه من الأشجار كما أن لديهم بعض الرمال التى تتألق كالزجاج ، ويمكن للمرء أن يحكم بأنها حاوية على المعادن ٠

وقد صرح الزعماء المخليون وأهل البلاد العاديون ـ بالاجماع ـ بأنهم يحصلون على هذه الرمال من نهر يسمونه نهر اين Ean وهو نهر عميق جدا ـ حسب تقديراتهم ـ بالقرب من البحر ، كما انه سريع الجريان جدا ٠ ويقولون انه على بعد رحلة قوامها عشرة أيام من جبل النحاس ، وقد

قدر القائد (الكوماندا) الجليل انه على خط العرض نفسه الذى يقع عليه نهر فيجيتى العظيم Vigiti magni • ويقطن على الضفة اليمنى لهذا النهر حتى ساحل البحر قبائل متعددة من الهوتنتوت ، لكن أهل البلاد أخبرونا أنه يستحيل علينا أن نصل اليه بواسطة العربات التى تجرها الدواب •

وبمناسبة عيد ميلاد قائدنا الجليل ، فقد أطلقنا النار على ثلاث دفعات احتفالا بهذه المناسبة ، وكنا نطلق طلقة مدفع عقب كل دفعة • ولما علم الأماكوا عزفوا موسيقاهم احتفالا بهذه المناسبة • وكانت آلاتهم الموسيقية عبارة عن قصبات (غابات) طويلة مجوفة (مزامير) تعطى كل منها نغمة مختلفة ، ويمكن مقارنة نغماتها بنغمات الأرغن • لقد وقفوا فى حلقة مكونة من عشرين شخصا وفى وسط الحلقة شخص يحمل فى يده عصا طويلة نحيلة وراح يقود فريق المغنين ويضبط الايقاع ، وقد راعى جميع المغنين والعازفين توجيهاته على نحو صحيح وراحوا يرقصون وقد وضع الواحد منهم يدا على أذنه بينما قبض بالأخرى على المزمار مثبتا اياه بين الشفتين • وخارج حلقة العازفين يقف رجال ونساء يصفقون تجاوبا مع موسيقا العازفين وكانت حركة الراقصين والمصفقين حول حلقة العازفين حركة رقيقة لا تتناسب مع كونهم من المتوحشين (البدائيين) واستمر عزفهم ورقصهم طوال النهار وقد أمر قائدنا المبجل بذبح ثور ليأكل منه زعماؤهم القبليون العازفون والراقصون بعد الانتهاء مما هم فيه من عزف ورقص ، وقدم لهم قائدنا أيضا بعض مشروب العرق (شراب مسكر) ليعودوا الى مقارهم (كارالاتهم) وهم سعداء • وفى هذا اليوم بادلونا بالماشية • وقبيل المساء عسكرت الى

جوارنا جماعة أخرى بهدف أن يقدموا لنا الحليب مقابل حصولهم على التمباك ٠

الاثنين ١٥ أكتوبر :

بقينا فى موقعنا لنعرف ما اذا كانت الجماعة التى وصلت أخيرا ترغب فى مبادلة أشياء أخرى ٠ وفى هذه الأثناء وصلت جماعة أخرى وأعطتنا ماشية مقابل ما قدمناه لها ، وبعد الظهر بدأنا نستعد للرحيل ، وأقبل زعماء الأماكوا فى اليوم التالى ــ مرة أخرى ــ ومعهم الموسيقيون ليستأذنوا قائدنا المبجل فى الرحيل ٠ وكان اسم واحد منهم أوديسون ، واسم زعيم آخر هابى Haby وقد اقترح هؤلاء الزعماء أن يقدموا لنا كل المعلومات التى نريدها فقدم لهم قائدنا المبجل ثلاثة خراف وزجاجات قليلة من العرق (شراب مسكر) مما جعلهم ــ وموسيقييهم ــ مرحين طوال الليل ٠

الثلاثاء ١٦ أكتوبر :

غادرنا معسكرنا فى السابعة صباحا واتخذنا طريقنا صوب الشمال حتى وصلنا لواد صغير سرنا فيه حتى أفضى بنا الى جبل صخرى فلما هبطنا من فوقه ألفينا أنفسنا نسير على طول نهر صغير فعسكرنا على شاطئه ، وأينما وجهنا النظر لم نكن نرى شيئا خلا الجبال الصخرية الشاهقة ، لقد كان الطريق الذى سلكناه جيدا تماما الا أنه كان فى معظمه رمليا كثير الحصى تنمو فوقه شجيرات منخفضة ٠ وكان النهر الآنف ذكره غامرا بالمياه المنعشة وكان شاطئاه تغطيهما الشجيرات الشوكية كما توفرت الأعشاب بكميات طيبة ٠ وقد مكثنا هنا لأن زعماء الأماكوا أخبرونا أننا لن نجد بعد ذلك عشبا

ولا ماء وآن الطريق بعد ذلك سيكون مليئا بالأحجار غير الثابتة .

وبعد الظهر تسلق ضابط من جماعتنا (Quertermaster) واحدا من الجبال الآنف ذكرها ، ومن موقعه فوق الجبل رأى البحر (المحيط) ناحية الجنوب على بعد حوالي اثنى عشر ميلا أو ثلاثة عشر ميلا . وقدر أننا قطعنا (هذا اليوم) نحو الشمال ٢٣/٤ ميل ، وقدر خط العرض ١٩ر٢٩° وقدر خط الطول ٥٠ر٣٧° .

الأربعاء ١٧ أكتوبر :

غادرنا المعسكر في الساعة السادسة والنصف واتخذنا طريقنا بحذاء النهر الآنف ذكره حتي وصلنا الى واد عميق اتخذنا طريقنا فيه . لقد كان الطريق ضيقا مليئا بالجلاميد (الأحجار المكورة) غير الثابتة ، وقد صعدنا في هذا الوادى بمشقة بالغة حتى وصلنا الى حيد جبل آخر شاهق ارتفاعه ، وكان اتجاه الوادى الضيق الى الشمال الشرقي . ولما هبطنا الطريق وجدناه أكثر صعوبة من الطريق السابق الذى صعدنا فيه فقد كان أشد ضيقا وأكثر امتلاء بالجلاميد غير الثابتة ، لذا فقد انحرفت عدة عربات من عرباتنا وتحطمت فكنا مضطرين لاقامة معسكرنا في بطن الوادى بجوار نهير صغير . كان ماؤه غير سائغ وتعتريه ملوحة وكانت الشجيرات والحشائش متوفرة في المكان على نحو ما . لقد أحاطتنا الجبال الجرداء الا من شجيرات الصبار ، ولم نعد نرى سواها . وكان تقديرنا للاتجاه والمسافة هو ٥° شرق شمال الشمال الشرقي . أما تقديرنا لخط العرض فهو ١٢ر٩° ، وتقديرنا لخط الطول هو ٥٦ر٣٧° .

الخميس ١٨ أكتوبر :

وغادرنا معسكرنا هذا في الصباح وسرنا فوق تلال حجرية مختلفة حتى وصلنا الى جانب جبل تناثرت عليه أحجار ضخام غير ثابتة بأعداد كبيرة ولما سرنا عند سفحه وصلنا الى نهر كبير حيث كنا مضطرين للتوقف واقامة معسكرنا لأن عرباتنا التى تهشمت فى اليوم السابق قد انشطرت على هذه الصخور فتعين علينا اصلاحها ، وقد أتيحت لنا الآن فرصة طيبة لتحقيق هذا الغرض فالنهر الذى توقفنا عنده تحفه أشجار شوكية وأشجار أخرى لا ندرى أسماءها ، وكان هذا النهر ضحلا وماؤه تعتريه بعض الملوحة ، أما عرضه فحوالى عشرين قصبة (القصبة ٥٠ر٥ ياردة أو ٢٩٠ر٢ متر) وكان العشب متوفرا في هذا المكان. وكان تقديرنا للمسافة والاتجاه هو شمال بشرق خمسة أثمان ميل ، وتقديرنا لخط العرض ٥٧ر٥٧° أما خط الطول فكان عند ١٠ر٢٩° .

الجمعة ١٩ أكتوبر :

غادرنا المعسكر فى السادسة والنصف وكان الطقس جميلا واتخذنا طريقنا مساحلين للنهر الآنف ذكره فى اتجاه غربى بميل للشمال مقداره نصف ميل وعند هذه النقطة عبرناه وصعدنا مرتفعا وسرنا خلال الجبال حتى وصلنا لأرض منخفضة حيث وجدنا أنفسنا مضطرين للسير فى واد متوسط العمق واستطعنا أن نجتازه بعرباتنا دون أن تتحطم ، وبينما كنا نهبط منحدرا فى هذا الوادى كان الطريق يتخذ اتجاها شماليا مباشرا حتى وصل بنا الى منخفض مسطح ينحو فى اتجاهه الى الشرق وكان علينا أن نعسكر هنا لأن أخبارا وصلتنا أننا لن نصل الى أى مصدر

ماء هذا اليوم . لقد كانت المنطقة التى سلكناها هذا النهار ليست آكثر من أرض رملية محصوصبة (بها حصى كثير) تقطعها المجارى المائية المختلفة التى كانت فى هذا الوقت جافة تماما . وكان معسكرنا يحصل على الماء والعشب وأخشاب الوقود بين الحين والحين ، وقدرنا مسيرنا والمسافة التى قطعناها بميلين ونصف الميل فى اتجاه الشمال الغربى . عند خط عرض ٥ر٢٩° خط طول ٥٦ر٣٧° تقريبا .

السبت ٢٠ أكتوبر :

جمعنا معسكرنا فى الساعة السادسة والنصف واتخذنا طريقنا حول احدى المرتفعات وذلك لتحاشى صعود جبل شاهق واتخذنا طريقا شرقيا حتى مدخل واد صغير فكرنا فى السير فيه لكنا وجدنا ذلك محالا نظرا للصخور غير الثابتة على جانبى التلال شديدة الانحدار المحيطة بهذا الوادى الصغير ، فاضطررنا للعودة أدراجنا واتجهنا غربا حتى أتينا الى مكان قريب من سفح جبل شاهق ، فسرنا حذاء هذا السفح حتى وجدنا ينبوعا لا يجف طوال العام كما قال لنا الأماكوا Amaquas . ولما تابعنا مسيرنا عبرنا سهلا ثم مررنا بتلال صخرية قليلة اضطررنا لتحاشيها بالدوران حولها ثم وصلنا الى مجرى مائى صغير وعسكرنا عنده . لقد كانت المنطقة التى قطعناها لا تختلف عن المنطقة التى ذكرناها بالأمس ، فرغم أن الماء توفر لدينا الا أن العشب والأخشاب كانا نادرين ، وقدرنا الاتجاه والمسافة بميلين (٤° باتجاه الشمال الشرقى) وقدرنا خط العرض ٥٢ر٢٨° وخط الطول ٥٧ر٣٧° .

الأحد ٢١ أكتوبر :

غادرنا المعسكر في الساعة الخامسة والنصف واتخذنا طريقنا شرقا صاعدين منحدرا وغيرنا اتجاهنا عدة مرات حتى وصلنا الى سهل فلما عبرناه وصلنا الى جبل مرتفع كان يبدو ككتلة صلدة واحدة ويوجد فوق قمته ــ كما أخبرنا الأماكوا ــ نبع ، عذب ماؤه جدا وغادرنا هذا الجبل عن أيامننا وسرنا مرة أخرى في سهل عريض جدا حتى وصلنا الى واد ضيق فلما دخلناه ألفينا أنفسنا قد وصلنا لهدفنا ــ انها جبال النحاس ، فعسكرنا أمام الوادى الضيق مباشرة في أحد هذه الجبال التى كان ينساب من أحد عيونها ماء بارد سائغ مذاقه جدا • وعلمنا بعد ذلك أن هذه العين تنبجس من تل صخري على مرمى طلقة بندقية من جبال النحاس هذه ، وكان مجرى المياه المنسابة تحفه الأشجار والشجيرات والبوص (الغاب) ، والأرض هنا رملية وحصبائية وفي عدة أماكن منها ــ على عمق قدمين ــ وجدنا طميا جيدا ، يمكن تشكيله لليونته • وقدرنا خط العرض هنا ٥٢ر٢٨° وخط الطول ١٨½ر٢٨° وخط العرض الملحوظ ٠ر٢٩° وبذلك يكون الاتجاه الى الشمال الشرقى (٤¾ ميل) •

الاثنين ٢٢ أكتوبر :

بدأ قائدنا الجليل ورئيس الجيولوجية في تفحص الجبال وكشفها فاتجه القائد شرقا واتجه رئيس الجيولوجيين غربا ، وبدأ العمل في مواقع مختلفة لفحص الطبيعة المعدنية للصخور • لقد كان لون الجبال من قممها الى سفوحها بلون الزنجار (صدأ النحاس) ، بالاضافة الى أن فحص بعض

الصخور المنفصلة قد أعطى قائدنا الجليل ورئيس الجيولوجيين أملا كبيرا فى وجود شىء مهم يستحق العناء ، وعلى أية حال فان رئيس الجيولوجيين بعد أن قضى فترة فى الفحص عبر عن رأيه فى أن البحث لم يسفر عن نتائج مرضية فخاب آملنا . وعلى العكس من ذلك فان قائدنا الجليل كان متفائلا وأشار لرئيس الجيولوجيين الى المواقع التى يجب عندها البحث ، وتقرر بدء العمل فى التنقيب فى اليوم التالى .

الثلاثاء ٢٣ أكتوبر :

بدأ الجيولوجيون العمل عند طلوع النهار فى موقعين فوجدوا أنفسهم على عرق معدنى عريض عرضا غير معتاد ، فلما حفروا لمسافة أعمق ظهر المعدن بشكل أفضل (أنقى) . وفى هذه الأثناء أرسل القائد المبجل عددا من الرجال ليروا امكانية الحصول على المياه والأخشاب فلم يكن أى منها بالقرب منا ، فليس أمامنا الا شجيرات الصبار وشجيرات ضئيل حجمها . وعند عودة الرجال أخبرونا أنهم وجدوا على بعد يتراوح بين ميلين وأربعة أميال فى مواضع مختلفة فى الجبال عددا من المجارى المائية الجافة تنمو فيها الأشجار الشوكية الجافة وأنواعا أخرى من الأشجار ذوات الأخشاب المتينة ولكنهم لا يعرفون أسماءها ، ومن ثم فقد أرسل القائد عدة عربات لجلب الأخشاب لاعداد فحم نباتى وذلك لاختبار العينات وشمها ، فهذه الأخشاب مناسبة تماما لهذا الغرض . لقد كان موقع جبال النحاس الى الشمال الشرقى من قلعة رأس الرجاء الصالح على بعد ٧٥ ميلا و ١٦ دقيقة بالضبط (٢٤ دقيقة أو ٩١٢ قصبة فوق الأفق الحقيقى) .

الأربعاء ٢٤ أكتوبر :

وواصل الجيولوجيون عملهم ، وفى هذه الأثناء أرسل القائد رئيس الجيولوجيين مع آخرين ليتسلقوا أكثر الجبال ارتفاعا وهو يقع الى الغرب ليتفحصوا طبيعتـه ويكتشـفوا مبادئه ، فلما وصلوا لقمته لم يروا حولهم الا جبالا شاهقة وعرة تفصلها بين الحين والحين مسطحات مستوية ۰ وفى هذه الأثناء أخبرنا الأماكوا انه يوجد جبل آخـر عـلى بعـد حوالى ثلاثة أميال ، وهو بدوره بلون الجنزار (بضم الجيم) فقرر القائد ارسال الرقيب (ضابط النظام) وعدد قليل من الجيولوجيين والجنود ، ومسئول الاشارة ليتأكدوا من ذلك ۰ وبعد الظهر ذهب القائد المحترم لتفقد العمل فوجده يسير على قدم وساق ۰

الخميس ٢٥ أكتوبر :

فى الثالثة والنصف صباحا غادر ضـابط النظـام مع عشرة رجال الى الجبل المذكور آنفا وعادوا فى حوالى الساعة السادسة مساء وقد جلبوا معهم بعض الأحجار لها المظهر نفسه الذى للأحجار التى وصفناها لتونا وقرروا لنا ما هو أكثر من هذا اذ قالوا انهم وجدوا المعدن فى أحد السهول وقالوا انه لا يوجد ماء فى هذا السهل ولا بالقرب منـه مع أنهـم ـ أثناء سيرهم ـ وجدوا مسيلات ومجارى مائية تحفها أشجار شوكية ، وأضافوا شارحين قائلين ان الطريق غير صـالح للعربات التى تجرها الدواب ، فالوديان الصغيرة عميقة جدا وجوانبها شديدة الانحدار ۰ والمسافة من موقعنـا هنـا ، وكذلك الاتجاه هو ٥٦° غرب شمال الشمال الغربى ـ ٢¾ ميل خط العرض الملاحظ ٢٥ر٢٨° ۰ خط الطـول ١٦/٢٠٠ ٣٨°

وتم تجهيز الخشب وتكويمه لعمل الفحم ، وكان القائد المحترم مايزال مشغولا مع عدد قليل من الرجال في تفقد الجبال في مواضع مختلفة ووجد أن المعدن هو نفسه في كل موضع عاينه ٠

الجمعة ٢٦ أكتوبر :

بدأ القائد المحترم فى بناء أفران الاختبار فشغله ذلك طول النهار ، وكان العمل فى الحفر يسير سيرا حثيثا ٠

السبت ٢٧ أكتوبر :

فى الساعة العاشرة ، جد الجيولوجيون فى حمل العينة الأولى واحراقها ، وكانت عملية ناجحة فقد دلت بوضوح على وجود المعدن ، وأخذ القائد المحترم بعضا من المعدن المصهور ليتأكد من جودته ٠

الأحد ٢٨ أكتوبر :

عند طلوع الصباح ركب القائد المحترم وكبير الجيولوجيين وعدد قليل من الرجال ليتفقدوا الجبال الممتدة الى الشرق ووجدوا أنها تمتد لعدة أميال ورأوا عروق المعدن مع بروزات على طولها ، وكلها لها لون الزنجار (صدأ النحاس) ، وفى هذه الأثناء كان الجيولوجيون يعملون بجد ٠

الاثنين ٢٩ أكتوبر :

فى منتصف النهار تقريبا أحرق الجيولوجيون عينتين آخريين فأظهرتا معدنا ممتازا وقرر القائد المحترم ـ مرة أخرى ـ أن يصهر العينات فوجد أنها تحتوى على النحاس ٠

رحلـــــة

كارل برنك

CAREL BRINK

بلاد الناماكوا الكبرى

حملة هندريك هوب Hendrik Hop الى ناماكوا لاند الكبرى
Great Namaqualand

ولد هندريك هوب سنة ١٧١٦م ، وعمل بالزراعة فى بارل Paarl وعمل بعد ذلك ضابطا فى فرقة فرسان راس بيجير Cape Burgher Cavalry ورقى الى رتبة قائد • وقد حضر جاكوبس كوتسى Jacobus Coetsee تدريبات قوات الطوارىء (الميليشيا) فى ستيلنبوش Stellenbosch فى اكتوبر سنة ١٧٦٠م • وكان من الممكن وقتها ان يعتزم هوب متابعة كشوف كوتسى فيما وراء نهر الاورانج وان يجد متطوعين من بين مواطنيه (اهل بلده) ، ووافق المجلس السياسى (مجلس تقرير السياسة Council of Policy) على الحملة الكشفية فى يونيو ١٧٦١ م •

وقد وصل الالمانى كارل برنك الى الكاب (الراس) سنة ١٧٥٨م وعمل مساعدا فى سكرتارية مجلس العدالةCourt of Justice وفى سنة ١٧٦٠ م عين فى وظيفة مساعد مساح وراسم خرائط ،(*) وقد امره المجلس السياسى ان يصحب هوب ، وان يعد خريطة عن المنطقة المكتشفة وان يكتب يوميات الرحلة • وقد نشرت يومياته بالهولندية والالمانية والفرنسية والانجليزية • والمقتطفات التالية من كتاب الدكتور ا٠ا٠ موسوب Mossop الموسوم باسم يوميات

(★) ثمة فقرة لم نستطع ترجمتها وهى : become a heem road

برنك وريتيوس Rhenius (نشره في مدينة الكاب فان ريبك ، سنة ١٩٤٧ م) .

وكانت مجموعة الرحلة مكونة من سبعة عشر اوروبيا وثمانية وستين من الهوتنتوت المخلطين ، تجمعوا عند نهر اوليفانت Olifant وانطلقوا في رحلتهم في ١٢ اغسطس سنة ١٧٦١ م في خمس عشرة عربة تجرها الدواب .

★★★

الأحد ١٣ سبتمبر :

لقد مررنا بوادى حزام النحاس ووجدنا عند مخرجه جبال النحاس التى مسحها المبجل سيمون فان دير ستيل der stel سنة ١٦٨٥م . ويقال ــ بشكل عام ــ انها ستة تلال ناتئة من السلسلة الجبلية المرتفعة التى يظهر لونها فى بعض المواضع بلون الزنجار . وقد رأينا آثار بعض الحفائر بها ، وكانت أعمق حفرة بطول قامة الرجل . والى يمين الطريق وجدنا عام ١٦٨٥ محفورا فى الصخر . وتابعنا رحلتنا خلال سهل عريض واسع ومررنا بثلاثة تلال آخرى تحتوى على خام النحاس ، وأقمنا معسكرنا عند آخرها . أما عن الاتجاه والمسافة فالى شمال الشمال الشرقى ٥ر١ ميل . وخط العرض ١٧ر٢٩° ، وخط الطول ١٤ر٣٧° .

الثلاثاء ١٥ سبتمبر :

غادرنا حزام النحاس الآنف ذكره وعسكرنا عند نبع يقال له بورت Poort

الاتجاه والمسافة : شمالا ١¾ ميل . خط العرض ١٠ر٢٩° . خط الطول ١٤ر٣٧° .

الأربعاء ١٦ سبتمبر :

سرنا من عند النبع الآنف ذكره وعسكرنا عند مجرى صغير كان جافا ، ووجدنا نبع ماء تعترى مياهه الملوحة ٠ الاتجاه والمسافة : شمالا ، ٢½ ميل ٠ خط العرض ٢٩° ٠ خط الطول ١٤ر٣٧° ٠

الجمعة ١٨ سبتمبر :

واصلنا رحلتنا عبر سهل رملى ولم نجد فيه ماء لشرب دوابنا ، فوجدنا انه من الضرورى أن نجد فى المسير ، فوصلنا فى صبيحة ١٩ سبتمبر على مرأى من سلسلة جبال شاهقة تمتد على طول النهر العظيم Great River فتركنا ماشيتنا ودوابنا تستريح قليلا ٠ وقرب الماء وصلنا الى النهر العظيم الآنف ذكره حيث وجدناه ينساب بنعومة بين شاطئين منحدرين ، وكانت الجبال الشاهقة تحفه من الجانبين ٠ وكان شاطئا النهر مكسوين بأشجار الصفصاف Willows والأشجار الشوكية ٠ ويبلغ متوسط عرض النهر ١٠٥٢ قدما بالقياسات المستخدمة فى نهر الراين Rhineland feet الا انه فى الموسم المطير يفيض على الجانبين ويصبح غاصا بالأسماك التى من بينها سمك الشبوط الذى يشبه الأسماك من النوع نفسه الموجود فى بلادنا ، ولازالت أعداد كبيرة من أفراس النهر تعيش فى هذا النهر ٠ أما عن الأمور الأخرى المتعلقة بالنهر فانه ينبع من عند خط عرض ٢٥°م جنوبا وينساب ـ جنوبا ـ بشكل مباشر ، وبعد أن يصبح له روافد صغيرة على الجانبين يتجه للجنوب ثانية عند خط عرض ٢٨° ثم يتجه غربا الى المحيط ٠ ويسميه أهل البلاد العين Ein كما يطلقون عليه لفظ شارى Charie

بينما نجد فى خرائط مختلفة عن هـذه المنطقة عنـد هـذا الخط من خطوط العرض يشار الى هـذا النهـر باسم نهر القديس أنطونى ٠

اتجاهنا والمسافة التى قطعناها : شمال الشمال الشرقى بخمسة أميال ٠ خط العـرض ٢٨ر٤٢° ٠ خط الطـول : ٢٢ر٣٧° ٠

الاثنين ٢١ سبتمبر :

اتخـذنا الاسـتعدادات لنقـل عرباتنـا وأدواتنا من ناماكوالاند الصغرى الى ناماكوالاند الكبرى ٠

الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

وتابع المساح مع جاكوب كوتسى Coetsee الرحلة بهدف دراسة منحنى النهر والمنطقة الممتدة حتى مصبه ، فوجدا أن الجبال الشاهقة والشديد تحدرها فى بعض المواضع تقترب من النهر اقترابا كاملا فيصبح من المستحيل أن يمر الانسان على جانبى النهر ، ومن ثم فقد بحثنا عن طريق أكثر ملاءمة خلف هذه الجبال ، وبعد أن واصلنا مسيرنا متقـدمين مدة يومين خلال سلاسل حجرية صعبة لا ماء فيها ، وجدنا ممرا ضيقا يؤدى الى النهر ٠ لقد كان هذا هو الوضع الذى يأوى اليه البوسجيمان (البشمن) Bosjemans حيث كانت هناك دلائل تشير الى أنهم عسكروا هنـا منـذ فترة غير بعيـدة ، واكتشفنا أيضا عدة مواضع مسطحة على جانب النهر ترعى فيها أفراس النهر ، وتمتد هـذه السلاسل المرتفعة موازية للنهر ، فكنا غير قادرين على رؤية نهايتها غربا ، لذا فلم نكن متأكدين من وجود مياه للشرب خلفها ، فكان علينا أن نكف عن مواصلة البحث فى هذه المنطقة ، فعدنا للمعسـكر يـوم السبت الموافق ٢٦ سبتمبر فأخبرونا ان القائد أرسل بعض

أفراد ناماكوا الصغرى الذين تبعونا الى ناماكوا الكبرى يوم ٢٣ سبتمبر ليخبروا الناس هناك بوصولنا • وقد عاد هؤلاء الرجال مع خمسة عشر رجلا من أهل ناماكوا الضخام (أو ناماكـوا الكبرى) بعـد أن ذبح اثنان منـهم ثورا ، وذبح الآخرون خرافا • وأكثر من هذا فان النهر العظيم قد ارتفع عشر بوصات فى ٢٣ سبتمبر رغـم أن الأمطار لم تسـقط هنا • وفي يوم ٢٥ سبتمبر هبت الرياح الغربيـة بشـدة وتسببت في ارتفاع موجات النهر ، فكان من الضرورى أن نؤجل عملية سحب عرباتنا عبر النهر هـذا اليوم • وأرض الناماكوا الصغرى (الناماكوا الصغار) تمتد بين نهر جرون Groene والنهر العظيم ، ويحـدها من الغـرب المحيط ويحدها من الشمال بلاد ناماكوا الكبرى (الناماكوا الضخام) ومن الشرق بلاد البشمان وتمتد ــ أى بلاد الشمان ــ الى الجنوب من بلاد الناماكوا الصغار من خط عرض ٢٨ر٤٢° الى خط عرض ٣٠ر٣٠° وبين النهرين آنفى الذكر نجد بلاد الناماكوا الصغرى بلادا جافة ورملية ليس بهـا نهر دائم الجريان. وأنهار زيوارتدورن Zwartedoorn وجرون Groene (١) ونهر الرمال Sand river تعتبر هى الأنهـار الرئيسة وهى تنبع من الجهات الشمالية الشرقية لسلسلة الجبال المرتفعـة وتجرى غربا الى المحيط خلال جبال صخرية عالية لا ينمو بها عشب ولا نبات • ومن بين هذه الجبال جبل النحاس الشـهير الذى زاره الموقر سـيمون فان دير سـتيل سـنة ١٦٨٥ • وليس من أخشاب هنا باستثناء أخشاب الأشجار الشوكية على طول شـواطىء الأنهـار ، أما فى السهول فتنمو شـجيرات منخفضة معظمها شجيرات لبنية milk-bush وهؤلاء الناماكوا

(١) هو النهر الأخضر Green •

الذين يسكنون هذه الأنحاء فى الغـاية من الكسل والجبن ، ولا يمتلكون الا قليلا من الماشـية ويعيشون فى فقـر مدقع ومع هذا فانهم يتعرضـون يوميـا لعـدوان البوسـجمان (البشمن Bosjemans) الذين يسلبونهم حياتهم وقطعانهم • ولهذه الأسباب فان أحوالهم تتدهور من سيىء الى أسـوأ • ويخشى انه فى غضون سنوات قلائل سيتـمكن البوسـجمان (البشمن) اللصوص من اقتلاعهم عن آخرهم •

الثلاثاء ٢٩ سبتمبر :

وعبرنا معا النهر دون كوارث ومعنا كل عرباتنا ، وكان معنا حوالى مائة من الناماكوا الصغرى رجالا ونساء وأطفالا ، كانوا قد رافقـونا لزيارة أصـدقائهم فى بلاد النـاماكوا الكبرى • لقد اهتبلوا هذه الفرصة فاصطحبونا خوفا من ان يقتلهم البوسجمان (البشمن) وما كانـوا ليجسروا عـلى عبور النهر بدوننا • وكان بين النـاماكوا الصـغار الذين صحبونا واحد من الناماكوا الضخام الذين صحبوا جاكوبس كوتسى منذ عام لبلاد الناماكوا الصغار ، وبالأمس عندما كان يعبر النهر مع قطعـانه تعرض لحـادث مؤسـف ولقى حتفه غرقا • وقرب المساء تابعنا رحلتنا فسرنا بعرباتنـا التى تجرها الدواب خلال واد ضيق شديد انحداره وعسكرنا عند مجرى مائى صغير وجدنا ماءه غير عذب (كلين ــ جا ــ أوبيس Klein-Ga-obis) • اتجاهنا والمسافة : شمال شرق بشمال ، ١ ½ ميل • خط العرض ٣٦ر٢٨° • خط الطـول ٢٦ر٣٧° •

الأربعاء ٣٠ سبتمبر :

واصلنا مسيرنا مرة أخرى بين جبال صخرية حتى وصلنا الى مقر اقامة (كرال) الهوتنتوت Hottentots حيث وجدنا

نبع ماء ماؤه مختلط بالطين بشكل واضح · وأصدر القائد هنا أوامر بخصوص المقايضة وتناوب الحراسة الليلية بحيث كان معلوما أن كل رجل ـ مهما كان عدد الثيران التي يسحبها ـ لا يحق له أن يقايض بأكثر من ستة ثيران فى المرة الواحدة وأن على رجلين أوربيين ومعهم بعض الهوتنتوت المخلصين أن يظلوا ساهرين للحراسة ـ طوال الليل ·

الاتجاه والمسافة : شمال الشمالى الشرقى ٣½ ميل : خط العرض : ٢٤ر٢٨° · خط الطول ٣٤ر٣٧° ·

الخميس ، أول أكتوبر :

غادرنا المعسكر الآنف ذكره وتقدمنا بين الجبال حتى وصلنا الى نهر ليون Leeuwen River (ويسمى أيضا نهر هوم Houm River) الذى ينبع من برجفونتين Berghfontein شمالا ، ويصب فى النهر العظيم الذى يقع الى الجنوب الشرقى منه · وترجع تسميته بنهر ليون الى كثرة عدد الأسود هنا ، ويوجد على طول شاطىء هذا النهر أشجار ذوات أخشاب حمراء وشجيرات شوكية · لقد وجدنا مجرى هذا النهر (نهر ليون) جافا لكننا رأينا على طول شاطئيه ما يدل على أنه ـ فى الموسم المطير ـ يصبح ممتلئا جدا بالمياه · لقد وصلنا اليوم الى قرية (كرال) الناماكوا الكبرى · وبدا السكان مذعورين وقد رأوا بعضنا يركب الخيول ، فولوا الأدبار جميعا ، فلم نجد فى الأكواخ أحدا الا رجلا هرما وامرأة كانا فى حال ذعر شديد لكنهما اطمأنا وصارا مرحين عندما قدمنا لهما الداجا dagga · والتوباكو، ولما علم الهاربون بذلك مِنَ الصغار الذين انسلوا للمكان يلاحظون الأمور ، تسللوا الى أكواخهم الواحد اثر الآخر ،

وبعدها أظهروا أنفسهم بمظهر الشجعان أمامنا • وقد نصبنا معسكرنا الى جوار بركة ماء •

خط العرض : ١٨ر٢٨° •

خط الطول : ٣٦ر٣٧° •

الأحد ٤ أكتوبر :

سرنا على طول نهر ليون Leeuwen وعسكرنا عند نبع يسمى فوجلفونتين Vogelfontein (Aluries-fontein) وهنا تنتهى الجبال وتبدأ سهول واسعة معشوشبة •

خط العرض ١٠ر٢٨° •

خط الطول ٢٩ر٢٧° •

الاتجاه والمسافة : شمال شرقى ١¾ ميل •

الاثنين ٥ أكتوبر :

واصلنا المسير على طول شاطىء النهر ثم عسكرنا عند نبع ماء دائم تدفقه ، وفى بعض الأحيان يكون ماؤه دافئا ومن ثم فهو ملائم للاستحمام • ويقع هذا النبع على بعد حوالى مائة خطوة من الشاطىء الشرقى للنهر فى مرتفع صخرى، وماؤه يبقبق كأنه يغلى وله طعم ملحى الى حد ما وهو الآن على أية حال ذو طعم غير مستساغ • وقد وجدنا التربة هنا سمراء ضاربة للصفرة ويوجد الملح الى جوار الماء ويمكن الحصول عليه جافا ــ أى الملح ــ على عمق اصبع • وقد شاهدنا هنا أول زرافات ، وكانت احداها انثى فأرديناها قتيلة ، وأمسكنا بصغيرها ، ورحنا نتفحص جسد الزرافة القتيل فوجدناه يشبه كثيرا جسد البقرة ، رغم أن رأسها ورقبتها

يشبهان رقبة الحصان ورأسه • وكان ارتفاعها من الحافر الى الرأس سبعة عشر قدما ، ونسبة طول الجسم لارتفاعه ١ : ٥ر٢ ، وأكثر من هذا فاننا إذا وضعنا في اعتبارنا قصر الجسم مقارنا بسائر الأعضاء الأخرى بالاضافة الى طريقة حركة الزرافة غير المعتادة ، اتضح لنا أنه لا يمكن استخدام هذا الحيوان في غرض عملي مفيد ، أما فيما يتعلق بالأمور الأخرى عن هذا الحيوان فهو أبيض في المنطقة حول الرقبة وأجزاء جسمه الأمامية بها بقع بنية غير داكنة ، أما الجزء الخلفي من جسمه فبقعه البنية أكثر دكانة ، وله قرنان يبلغ طول الواحد منهما قدما ويمكنها أن ترعى في الأراضي المنخفضة رغم انها قد تسير على ركبها نظرا لارتفاع جسمها من الأمام ، كما تحصل على غذائها من أوراق الأشجار العالية

خط العرض ٥ر٢٨° •

خط الطول ٤١ر٣٧° •

ولم نتقدم الا ميلا ونصف الميل في اتجاه شمال الشمال الشرقي •

السبت ١٠ أكتوبر :

غادرنا نبع الماء الدافيء وسرنا مرة أخرى على طول شاطيء النهر حتى بركة تعتري مياهها الملوحة فقصدنا قضاء الليل هنا الا أن الماء لم يكن متوفرا في المكان ففكرنا أنه من الأفضل مواصلة المسير ليلا حتى ريتفونتين Rietfontain غير أن ذلك ان كان ملائما لجمعنا الا انه غير ممكن بالنسبة لعربات الشركة الموقرة وغير مناسب للماشية والدواب المرافقة ، ومن هنا فقد مكثنا حيث هذه البركة المالح ماؤها والتي أشرت اليها آنفا • وفي هذه

الأثناء ماتت الزرافة الصغيرة التى قتلنا أمها رغم كل محاولاتنا المحافظة على حياتها .

الاتجاه والمسافة : شمال الشمال الغربى ٢½ ميل .

خط العرض ٥٦ر٢٧° .

خط الطول ٣٧ر٣٧° .

الأحد ١١ أكتوبر :

تبعتنا عربات الشركة الموقرة الى ريتفونتين (دابى جابيس (Dabi-gabis) . انه المكان الذى بدأ منه جاكوبس كوستى Coeste رحلة العودة فى العام الماضى .

الاتجاه والمسافة : شمال الشمال الغربى . ٣ أميال .

خط العرض ٤٥ر٢٧° .

خط الطول ٣٢ر٣٧° .

الثلاثاء ١٣ أكتوبر :

حركنا معسكرنا نصف ميل الى الشمال الشرقى حتى فيرسفونتين Verssefontein . ومرة أخرى نقلنا معسكرنا نصف ميل الى الشمال الغربى الى وادى ريت Rietvalley وهو يقع ـ أيضا ـ فى بطن جاف من بطون نهر ليون الآنف ذكره .

الجمعة ١٦ أكتوبر والسبت ١٧ من الشهر نفسه :

لقد مكثنا نستريح هنا ، وفى هذه الأثناء اصطاد المواطن جان باد نهرست زرافة . لقد كانت ذكرا ، وفيما يلى قياساتها :

الارتفاع من الحافر الأمامى حتى الأكتاف ١٠ أقدام
الارتفاع من الأكتاف الى الرأس ٧ أقدام
الطول من الكتف الى الذيل ٥ أقدام و ٦ بوصات
الارتفاع من الحافر الخلفى حتى العجيزة ٨ أقدام و ٥ بوصات
من العجيزة للذيل قدم واحدة و ٦ بوصات .

الأحد ١٨ أكتوبر :

غادرنا المعسكر الآنف ذكره وأقمنا معسكرا آخر عند رينوستر فونتين Renosterfontein وعلى بعد ساعتين تنتهى السهول المعشوشبة ويظهر جبل ذو قمة مسطحة .

الاتجاه والمسافة : ١¼ ميل .

خط العرض : ٢٨ر٢٧° .

خط الطول : ٣٢½ر٣٧° .

الخميس ٢٢ أكتوبر :

غادرنا معسكرنا ومررنا باحدى قرى الهوتنتوت وأصبحنا مرة أخرى فى سهل فبقينا فيه يوم ٢٣ أكتوبر بجوار نهر ليون .

المسير والمسافة : شمال شرق ، ٤ أميال .

خط العرض : ١٦ر٢٧° .

خط الطول : ٣٨ر٣٧° .

السبت ٢٤ أكتوبر :

حركنا معسكرنا ربع ميل للشمال الى بارلهوندر فونتين
Parelhoenderfontein .

. . . .

. . . .

الأربعاء ٢٨ أكتوبر :

سرنا بين جبال قممها مسطحة وعسكرنا عند نهر دراجى Draaiji River حيث وجدناه جافا وهو يفرغ ماءه فى الموسم المطير فى اتجاه الجنوب الشرقى فى النهر الكبير وقد وجدنا مروجا حسنة بين الجبال ، وأشجارا ضخمة حمراء أخشابها تحف مجرى النهر ·

خط العرض ١٠½ر٢٧° ·

خط الطول ٤١ر٣٧° ·

المترجم :

وقرر قائد الرحلة أن يستفتى كل المرافقين له فيما يتعلق بالاستمرار فى الرحلة حتى الالتقاء بشعب (قبيلة) مكسوة (ترتدى ملابس مثلنا) ولون جلودهم أقل دكانة ويميل الى الصفرة ، وقد تحدث الناماكوا عنهم لكن أحدا منهم لم يذكر أنه رآهم أو تحدث معهم ، لذا لم يجد هؤلاء الرحالة ضرورة لمتابعة المسير حتى الالتقاء بهم خاصة وأن دليل الرحلة أكد صعوبة الطريق وكثرة الأخطار ، لكنهم عادوا فقرروا الاستمرار فى اكتشاف المناطق القريبة منهم لبضعة أيام ثم العودة ·

الأربعاء ٢ ديسمبر :

عاد جاكوبس كوستى وبيترمارين من المهمة التى أرسلهما القائد من أجلها وهى البحث عن طريق وجلب المياه من نهر فش (نهر السمك) وقررا أنهما وصلا الى نهر فش بعد رحلة ركبا خلالها ثلاثة أيام وأنهما سلكا طريقا جيدا لكن الماء به شحيح حتى ان الهوتنتوت الذين يعيشون حوله يحصلون على الماء بحفر الأرض ويسقون مواشيهم فى مجراه ، وهذا لا يمنع من امكانية الرعى بشكل مقبول على شاطئيه ٠ وقرر الرجلان أن الهوتنتوت هناك يمتلكون قطعانا كبيرة من الماشية ، وأنهم يصطادون الحيوانات الضخام خاصة الفيلة المتوفرة هناك بكثرة ٠

الأحد ٦ ديسمبر :

كنا الآن على بعد ١٢٠½ ميل شمال رأس الرجاء الصالح ، والى الغرب من خط الطول المار به بخمسة أميال وثلاثة أرباع الميل ، وعلى بعد ٢١٣¼ ميل شمال المنطقة التى وصل اليها مواطننا جاكوجرس كوستى سنة ١٧٦٠م . أما المعلومات الأخرى التى يجب ذكرها فان كل المنطقة من النهر الكبير The Great River حتى هنا تعرف باسم بلاد الناماكوا الكبرى ، وتمتد غربا حتى ساحل المحيط وشمالا الى أرض القديس توما St. Thomes وشرقا الى البريكوا وجنوبا الى بلاد البريكوا والجريكوا Briqaas & Griquas وجنوبا الى بلاد الناماكوا الصغرى ٠ وتقع بين خطى عرض ٢٥° و ٢٨٫٤٢° جنوبا ، أما فيما يعلق بطبيعة المنطقة فهى تتكون فى غالبها من جبال صخرية عالية فى الجنوب والغرب ، أما فى الشمال والشرق فتتكون من سهول

معشوشبة تتوافر فيها أعداد كبيرة من الفيلة والزراف والحمر الوحشية ووحيد القرن والجاموس والتيتل الأفريقي الضخم (الهرتبيست) والكودو Kudus والجمسبوك • Gemsbok (تسمى أيضا الجمزيوكة ـ مهاة كبيرة من مهى أفريقيا الجنوبية) أما الأنهار التى تجرى فى هذه البلاد فهى : النهر العظيم The Great River ونهر فش Fish (نهر السمك) بالاضافة الى نهرى ليون دراى Leeuwen-Draay وجامو Gammô

ويسمى النهر العظيم أيضا بنهر شارى ونهر عين Eyn وهو النهر الوحيد الذى يجرى ماؤه طوال العام ، انه ينبع من عند خط عرض ٢٥° ثم ينساب جنوبا ويتصل به من الغرب فرعا دراى وليون ، وعند خط عرض ٢٨° بشكل منحنى وينساب بعد المنحنى الى الغرب مباشرة حتى يصل للمحيط مشكلا خط تقسيم بين الناماكوا الكبرى والبريكوا والأينيكوا Briquas and Eynicquas (شعوب نهر أورانج أو عين (أو Eyn) فى الشرق٦ وبين الناماكوا الصغرى فى الجنوب • ونهر فش أيضا ينبع عند خط عرض ٢٥° تقريبا وينساب مباشرة نحو الجنوب فى قلب المنطقة وبعد أن يشتد آزره باتصال جامو Gammo به من شاطئه الشرقى يتصل بالنهر العظيم (نهر شارى) قرب المحيط • ويجف نهر فش تماما خلال فصل الصيف بل انه يظل شبه جاف فى الشتاء اذا هطلت الأمطار بمعدل أقل من المعتاد ، وهو ما ينطبق كذلك على نهرى ليون وجامو • وتحف شواطىء هذه الأنهار فى معظم المواضع أشجار الصفصاف والأشجار الشوكية وأنواع أخرى من الأشجار فى ارتفاع أشجار البلوط رغم أن خشبها قريب الشبه جدا من الخشب البرازيلى

الأحمر وأوراقها أشبه بأوراق أشجار التمر هندى tamarind وهى تثمر قرونا كالأهلة تضم حبوبا بنية اللون ...

الاثنين ٧ ديسمبر :

جمعنا معسكرنا ، وبدأنا رحلة العودة ...

★★★

أندرو سبارمان

ANDREW SPARRMAN

الهوتنتوت والبشمن

راى اندرو سبارمان جبل تابل Table لاول مرة وهو صبى ـ وذلك اثناء رحلة الى الصين • وكان مهتما بالعلوم الطبيعية ، ودرس الطب فى جامعة ابسالا Uppsala ، وقد وصل سبارمان الى جنوب افريقيا سنة ١٧٧٢ وظل لا يتوغل الى ابعد من بارل Paarl حتى دعاه جيمس كوك cook لينضم الى هيئة اتخاذ القرارات وحل المشكلات ، وذلك كخبير فى علوم النبات والحيوان • وبعد قيامه بجولة بحرية حول القارة القطبية الجنوبية سافر الى جنوب افريقيا وجاب انحاءه فى عامى ١٧٧٥ و ١٧٧٦ م • والمقتطفات التالية مترجمة من كتاب « رحلة سبارمان الى راس الرجاء الصالح وفى اتجاه القطب الجنوبى وحول المعالم خاصة فى مناطق الهوتنتوت والكافير فى الفترة من ١٧٧٢ الى ١٧٧٦م » الذى نشره ـ فى لندن ـ روبنسون ، سنة ١٧٨٥ م •

Sparrman's Voyage to the Cape of Good Hope, towerds the Antractic Polar Circle, and round the World, but chiefly into the Country of the Hottentots and Caffres from the year 1772 to 1776 (Vol. I, Robinson, London. 1785).

« ربما كانت هذه هى أفضل فرصة متاحة يمكننى فيها أن أقدم معلومات دقيقة ـ على نحو ما ـ عن هذا الجنس من البشر ، وأعنى به السكان الأصليين لأقصى الطرف الجنوبى للقـارة الأفريقيـة ، ويطلق عليهم اسم الهوتنتوت ، وهم طوال القامة كمعظم الأوربيين ، الا أنهم أكثر نحالة وهـذا يرجع الى أنهـم لا يتناولـون الا القليـل من الطعـام ، ولا ينخرطون فى أعمال شاقة ، وأيديهم صغيرة وكذلك أقدامهم اذا قورنت بأعضائهم الأخرى ، فلم أر خلقا على هذا النحـو قبل ذلك ، وربما أمكننا القول ان صغر الأيدى والأقدام من خواص هذه الأمة . وأصل أنوفهم منخفض جدا والمسافة بين العينين أبعد مما هو الحال عند الأوربيين ، وأطراف أنوفهم مسطحة شيئا ما . وأحداق عيونهم نادرا ما تكون ذات لون فاتح ، لكنها ـ بشكل عام بنية داكنة وتقترب أحيـانا من اللون الأسود . أما جلودهم فبنية مشوبة بصفرة تشبه جلود الأوربيين المصابين باليرقان اصابة شديدة ، وعلى أية حال فان هذا اللون لا يلاحظ فى بياض عيونهم . شفاه الهوتنتوت ليست غليظة كتلك الشفاه الغليظة التى يراها المرء عنـد جيرانهم الزنوج والكافير والموزمبيقيين . وباختصـار فان حجم فم الواحد منهم معتدل مزدان غالبا بصفى أسنان كأجمل ما يكون ... ويبدو رأس الواحـد منهـم مغطى بالسـواد فشعورهم كالصوف المجعد ، لكن ليس تماما ، ومن لا يعرفهم يظن أن هذا ليس شعرا ، وعلى أية حال فانه أقرب للصـوف من شعر الزنوج ، وقلما يوجد فى أجسامهم شعر خلا ذلك الذى فى رؤوسهم .

لباس الهوتنتوت ، ودهن أجسامهم بالدهن والسخام :

ولأكمل الصورة التى قدمتها لكم عن الهوتنتوت لابد أن أصف لكم لباسهم وطريقتهم فى دهن أنفسهم فهم يدهنون أجسامهم ويلطخونها كلها تماما بالدهون المخلوطة بقليل من السناج (السخام) ، ولست أعنى أنهم يزيلون هذا الدهان المخلوط بالسخام بعد الدهن بفترة قلت أم كثرت وانما ـ على العكس ـ هم لا يزيلونه اطلاقا ، فلم أر واحدا منهم أبدا يستخدم أى شىء لتنظيف جلده اللهم الا عند تشحيم عجلات عرباتهم فهم يزيلون ما تلطخت به أيديهم من زفت وقار باستخدام روث الأبقار ـ هكذا ببساطة ، وفى الوقت نفسه فانهم يدهنون أذرعهم بالاضافة الى أكتافهم بالدهون والسخام ، فتتجمع الأتربة والأوساخ الأخرى بالضرورة على هذه الدهون وذلك السخام الذى يدهنون به أجسامهم بالاضافة لما تفرزه أبدانهم من العرق ، وبذا فهم يكونون مغلفين دائما بما يسهم بنصيب غير قليل فى تغيير ألوان جلودهم من اللون البنى الفاتح المصفر الى البنى الغامق الذى تعتريه صفرة ممتزجا بدكانة القذارة والأوساخ ٠

وكان الذى ساعدنى على اكتشاف أن اللون الحقيقى لبشرة الهوتنتوت هو اللون البنى الفاتح المشوب بصفرة أن قلة من زوجات الفلاحين من المستوطنين البيض كن متسمات بالتشكك والوسوسة طلبن من بنتين أو ثلاث من بنات الهوتنتوت حك جلودهن حتى لا يوسخن الأطفال الذين تقوم هؤلاء البنات برعايتهن ، أو ليقمن بأية أعمال أخرى تتطلب النظافة ٠

وقد أكد عدد كبير من المستوطنين البيض انه رغم حك الهوتنتوت (كشط طبقة الدهون والقذارة من فوق أجسامهم)

واجبارهم على الغسل والاستحمام فان مناظرهن لا تصبح أفضل مما كانت عليه ، فهؤلاء المستوطنون البيض يعتقدون أن لون جلد الهوتنتوت الطبيعي (بني فاتح مصفر) لا يقل بشاعة من وجهة نظرهم على تسخيم الهوتنتوت أنفسهم بالدهون والسناج غير أن الواحد من الهوتنتوت اذا ما تسخم (دهن بالزيت والسخام) يبدو أقل عريا من الهوتنتوتي غير المسخم وأكثر اكتمالا ، وأن الجلد الهوتنتوى غير المسخم يبدو وكأن به خللا تماما كالحذاء غير المطلى (غير الملمع بالورنيش) وسواء كانت هذه الفكرة فكرة (التسخيم) قد وجدت بحكم العادة أو بحكم طبيعة الأشياء فانني سأنتقل الى الحديث فى موضوع آخر متصل بها ٠

وبالاضافة للسعادة التى يحس بها الهوتنتوى وهو يدهن نفسه بالزيت ويسخمها بالسناج ، فانه يحظى بسعادة أخرى وهو يعطر نفسه فى الوقت نفسه (بينما هو يدهن جسمه ويسخمه) بمساحيق الأعشاب التى يرشها ويدعكها على رأسه وسائر جسده ، ورائحة هذه الأعشاب العطرية قوية ونفاذة ونتنة ٠ انها أشبه برائحة الخشخاش مختلطة برائحة البهارات ٠ والنباتات التى يستخدمونها لهذا الغرض هى أنواع مختلفة من الديوسمه (★) ويسميها الهوتنتوت بوكو bucko ، ويعتبرونها ذات قيمة كبيرة فى شفاء الأمراض ٠ وبعض هذه الأعشاب والبهارات فى المناطق القريبة من الكيب (الرأس) الا أن واحدا منها من نوع خاص يقال انه ينمو حول نهر جوود Goud ذو قيمة كبيرة جدا لدرجة أنهم يبادلون قدرا قليلا منه بخروف ٠

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية :
buck o plant, Diosma من اليونانية بمعنى عطر اشارة الى رائحة ورقها وتعرف باسم عطره (بكسر الطاء) وديسمه (بكسر الدال وضم الياء وتسكين السين) ـ (المترجم) ٠

وهؤلاء الهوتنتوت بجلودهم المدهونة بالدهون والمسخمة بالسخام والمعطرة بالبوكو قد حموا أنفسهم بهذه الطريقة من آثار الهواء الضارة ، وقد يعتبرون أنفسهم متغطين تماما كما لو كانوا يلبسون أثوابا . ومن ناحية أخرى فان رجال الهوتنتوت ونساءهم ميالون للعرى ، فهم عراة الا من غطاء بسيط يغطى أجزاء بعينها من أجسادهم .

وبالنسبة للرجال فان هذا الغطاء البسيط يتكون من كيس أو لسان مصنوع من الجلد مصمم وكأن المطلوب منه أن يبدى ما يراد اخفاؤه ، فهذه القطعة الجلدية أو اللسان الجلدى لا يثبت الا من طرفه الأعلى بحزام غير عريض وغير محكم . انه لا يحجب حجبا محكما ما وراءه ، وعندما يمشى الهوتنتوى أو يتحرك يصبح هذا اللسان لا قيمة له ، فكل شىء ساعتها يظهر . ويسمون هذه القطعة (اللسان الجلدى الذى من المفترض أنه يغطى العورة) بالاسم الهولندى جاكال Jackal وهو اسم حيوان من فصيلة الثعالب منتشر فى المنطقة وذلك لأن هذا اللسان الجلدى يعد من جلد هذا الحيوان بحيث يكون الجانب المكسو بالشعر هو الظاهر (والجانب غير المكسو بالشعر مواجه للعورة) .

والقطعة الأخرى التى يتطلبها الوقار من الرجال ، هى عبارة عن شريطين من الجلد تتدلى ـ بشكل عام ـ من أسفل العمود الفقرى لتصل الى الأفخاد ، وتتخذ كل منهما شكل مثلث متساوى الساقين ، وقد ثبت رأس المثلث فى الحزام الذى ذكرناه آنفا ، وقاعدة المثلث لا يزيد عرضها عن ثلاثة أصابع، على أقصى تقدير، وتتدلى هذه الشرائط باهمال وبغير احكام . ولا تعتبر هذه الشرائط الجلدية ملبسا يعول عليه فهى تتحرك وتخشخش (تحدث صوتا) وتكشف ما كان ينبغى

اخفاؤه عندما يجرى الهوتنتوى ، وربما كان المقصود منها أن تقوم بدور المروحة فتسبب (لمؤخرته) شيئا من البرودة ·

وبين الهوتنتوت ـ كما هو بين سائر البشر المنتشرين على الكرة الأرضية لابد أن يكون الجنس اللطيف أكثر حياء · فالنسوة فى أمة الهوتنتوت هذه يغطين أجسادهن بشكل أفضل مما يفعل الرجال ، فهن يضعن على عوراتهن دائما قطعتين ولا يكتفين بقطعة واحدة ، وغالبا ما يضعن ثلاثا · وهذه القطع معمولة من جلد مشحم بشكل جيد ومثبت حول أجسادهن بسير جلدى ويشبه غالبا مئزر (بلوزة) سيداتنا (الأوربيات)، والقطعة الخارجية هي دائما الأكبر حجما ، وتتراوح بين عشر بوصات وأكثر من قدم ، وهى ـ بشكل عام ـ القطعة الأجمل ، ويزينها كل حين بخرزات زجاجية تتخذ أشكالا مختلفة · فتفوق الجنس اللطيف في اللباس والزينة ، وقدرته على التفنن والابداع ليبدو فى أحسن منظر مسألة تبدو حتى بين الهوتنتوت الأجلاف ·

وفيما يتعلق بالجوانب الأخرى للباس الهوتنتوت ، فان الواحد منهم يضع فراء خروف على صدره ، جاعلا الجزء ذا الوبر الى الداخل أى الى ناحية صدره ، واذا لم يكن الجو باردا جعله على كتفه في وضع مهمل ، وأحيانا يتركه يتدلى حتى بطلة الساق (ربلتها) وبذلك يكون الجزء الأدنى من الصدر والبطن والأجزاء الأمامية من الساقين والأفخاذ ـ عارية ، الا أنهم يحكمون لفه حول أجسادهم عندما يكون الطقس باردا وممطرا فيصبح الجزء الأمامى من البدن مغطى الى حد ما الى ما تحت الركبة ·

ولأن فراء خروف واحد لا تكفى لتحقيق هذا الغرض فانهم يخيطون قطعة فراء بأطراف قطعة فراء أخرى، وبتعبير

أدق يثبتونها بالأخرى (أو يصلونها بها) بسير جلدى أو أوتار رقيقة • وفي الشهور الدافئة يلبسون هذا الفراء أحيانا وقد جعلوا الجزء الصوفي (ذا الصوف) الى الخارج (غير مواجه للجسم) ، وان كان الغالب أنهم اذا اشتد الحر خلعوا هذا الفراء تماما وحملوه علي أذرعهم • وبشكل عام فان الهوتنتوت لا يحمل الواحد منهم عبء تغيير هذا الفراء (ويسمونه كروس Krosse وهى كلمة هولندية لكنهم ينطقونها بشكل محرف) وانما يكتفي بواحد وهو يستخدمه أيضا كغطاء عند النوم • وهم ينامون على الأرض مباشرة (دون فراش) ويسحب الواحد منهم نفسه لأقرب كومة خاصة اذا كان الجو باردا ويتدثر بهذه الكروس ـ كما يسمونها (والاسم الهولندى الصحيح Kaross) فهى تكفي غطاء له •

ولا تختلف الكروس التي تستخدمها المرأة عن تلك التى يستخدمها الرجل الا أن لكروس المرأة حافة ناتئة تستخدم كقلنسوة أو كيس تضع الواحدة منهن فيه طفلها الصغير وتحمله بين الحين والحين فوق كتفها ، وهى عادة منتشرة لدى بعض الأمم الأخرى •

ولا يضع الرجال فوق رءوسهم غطاء رأس خاص ، ولا أتذكر أنى رأيت أكثر من اثنين يضع الواحد منهما فوق رأسه (كاب) معمولا من الجلد المشحم ، وكان منزوع الفراء ، أما الذين يعيشون قريبا من المستوطنين البيض فيلبسون قبعات أوربية وقد أمالوها جانبا أو دلوا كل زواياها •

والنسوة على الشاكلة نفسها فهن غالبا حاسرات الرأس وان غطت الواحدة منهن رأسها بكاب (طاقية) مخروطية ليس

لها سن مدبب فى أعلاها (كالطربوش ــ مخروط ناقص) وهن يعملن غطاء الرأس هــذا دون أى خيــاطة من جزء من أمعاء بعض الحيوانات وهن يســخمنه بالدهن والســناج ، وبعض أغطية الرأس النسائية هذه خشنة بينما بعضها الآخر ناعم كالمخمل ، والأهم من كل ذلك ان شــكله جميل • وهن يضعنه فوق (الكاب) حليات أخرى فى بعض الأحيان، وهذه الحلى قد تكون على شكل اكليل بيضاوى أو قد يكون ــ بعد اذن القارىء ــ على شــبه تاج مصــنوع من جلد الجاموس بحيث يكون الجانب المغطى بالشعر البنى الى الخارج ، ويبلغ عرض هذا التاج حوالى أربعة أصابع من أعلاه ، ويحيط بالرأس ويمكن أن يغطى جانبا ضئيلا من الجبهة ، وجانبا من العنق من الخلف ، وذلك دون أن يغطى (أى هذا التاج) الجزء الأعلى من الكاب (الطاقية) الآنف ذكرها ، وحافتــا هــذا الاكليل وكذلك جزؤه السفلى الذى يقوم عليه وجزؤه العلوى دائما ما تكون ناعمــة ومســتوية ومزدانة ببعض الأصــداف الصغيرة من نوع السيبريا Cyprea يزيد عددها عــلى الثلاثين ، وهى الى حد ما متقارب بعضها من بعضها الآخر، وقــد جعلن جزءها الأبيض وفتحاتهــا الى الخارج • وبين صفى الأصداف آنفى الذكر يوجــد صف آخــر أو صفان صفان متوازيان أو متموجان أو مشكلان بطريقة زخرفية أو أخرى • ومن السهل أن نتصور مدى الجمال الذى تبعثه هذه الأصــداف فى نفس الرائى وهى مصــفوفة على فراء الجاموسة البنى ، كمــا يمكن تصــور مدى مباهاة المــرأة البوتنتوية المسخمة (المدهونة بالدهن والسخام) على أقرانها وهى تضع فوق رأسها هذا الكاب وذاك الاكليل •

وآذان الهوتنتوت غير مزينة بأية أقراط أو حلى أخرى ، وكذلك أنوفهم ، مع أنهما ــ الآذان والأنوف ــ من بين الملامح

المتوحشة ، وعلى آية حال فانهم أحيانا يزينون أنوفهم برسم خط من السخام (السناج) عليهـا ، أو برسـم بقعـة من الرصاص الأحمر عليها ، وهذا نادر الحدوث فى الواقع الا أيام الأعياد والاحتفالات ، ففى هـذه الأيام يضعون هـذا اللون الأحمر على أنوفهم وشيئا منه على وجناتهم (★) ٠

وأعناق الرجال عارية ، أما أعناق النساء فمزينة بعقود من جلد مكشوف يحمل ثمانى أو عشر صدفات وهم يعتبرون ذلك حلية جميلة جدا، وهذه الصدفات التى يبلغ حجم الواحدة منها حجم حبة الفول بيضاء اللون وبها بقعـة سوداء يختلف حجمها من صدفة لأخرى ، ولم أستطع أن أعـرف عـلى وجه اليقين ان كانت من نوع الأصداف الذى يندرج تحت اسـم nerita albicile أو نوع Excuvia أم لا ، لأنهن لا يستخدمنها بصورتها الطبيعية وانما يصقلنها ٠ ويبدو هذا العقد عـلى شكل قلادة ، وهن ــ بالتأكيد ــ يسخمن رقابهن قبل وضـع هذه القلادة حولها ، الا أن عددا من النسوة لا يستخدمن هذه القلادات نظرا لثمنها المرتفع فعادة ما تباع هذه الأصداف بما لا يقل عن خروف ثمنا للصدفة الواحدة كما أنها ــ كما يقال ــ لا يمكن الحصول عليها الا من أبعد منطقة فى ساحل كافريا Caffria .

ويبدو الجزء السفلى فى الجنسين ذكرانا واناثا ، هـو الجزء الرئيسى الذى يودون لفت انتباه الجنس الآخر اليه ، بتزيينه بحلى براقة تلفت النظر فرغم أنهم مولعون بالزينة ويشترون الخرز الزجاجي من أوربا خاصـة الخرز الأزرق والأبيض بحجم حبة الحمص الا أن النسوة قلما يضعنه فى

(★) اكسيد الرصاص الاحمر Red-Lead ــ (المترجم) ٠

قلائد حول العنق ، أما الرجال فلا يفعلون ذلك اطلاقا، وانما كلا الجنسين يضعن صفا أو صفين من هذه الخرزات حول الوسط ثم أدنى من ذلك على البلوزات الجلدية أو الفراء الآنف ذكره •

وفى ختام الحديث عن الزينة نشير الى حلى يستخدمها الجنسان وهى حلقات (أساور) يضعها الرجال والنساء حول أذرعهم وسيقانهم • ومعظم هذه الحلقات معمولة من شرائط جلدية سميكة غالبا ما تقطع بشكل دائرى ويضربونها ويعرضونها للنار فتغدو متينة وتحتفظ بالانحناء المطلوب ، وكانت هذه الحلقات هي التي أعطت انطباعا عالميا لاقى قبولا واسعا مؤداه أن الهوتنتوى يلف هذه الحلقات حول ساقيه ليأكل بعضها بين الحين والحين ، ويلبس الرجال ما بين خمس أو ست من هذه الحلقات حول ذراعيه بعد الرسغ، لكنهم نادرا ما يلبسونها حول سيقانهم ، والسيدات من الطبقات الراقية يلبسن عددا كبيرا منها حول أذرعهن وسيقانهن ــ خاصة سيقانهن حتى ان هذه الحلقات تغطى ساق الواحدة منهن من القدم الى الركبة • ولهذه الحلقات سماكات مختلفة فهى أحيانا فى سمك ريشة الأوزة وأحيانا ضعف ذلك أو تزيد عنها بمقدار ثلاث مرات • وأحيانا تتكون الحلقة من قطع من الجلد متصلة لتكون حلقة واحدة اذ لابد أن يضع اللابس يده أو قدمه فيها اذا أراد لبسها • وهم يضعون هذه الحلقات فى سيقانهم دون تنسيق خاص فالحلقة تتلو الأخرى سواء كانت واسعة أو ضيقة وغالبا ما تكون أوسع من عمود الساق بحيث تهتز عندما يسير اللابس ، ويتحرك •

ويمكن أن نتصور بسهولة أن هـذه الحلقـات تسـبب اضطرابا وارتياكا للسيدات الراقيات سواء في لبسـها أو عنـد اعدادها ، ولن نذكر مزيدا مما تسـببه من ارباك ٠ لكنها طبيعة البشر فبدءا من الهوتنتوت كشعب خام غير متطور حتى الشعوب التي وصلت في العلوم والفنون حد الكمال ــ نجدهم جميعا ميالين الى السقوط في حبائل (مودات) أو طرز من الملابس غير عملية وغير مفيدة بل وتقييد أبدانهم وأطرافهم ٠

وتعتبر الحلقات من الحديد والنحاس خاصـة النحاس الأصفر ــ بسمك ريشة الأوزة ــ أكثر ملاءمة وجمالا وقيمة من هذه الحلقات (الأساور) الجلدية ، وعلى أية حال فانهم أحيانا يلبسون هذه الأساور المعدنيـة خاصـة في أذرعهم ، ويتراوح عدد ما يلبسه الواحد منهم منهـا ما بين ست الى ثمان أساور ٠ ولا يسـمح للبنات (الآنسات) في لبس أى من هذه الحلقات حتى يصبحن قابلات للزواج ٠

والرحالة العابر خلال منطقة ذويلندام Zwellendam يميل الى مهاجمة بنات الهوتنتوت البالغات ستة عشر ربيعا أو سبعة عشر ، متهما اياهن في عفتهن ، بل والنساء عامة ، الا أنه يقال ــ على أية حال ــ انهن يرفضن هباته وهداياه (أى هبات الرحالة أو المسافر وهداياه) خاصة لهذا السبب لأن كبار السن في القرية Craal لم يسمحوا لها بعد بلبس هذه الأساور ، وسواء كان هذا العرف سائدا في كل القرى الأخرى Craals أم لا ، فهذا مالا أدريه ، الا أنه يبدو لي أن كل البنات في كل القرى لا يلتزمن بالضرورة بهذا العرف (القانون) ٠

ونادرا ما يلبس الهوتنتوى أى حذاء ... وكذلك كل الفلاحين الأفريقيين African (الافريكا ن) وكذلك ـ كما سمعت ـ الاينونيان Ethonians والليفونيان Livonians وبعض الفنلاندر finlanders ، لذا لا أستطيع التأكيد على ما اذا كان ذلك اختراعا هوتنتويا أو انهم تأثروا فى ذلك بالهولنديين ، والجلد الذى تصنع منه هذه الأحذية غير مكسو ، ويكون الجانب الذى به الشعر الى الخارج ولا يخضع لأية عمليات صناعية سوى الضرب والترطيب ، فاذا كان من نوع سميك ومتين ـ كجلود الجاموس مثلا ـ ترك لعدة ساعات منقوعا فى روث البقر وبذلك يصبح ناعما ومرنا ثم يشحمونه لزيادة المرونة والنعومة . ومن هذا الجلد يتم عمل الحذاء على النحو التالى : يأخذون قطعة من الجلد على شكل مستطيل ، أعرض وأطول شيئا ما عن قدم الشخص المراد عمل حذاء له ، ويتم عقد الزاويتين الأماميتين معا وتخاطان لتغطية الأجزاء الأمامية من القدم ، وقد يستغنى عن هذه الحياكة التى تؤدى لتغطية مقدم القدم ليصبح الحذاء حتى الأصابع فقط وذلك بوصل جانبى المستطيل من الأمام بسير مأخوذ من مفصل الركبة الخلفية لرجل بعض الحيوانات . والآن لجعل هذه القطعة من الجلد ترتفع من أطرافها مقدار بوصة على جانبى القدم وتحكم عليها ، تثقب أطراف الجلد مدار القدم ويمررون فى هذه الثقوب خيطا جلديا ليضم الحافيتين معا ، وليكون الجزء الخلفى قويا متينا فانهم يثنون الجلد للداخل ويضغطونه ويرفعونه ليكون موازيا للعقب . وأطراف الخيط الجلدى وهو الخيط الرابط أو الضام تمر فى ثقوب الجانبين على التوالى ، والتى أصبحت بارتفاع بوصة تقريبا ، ثم يسحب طرفا السير

الجلدى للامام ليعقدا فوق مشط القدم أو عقد السير (الرباط) ان كان ذلك ضروريا ليكون أكثر احكاما بشكل متقاطع فوق مشط القدم ومن ثم سحبه تحت السير (سحب طرفى السير تحت السير نفسه) واخراجه من الخلف (مؤخرة الحذاء) ثم سحبه مرة أخرى الى أعلى فوق كاحل القدم ثم لفه فوق الساق نفسها اذا رغب اللابس ٠

وأحذية من هذا النوع لا تخلو بالتأكيد من المزايا فهى محكمة على القدم كما انها تحفظ لها شكلها ، ويمكن ببساطة الاحتفاظ بها ناعمة لينة بموالاة لبسها ، واذا يبست خاصة من الأطراف فمن السهل علاج ذلك بطرقها واضافة قليل من الشحم لها ، وهى خفيفة وتسبب تهوية للقدم لأنها لا تغطيها كلها كما فى حالة الأحذية التى اعتدناها (الأوربية) ، ومن السهل ارتداؤها وليس فيها حياكة (خياطة) وهى متينة ومطواعة ، وهذه الأحذية ويسمونها أحذية الحقل أكثر متانة من الأحذية المعتادة لأنها معمولة من الجلد الخام الذى لم يتعرض للنيران التى تسبب الانزلاق فى الصحراء الأفريقية الحارقة وتكون عرضة للتمزق فى المناطق اليابسة والصخرية، بالاضافة الى أن أحذية الحقول هذه أرخص تكلفة لأن الجلد المصنوعة منه خام ويمكن للشخص أن يصنع لنفسه بنفسه حذاء فى غضون ساعة أو ساعتين وسنتمتع بمزايا هذه الأحذية اذا أدخلناها لبلادنا (الأوربية) خاصة فى الصيف ، وهى ملائمة للبحارة لخفتها ، ومن ثم فهى مفيدة ونافعة لهم ٠ ولقد أحضرت معى للوطن زوجا منها كنت ألبسهما فى رحلاتى ، وأظهرهما كنماذج للأحذية اشباعا لرغبة من يميل الى امتلاك حذاء مثلهما ٠ انه حذاء نافع سواء جلب من باريس أو من بلاد الهوتنتوت التى تستحق ــ بدورها ــ أن نهتم بها ونحاكيها ٠

والهوتنتوت الذين يعيشون فى هذه الأنحاء أو فى المستعمرات الهولندية نادرا ما يحملون أى سلاح ، ففى أى مكان يمكن للواحد منهم أن يدبر لنفسه رمحا ليدفع عن نفسه الذئاب ، ويسمون الرمح هاسا جاى Hassagai

ومساكنهم بسيطة بساطة ملابسهم وهى تتناسب مع حياة الرعى والتجوال ، ومسكن الواحد منهم لا يستحق أن يوصف الا بأنه كوخ الا أنه ربما كان رحبا ومناسبا كالخيام أو مساكن البطارقة وهو كاف — على الأقل — لاحتياجات الهوتنتوى ورغباته والذى يمكن النظر اليه كانسان سعيد لذا فهذا الكوخ — ببساطة شديدة — يرضيه • والبساطة المفرطة لبيت الهوتنتوى ربما كانت هى السبب أن كل البيوت فى القرية الهوتنتوية متشابهة تماما ، ويلتقى المرء هنا بنماذج معمارية لا تثير الحسد بأية حال من الأحوال فالمساواة فى الحظوظ وفى السعادة على نحو ما تسعد هؤلاء الناس ولا يمكن الا أن تشفى صدورهم من هذا الداءالسام(الحسد) •

وكل كوخ تم تشييده كالآتى : بعض الأكواخ مستدير والأخرى مستطيل وهى تشبه الأقبية أو خلايا النحل وقطر الواحد منها من ثمانى عشرة قدما الى أربع وعشرين ، وارتفاع الكوخ منخفض حتى عند منتصف القوس (السقف المقنطر) ، فالارتفاع قلما يسمح للرجل المتوسطة قامته بالوقوف منتصبا الا أن انخفاض السقف والباب الذى لا يزيد ارتفاعه عن ثلاث أقدام لا يسبب أى ازعاج للهوتنتوى الذى لا يجد صعوبة فى الانحناء والسير على أربع كما أنه يميل للرقاد أكثر من ميله للوقوف •

ويوجد موضع ايقاد النار فى وسط كل كوخ وبذلك لا تتعرض جدران الكوخ كثيرا لخطر النيران ، كما أن موضعه هذا يتيح للمتحلقين حوله رقودا أو جلوسا أن يستمتعوا بالدفء على نحو سواء ٠

وباب الكوخ بانخفاضه الآنف ذكره هو المدخل الوحيد نهارا وفى الوقت نفسه فانه المخرج الذى يخرج منه الدخان ليلا ، وقد تعود الهوتنتوى على بيته هذا وألفه فهو لفرط طفولته يراه وكأنه يرفرف حوله ، فهو بيت كامل لا عيب فيه ولا يسبب له أى ازعاج من وجهة نظره وهو مستلق على ظهره فى وسطه بين سحب داكنة تغلفه وكأنه قنفذ وقد تدثر بفراء الخروف ، وهو الآن مضطر بين الحين والحين للخروج من تحت دثاره ليثير النيران بعصاه أو يشعل بيبته Pipe منها أو يقلب قطعة اللحم التى يشويها على الفحم ٠

والمواد التى تشيد منها هذه الأكواخ من الصعب تدبيرها بكل المقاييس ، والطريقة التى يتم تجميع هذه المواد بها لتكون كوخا دقيقة وغير مصطنعة وتستحق اطراءنا للهوتنتوى ، وهى ملائمة لشخصيته ، فشكل السقف المقنطر كما وصفته آنفا يتألف من بوص (خيزران أو غاب) وأغصان صغيرة ، أما البوص فيتم ثنيه ليعطى الشكل المقنطر (المقوس) الملائم ، والبوصة الواحدة قد توضع كلها أو تقطع قطعا ، وبعضها مواز للأخرى أو متقاطع معها ، ويتم تقوية هذا التشكيل من البوص بحزام من الأماليد (الأغصان اللينة) تطوق أطراف البوص بشكل دائرى ، وكلا الأداتين : الأماليد والبوص من نوع Cliffortia Conoides (★) التى تنمو

(★) لم نجد لها مقابلا فى معاجم النبات المتوفرة بين ايدينا ـ (المترجم) ٠

بكثرة فى هذه المنطقة بالقرب من الأنهار • ثم يتم بسط حصر (جمع حصيرة) بدقة وانضباط فوق هذا التشكيل المتشابك ليغطيه كله ، وتغلق الفتحة المخصصة للباب بجلد على مقاسها اذا كان ذلك مناسبا أو بقطعة من الحصير ، وتصنع هذه الحصر من نوع من السمار وأعواد وتشد هذه الأعواد وهذا السمار الى بعضه بخيوط وأوتار أو نوع من خيوط القنب كتلك التي أتاحت الفرصة لهم الحصول عليها من الأوربيين • وتتيح لهم هذه الخيوط أن يجعلوا الحصيرة بالطول الذى يرغبون فيه ، أما العرض فيتحكم فيه طول السمار أى من ست أقدام الى عشر • ويقوم المستوطنون البيض Colonists الآن بعمل حصر من النوع نفسه لوضعها فوق أقمشة الأشرعة التى تغطى عرباتهم التى تجرها الدواب ، وذلك لحمايتها من التمزق والاحتكاك ، كما يستخدمونها للحماية من الأمطار •

وعندما يفكر الهوتنتوى فى فك منزله والانتقال بكوخه الى مكان آخر ، فانه يضع كل الحصر والجلود والأعواد فوق ظهر احدى مواشيه ويرحل • انه منظر يبدو للغريب هائلا وصعبا ومضحكا حقا •

وطريقة صف الأكوخ وتوزيعها فى القرية (كرال) أو العشيرة تتخذ شكل دائرة وأبواب الأكواخ الى الداخل وبذلك تتكون ساحة توضع فيها الماشية ليلا ، ويتم حفظ الحليب الطازج واللبن المتخثر فى قرب جلدية وهذه القرب يكون فيها جانب الجلد الذى يحوى الشعر الى الداخل لأنهم يعتبرونه الجانب الأنظف • وفى بعض المناطق الشمالية مثل روجفلد Roggeveld وبوكفلد Bokveld حيث الأراضى جافة Carrow or dry يعمل الهوتنتوت وكذلك المستوطنون البيض Colonists فى مجال الرعى •

وثمـة نوع من الهـوتنتوت يسمون البشـــمن (*) boshies-men وترجع تسميتهم بهـذا الاسم لسـكناهم المناطق الغابية والجبلية ، وهؤلاء البشمن يعيشون ـ عـلى نحو خاص ـ حول كامديبو Cemdebo وسـنيبير Sneebere يعدون أعداء ألداء للحياة الرعوية ، وبعض خصائصهم أنهم يعيشون على الصيد والسلب ، ولا يدعون أى حيوان على قيد الحياة ولو لليلة واحدة ، وبذلك جعلوا من أنفسهم جنسـا مكروها من بقية البشر وهم ملاحقون ومطاردن كالحيوانات المتوحشة التى قلدوا طباعها • وبعض هؤلاء البشمن بقى على قيد الحياة وتم استرقاقه ، أما أسلحتهم فسـهام سـامة يتم اطلاقها من قسى (جمع قوس) صغيرة ، ويصـل مداها الى مائتى خطوة ، وتصيب الهدف باحتمال كبير على بعد خمسين خطوة أو حتى مائة ، ومن هـذه المسـافة يقتلون الحيـوان الذين يريدون أكله ، ويتسللون بعد ذلك لسرقته ، ومن هذه المسافة أيضا يقتلون أعداءهم ، بل وحتى الحيوانات المفترسة القوية كالأسود ، فيسقط الأسد ـ ذلك الحيوان النبيـل ـ بسهمهم هذا الذى قد يحتقره الرائى ولا يلقى اليه بالا • ويحدث كل هذا والهوتنتوى (يقصد البشمنى ـ المترجم) آمن فى مخبئه متيقن من مفعول سمه ، اذ يقال انه لا ينتظر أكثر من دقائق معدودات ليكون متأكدا أن الحيوان المفترس الذى أطلق عليه سهمه قد مات •

لقد ذكرت أن أقواسهم كانت صغيرة فطول الواحد منها

(*) استقر الباحثون فى مختلف المجالات الانثروبولوجية والتاريخية والجغرافية البشرية أن البشمن جنس مستقل مختلف عن الهوتنتوت وليسوا فرعا منهم • راجع مقدمة المترجم ـ (المترجم) •

لا يزيد في الواقع عن ياردة ، وقلما يزيد سمكه عند الوسط عن بوصة واحدة ، ومقدمته مدببة جدا وكذلك مؤخرته (انه مدبب جدا من الطرفين) ولا أستطيع الجزم بنوع الخشب الذى يصنعونه منه ، الا انه يبدو بشكل ملحوظ أنه ذو طبيعة (أى الخشب) مرنة ، أما أوتار القوس الذى رأيته فمن الطنب Sinews وبعضها الآخر من نوع من القنب hemp أو من بعض الألياف الداخلية لبعض الخضروات ، ومعظم هذه الأوتار معمول بشكل ينم عن الاهمال والقذارة، فمفعول سلاحهم هذا الفتاك يعتمد على السم أكثر من اعتماده على جودته واتقانه ٠

أما السهام فيبلغ طول الواحد منها قدما ونصف قدم ولها نفس سماكة القوس وهى معمولة من قطعة بوص طولها قدم واحد ، وعند القاعدة أو الطرف الذى يلتقى بوتر القوس يوجد تقويس (ثلم) مناسب لتثبيت وتر القوس ، وفوق هذا الثلم مباشرة توجد وصلة فى البوصة ربطت حولها خيوط لتقويتها (أى لتقوية البوصة) والطرف الآخر للسهم مزود بعظمة منعمة جدا ومصقولة ويبلغ طولها من خمس بوصات الى ست ، وعند أسلة العظمة (طرفها المستدق) تم ربط قطعة من ريش الطيور وثبتت بشدة بخيوط ٠ وفائدة هذه القطعة من ريش الطيور هو ألا يسهل اخراج السهم من لحم العدو حتى يعطى فرصة أطول لسريان السم ٠٠٠

وعلى أية حال فانه ليس من المعتاد أن ينتهى السهم بعظمة مدببة فحسب وانما تقطع العظمة بحيث تكون مربعة من أعلاها (وليس مدببة) ثم يثبت فيها مثلث دقيق من الحديد ويربط مكان الاتصال ويغطى ويلطخ ثم يحك ويفرك وينعم حتى يتوغل السهم بشكل أعمق داخل اللحم ٠ ولأن

العظمة التى ذكرتها آنفا ليس بها أية فجوة فاننى لم أستطع معرفة من أى حيوان هى ، وتبدو هذه العظمة فى السهم بنية داكنة مليئة بالثلم والعروق ribs ، ولم أرها أبدا بيضاء كالعاج الا فى سهمين أو ثلاثة من الأسهم التى أحضرتها معى ، لقد بدت هذه العظام فى الأسهم الأخيرة وكأنها حقا من العاج • ويمكن أن ننهى حديثنا بالقول ان هذه العظمة فى السهم ذى الرأس الحديدى المدبب لها وظيفة رئيسية هى حفظ الثقل والاتزان • لذا فعمل السهام يستلزم من الهوتنتوت (يقصد البشمن ــ المترجم) جهدا كبيرا •

والكنانة (الجعبة التى يحملون فيها السهام) يبلغ طولها قدمين ويبلغ قطرها أربع بوصات، وهذه الكنانة ــ من خلال ما رأيته ومن خلال تأمل الكنانتين اللتين أحضرتهما معى ــ عبارة عن فرع شجرة مجوف أو من لحاء شجرة نزع بشكل دائرى وهذا هو الأكثر احتمالا ، وقاعدة الكنانة وغطاؤها مصنوعان من الجلد ، والكنانة مدهونة من الخارج بمادة دهنية تصبح يابسة عندما تجف • وكلتا الكنانتين اللتين جلبتهما معى قد جددت فتحتهما بجلد الثعبان ، وقد قيل لى انه جلد الحية الصفراء التى تعد أكثر الحيات سمية فى المنطقة • وتضم كل كنانة اثنى عشر سهما ، واسطوانة من حجر التجليخ أو الشحذ وهو حجر رملى لاستخدامها فى شحذ الرأس الحديدى للسهم وفرشاة لوضع السم وعدد قليل من العصى تختلف فى سماكتها لكنها جميعا بطول السهام • ولا أدرى فيم يستخدمون هذه العصى ، ويحصلون على السم من أنواع مختلفة من الحيات ، وأكثرها سمية هى الأفضل لديهم سواء كانوا سيضعون هذا السم على سهامهم لقتال

الأعداء أو لصيد الطرائد ، لأن الهوتنتوت(١) يعرفون جيدا أن تناول الطرائد المسممة بسم الثعبان غير مؤذ اطلاقا ٠

ومساكن هؤلاء الناس المعادين للحياة الرعوية (البشمن) ــ بشكل عام ــ غير مقبولة تماما كعاداتهم وقيمهم ٠ فهم كالحيوانات البرية يستعيضون عن سكنى البيوت بسكنى الغابات والأحراش والكهوف ، ويقال ان بعضهم أسوأ بكثير من الحيوانات حتى أن غائطهم وبولهم يكون ملاصقا لسكناهم ، ومعظمهم عراة تماما ، الا أنهم اذا استطاعوا الحصول على جلد أى نوع من الحيوانات فان الواحد منهم يضعه على بدنه بدءا من الأكتاف ويتركه يصل الى أدنى أكتافه كيفما اتفق ، ويظل الواحد منهم محتفظا به حتى يتساقط مزقا ٠ ولأنهم لا يعرفون الزراعة تماما كالقردة فهم مضطرون للتجوال فوق التلال وفى الوديان بحثا عن جذور نباتات برية معينة وبحثا عن البذور اليابسة ، والنباتات (التى يأكلونها دون طهى) حتى يقيموا أود أنفسهم ٠٠٠

وموائدهم ــ على أية حال تضم أحيانا يرقات الحشرات أو يرقانات الفراش ، ونوع من النمل الأبيض (the termes) والجراد الصغير والثعابين وبعض أنواع العنكبوت ٠ ومع كل هذا التنوع فى الطعام فان البشمنى ــ بلا شك ــ يصبح فى حاجة للطعام بين الحين والحين ، ويجوع لدرجة أنه يقضى معظم وقته قابعا فى الظل ٠ ولقد اعترتنى دهشة غير قليلة عندما رأيت لأول مرة فى لونجكلوف bongekloof صبيا بشمنيا وكل ما فيه ذابل زاو وضئيل بشكل رهيب :

---

(١) يقصد البشمن كما سبق ان أوضحنا ــ (المترجم) ٠

وجهه وذراعاه وسيقانه وجسده ، حتى أنني ظننته مصابا بالحمى التي كانت منتشرة في هذه الأنحاء ··· والأمر لا يحتاج سوى الى أسابيع قليلة لجعل شخص من هذا الجنس البائس مزدهرا منتعشا أو حتى سمينا ، فمعدتهم قوية بدرجة كافية تجعلها تهضم كميات كبيرة من الطعام الذى يحشرونه حشرا سريعا ، حتى انك تظن الواحد منهم يقذف سهاما أكثر مما تظنه يأكل ·

واصطياد العبيد من هذا الجنس مسألة صعبة الى حد ما ، وتتم على النحو التالى : يجتمع بعض الفلاحين الذين يحتاجون الى خدم · ويقومون برحلة الى حيث يعيش البشمن، ويستطلعون ومعهم واحد من الهوتنتوث Lego-Hottentots أو واحد من البشمن سبق اصطياده وتعود الأمانة والاخلاص فى خدمتهم ــ يستطلعون مخابىء أو مواضع اقامة البشمن، وأفضل طريقة لاكتشافها هو ملاحظة آثار الدخان المنبعث من نيرانهم ، وهم يتجمعون فى تجمعات تتراوح بين عشرة الى خمسين أو مائة شخص ما بين صغار وكبار ، ولا شك أن الفلاحين يختارون ليلة مظلمة حتى يتمكنوا من الانقضاض عليهم بستة رجال أو ثمانية يوزعون أنفسهم حول تجمع البشمن (الكرال وتعنى القرية) على مسافة غير بعيدة ، ثم يطلقون طلقة من بنادقهم أو طلقتين فيدب الذعر فى قلوب هؤلاء الهمج (البشمن) فلا يجرؤ الا أشجعهم وأذكاهم على اختراق حلقة الحصار ، فيسعد الآسرون بالتخلص منهم بهذه البساطة الشديدة وتزداد سعادتهم بسبب غباء هؤلاء الناس وجبنهم وايقاعهم أنفسهم فى ظل العبودية ·· وعلى أية حال فانهم فى البداية يعاملون البشمن المسترقين بطريقة لطيفة ويمازج المنتصرون بين التهديد والوعيد ، ويقومون ــ اذا

أمكن ـ باصطياد بعض الطرائد الكبيرة لأسراهم ، كالجاموس أو بقر البحر وما الى ذلك ، فان هذا الاغراء بالاضافة لقليل من التوباكو ، يجعل البشمن ينشغلون باستمرار بالأكل حتى يصلوا الى مقر اقامة المستوطنين البيض وهم في حالة من المرح والابتهاج · وفي مساكن المستوطنين يجدون وجبات الحلوى الفاخرة واللحوم ومعها قدر كبير من السمن ، والقمح المسلوق في الحليب (البليلة) والسجق (النقانق)· ولا مراء في أن مثل هذه الوجبات تجعل البشمني ـ كما قلت سابقا ـ سمينا في غضون أسابيع قليلة · ومع أية حال فان البشمني سرعان ما يجد هذه الحياة الطيبة مبعث غيظ بسبب تذمر سيده وسيدته فيصفونه بين الحين والحين أنه شيطان ساحر tguzeri أو شقي مربك t'gaunatsi وأحيانا تحل عليه قليل من اللعنة وبعض الضربات بسبب اهماله وبلادته وكسله تلك الصفات التي تبدو أنها ولدت معه أو انها طبيعة فيه فهو بالطبيعة والتعود يكره كل أنواع العمل ، والآن وقد غدا سمينا ، فان كسله يزداد ، ولأنه ألف حياة التجوال فان ضبط حركته يصبح غير ممكن ، ويشعر بالحنين الى حريته ، ولا عجب اذن أن يعمل معظمهم على استردادها بالهرب ، لكن ما هو جدير بالعجب حقا ان أحدا من هؤلاء الأشرار البائسين اذا ما هرب من الخدمة أو الرق وهو الأقرب للصحة ـ فانه لا يأخذ معه أى شيء لا يخصه (لا يسرق) ·

★★★

جـــون بارو

JOHN BARROW

حملة بيتر تروتر ، ووليم سمرفيل
الى اللاتاكو ونهر الأورانج

Latteko and Orange river

رغم ان جون يارو ولد سنة ١٧٦٤ م من والدين فقيرين الا انه اصبح مراقب حسابات لمجموعة من مجموعات بعثة اللورد ماركتنى Macartney التجارية لامبراطور الصين ، واصطحبه الى الكاب (الراس) فى جنوب افريقيا كسكرتير عندما اصبح ـ اى ماكرتنى حاكما للمستعمرة • وقد قام بارو بجهود كشفية فى مناطق القبائل الناطقة بلغة البانتو كما بذل جهودا لجمع المعلومات عن طبوغرافية المناطق الشرقية ، وقد وصف بارو جهوده هذه بالاضافة الى رحلته لبلاد الناماكوا فى كتاب (داخل جنوب افريقيا Interior of Southern Africa ثم عمل بارو بعد ذلك كسكرتير ثان فى الادميرالية Admiralty وكان احد مؤسسى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية • والنص التالى من مطبوع Barrows, voyage to Cochinchina الحق به تقارير عن رحلات قام بها سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٢م لقر زعيم البوتسوانا (لندن) ١٨٠٦ م •



•• فى هذا المجتمع المختلط أتيحت للجمـاعة فرصـة طيبة لمقـابلة شـخصين كان فى امكانهما تقـديم خـدمات

أساسية • أحدهما كان اسمه ميكلانجو Miklango وهـو من أهل بوشـوانا Booshuana وكان يتحـدث قليـلا من الهولندية ، وكان راغبا فى الالتحـاق بالمجمـوعة كمترجم لكنه لم يكن يعرف الطريق التى تؤدى الى بلاده (بوشوانا) أبدا • أما الثانى فكان رفيقه ماكاوتا Makauta الذى كان يعرف المنطقة جيدا وكان مستعدا ليكون مرشدا للمجموعة ، والتحق بالحملة أيضا فلاح هولندى اسمه كروجر Kruger وكان التحاقه بنا فى هذا المكان • وكانت المجموعة تنظر اليه كرجل ذى فوائد جمة ، فقد مارس هو وأخوه فى فترة باكرة من حياته تزوير الأوراق النقـدية مسـتغلين براعتهما فى التزييف ، وقد عوقبا بالنفى طوال حياتهما فى جزيرة روبن Robben فى مدخـل خليـج تابل Table لكنهمـا لم يمكثا فى منفاهما طويلا فقد تمكنا من الهرب مستخدمين قاربا من الجلد الجاف واتخذا سبيلهما الى القـارة واختبآ فى منطقة البوسـهوانا Booshuanas ولاقى الأخ الأكبر حتفه تحت أقدام فيل ، أما الأخ الأصغر وهو الرجل الحالى المرافق لنا فعاش بين البدائيين فى المناطق المحيطة بالمستعمرة كمتشرد وطـريد للعـدالة زهاء عشرين عاما ، ولما علمت المجموعة بوضـعه حملت معها له عفـوا مشروطا من مجلس العدالة فى الكاب فقد شفعت له معاناته الطويلة والحـاجة لخدماته فى الظروف الراهنة •

وقد انضم الى الحملة هنا بالاضافة الى الأشخاص المنوه عنهم آنفا اثنا عشر شخصا من قرى الهوتنتوت Kora Hottentots وبصحبتهم ثمانيـة وأربعون ثورا من ثيران الجـر ليحلوا محل سـتة وسبعين ثورا أصبحت مرهقـة مستنفدة الطاقة ، وواصـلت المجمـوعة سـيرها فى ١٢ نـوفمبر ١٨٠١م ،

وبعد أن تفرقوا فى الظلام وضلوا طريقهم فى الصحراء التقى الجميع ـ لحسن الحظ ـ عند مجرى مائى فى مساء ١٥ نوفمبر • وفى اليوم التالى بادرهم بالحديث ستة من البوسجمان Bosjemans (البشمن) العراة كانوا ـ كالعادة ـ يستجدون قليلا من الطعام • وقضت المجموعة الليل عند ماكاتامى Maketame والكلمة تعنى نبع البطة Duck-spring وبالقرب منه لفت انتباه المجموعة تل مخروطى متفرد (ليس من تلال أخرى مجاورة له) اكتشفوا فيه كهفا عميقا تعشش فيه أسراب كاملة من طيور القمرية (بضم القاف وتسكين الميم وكسر الراء) أو حمامات القمرية التى تغطى أعشاشها الشجيرات التى تكاد تسد مدخل هذا الكهف • وكانت أرضية الكهف مغطاة بالمغرة (بفتح الميم وتسكين الغين) البنية الضاربة للحمرة وتكثر بها الميكة (بفتح الميم وتسكين الياء ، وهى مادة شبه زجاجية)(★) يستخدمها الكرا Koras (وهم من الهوتنتوت) ذوو اللون البنى والبوسهوانا Booshuanas ذوو اللون الأسود ـ يستخدمانها معا ـ البوسهوانا والكرا ـ فى تسخيم أنفسهم ، فتبدو جلودهم لامعة لا تبعد فى صقالتها ولمعانها عن لمعة البرونز وصقالته • ووراء هذا التل بقليل واصلت المجموعة سيرها حتى وصلت الى نبع ماجاجا Magaaga والكلمة تعنى نبع جبل الحديد وقد أغرى اسم الجبل بعضا من المجموعة ليصعدوه ويتفحصوا صخوره وأحجاره وأخذوا معهم بوصلة جيب • وبشكل عام فان الكتل الصخرية كانت تتكون من أحجار ثقيلة تحتوى بشكل واضح على خام الحديد ، ووجدوا أن بوصلتهم تتأثر بشدة ، فاذا وضعوا ابرتها على بعض هذه

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم •

الأحجار الحديدية (التى تحتوى علـى الحـديد) فانها (أى ابرة البوصلة) تفقد تماما قطبيتها polarity وتشـير فى اتجاهات مختلفة ، وأحيانا تشير الى عكس الاتجاه الذى من المفترض أن تشير اليه ، وتهتز اهتزازا شديدا فى بعض الأحيان ومرة تدور دورانا مفاجئا ، واستنتجوا من ذلك أن الصخور تحتوى حديدا وطنيا (ذا طابع خاص) أو ــ وهو الأقرب للصحة ــ له خواص مغناطيسية • وعلى أية حال ، فانه لم يظهر انهم اكتشفوا أية عينة من الحـديد لهـا طابع وطنى مميز •

وبعد أن طاردوا فى هـذه الجبـال وفى الممرات التى تفضى اليها بعض الطـرائد الأكبر حجمـا مثـل الهرتبيس (التيتل بتشديد التاء وفتحها وتسـكين اليـاء) والقبـوقز (بفتح القاف وتسكين الواو ــ وهو نوع من الظباء معروف فى جنـوب أفريقيـا) والنعام ، وصلوا وقد حل المسـاء الى شواطىء بحيرة كوسى Koussie التى يبلغ محيطها عدة آلاف من الأقدام ويحفها حزام من القصب reed المـرتفع تتخلله فى عـدة مواضـع مجمـوعات من أشـجار المموزا الجميلة (★) Karro mimoso ولاحظت المجموعة بالقرب من حواف البحيرة عددا من الفجـوات أحدثهـا البوشـجمان (البشمن) Bosjemans كشراك لاصطياد حيوانات الصحراء البرية التى تأتى للبحيرة لتروى ظمأها وفى احـدى هـــذه الفجوات أو الحفر وجدت المجموعة ظبيـا من نـوع الظباء الصخرية (★★) وقد لاقى حتفه ، وبدا كأنه لم يسـقط فى الحفرة الا منذ ساعات قليلة •

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية : الميموزا مثل السنط المبيض Acacia de la Ibata والمستحية Mimosapudica وذكر المعجـم أنواعا أخرى .

(★★) وهو ظبى يألف العيش فى المناطق الصـخرية وهو مشـهور فى جنوب أفريقيا Steenbok ــ (المترجم) •

وما كادت المجموعة تغادر شواطىء البحيرة حتى لاحظت على البعد قطيعا من الجاموس البرى يتقدم فى اتجاه الموضع الذى كانوا يعسكرون فيه ، فتم الاعداد فى الحال لاستقبال فوج الجاموس هذا ، فلما اقتربت هــذه الحيوانات الضخام بما فيه الكفاية أطلقت المجموعة بنادقهـا تجاهها فكان مما يبعث على السرور سقوط ثلاث منها • لقد كانت الجاموسة ضخمة جدا حتى ان واحدة منها كانت تكفى المجموعة كلها ، بل ويفيض منهـا • وواصلت المجمـوعة الرحلة حتى حل الليل دون أن تجد مصدرا للمياه فاضطروا للتوقف نظرا لما اعترى ثيران الجر من تعب وارهاق •

وقبل أن يغمر نور الصباح المـكان واصلت المجموعة سيرها فوق سهل صحراوى عريض كان لا يخلو على أية حال من أشجار نخيلة متناثرة ، وبدا أفراد المجموعة هذا النهار ـ على آية حال ـ مسرورين ، فقــد عوضــهم عن الارهاق والتعب رؤية مناظر شائقة جدا فقد كانت الزرافات تخب خببا غير بعيد عنهم ، كانت خطواتها غريبة غير بارعة وبدت للمجموعة خطوات قصيرة ، لكن عندما طاردوها وجــدوها تخلى الأرض بسرعة مخلفة مرعاها وراءها بمسافة بعيدة • لقــد شرعت مجمــوعتنا فى مطاردة هــذا القطيع بمجــرد رؤيتــه • وكان القطيع يتكون من تســـع زرافات كبيرات وزرافتين صغيرتين •

وكان الأمل أن تصطاد مجموعتنا الزرافتين الصغيرتين على الأقل لكن هيهات فقد كانت سرعة الزرافات تفوق سرعة أسرع الجياد فاختفت الزرافات عن الأنظار دون أن يصيب المطاردون منها شيئا •

ولأننا ظللنا مسافرين ــ حتى الآن ــ ثمانى عشرة ساعة دون توقف ، كما مضت ثلاثــون ســاعة ولم تذق الدواب والماشية طعم الماء ، لذا فقد كانت سعادتنا غامرة كمــا كان ابتهاج الدواب والمواشى شديدا ، عندما وصلنا لنبع ماء كان هو الأوفر ماء والأعذب والأشد صفاء من بين كل الينابيع التى صادقناها طوال الرحلة ، اكتشفت المجموعة بعد هذا النبع بميلين نبعا آخر أفضل من السابق ، ومن المحتمل أن يكون بحق لا مثيل له فى كل أفريقيا الجنوبية فى حدود علمنا حتى الآن ، انه لا يتدفق من كهوف صخرية ولا من بوابة مقــامة على نهر فحسب وانما مما لا يعد من الينابيع المنبعثــة من سطح واسع ممتــد من الرمال الكوارتزية والحصى البلورى مكونا فيما لا يزيد عن مائة خطوة من منبعه مجــرى مائيــا لا يقل عرضــه عن ثلاثين قدما ولا يقــل عمقــه عن قدمين ويسمى هذا المجرى كورمانا Kourmana أو نهر بوسهوانا Booshuana ويتخذ هذا النهر اتجــاها شماليا (يجــرى ناحية الشمال) ٠

ولأن المجموعة أصبحت الآن داخل تخوم منطقة البريكوا Briequa فان المفوضين من الحكومة وجــدوا أنه من الأفضل أن يرسلوا الدليل موكاوتا Mocauta الى أول قرية ليعلمهم بقرب وصول الحملة ويطلب منهم أن يرسلوا من يحيط زعيم الأمة (زعيم القبيلة) بذلك ٠ وقبل أن يحــل الظلام عاد الدليل الى العــربات التى تجــرها الدواب وقد صحبه أربعة من مواطنيه (قبيلته أو شعبه) وقضوا الليــل فى معسكر متواضع ٠ وعلمت جماعتنا من هؤلاء الرجال أن قبيلتهم يسميها الكرا Koras عادة باسم البريكوا Brieques أما الاسم الذى يتداولونه هم فيما بينهم ويطلقــونه عــلى أنفسهم فهو البوسهوانا Booshuanas ، وفى فترة الصباح

قدم أربعة آخرون من هــذه القبيلة كان يشــار الى أحدهم باعتبــاره زعيما وأخا للملك • وكان اســمه ســيراكوتى Serakottie • وقد استضافتهم مجموعتنا وقدمت لهــم خروفا وكثيرا من التوباكوا الذى استطابوه جدا • لقــد سروا جدا وأصبحوا منتعشين حتى أنهــم قضــوا الليل كله يغنون ويرقصون •

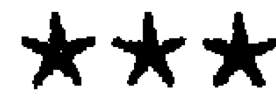
ومكثت المجموعة بعض الوقت على ضفاف نهر كورمانا الجميل ريثما تستريح الدواب والماشية التى أنهكها طــول السفر ، ثم تقدموا فى اليوم الثالث والعشرين من الشــهر ومروا خلال أدغال منتشرة من أشجار الميموزا التى كانت هى الأشجار الوحيدة التى تبدو فى هذه المنطقة ، ويقال ان الزراف شغوف بالرعى فيها ، وتوقفت المجموعة فى المســاء عند نبع آخر صاف ووافر ماؤه يسمى مابولى Mapoolie وعند هذا الماء استقبلت مجموعتنا وفدا مفوضا من الملك أفضى الى مجموعتنا بأن الملك فى انتظارنا ويترقب وصولنا بشغف • لقد بدا وجه المنطقة الآن مختلفا اختلافا كبيرا عما كان عليه حتى الآن • لقد غدا مكسوا بالحشائش وبالأدغال وميموزا الزراف Mimosa Camelopardalis وقد بســطت فروعها كمظلة ضخمة وشــكلت ملمحــا ملحــوظا ومتميزا للمنطقة • وكانت الطرائد من مختلف الأنواع وافرة ففى كل ساعة كنا نرى قطعــانا من التيــاتل الأفريقيــة ذوات الرءوس الضخام والقرون المعقوفة gnoos والكواشا quachas*

وفى الخامس والعشرين من الشهر أدت رحلة يومية من تلك الرحلات التى تقوم بها المجموعة الى الوصول لنبع آخر

(*) لم نستطع ايجاد المقابل العربى لها فى المعاجم المتاحة بين أيدينا. (المترجم) •

وافر ماؤه يسمى جاتيكاما Gataikamma وكلما تقدمت المجموعة وجدت المنطقة أفضل مما كانت عليه وزادت حيواناتها البرية من كل نوع خاصة من الأنواع المعروفة فى الجنوب الأفريقى . ولأن الأدلاء أخبروا المجموعة أنه لم يبق على مقر الزعيم الا رحلة قوامها نصف يوم ، فقد رئى أنه من المناسب أن تتوقف العربات ، وأن يتقدم اثنان من المفوضين من الحكومة على ظهرى حصانين ، وتم اختيار هدية للزعيم حملاها معهما فى احدى حقائب الظهر (الحقائب التى يعلقها المسافر على ظهره) مع قرابى مسدسيهما واصطحبا معهما مترجما ، وفى حوالى منتصف النهار دخلا مدينة كبيرة مكونة من أكواخ ، وكان قد مرا وهما فى طريقهما لهذه المدينة عبر حقول واسعة مزروعة بطريقة بدائية ، ولم تكن المدينة منظمة اذ صفت الأكواخ بطريقة غير منضبطة فليس بينها ما يمكن تسميته بالشارع ، وحول كل كوخ سور من أوتاد خشبية مستدقة . وكانت رؤية تجمع بشرى سكانى كبير ــ بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة ــ أمرا غير متوقع لكنه حظى برضى المشاركين فى الرحلة ، ففى منطقة منعزلة كجنوب أفريقيا حيث لا يلتقى المرء الا بعدد قليل من البشر البائسين ، لابد أن سروره وسعادته تتضاعفان اذا التقى بمجتمع بشرى كبير ، يبدو الناس فيه فى حال أكثر ارتياحا . وكان المندوبان المفوضان ومن معهما يركبان حصانين يسيران بخطى سريعة بين الأكواخ ، ويسبق الركب المترجم ومبعوثو الملك الذين أتوا ــ قبل ذلك ــ لابلاغنا بترحيبه بالمقابلة ، وسرعان ما وصل المندوبان المفوضان الى البقعة التى انتظر فيها الزعيم وحوله حكماء الشعب (كبار السن the elders of the people

لاستقبالهما • كان الرجل الجليل واسمه مولياهابان Mooliahaban جالسا وسط حاشيته فى موضع يحيط به سور من أوتاد خشبية ، مستدقة أطرافها ، وكانت البقعة المسورة مستديرة ، وقد استقبل الرجل الجليل المندوبين المفوضين بترحاب وبدون أى ارتباك أو تكلف ، وتقبل هديتهما التى أثارت فضول الحكماء elders المحيطين به كذلك أثارت اهتمام الجموع التى تجمعت بأعداد كبيرة فى ذلك الوقت حول السور المحيط بالمكان ، لقد فحصوا كل جزء من أجزاء الهدية بدقة وبدوا راغبين فى معرفة كيفية استخدامها • وقدم الملك وجماعته كمية من اللبن المتخثر للمندوبين المفوضين مقابل هديتهما • ولما انتهت مراسم التعارف دعا الزعيم المندوبين لمنزله الخاص وقدمهما لزوجتيه وأولاده الاثنى عشر ، ومشى خلق كثير خلف المندوبين ، لكن النسوة كن فيما يبدو ـ هن الأكثر عددا بين الحشود ، والأكثر فضولا • لقد راحوا (ورحن) يتفحصون شعر المندوبين عن قرب وبدوا غير مقتنعين انه شعر طبيعى بل كانوا ميالين الى أنه شعر ذيل حيوان أو آخر تم تثبيته فى الرأس •



وعند وصول العربات التى تجرها الدواب قرب نهاية اليوم ، نصبت المجموعة خيامها على بعد ستمائة خطوة الى الجنوب من المدينة على شاطىء النهر الذى يجرى خلال المدينة ، وزار المعسكر بضع مئات من الشعب كانوا جميعا يبدون مبتهجين غاية الابتهاج لأن الفرصة سنحت لهم لالقاء نظرة على الغرباء ، وكان بعضهم فضوليا جدا لكن بغير اضطراب اذ سيطر كل منهم على نفسه تماما وسيطر على انفعالاته • وقد جلبت النسوة حليبا فى قرب جلدية وفى

أوعية خشبية وفخارية كان يكفى لاستهلاك الحملة كلها ، وكلما اقترب الليل بدأ الناس رويدا رويدا يغادرون المعسكر وخلد أفراد مجموعتنا للراحة برباطة جأش وهدوء دون قلق أو خوف على سلامتهم الشخصية • ومدينة ليتاكو Lettekoo تقع على خط عرض ٣٠ر٢٦° جنوبا وعلى خط طول ٢٧° شرقا ، ويمر نهر في وسطها وهو نهر موسمى بمعنى أن عرضه يتغير بتغير المواسم فقد يكون بعرض القناة وقد يتسع اتساعا كبيرا وتغزر مياهه • ومحيط المدينة كمحيط مدينة الكاب (الرأس) اذا ضممنا لها كل حدائق وادى تيبل Table Valley ، لكن نظرا لعدم انتظام الشوارع وكذلك نظرا لانخفاض المبانى ، فقد كان من المستحيل التأكد من عدد المنازل على نحو دقيق أو قريب من الدقة ، وعلى أية حال فانها لا تقل عن الفين أو ثلاثة آلاف مسكن • وكل المساكن لها المساحة نفسها تقريبا ولها التصميم نفسه أيضا ، ولا تختلف فى شىء عن منزل الزعيم غير أن منزل الزعيم أكثر اتساعا من مساكن الآخرين بقدر غير كبير • أما عدد السكان رجالا ونساء وأطفالا فيتراوح بين عشرة آلاف الى خمسة عشر ألف نسمة • ونادرا ما تكون هذه الأرقام المدورة (المقفلة) دقيقة • وقد اختلف تقدير المندوبين المفوضين بعد خمسة عشر يوما فكان تقدير أحدهما أن المدينة لا يزيد سكانها عن عشرة آلاف بينما قدر الآخر أنهم خمسة عشر ألفا ، وكانت تقديراتهما معتمدة على مقارنة بعض الملاحظات ، وربما كان الرقم الأقرب للصحة هو متوسط الرقمين آنفى الذكر • وكانت الأرض التى يشيد عليها أى منزل تمثل دائرة مكتملة يتراوح قطرها بين اثنتى عشرة قدما الى خمس عشرة ، وقد تم دك الأرضية ورفعها عن مستوى سطح الأرض بحوالى أربع بوصات •

وحوالى ربع الدائرة وهى المساحة التى تشكل واجهـة المنزل تمثل مساحة مكشوفة ، والثلاثة أرباع الباقية مسورة بطمى وحجارة ويبلغ ارتفاع هذا السور حوالى خمس أقدام، وبشكل عام فان واجهات المنازل تطل ناحية الشرق، والى جوار الجدار الدائرى الداخلى الذى يمر بمركز الدائرة (الكبيرة) ويعتمد على نصف القطر نفسه (نصف قطر الدائرة الكبيرة) يقتطع حوالى ثلث المحيط لعمل غرفة • توضع فيها الأشـياء ذوات القيمـة لديهم كالمـلابس الجلدية والحلى العاجيـة والرماح والسكاكين وغيرها من المواد الأساسية • وفى هذه الغـرفة أيضا يقضى كبار السن فى الأسرة راحتهم الليليـة وينـام الأطفال فى شرفة (فيراندا Viranda) نصـف مغلقـة تمتد لتشغل ثلثى محيط الدائرة •

والمنزل كله مغطى بسقف على شكل خيمة يعتمد عـلى دعامات مبنية فى الجدار (السور) وفى واجهة المنزل تشكل هذه الأعمدة مع السقف ما يشـبه الرواق • والسـقف كله مشكل ــ بعناية من حزم من الغاب (البـوص أو القصب) وأعواد الهلقوس (بضم الهاء وتسكين الواو وهـو نبات من الفصيلة النجيلية) وتربط هـذه الأحزمة بسـيور جلدية ، ولكل البيوت سياج من غاب قوى أو من أعواد الهلقوس أو من أعواد خشبية ، وثمة صومعة طينية كبيرة الى جوار غرفة السكن ومقامة على بقعة مرتفعة من الأرض وتستخدم هـذه الصومعة لخزن الحبوب • وهذه الأجران تشـبه فى شـكلها جرار الزيت الكبيرة وسعة الواحدة من بعضها لا تقـل عن ٢٠٠ جالون ، ويرفعها ــ أى الصّـومعة أو الجـرن ــ عن الأرض ثلاث قوائم ارتفاع القائمة منهـا من ستة أقدام الى

(★) ما بين القوسين توضيح للمترجم •

ثمانية ، والصومعة أو الجرن ـ مثلها مثل المنزل نفسه ، مغطاة بسقف مدبب (خيمى الشكل) من القش ٠

ومنزل البوسهوان ليس سيئا اذا وضعنا فى اعتبارنا ظروف المناخ ٠ أما من حيث الأناقة والمتانة فربما كان جيدا أيضا فهو يشبه الكازى Casae أو المنازل الأولى التى كانت تبنى فى الامبراطورية الرومانية ، وربما كان هذا المنزل الأفريقي أقوى فى تشييده وأساساته ووسائل الراحة به من معظم الكبائن الأيرلندية الى يضطر الفلاحون البائسون للزحف عبر البرك المائية الصغيرة للوصول اليها ٠ فكوخ البوسهوانا ليس مرتفعا فوق أرضية مدكوكة من الطين فحسب ، وانما قد تم اعداد أرضية المسكن كله بحيث ينحدر الماء الى مدخل المنزل ، كما أن المطبخ مشيد فى المساحة المكشوفة ، وبذلك لا يتعرض داخل المنزل للدخان والسخام ، وينعم البوسهوانى بالراحة فى الظل فعادة ما يشيد هذا الكوخ تحت فروع أشجار الميموزا الممتدة ، ويحظى كل فرع من فروعها بالعناية ذات الطابع الدينى (بتقديس) فلا ينزع فرع من فروعها أو يكسر فى أى ظرف من الظروف رغم أن أخشاب الوقود قد يتعذر الحصول عليها الا بعد قطع مسافات طويلة ٠

ومن المحتم على تجمع بشرى كبير فى بقعة محاطة بالصحراء القاحلة يرتادها بين الحين والحين بعض البدائيين المتوحشين ، وقد انقطعت سبل المواصلات بينه وبين المناطق الحضرية الأخرى ـ لابد أنه ـ أى هذا التجمع البشرى المنعزل ـ قد ضمن لنفسه الاحتياجات الضرورية من وسائل الاعاشة ٠ وأحد المصادر الكبرى التى يحصلون منها على طعامهم هى مواشيهم ، التى يأكلون من لحومها وان كان هذا

يحدث نادرا ، ويتناولون الألبان وهى متخثرة غالبا ، وهم لا يحفظون هـذه الألبان المتخثرة فى سلال من أعشاب يابسة كما يفعل الكافير الشرقيون Eastern Kaffers وانما يحفظونها فى قرب جلدية وجرار فخارية • وتزخر المنطقة بالظباء Antelopes من النوع المعروف فى جنوب أفريقيا بالاضافة الى وحيد القرن والجواميس والكواشا Quacha وهم يحصلون على هذه الحيوانات بالمطاردة أو بنصب الشراك وهم لا يراعون شروطا خاصة فى الحيوانات التى يأكلون لحمها ، فهم يأكلون الذئاب وحيوانات ابن آوى كما يأكلون آكل النمل myrmecophaga والقطط والنمور والزراف ، والمنطقة مليئة بالنعام وطيور الحبارى (بضم الحاء وفتح الباء) وطيور الطيهوج (بتشديد الطاء وفتحها وتسكين الياء وهى من رتبة الدجاج) ودجاجات الأرض (دجاجات غينيا) Ghinea fowls وطيور الحجل (بفتح الحاء والجيم) لكن كل هذه الوفرة فى الحياة الحيوانية قد تعجز عن سد حاجة هذا العدد الكبير من الغذاء لذلك فقد لجأوا لطلب معونة المساعد الذى لا يبخل والمورد الذى يسد جوع الجموع • انه الزراعة • وهم يزرعون الحبوب بشكل رئيسى ، وقد أحضر المندوبان المفوضان عينات من هذه الحبوب تشتمل على ذرة المكانس holcus Sorghum (★) وتبدو بذوره الحمراء وكأنه من جنس نبات الساكهارات Saccharatus واللوبيا Dolichos وهى تشبه الكادجان Cadjan والفاصوليا Phoseolus ، ويبدو أن هذه الحبوب المختلفة تبذر معا فى حقل واحد (أى لا يزرع كل نوع منفصلا عن

(★) عن معجم الشهابى : ذره المكانس ويسمى أيضا Sorghum Vulgare أو broomcorn يزرع لصنع المكانس من عثاكيلها اما بذورها فتاكلها الطيور والاغنام وغنى عن القول انها تزرع فى هذه المنطقة لياكلها الانسان – (المترجم) •

الأنواع الأخرى) وعند النضج يتم حصادها وتخزن فى الأجران (الصوامع) الطينية دون فصل بينها • ثم يأخذون منها لاستخدامها دون فصل بين الحبوب المختلفة أيضا ويحمصونها ويأكلونها بعد التحميص أحيانا ، وأحيانا أخرى يسلقونها فى الحليب • ومن السهل أن نستنتج أن فن الزراعة عند هؤلاء الناس لازال فى أدنى مراحله • وفى الحقيقة فان العمل الوحيد الذى ينجزونه فى الأرض هو عزقها وهو عمل كل للنساء ، ويباشرنه بأداة بدائية تشبه المجرفة على نحو ما ، وهى عبارة عن قطعة مسطحة من الحديد مبثتة بعقدة الكيرى الكافيرى Keffer Hoe وتستخدم هذه الأداة كمجرفة وفأس فى آن ، فاذا ثبتت حافة قطعة الحديد هذه بحيث تقف على زواياها اليمنى مع اليد أصبحت مجرفة ، واذا تمت ادارتها (لفها) لتكون موازية لليد فانها تكون عندئذ فأسا •

لكن البوسهوانا لم يتدرجوا فى سلم الحضارة تدرجا مرضيا فى المجالات الأساسية التى تمدهم بأسباب الحياة بوفرة ، ونعنى بها الزراعة والرعى والصيد ، انهم غير شاعرين بأية حال بما يمكن أن توفره لهم هذه المصادر من عيش هنئ ورفاهية • فمعاطفهم الجلدية التى يرتدونها شتاء ناعمة ومرنة ودافئة وهم يزينونها بشكل متتابع بجلد القطط ذى الفراء وجلود حيوانات الزباديات Viverridae كالنموّس والرباح (بتشديد الراء وفتحها) (★) وغيرها من الحيوانات الصغيرة ، أما فى الصيف ـ عندما يسيرون عراة فانهم نادرا ما يعرضون أبدانهم لأشعة الشمس ، وانما يحمل الواحد منهم مظلة معمولة من ريش النعام العريض

(★) انظر معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ـ (المترجم) •

مثبت فى طرف عصاة . وهم يغيرون طريقة طهيهم للطعام سواء كان لحما أو غلالا ، مرة بالسلق ومرة بالشى وقد يسحنون الحبوب ويجعلونها دقيقا ويغلونها ممزوجة بالحليب . ويحظى التوباكو بتقدير شديد منهم ، فالرجال والنساء على سواء مولعون بسحب دخان نبات التبغ بعد تمريره فى الماء الذى يصب عادة فى قرن بقرة أو علندده (ظبى أفريقى ضخم) ثم يوضع أنبوب (بوصة) فى جانب القرن (بثقب القرن بحيث تصل البوصة الى الداخل) . وهم مولعون — على النحو نفسه — بالسعوط (النشوق) . وتتكون هذه المادة (السعوط) من نباتات مثيرة (منبهة) مختلفة تجفف ثم تسحن (تسحق) وغالبا ما تخلط برماد خشب محترق ، ويضعون من هذا الخليط المسحوق شيئا فى راحة اليد ويستنشقونه بفتحات أنوفهم من خلال بوصة أو ريشة طائر ، ويظلون يستنشقون ويسحبون المسحوق بالطريقة الآنف ذكرها حتى تجرى الدموع على وجناتهم . وحتى الأطفال فى سن الرابعة أو الخامسة يستنشقون السعوط (النشوق) بالطريقة ذاتها . ويزينون أجسامهم بعناية برسوم وزخارف يرسمونها بطمى أبيض ومغرة حمراء (اكسيد الحديد المائى ، والمغرة بفتح الميم وتسكين الغين) (★) ويقصون شعورهم أحيانا بطريقة خاصة تاركين خصلة وسط الرأس (على تاج الرأس) ولا تختلف هذه القصة عن القصة (الحلقة) المعروفة هذه الأيام ، ويثبتون على جانبى الرأس بشكل قائم ريشتين من جناحى غرنوق (كركى) Numidian Crane وأحيانا ذيلي أرنب أو قطعة منفوخة من مثانته (مثانة الأرنب) distended bladder (؟)

(★) ما بين القوسين توضيح للمترجم .

و من مثـــانة أى حيـوان صـغير آخـــر (★) ٠ وغالبـا ما يعلق الواحـد منهـم فى احـدى أذنيه قرطا من صفائح نحاسية على شكل مثلث ، أما القلائد فمن أسـنان الأسـود والنمور وأنيابها ٠ ويصنع الرجال حلقات من العـاج من أنياب الفيلة ويضعونها (يلبسونها) حول الجوانب العليـا من أذرعهم أما النسوة فيلبسن حلقات من جلد قد تكون غير محلاة وقد تكون محلاة بالخرز وقطـع النحـاس ، ويضعنها حول أذرعهن أو سيقانهن ٠ ويعلق كل رجل سكينا موضوعة بقراب ـ بسير جلدى ـ حول رقبته ٠ وعموما ما يبلغ نصل السكين حوالى ست بوصات طولا ، وبوصة عرضا ٠ وهـــذا السكين مسنن (محدد) من الناحيتين (★★) أما المقبض فمن خشب وأحيانا من عاج ، وفى هذه الحال الأخيرة فانها غالبا ما تتخذ شكل خرطوم الفيل ٠ وكانت مجمـوعة الحملة قد أخذت معها عددا من السكاكين المعتادة ليبادلوا بهـا ، لـكن البوسهوانا ثمنوها بثمن بخس ٠ ذاكرين أن سكاكينهم أفضل بمقدار الضعف لأن الواحدة منها ذات حدين بينما سـكاكين البيض للواحدة منها حد واحد ٠ والحقيقة أن السكين يعـد أداة نافعة من أدواتهم خاصة بالنسبة لقـوم يعيشـون عـلى الصيد وقطع جذور النباتات ، ويقـدر البوسـهوانا ثروة شخص ما بقدر امتلاكه للماشية والسكاكين والخرز ، فهـذه الأشياء هى النقد والعملة فى ليتاكو Lettako .

والمرأة البوسهوانية لا تمارس ـ فقط ـ عمليـة عزق الأرض وحصـد الغـلال ودرسها وتقشـيرها ووضـعها فى

(★) ربما كان المقصود هو أخذ فراء الأرانب أو فـراء غيرها من الحيوانات الصغيرة ونفخه ووضعه منفوخا على جانبى الرأس ـ (المترجم) ٠

(★★) يقصد خنجرا كما هو واضح ـ (المترجم) ٠

الصوامع التى قمن ــ أى النسوة بتشييدها بأنفسهن ــ وانما تقمن بالاضافة الى ذلك كله بجمع معظم المواد اللازمة لتشييد المسكن واعدادها لتكون صالحة للغرض المنشود ، أما الرجال فيقضون شطرا من أوقاتهم فى الصيد ، وتجهيز الجلود واعداد المعاطف والأحذية وهم وحدهم الذين يهتمون بالماشية ومنتجات البانها ٠

وبعد وصول مجموعة الحملة بأيام قلائل اتيحت الفرصة لها لحضور مراسم زواج ، وقد وجهت لهم الدعوة ، وشهدوا الأفراح والمهرجانات المصاحبة للزواج ٠ ففى الوقت المحدد ذهبت المجموعة الى ساحة واسعة دائرية يحيطها سور من أعمدة خشبية مدببة أعاليها ، وهناك استقبلهم الزعيم المبجل بود وسط حكماء المكان (كبار السن elders وكان يقف عن يمين الزعيم مجموعة من النساء الشابات ، كما كان يقف عن يمينه مجموعة من الرجال الشبان يكاد يكون عددهم مساويا لعدد النساء الشابات الواقفات عن يمينه ٠ وكانوا يلبسون ثيابا ذوات طابع خيالى ٠ وجلست جموع المشاهدين فى حلقة مخلين وسط الساحة فارغا ٠ وتقدم الرجال الذين تم اختيارهم للقيام بطقوس الزواج وشعائره الى وسط الحلقة وبدأوا فى استعراض مهاراتهم ، وكان لرقصهم تأثير فريد وكان بعضهم يرتدى نوعا من التنانير (البلوزات) تغطى المنطقة من الخصر الى الركبة وهى معمولة من ريش النعام الأسود والأبيض وقد صف الريش بحيث يتلو بعضه بعضا ، وآخرون يضعون أحزمة من جلد مختلفة أشكالها حول أبدانهم تمتد من الرقبة حتى ربلة (بطة) الساق وقد خيط فى أطراف هذه الأحزمة ذيول حيوانات ابن آوى وذيول قطط وذيول حيوانات أخرى

كالزباد والرماح والنمس Viverra ، وقد دهنوا أجسامهم بالطمى الأبيض والأحمر والأصفر • وأثناء دوران الراقصين تتجه الذيول وريش النعام نحو الزوايا اليمنى من الجسم ، ويبدو أن الهدف منها (الذيول والريش) هو منع الجسم من السقوط ، وأن تتحرك بشكل أفقى مع كل وضع وحركة من حركات الجسم • وتصاحب حركاتهم أغان بدائية صاخبة تتوقف فى فترات الراحة التى تقوم فيها النسوة بالاجابة بصوت أكثر رقة على أغانى الرجال فيبدو ردهن وكأنه رد على الاستروفية antistrophe (فى المسرح الشعرى اليونانى القديم) ولا تخلو أغانيهن بأية حال من طابع الاتساق اللحنى (الميلودى) • وتقوم النسوة بتشجيع الراقصين وابداء الاعجاب برقصهم بالتصفيق لهم كل حين • وما أن ينتهى الرقص حتى يتم توزيع المأكولات كاللحم المسلوق والبليلة (الهلقوس وهو نوع من الحبوب المسلوق فى الحليب) ـ على الضيوف وبعد ذلك يصطحب العريس ـ الذى كان واحدا من الراقصين ـ عروسه الى منزله ويعود المدعوون الى مساكنهم راضين بالاحتفال الذى كسر حدة الحياة الرتيبة •

لقد تأثر المندوبون المفوضون تأثرا طيبا بالنظام واللياقة اللتين يدير بهما البوسهوانا مثل هذه المراسم ، وكل مناسباتهم فى الواقع ، فالبوسهوانا لا يعوزهم التناسق والنظام ، وهو أمر قد تفتقده مثل هذه المجتمعات السعيدة • ويلتقى موليشابان (الزعيم) مع الحكماء (كبار السن) فى المناسبات لفض أية منازعات من التى قد تحدث أحيانا وهى أمر لا مناص منه فى مثل هذه التجمعات الكبيرة •

ويبـــدو أن نظـــام حـــكومتهم أبـوى Patriarchal تماما فلابد أن يكون الزعيم بطبيعة الحال رجلا يؤلهه الشعب ومن ثم فان له حق تسمية من يخلفه ، وهو يتحسس رغبـات الشـعب وميولهم باستماعه للحـكماء (كبـار السن) وهو يصـدر التعليمات ويضع التنظيمات بنـاء عـلى نصـائحهم ومشورتهم ، كما أنه يغيرها لما هو أفضل ليحقق الرضا العام وليكتسب لنفسه شعبية ٠ ولا يستطيع أى شاب أن يتقدم الى مجلس الملك ، فبروتوكول مجلسه قائم على مبادىء البساطة البدائيـة حيث كبر السن والسـلطة مصطلحان مترادفان ٠ وغالبا ما يكون هذا فى معظم الأمم واللغات ، واذا شعر أى فرد فى المجتمع انه مظلوم ولم يقتنع بقرار المجلس (مجلس الملك) فان له مطلق الحرية أن يدبر أمره بنفســه ويحمل معه كل ممتلكاته ويغادر الجماعة (القبيلة أو القطيع) ٠

الدين :

ولا يبدو أن لديهم أى شـــكل محـدد أو نظام خاص للعبادات الدينية بالمفهوم الواضح لدى الأوربيين ، رغم أنهم يمارسون بعض العادات التى توارثوها عن آبائهم ، فهـم يراعون عادة ختان الذكور من منظـور دينى ، ويراعـون الرقص فى دائرة طوال الليل اذا كان القمر بدرا ٠ وثمــة أمم قليلة بلغت من التوحش والبدائية مبلغا يجعلها لا تكون واعية بوجود قوة توجه أمور الطبيعة ولها هيمنـة مطلقـة عليها (اى على هذه الأمم) ٠ وبعض الأمم تعزو لهذه القوة اختلاف حالات (خواص) الشخص (تغير أحواله) وآخرون يفترضون أن الشخص نفسه هـو المهيمن على كل حالة من حالاته ٠ ومعظم الأمم تعترف بالـروح الطيبـة والـروح الشريرة وهم يجدون الروح الطيبة فى دفء الشمس وضوء

القمر الفضي وزخات المطر التى تشيع الخصب والنماء .
ويجدون الروح الشريرة في صوت الرعد وفى الأشعة الحارقة وفي عصف الريح وفى السيول المدمرة ، ولما كان الخوف هو والد الخرافة وأمها ، فان الروح الشريرة عادة ما تلقى توقيرا واحتراما أكثر مما تلقاه الروح الخيرة ، ويبدو أن هذا هو ما عليه الحال عند البوسهوانا ، ومن المحتمل أن يكون توقير الروح الشريرة مرحلة باكرة شهدتها كل الأمم فآثام جوبيتر Jupiter (★) وشروره قد تم تسجيلها قبل فضائله ومناقبه ومزاياه فقد أرهب برعده قبل أن يطمئن بحمايته الأبوية .

ويمكن اعتبار البوسهوانا ـ بكل المقاييس ـ قد اجتازوا الفاصل بين مجتمع الأمم البدائية المتوحشة ومجتمع الأمم المتحضرة ويمكن اعتبارهم بالتالى أنهم قد وصلوا لمرحلة من السمو الأخلاقى تجعل من الممكن أن يتقبلوا المبادىء السامية للدين المسيحى ، ولو حتى البسيط منها . ويمكن للمبشرين استغلال حماسهم فى الحصول على بعض المزايا ، وهنا يحصل أول الحاصدين على المحصول الوفير here a plentiful harvest is offered to the first reapers who may present themselves.

ويمكن أن نعزو ـ الى حد كبير ـ تلك النزعة للود والسلام السائدة بين الناس هنا الى المساواة ، فالمنازل فى لاتاكو Lattakoo متشابهة تقريبا لا تختلف الا فى الجهد الذى يبذله الواحد منهم لتحسين مسكنه ومد الظل اليه . ولكل فرد أن يزرع من الأرض ما يشاء . أما كثرة أعداد الماشية فيعتمد على مدى اهتمام الشخص وحسن ادارته ،

(★) جوبيتر كبير الآلهة عند اليون ـ (المترجم) .

كما أن كمية الملابس (الجلدية) المطلــوب منــه أن يوفرها لأسرته فى الشتاء تعتمد على مهارته ونشاطه فى مضــمار الصيد .

ويمكن أن تنطبق هذه الأبيات الشعرية الجميلة عـــلى أحوال هذا الجنس السعيد من الكافير kKaffers فى جنوب أفريقيا كما انطبقت يوما ما على فلاحى سويسرا :

مع أن كوخ الكافيرى فقير
ومع أن ولائمه بسيطة
فانه يشعر أن ما لديه من قليل كثير
فهو لا يرى قصرا فخما يناطح رأسه
ويخجل تواضع كوخه
ويكشف حقارته .

★★★

تعليق المحرر للربط بين وقائع الرحلة :

ومكث المندوبون المفوضــون فى المدينــة (لاتاكو) خمسة عشر يوما ، وخططوا لزيارة البارلو Barraloos وهى قبيلة الى الشمال ، لكن هذه القبيلة كانت تمثل مجموعة شرسة ومضرة ومريبة . وقد حصل المندوبون على ما يزيد قليلا عن مائة رأس من الماشية وقد دفعوا مقابل كل رأس ، رطلين أو ثلاثة من الخرز .

★★★

وقد كان الفلاحون boors (المرافقــون للحملة) الذين وجدوا بعض التسلية فى قضاء الوقت بين البوسهوانا

ـ يخرجون يوميا في جماعات للاصطياد ، وكانوا يحضرون معهم ما اصطادوه ، وكان من الظباء antelopes المعروفة لديهم جيدا ، الا أنهم ذات يوم أحضروا معهم زوجا من الحيوانات من جنس غير معروف اطلاقا لكل أفراد الحملة . وكان البوسهوانا يسمون هذا الجنس من الأيائل باسم بالا Palla وهو يشبه الى حد ما القوقز (فتح القاف وتسكين الواو ـ وهو ظبي جنوب أفريقي رشيق) الا أنه أضخم أما ارتفاعه فثلاث أقدام وثلاث بوصات ، أما طول الجسم من الرأس الى أصل الذيل فأربع أقدام وثلاث بوصات أما القرنان فطول الواحد منهما ست عشرة بوصة ويشبه القيثارة ، وهو متشكل من حلقات عند طرفه . وطول الأذن ثماني بوصات وهي مكسوة خاصة من أطرافها بالشعر الأسود ، وشفتاه بيضاوان وثمة خطوط سوداء أسفل منتصف الوجه ، وثمة بقعة بيضاء فوق كل عين ـ طول الذيل ست عشرة بوصة ر ونه بني مع وجود خصلة بيضاء عند طرفه ، وأقدامه بيضاء ومع الساقين الخلفيتين مساحة قاسية (صلبة) بشكل ملحوظ عليها خصلة شعر سوداء فوق نتوء مفصل الركبة . ولون بدنه بني عميق يصبح باهتا شيئا ما عند الجانبين أما البطن والأجزاء الداخلية من الساقين (التى تواجه الداخل) فبيضاء خالصة . وهذا الظبى الجميل سريع سرعة الظبى من نوع Springbok تقريبا الا أن طريقته فى العدو مختلفة . وطباعه معتدلة ويمكن تطويعه بسهولة كحيوان آليف كما يمكن تدريبه ، وقد أحضرت مجموعة الحملة للكاب (مدينة الرأس) معها أنثى ناضجة من نوع هذا الظبى لكنها سرعان ما ماتت بعد وصولها ، وذلك بسبب مالاقته من تعب وارهاق أثناء الرحلة ، ويمكن القول ان ظبى البالا Palla هذا من الحيوانات التى تعيش فى

قطيـــع gregarious لكن لم يحدث الا نادرا أن رأينا ثلاثة منها أو أربعة ترعى معا ٠

وفى ١٢ ديسمبر غادرت الحملة مدينة ليتاكو Leetakoo آسفة لوداع هؤلاء الناس الودودين الـكرماء فقـد صـحب بعضهم عرباتنا لمسافات طويلة ، وتجمع عدة آلاف منهم فوق المرتفعات المحيطة ، وفى اليوم التالى ، وصل الحملة رسولان من ليتـاكو ، وقد جلبـا معهما هدية من مولياهابان عبـارة عن ثورين سمينين ، وأعادا ثورين كانا قد فقدا من الحملة وشردا ، وكان الرسولان يحملان في الوقت نفسه رسالة من الزعيم مؤداها أنه سـيسعد كثيرا ان قامت الحملة بزيارة أخرى فى العام القادم حيث تكـون قطعانه قد نمت بحيث يمكنه أن يقايض على عدد أكبر مما قايض عليه هذا العام ٠

وعادت الحملة من الطريق نفســه الذى أتت منه ولم يكن لديها سبب للسرعة ، فكان لدى أفرادها متسع لملاحظة وجه المنطقة ٠ لقد كانت تكسوها الحشـائش والشـجيرات والأشجار المختلفة أنواعها خاصـة أشـجار الميموز الوارفة ظلالها والتى يحلو للـزرافات أكل أوراقها وأماليـدها ٠ وكانت بعض هـذه الأشجار غاصـة تماما بأعشاش طيـور صـغيرة من نـوع (جنس) اللوكسـيا Loxia أو من جنس Grossbeak (★) وهى تعيش بشكل جمـاعى وبأعداد كبيرة مشكلة بذلك ثروة عامة ، فتحت سقف واحد مكون من سوق نباتات جافة اصطف بضع مئات من الأعشاش لكل منها نفق يؤدى الى أسفله ، وهذه الممرات الضيقة قد تمت حمايتها بنباتات جافة شـائكة بحيث يصعب ادخال الرأس فيها دون أن يجرح ٠

(★) لم نستدل على المقابل العربى فى المعاجم المتاحة لدينا ــ (المترجم) ٠

وتزخر السهول بالنعام والظباء (من نـوع القوقز) والهربيست والكواشا Quacha ، وكان من حظ الفلاحين الهولنديين ان اصطادوا حيوانا لم يكن معروفا لأى واحـد فى الحملة ولم يسبق لواحـد من الاختصـاصيين فى العلوم الطبيعية وصفه ، ويسميه البوسهوانا باسم كوكون Kokoon وهو يشبه فى مظهره العام حيوان الجنو Gnoo الا أنه أكبر حجما منه • ويبلغ ارتفاعه أربع أقدام واحدى عشرة بوصة ، وطوله من الرأس الى العجز خمس أقدام وذيله ذو الشعر الأسود الطويل يبلغ ثلاث أقدام وثلاث بوصات ، وهو يشبه ذيل الحصان ، أما رقبتـه فغليظة بشـكل غير عادى بالنسبة لجسده • وشعر عنقه لا يشبه اطلاقا شعر عنق الجنو Gnoo ، اذ انه ينسدل عـلى كتفيه بل يصـل الى منتصـف ظهره ، وجبهته مغطاة بزوائد عظمية كرأس الجاموسـة ، وتشكل هذه الزوائد العظمية فى الواقع قاعدة لقرنيه التى تستدير للخلف وتنتهى مدببة كقرون حيوان الجنو Gnoo ومن منتصف جبهته الى الأنف يوجد نتوء (أو بروز) محدب مغطى ضلعه (أى ضلع هذا النتوء) بشـعر أسود طـويل ، وعلى كل وجنة من وجنتيه الى الأدنى من العين بقليل توجـد بقعة دائرية قطرها أكبر من بوصة ــ عارية تماما ، وتبدو من خلقته الأصلية (ليست بفعل طارىء مرضى) وسـطح جسمه مغطى بحزم من الأوعيـة الدموية والشرايين الدقيقة ينز منها مادة بيضاء لزجة ، وتحت هذه الغدد مباشرة تكمن جذور خصلات الشعر الأسود ، ولهذا الحيـوان لحية سـوداء طويلة كلحية حيوان الجنو Gnoo وتغطى هذه اللحيـة رقبة الحيوان من الذقن الى الصدر ، أما فمه وأنفه فيشبهان فم الثور وأنفه الا أنهما أعرض وأكثر تسـطيحا ، ولـون جسمه بشكل عام رمادى شاحب ، وليس لهذا الحيوان سرعة

الجنو Gnoo ونشاطه ولا روحه · وقد رسم السيد دانيل Daniell هذا الحيوان غير العادى رسما دقيقا ، وقد نجحت المجموعة فى اصطياد عدد من حيوانات الجنو الجميلة فى نزهاتهم القصيرة ، وقد لاحظت مجموعة الصيادين هذه أنه فى أكثر من مرة ، شاهدوا أن حيوان الجنو هذا عندما يصاب بجرح ويحاصره مطاردوه فانه عموما ما يصدر صوت شخير من منخريه ويخرج منهما كمية كبيرة من اليرقات البيضاء الصغيرة Small white maggots ، للواحدة منها ـ فى بعض الأحيان ـ حجم ومظهر حبة البندق ·

وقد اقتنص فريق الصيد نفسه حيوانا من حيوانات الكوشا quacha له لون كريمى ، وكان جسمه كله مغطى بخطوط بنية داكنة ، وقد كان الظن أنه نوع فريد لكن سرعان ما تم اصطياد أعداد أخرى لها اللون نفسه ، وذات يوم تم اصطياد فحل وأنثاه ، وكانا مخططين تماما ولم يكن لدى المجموعة شك كثير فى أنهما متفردان وليس لهما مثيل فبذلت الجهود للابقاء على واحد منهما حيا لكن هذه الجهود ـ لسوء الحظ ـ لم تكلل بالنجاح ، وكانت النية متجهة لاحضار هذا الحيوان الى مدينة الرأس (الكاب) ·

والفلاحون (الهولنديون) فى ضواحى المستعمرة يصطادون أحيانا حيوان الكوشا Quacha بالطريقة نفسها التى يصطاد بها أسبان بونس ايرس Buenas Ayres الخيول البرية بأن يطاردوها ويقذفوا حول رأس الحيوان منها بحبل أو سير جلدى ···

★★★

تعليق المحرر للربط بين وقائع الرحلة :

وفى ١٤ ديسمبر غادرت الحملة طريقها السابق وتقدم أفرادها هابطين مع نهر كورومان Kuruman لمسافة طويلة · وعند عودتهم الى نهر الأورانج عند مخاضتهم الأصلية (المكان الذى كانوا يزمعون خوض النهر عندها) قابلوا كبشيرير Kicherer الذى اقترح عليهم أن يتابعوا الرحلة لاثنى عشر يوما أو أربعة عشر هابطين مع نهر الأورانج الى مراكز الكول الزائفين the basterd kok حتى يكون لهم الحرية الكاملة فى جمع عدد كبير من الماشية ، وقد أخذت المجموعة بهذه النصيحة وقرر مسئولوها أن يعودوا للكاب (الرأس) عن طريق بلاد الناماكوا Namaqualand

وقد أعفى المندوبون المفوضون البوير (الفلاحين) من ذلك ·



·· ولم يهبط مستوى النهر الهبوط الكافى الذى يسمح لعربات الحملة التى تجرها الدواب بعبوره عبورا آمنا قبل ٢٨ يناير ، وما كادت العربات تصل للشاطىء المقابل حتى ارتفعت المياه فى النهر عدة أقدام مع أن المطر لم يهطل واستمر التيار بعنف وارتفع الماء وتضاءل احتمال امكانية عبوره بسرعة ، وكان عبوره ــ على أية حال ــ أمرا ضروريا من هذا الموضع حتى تتمكن الحملة من مواصلة الرحلة ، لذا فان هوتنتوت الكرا Kora Hottentot شرعوا فى اسقاط الأشجار وربط جذوعهــا الى بعض حتى تعبر عليها العربات · لقد كانوا يعملون بنشاط وهمة ومهارة فى وضع هذه الأخشاب (الجذوع) وهنا تم اكتشاف أن المخاضة

أكثر انخفاضا من مستوى قاع النهر ، فأعدوا ممرا دون حوادث ، وقبل أن يصلوا الى الموضع الذى يقصدونه كانوا مضطرين لعبور هذا النهر العريض السريع جريانه مالا يقل عن ست مرات ، وقد تعرضوا فى المرة الأخيرة لخطر بالغ وكانوا عرضة للغرق بسبب ارتفاع المياه فى النهر ارتفاعا مفاجئا بمقدار خمس أقدام أو ست ·

لقد حدث تغير فى سطح الأرض أثر فى مسار بقية الرحلة التى كانت أحيانا مساحلة للنهر وأحيانا بعيدا عنه · وكانت أشجار الميموزا الشائعة منتشرة فى كل مكان · وكانت بعض هذه الأشجار محملة بأعشاش الطيور التى تعيش فى أسراب ، وبدت بعض هذه الأشجار على البعد وكأنها (مدود) (★) وظهرت على المرتفعات نماذج جميلة من نباتات الصبار والفربيون Eupharbias (★★) وثمة وفرة من هذا النبات الأخير خاصة (الفربيون) الذى يبدو أن الهوتنتوت يستخدمونه لتسميم منابع المياه لاهلاك أعدائهم · وثمة قرى متعددة لجماعة هوتنتوت الكرا Kora Hottentots تقع على طول الطريق ، وقد بدا السكان فى كل مكان سعداء بقطعانهم الصغيرة وأكواخهم المتواضعة فهم دائما مبتهجون وتغمرهم روح المرح · وهم لا يكفون عن قضاء أغلب الليل فى الرقص والغناء منذ يكون القمر بدرا الى أن يصير محاقا ·

(★) بفتح الميم وتسكين الدال وكسر الواو ـ وهى كلمة عامية مصرية وربما لها أصول فصحى ولم نجد أفضل منها ترجمة لعبارة like many hay ricks (المترجم) :

(★★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ـ نبات له لبن ضار وهو على عدة أنواع منه الشبرم وفربيون الشمس ·

وفى ١١ فبراير وصلت الحملة الى الوضع الذى تقصده حيث وجدوا قرية كبيرة يسكنها خليط من الأجناس : كافير وهوتنتوت وأخلاط من كل جنس ، ويحكم هـؤلاء جميعـا الزعيم كوك kok وهــو واحد من هؤلاء الناس ويعرف فى مستعمرة الرأس باسم باستارد Bastard ويقال انه ولد نتيجة علاقة بين أحد سكان الكاب Colonist وهوتنتوية(★) وتشير كل الدلائل الى أن هذه المجموعة ثرية بقطعان الماشية لكنهم يشكون من أنهم ـ مؤخرا ـ بدءوا يعـانون من زيادة أعمـال السلب والنهب التى يقوم بها بها قاطع طريق يعرف باســم أفريكانر Africaaner وهم يتحسبون لزياراته القـادمة خاصـة أنه قام أخيرا بضـم عـدد من المتشردين وطريدى العدالة فى مستعمرة الرأس الى عصابته ٠

ستيفانوس الأفاق :

وقد انضم مؤخرا الى عصابة اللصـوص الرهيبة تلك شخص أو شخصية خطيرة غير عادية ٠ ولعله من الشائق أن نعرض لجانب من حياته ٠ انه ستيفانوس وهو بولندى المولد لكنه من أصول يونانية ، وبعد أن قضى فترة فى خدمة بعض الفرق الألمانية العسكرية المرتزقة rired دبر لنفسه عملا فى الكاب كمساعد بقال ٠ حيث مال لاسـتغلال مهارته فى تزييف الأوراق النقدية الحكومية ، ولم يكن تنفيذ ذلك أمرا هينا ، فالبطاقة (يقصـد ورقة النقـد) تدمغ فى هولنـدا وهناك تغطى بورق رسم من تركيبـة خاصـة ، أما الأرقام والقيمة فتسـجل على البطاقة (الورقة النقـدية) بمعرفة

(★) أو العكس فالعبارة لا توضح
the iffspring of a connection between a Colonist & a Hottentot.

الضابط العام Public officer في الكاب ، ويوقع ثلاثة من أعضاء مجلس العدالة Cort of Justice على كل ورقة نقدية ولكل توقيع من هذه التوقيعات الخاصة ذيل زخرفي خاص يوضع في نهاية الاسم (التوقيع) ، وكانت هذه التوقيعات والرموز (الزخرفة الخاصة في نهاية كل اسم) معروفة في سائر أنحاء مستعمرة الرأس • وقد استطاع ستيفانوس أن يقلد كل هذا تقليدا محكما وأن يمرر عملته المزيفة طوال الوقت • وأخيرا ــ على أية حال ــ تم كشف التزييف ، وهددت حياة ستيفانوس وأدين ووضع في غيابات السجن حتى يحين ميعاد اعدامه ، وعلى أية حال فان نزعته للأعمال غير العادية ازدهرت في سجنه هذا ، فاستطاع بابرة صدئة وجدها في جدار سجنه ، وباستخدام منضدة صغيرة أن يحفر بالتدريج ثقبا مربعا في خشب الساج القاسي البالغ عرضه ثلاث بوصات ، ومن خلال هذا الثقب تمكن من الهرب ، ولكي يروغ من شك سجانه ولا يلفت انتباهه ، فمن المفترض أنه كان يبتلع كل صباح نشارة الخشب التي ظل طوال الليل يستخرجها بابرته ، كما كان يملأ الفراغ الذي أحدثه بفتات الخبز •

الأفاق يبشر بالانجيل :

ولما تجاوز حدود المستعمرة دون أن يكتشف أمره ، بل دون أن يشك به أحد أو يتحرش به وصل الى مؤسسة (منشأة) كيشيرير kicherer على نهر ساك Sack river وابتدع عدة قصص ذات طابع ديني وقابلة للتصديق عن هاتف لا يقاوم يأتيه ويدعوه للهداية والرحمة فقرر أن يبشر الوثنيين بالانجيل ، واستقبله ارساليو مؤسسة كيشيرير

الآنف ذكرها بأذرع مفتوحة ، لكن كيشيرير ـ على أية حال ـ سرعان ما اكتشف من خلال معاينة سلوك ستيفانوس أنه قد وضع ثقته في غير محلها ، وأنه كان كريما مع من لا يستحق الاكرام • ويبدو أن هذا اليوناني قد صمم تصميما مرعبا على قتل مضيفه (المبشر) والاستيلاء على ممتلكاته القليلة ، فتسلل ذات ليلة الى غرفته ، وبينما كان يقترب من سريره ، اتضح ـ لحسن الحظ أن المبشر ـ كان مستيقظا لم ينم ويبدو أنه كان على قدر من الشك في ضيفه ، ومدركا سوء نواياه فانطلق نحوه فجأة في الظلام ووبخه لنكرانه الجميل، وتمثل المبشر مبادىء السماحة والعفو فى المسيحية فأرسله بعيدا عنه دون أن يلحق به أذى ، في الوقت الذى كانت كلمة واحدة منه (أى من هذا المبشر) كفيلة بأن تجعل أتباعه المخلصين يمزقون هذا اليونانى اربا اربا • وقام المبشر بتزويد هذا اليونانى باللحوم والتوباكو وأمده بما يساعده على القيام برحلة بعيدا عنه ، فأعطاه قداحة (صوان وقطعة صلب) لاشعال النار ، وقليلا من البارود ، ونسخة من الكتاب المقدس وأوصاه بأن يوليه ـ أى الكتاب المقدس ـ عناية جادة •

النبى المزيف :

ولكن النوايا الطيبة لهذا المبشر ذهبت سدى على يد هذا المتشرد اليونانى ، الذى لم يكن فساده وسوء طويته يقلان بحال من الأحوال عن براعته وقدرته على التزييف ، لقد قرأ الكتاب المقدس ، ويبدو أنه استغل ما حصله من معلومات لأغراض غير طيبة ، فعند وصوله واستقراره بين الكرا koras (المقصود الكرا الهوتنتوت) أعلن أنه نبى مرسل وأكد لهم أنه قطع آلاف الأميال سريعا ليكون

بشـــارة لســـعادتهم • وبنى معبدا عنـــد حافة دغـــل كثيف من أشجار الميموزا وأقام مذبحا وشجع هؤلاء الناس الأغبياء على تقديم اضحياتهم التى كانوا يختارونها من بين أفضـــل ما فى قطعانهم ويقوم هذا اليوناني باحراق جزء من الأضحية بمراسم مبجلة وقورة ، ويخصص ما بقي من الأضحية لنفسه (يجعلهـــا من نصيبه هو) ، وكان أحيانا ينتهز فرصـــــة العواصف الرعدية أو فيضان النهر فيغالى فى طلبـــاته من الأضاحي بل ويجدها فرصة مناسبة فيطلب احضار الفتيات الشابات العذراوات الى المعبد، وواصل هذا اليوناني سخريته بالدين (المسخرة الدينية) الى ما هـــو أبعـــد فخلف الغـــابة بمساقة قليلة كان يوجد جبل (تل) ذو ارتفاع غير قليل ، وكان هذا القس الجليل (★) وفقا لطقوس دينه المبتدع ــ يصعد هذا الجبل كل صباح بمفرده ، وعند قمة الجبل كان يبدو للناس أسفل الجبل مغلفا بغلالة من الدخان ، سواء كان ذلك بفعل اشعاله النار فى الحشائش الجـــافة أو باشـــعال بعض البارود ، لقد كان يصعد هذا الجبل ليتلقى الوحي من السماء كما كان يوهم هؤلاء الهـــوتنتوت الجهـــلاء ، لـــكن الحقيقة أنه كان يصعد الجبل كل صـــباح كى يلقى نظرة ماسحة على السهول الجنوبيـــة ليتـــأكد مما اذا كان ضباط العدالة (مسئولو العدالة) **officers of justice** يجدون فى اثره أم لا ، فاذا ما ظهرت عربات تجرها الدواب على البعـــد أدرك أن العدالة تجد فى طلبه فيولى هاربا •

وقد وصلت أخبار هذه الممارسات الدينية غير الصحيحة بالتفصيل للمبشرين بالكتاب المقدس فقرروا ضرورة القبض على هذا المجرم ــ اذا كان ذلك ممكنا وتسليمه للعدالة ، لكن

(★) السخرية واضحة من التعبير ــ (المترجم) •

هذا الأفاق الماكر علم بخطتهم فهجر معبده وقطعانه واتجه نحو الساحل الغربى للقارة وعند حدود المستعمرة (مستعمرة الكاب) تعرف عليه فلاح هولندى فسجنه (حبسه) وتظاهر هذا الأفاق أنه استسلم له وأنه يرغب فى تسليم نفسه للعدالة فى الكاب (مدينة الرأس) فسمح له الفلاح الهولندى بالنوم فى عربته ، ورد ستيفانوس الجميل للفلاح الهولندى بأن قطع رقبته بالسكين ذات ليلة وانسل هاربا الى الحوض الأدنى لنهر أورانج وهناك انضم الى افريكانر Africaaner صاحب العصابة الآنف ذكره ٠

المجرم الأفاق ينجح فى تأسيس دين جديد :

ان هناك احتمالات كبيرة قائمة فى أن يكون هذا البائس الفاجر قد تمكن من تأسيس دين جديد مخلط ، جانب منه يهودى وجانب منه يونانى (أورثوذكسى) على رأسه ستيفانوس نفسه ، دين يتسلمه الخلف عن السلف فى شعب جاهل كالهوتنتوت ٠ لكن هذا لم يثر حماس الارسالية ويحفز جهودهم لاحباط عمله هذا ٠ وما هو التفكير العلمى عن أصل هذا المجتمع الذى يمنع من أن نكتشف مستقبلا ظهور دين مخلط غريب المنشأ ؟ ان هناك خطر الضلال والضياع الذى يمكن أن تتوخى له كل الأمم الجاهلة اذا تخلت عن عاداتها وأفكارها التى ورثتها عن الأجداد وألقت بنفسها للدجالين والماكرين وذوى الأغراض ٠

وفى قرية (كرال) كوك ارتفعت الشكوى وتعالت اللعنات ضد هذين اللصين (أفريكانر وستيفانوس) وقد حفز هذا المندوبين المفوضين أن يقدموا لهذا المجتمع ما يستطيعون تقديمه من مساعدة بارسال حملة مسلحة ضد

هذين المعتدين الوغدين واحضارهما حيين أو ميتين • وقد صحب السيد سومرفيل Somerville والسيد دانيال Daniel هذه الحملة المسلحة لمسافة قصيرة هابطين النهر وعادا بعد ثلاثة أيام ، وبعد ذلك عادت قوة مسلحة من الهوتنتوت والباستارد Bastaards وقد غنمت عددا قليلا من الثيران والأبقار والخراف الا أنهما لم يقتلا اللصين أو يقبضا عليهما فقد فرا ومعهما العصابة الى داخل الغابات •

ومن بين أشياء أخرى أحضروها معهم ، جلبوا كرات نحاسية حمراء كانت من بين ذخائر العدو وتركها خلفه بحكم الضرورة •

وبدأ المندوبون المفوضون فى التجهيز لرحلة العودة للكاب بعد أن بقوا فى هذه البقعة زهاء شهر جمعوا خلالها عددا قليلا من الماشية دل عليها السكان مراعين الا يلحقوا ضررا بأسرهم بمزيد من المقايضة على الماشية ، ونظرا لأن موقع الحملة الآن كان فى هذه البقعة على النهر ، فان أقرب طريق للكاب هو ذلك الطريق الذى يمر عبر بلاد الناماكوا Namaqua فاصطحبوا معهم اثنين من البوسجمان Bosjemans ليسيروا فى هذا الاتجاه عبر سهول كارو Karroo ، وحتى يتأكدوا من امكانية مواصلة الرحلة عبر هذا الطريق بقطعانهم ذوات العدد ، فقد أرسلوا من يسبقهم لجمع المعلومات والعودة وبعد عدة أيام عاد هؤلاء الذين أرسلوا لاستكشاف الطريق ومعهم معلومات لا تدعو للاطمئنان فقد قالوا ان كل ما مروا به من ينابيع وأنهار كانت جافة تماما حتى أنهم هم أنفسهم كادوا يهلكون لقلة الماء •• ومن ثم فقد اتخذ قرار بالعودة من الطريق الذى

آتوا منه بعبور نهر الأورانج وأن يتلمسوا طريق العربات فى الطريق التى أتوا منها ، واستأذنوا من الهوتنتوت الكورا والباستارد والبوسجمان الذين كانوا قدموا المساعدة فى كل الظروف ، وقامت المجموعة بارضائهم وبعث السرور فيهم ، ثم اتخذت طريقها للعودة فى ١١ مارس صاعدة ازاء النهر عابرة اياه فى المواضع نفسها التى تم عبوره فيها فى رحلة القدوم ٠

★★★

رحلـــــة

وليم بورشـــل

WILLIAM BURCHELL

نهــر الفـــال

THE VAAL RIVER

وليم بورشل ـ الذى ولد فى انجلترا حوالى ١٧٨٢م · عمل كناظر مدرسة تابعــة لشركة الهند الشرقية البريطانية وعمل كعــالم نبات فى سانت هيلينا St. Helena فى الفترة من ١٨٠٥ الى ١٨١٠ وعلم بأمره الحاكم جانستر Janssens فاوكل اليه كشف المناطق الداخلية فى جنوب افريقيا · وقــد غادر مدينــة الكاب (الراس) فى يونيـــة ١٨١١ م واتجـــه عن طـريق الروجفيــلد Roggeveld الى كلاروونر Klaarwater (مدينة الجريكوا Griquatown) · ومن هنــاك اتخــذ الطـريق المبـــاشر الى جـــراف رينت Graaf-Reinet ليدبر لنفســه تعزيزا وعاد الى كلاروونر Klaarwater متخذا الطريق الواقع الى اقصى الشرق · ومن كلاروونر اكتشف ما وراء كورومان Kuruman لكن هذا الجزء من عمله لم يســجل · وقد جمع بورشل جلود ما يزيد على ثمانين نوعا من الحيوانات ، كما جمع ٢٦٥ نوعا من الطيور المختلفة وقدم ما يزيد على ٥٠٠ رسم للبشر والحيوانات والطيور والنباتات والمشــاهد · والفقرات التالية التى يصف فيها زيارته لنهر نوجاديب Nu-Gariep (وهو نهر الاورانج) ونهــر كى جاريب Ky Gariep (وهو نهر الفال) من الكتاب التــالى الذى سجل فيه رحلاته ووسمه بالعنوان التالى :

Travels in the Interior of Southern Africa. Vol. 1. London, Longmans, 1824.

رحلة قصيرة من كلاروتر
الى ملتقى النوجاريب (الأورانج) ومنه
الى الكى جاريب (الفال)

٢٤ أكتوبر :

بدأنا رحلتنا بعد بعض التأخير والانشغال فى تجميع كل أفراد الفريق المسافر ــ بعد منتصف النهار بقليل ، وكان اتجاهنا شرقيا ، وبلغ عدد عرباتنا التى تجرها الدواب عشرا ، منها عربتان لى وعربة للسيد جانز Jans وعربتان لآدم كوك Kok تحملان زوجته وأسرته وعربة لويلم بيرندز Williem Berends ، أما العربات الأربع الأخرى فلهوتونتوت من أماكن مختلفة كان من بينهم ماجرز Maagers قائد قطيعى الذى توفى فيما بعد • كانت النسوة والأطفال من مختلف الأعمار يشكلون ثلث عددنا ، وكانت خيولنا وخرافنا وماعزنا وكلابنا مختلطة معا مشكلة كتيبة مشاة مختلطة •

وقد أحضر بعض الصيادين زوجاتهم وأطفالهم أملا فى أن يحظوا بوليمة من لحم فرس النهر الدسم وكان هناك كثيرون كانوا يأملون فى الشىء نفسه (وليمة من لحم فرس النهر) تطوعوا لتقديم خدماتهم كسائقين ومرشدين ، أو قائدى قطيع من المواشى أو الدواب •

بل ان الكلاب التى كانت تسير فى اثرنا ، كانت بدورها متطوعة فلابد أنها أحدست أن هذه الرحلة القصيرة

سيتوفر فيها لحم كثير ، والا فكيف أحست هـذه الحيوانات البائسة النحيلة بالانتعاش والقوة وراحت تحـرك ذيولهـا حركات سريعة ، وراحت تقفز حولنا بمرح وبهجة منذ بداية رحلتنا القصيرة هذه •

ولم آخذ معى الا ثلاثة كلاب أحدها كان كلب صـيد نشط أحضرته من تلباج Tulbagh ، وأصـبح منـذ ذلك الوقت رفيقى الصـغير المخلص ، وكنت أدعه ليمرح دقائق قليلة اذا كان التعب قد بلغ مبلغا يحـول بين اسـتخدامه ، وكانت مواهب هذا الكلب الظريف قد جعلته أليفا ودودا مع رجالى آيضا فلم تكن قدم غريبة تقترب من عربتى ليلا الا ونبهنا بنباحه الغاضب ، لكن شاء القدر أن أحرم سريعا من هذا النباح وكانت هذه الرحلة التى استمتع فيها استمتاعا كثيرا هى رحلته الأخيرة •

أما الكلبان الآخران ، فكانا كبيرين فى حجمهما وقد أهداهما لى السيد كرامر Kramer رفيق السفر ، وكان أحدهما من سلالة كلاب الأيائل (الكلاب التى تستخدم فى صيد الأيائل Stag-hound) أما الكلب الآخر فكان كلبا ضخما ذا أذنين كبيرتين بيضاوين متدليتين ، وكان ببـدنه بقعتان بنيتان أو ثلاث ، وكان شعره كالأسلاك Wiry hair (لعله يقصد أنه حاد ويابس) ، وكان خطمه (★) (بفتح الخاء وتسكين الطاء) مغطى بالشـعر (وكأنما له لحيـة bearded muzzle) (★★) وخـلال رحلتنـا من الـكاب (الرأس) سـعد هـذا الكلب كثيرا بصحبتى وكان يتبعنى

(★) الخطم هو انف الحيوان وفكاه •

(★★) ما بين القوسين توضيح من المترجم •

أينما ذهبت ولم يعد يستجيب لنداء صاحبه الأول رغم أنه وحده الذى كان يقدم له كل الطعام • وفي كلارووتر Klaerwater أقام حيث أقيم واعتزل أصدقاءه القدامى تماما ، لذلك فقد أصبحت أنا صاحبه فى النهاية ، وغدا مقبولا منى كما غدوت مقبولا منه •

لقد كان هذا الكلب ـ بعد ذلك ـ أعظم رحالة من جنس الكلاب ـ تعرفت به • انه جدير بأن أسجل تاريخه ومآثره فى هذه الصفحات ، حتي يكون قدوة تحذو حذوها كل الكلاب المرافقة لأى رحلة علمية • وقد استطعت أن أجمع قليلا من المعلومات عن حياته الأولى فلم أعرف الا أنه ولد فى تولباج Tulbagh ولم يستطع جامع سيرته أن يعرف الاسم الذى حمله فى بواكير حياته وظلت حياته أثناء الصغر عادية حتى بلغ مرحلة النضج doghood فهجر الأسرة التى نشأ بين ظهرانيها لسبب غير معروف وألحق نفسه بخدمة السيد كرامر Kramer الذى أطلق عليه اسم وانترو Wantrouw نظراً لحاجته الواضحة للثقة فى سيده الأول •

ورغم أن القدر قد خطط له ـ فيما يبدو ـ للاقامة مع الارساليين المبشرين فى كلارووتر Klaarwater الا انه سرعان ما كره رتابة حياته معهم ، فتركهم وبدأ منذ تركهم مرحلة جديدة فى حياته فحصل بعض المعلومات عن الحيوانات (أصبح دارسا لعلم الحيوان) (★) أما معلوماته فى علم النبات فكانت قليلة جدا ، ولم يكن يعلم شيئا البتة فى علم الحشرات • لقد كان هذا الكلب تواقا لانتهاز أية فرصة لتطوير معلوماته فى علم الحيوان ، وقد قدم نفسه للحملة

(★) الحديث هنا عن الكلب ـ (المترجم) •

كعالم فى علم التشريح المقــارن آملا فى أن يكــون عارفا بالأجزاء الداخلية لكثير من الحيوانات النادرة والحيوانات التى سبق تقديم وصف دقيق لها ٠

وبمجرد أن بدأت أفهم لغته ــ كانت كل المناقشات التى كنت أجريها معه فى علم الحيوان تعتمد على الايماء والايحاء والحدس Sagacy ــ وجدت أنه أمر يؤسف له أنه لم ينشر أبدا ملاحظاته وهو أمر أراه حقا له ، فمن حقه أن تنسب هذه الملاحظات له وأن تنشر بأية لغة يمكن ترجمتها اليها ٠ وكان أجره (راتبه) كافيا لتكاليفه أثناء الرحلة ، الا أنه بالتأكيد كان (أى هــذا الأجــر) أقل من الخــدمات التى يؤديها ٠

وقد أعــد الــكلب وانترو مجمــوعة كبيرة من عظــام الحيوانات النادرة ، ونظفها (مما علق بها من لحوم) ، وهى مجموعة عظام ذات قيمة كبيرة بحيث أنها جديرة بأن توضع فى أى متحف ، وهى مفيــدة الى حــد كبير للعلم فى انجلترا ويمكن أن توضع فى أقبية المتحف البريطانى لتحظى ــ أى العظام ــ بالشرف نفســـه الذى حظيت به جلود هـــذه الحيوانات (١) خاصة أن هذه المجموعة من العظام لن تحتاج لأى حشو (اعداد) stuffing وبالتالى لن تكلف المتحف أموالا لصيانتها وتقديمها ليلقى الجمهور نظرة عليها ٠

ان مغامراته المتعددة ، وهروبه من مواقف صعبة بشق النفس وملاحظاته عن الرجال والأحوال يمكن أن يصوغها

---

(١) عند عودتى لانجلترا أحضرت معى مائة وعشرين من جلود الحيوانات كانت هى ثمرة اهتمامات بعلم الحيوان فى رحلاتى الافريقية ، فى ابريل ١٨١٧ م ٠

كاتب بلغة جيدة ليستغرق كتابا من قطع الربع له سماكة مناسبة ، ويوكل نشره لأحد بائعي الكتب في الطرف الغربي للمدينة (١) وفي الوقت نفسه يوصي بنشر ملخص له (لهذا الكتاب) دورية Quarterly review الربع سنوية • ولما كان الكلب وانترو ليس لديه أية فكرة عن الرسم والطباعة الحجرية (بالحفر على الحجر ـ الطباعة الليثوجرافية) الا أن ناشر كتابه يجب أن يستعين ببعض الفنانين لرسم الرسوم التوضيحية والاسكتشات على أن يكتب بوضوح انها من وضع الكلب وانترو • ان هذا الكتاب اذا تم تحريره بطريقة صحيحة وبسيطة وجرى الاعلان عنه فسيحقق رواجا •

وعلى أية حال فانه يبدو في الوقت الحاضر أن مثل هذا العمل لن يكون متاحا أمام المتعلمين لأن عددا كبيرا من كتب الرحلات قد صدر مؤخرا ولأن مؤلفي الكتب مشغولون ـ لذا فقد استأذنته (أي استأذن الكلب) أن أدخل ـ بين الحين والحين ـ قليلا من حكاياته ونوادره وبعض مغامراته الأساسية في كتب رحلاتي ، فحق اذن ذلك القول :

mea namo
Scripta legat, Vulgo recitare timentis, ob hanc rem, Quod Sunt, quos genus hoc minimé juvat ; utpote plures Culpari dignos.

كيف أصبح هذا الكلب متعرفا على لغة Haracè (؟) ليس من السهل تخيل ذلك ما دامت الفرصة لم تسنح له لحضور المحاضرات في الجامعات • لكنه بالفعل متعرف عليها :

Nunc itaque, et versus, et Caetere Ludicra, Pono.

---

(١) لا شك أن في هذه العبارة ايماءات غير مفهومة لذا كان من الضروري ايراد المقابل الانجليزي لها •
... and published by a bookseller at the West and of the Town.

وما كدنا نقطــع مالا يزيد عن اثنى عشر ميــلا حتى كسرت احدى عجلات عربة القائد ، فاضطررنا للتوقف وتم ارسال رجال فوق خيــولهم ليعــودوا الى قرية الهــوتنتوت (الكرآل) لاحضار قطعة حديد خاصة لوضعها بدلا من تلك التى كسرت ٠

وكانت معظم عربات الهوتنتوت فى حالة غــير جيدة : متقلقلة وقد كسرت بعض أجزائها حتى أننا كنا نتوقع لهــا أن تتعرض لحوادث فى الطريق ، فتم لف ســيور من الجلد حول أجزاء مختلفة منها ، تلك الأجزاء التى تشــكل المتانة الرئيسية للعربة والتى وضع عليها (أى على هذه الأجزاء) أصحابها أمتعتهم الثقيلة ٠ وعلى أية حال فقد كانت احدى العربات جديدة تماما ، وكذلك كانت العربة التى بادلناها ـ عند جبال أسبيستوس Asbestos ـ بعربتى اذ أن مالكها الأصلى قد جرب ـ فى الغالب ـ متانتها وقوتها وأخضعهــا للتجربة وقادها بطيش يدعو للدهشة فوق الصخور والحفر ومر بها فوق كل ما يمكن أن يصادف المرء فى الطريق ٠

كان كل ما حولنا هنا قاحلا أجدب لا ماء ولا شجر وهذا ما أخرنا ما يزيد على الساعات الثلاث فى هــذه البقعة مما سبب لنا الغيظ الشديد ، فلم يكن لدى من وسيلة أقضى بها هذه الساعات المملة ولا حتى التقاط بعض الزهور ، لــكن بمجرد أن حملنا المــاء فى العربات وأوقدنا النيران وصنعنا الشاى ، تلاشت حرارة النهار ، وكان شرب الشاى فى هــذا الوقت ضروريا وليس مجرد رفاهية ٠

وكان من المحال أن نقضى الليل فى هذه البقعة لانعدام الماء فيها ورغم أن المساء كان يزحف علينا زحفا حثيثا قبــل

أن تصلح العجلة المكسورة ، الا أننا واصلنا المسير مرة أخرى بعد اصلاح العجلة • كانت المنطقة صخرية تماما وان كنا نلمح أحيانا أدغالا من أشجار يبلغ ارتفاعها ثمانى أقدام تتخللها الحشائش • وكان السطح فى عدة مواضع شكلا من مسطحات طبيعة من أحجار داكنة تتخللها حفر قليلة (١) •

وبعد أن قطعنا ما يزيد على العشرين ميلا دون أن نجد ماء ، اهتدينا ــ على ضوء القمر ــ لنبع صغير فى موقع جميل تحيط به آشجار الكارو Karro الشوكية • وكان مسئولو قطعان الماشية والخراف قد سبقوا العربات فى الوصول اليه بساعتين ، وقام مسئولو القطعان هؤلاء بجمع الحطب المتوفر بكثرة ، وأشعلوا النيران فى أكثر من موضع ، فلما وصلنا وجدنا مكانا مريحا • وفى هذه المناطق يحس المرء وهو يستقبل هواء الليل بفرح اذا قارنه بحرارة النهارالشديدة •

٢٥ أكتوبر :

يحمل الموضع اسم نبع سبوجسلانج Spuigslang وتعنى نبع نفث الأفعى اذ يقال ان أنواعا من الأفاعى تخرج لعابا ساما فى هذا البئر اذا حدث أن دخل بعضه فى العين أصيبت بالعمى ما لم تغسل بسرعة وبماء وفير • ويقطن البشمن Bushmon بقرب هذا النبع ويرى المرء فى كل مكان الحفر التى أعدوها للايقاع بالطرائد • انهم يحدثون قدرا من الارباك فى المنطقة بحفرهم هذه التى توضح أنهم فى بعض المناسبات يصبحون نشطين جدا، ويتم عبور الحفرة بالمرور فوق جسر من الفروع والأغصان تم اعداده بحيث

---

(١) وصف هذه الصخور بين شرطتى كلمة اعتراضية بانها !Colorer iron (المترجم) •

لا تستطيع الظباء أو البقر الوحشى antelopes – ويسمونه كواكا Kwakas – أن تمر فوقه بسهولة ، والظباء أو البقر الوحشى هو طريدتهم المفضلة ·

ويمتد الخط على هذا النحو لميل أو ميلين ، وفى كل موضع ملائم يتم ترك فتحة (مساحة) يوجد مقابلها حفرة عميقة تم تغطيتها بعناية بالفروع والحشائش بحيث لا يمكن تمييزها والاستدلال عليها خاصة عندما تنمو الأعشاب حولها وفيها · ويبلغ عمق الحفرة عامة حوالى ست أقدام ويبلغ طولها مثل ذلك أما عرضها عند السطح فحوالى ثلاث أقدام لكن هذه الحفرة تضيق شيئا فشيئا حتى تصل للقاع بحيث لا تتسع الا لقدم (حافر) واحد ، أو بتعبير آخر ، تعد هذه الحفرة لتكون مناسبة لحجم الحيوان (البقر الوحشى أو الظبى) بحيث تسع جسمه ورأسه عند السقوط ، بينما تقيد الساقين بحيث لا يستخدمهما الحيوان فى انقاذ نفسه · وفى بعض الأحيان تثبت عصاة لها رأس مدبب من أعلى فى باطن الحفرة لايذاء الحيوان المسكين ، لكن هذا نادر الحدوث ، وربما كانوا لا يستخدمون هذه العصى المدببة كثيرا مخافة أن تصيبهم هم أنفسهم بأذى فقد يسقط أحدهم فى احدى هذه الحفر أثناء الجرى السريع فى المنطقة ، ويطلق الهوتنتوت الذين يتحدثون الهولندية على هذه الحفر اسما مخلطا من الهولندية ولغتهم اذ يسمونها كيزى جات Kysi-gat أو Thysi-gat والمقطع الأول هوتنتوى ·

وتجولت وحدى بين الأدغال وأخذت معى بندقيتين احتياطا اذ يبدو – بشكل عام – أن لا طرائد من نوع جديد هنا ، ومع هذا فقد صادفت نوعا جديدا من طيور الصرد

(بضم الصاد وفتح الراء) (★) وهــو طائر جميــل لدرجة كبيرة ، جسده من أسفل قرمزى فاتح ، وبقية جسده أسود جميــل ، وثمة خط أبيض أســفل كل جنــاح من جناحيــه وبالاضافة الى بعض الريش الأبيض القليل على ظهره ٠

ورأيت هنا لأول مرة مجموعة شــجيرات مورقة تشــبه شجر البقس (بفتح الباء وتسكين القاف) (★★) ويسميه الهوتنتوت جارى Guarri وتثمر ثمرا يؤكل ٠٠٠

وخــرج فيليب وقد اعتراه القلق ليبحث عنى اذ رأى أن خروجى بمفردى يعد من قلة التدبر خاصة فى منطقــة يتردد عليها البشمن دائما ، ولما لم يكتشف وجودى اعتقــد أن خطرا حاق بى ، وأكد لديه ذلك أنه لم ير البشمن اذ عد عدم ظهورهم دليلا على أنهم ارتكبوا عملا عدوانيا ضدى ٠٠

وقد زارتنا مجمــوعة صغيرة من الــكرا Koras وكانت زيارتهم ودودة وقدمنا لهم قليــلا من الغــلايين ٠ ولم نكن نتوقع من هذه القبيلة (Koras) شرا ، كما أن حضورهم لم يكن ليثير فينا أى خوف ٠

وقد أحضرت احدى النساء فى مجموعتنا كميــة كبيرة من نبات جميل ينمو هنا بوفرة ، بعد أن علمت شغفى بجمع

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعيــة : جنس طير من الفصــيلة الصردية ورتبة الجواثم المشرومة المناقير ، وهى قريبة من العقعق تأكل صغار الطير ، وتعد من الطيور المضرة — (المترجم) ٠

(★★) ويسميها معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية أيضا شمشماء والمقابل الاوربى لها box tree أو Buxus ٠ ومنهــا عدة انواع مثل Murraya و Myrsine و Tristanya والبقس الدائم الخضرة وهو المقصود هنا غالبا اسمه العلمى Buxus Sempervirens ٠ — (المترجم) ٠

الزهور • لقد كان هذا النبات جديدا تماما ، وقد دفعها لجمعه لونه البرتقالي الجميل ، فالهوتنتوت مثلهم في ذلك مثل الأوربيين — لا يرون في النبات جمالا الا اذا كانت زهوره زاهية ذوات ألوان جميلة •

وبعد أن واصلنا رحلتنا ، أصبح الطريق صخريا صعبا حتى أننا لم نستطع التحكم في رجرجة العربات ، لقد كانت الرجرجة عنيفة فلم نتحملها ، واضطررت الى السير على قدمي طوال الطريق تقريبا مع أن درجة الحرارة كانت حتى في الظل لا تقل عن ٨٨° وأن المسافة التي استغرقتها الرحلة هذا النهار كانت سبعة عشر ميلا • وفي مثل هذه الظروف فان منظر النهر الذي رأيناه على البعد من فوق هذه الحيود الصخرية لا يمكن الا أن يكون باعثا على البهجة وداعيا الى الحبور •

واتخذت بعض عرباتنا طريقا مليئا بالصخور يصعب اجتيازه ، مما تسبب في تعطيلنا زهاء نصف الساعة ، فاهتبلت الفرصة لجمع بعض النباتات الجديدة • لقد وجدت هنا للمرة الأولى بعض الأكاسيا Acacia (★) من نوع A. heteracantha ويمكن تمييزها بحجمها ونموها مما جعل من السهل التعرف عليها • لقد كان يبلغ ارتفاع الشجرة من هذا النوع عشرين قدما • وقطر ساقها ثماني عشرة

(★) عن معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية • سنط أو اقاقيا ، وكلمة الاقاقيا من أصل يوناني ، وكلمة السنط موجودة في المصرية القديمة والقبطية والعبرية • وهناك اكثر من ٤٠٠ نوع من السنط تنبت في المناطق الحارة ، ويطلق أيضا اسم Acacia على نوع من الشجر اسمه الصحيح Robinia ، وقد عدد المعجم انواعا عديدة من الاكاسيا ، فلتراجع — (المترجم) •

بوصة وتشكل فروعها مظلة تشبه الرأس ، ومجموعة أشجار الأكاسيا هذه تشكل معا منظرا جميلا رائعا جلية ملامحه ٠

وكلاروِوتر Klaarweter وهى المنطقة التى كنـا نسافر خلالها هذا اليوم واليوم السابق ـ تقع فى مسـتوى أعلى من المنطقة التى يجرى فيها النهر ويفصلها عنه جروف صخرية (منحدرات) تمتد ناحية الشمال الشرقى ، وبعد أن هبطنا هذه الجروف واصلنا سيرنا لميـل وميلين فوق أرض أكثر استواء وفى طريق أيسر قطعا ، وقبل أن يحل الظـلام مباشرة وصلنا الى شاطىء نهر جاريب Gariep أو النهـر العظيـــم Great River وهنا سحبنا كل العربات تحت أشـجار الأكاسيا غـير بعيـد عن ملتقى نهـر نـو جاريب Na-Gariep أو النهر الأسود Black River خط العرض فى هذه البقعة ٦٦و٤ل٢٩° جنوبا ٠

٢٦ أكتـــوبر :

ولأننى كنت راغبا فى أن أتوقف فى هذا المكان ليـوم أو يومين ، فقد كرست وقتى هذا الصباح لاختيار موضـع جميل أضع فيه عربتى وآوى اليه لأخلو لنفسى ـ واذا أمكن من دون ازعاج ٠ وعلى بعد مائتى ياردة وجدت مكانا منعزلا منعش الهواء ظليلا مبهجا بين بعض أشجار الأكاسيا الضخام من نوع روينيا Royena (★) على حافة دغل من الأشجار من النوع نفسه (الأكاســيا) ، فجعلت اثنى عشر رجـلا

(★) فى معجم الشهابى أن اشـجار الروبينيـا Robinia لا علاقـة لهـا بالاكاسيا ، وانما هى نوع مستقل وسميت بهذا الاسـم نسبة الى اسم عالم نبات معروف هو Robin ٠ ولا ندرى هل المقصود بكلمة Royena هنـا هى Robinia أم أنها من جنس الأكاسـيا ـ (المترجم) ٠

يسحبون عربتى أو بالأحرى منزلى ، فتمكنوا من ذلك ببعض المشقة لأن أفرع الأشجار كانت تعوقهم بعض الشيء ، وكانت عربتى فى موقعها الجديد فى الظل تماما اذ كانت أشعتها المحرقة قد جعلت درجة الحرارة ٩٤° مما جعلنا ممتنين كثيرا للأشجار التى قدمت لنا حمايتها العطوف من هذه الأشعة الحارقة ·

وعندما بدأت مسحا لما حولى ، كان أول ما استرعى انتباهى بغير قليل من الدهشة هو الارتفاع الهائل لمستوى مياه النهر ، ارتفاعا يفوق المنسوب المعتاد · وكانت عرباتنا تقف على قمة الشاطىء الشامخ فى موقع مشابه للموقع الذى وضعته عند وصولى للمرة الأولى الى نهر جاريب Gariep وحتى فى هذا المستوى لم يكن الماء ليبعد أكثر من ياردتين أسفل أقدامنا ، ولم نر أيا من أشجار الصفصاف ، لكن أفرعها العليا بدت لنا ، أما الأفرع الأخرى والسيقان فقد غمرها ماء النهر تماما · وحتى أشجار الأكاسيا التى تشكل الصف الثانى (بعد الصفصاف) فقد بدت كما لو كانت تسبح فى مجرى النهر ولم يبد منها الا ذؤاباتها (أفرعها العليا) فوق سطح الماء · وعلى الشاطىء المقابل بدت ذؤابات أشجار الصفصاف وكأنها شجيرات قصيرة تشكل دغلا ممتدا على طول الشاطىء ، أما على الشاطىء الذى نقف عنده فقد بدأت المياه تنساح لتغمر المناطق القريبة الأكثر انخفاضا من سواها · رغم أن أهل البلاد أكدوا لنا أنهم لا يتوقعون لها أن ترتفع عن مستواها الحالى ، ولم أستطع أن أمحو من عقلى تماما فكرة أن عرباتنا يمكن أن تصل اليها المياه فتجرفها حتى لو أن الكى جاريب Ky. Gariep ابتلع مجراه (زادت المياه فيه فخرج مجراه) لأن منسوب

النهر كان عاديا طوال خمسة أميال صاعدة لكن عندما وجهت بصرى الى الأدنى (فى الجـانب الآخـر) وجـدت مصب النوجاريب يتدفق فى النهر العظيم (الكى جاريب) ويقذف فيه بالمياه السريعة الثائرة المشبعة بالطين محـدثة موجات صاخبة فى الكى جاريب فارتفعت المياه فى مجراه ارتفاعا مخيفا غامرة الأشجار على شاطئيه ، مكونة موجات عنيفة صاخبة تدفع خلفها مياه النهر الذى نقف عند شاطئه محدثة دوامات هائلة فارتفعت المياه محذرة ايانا ـ عـلى النحو الذى وصفته ، وانثنت الأشـجار للأمام بفعل الأمواج الصاخبة وانغمرت فلم يبق ظاهـرا فوق الماء الا أطرافهـا العلوية ، مطأطئة رءوسها خاضعة لعنف التيار ، بينما اقتلع الموج الصاخب أشجارا أخرى من جذورها ومحاها من الوجود على الشاطيء الذى ظلت تظلله وترتوى منه لنصف قرن .

ويطلق اسم جاريب Gariep على هذا الجزء من النهر الواقع الى الأدنى من مكان التقاء النهرين ، أما الفرع الذى يبدأ عنـد الموضـع الذى نعسكر فيه الآن فيسميه أهل البلاد أو كى ـ جاريب Ky-Gariep تاى ـ جاريب Thy-Gariep وأما هوتنتوت كلارووتر Klaarwater فيسـمونه نهـر فال Vaal River ، ويمـكن للانجليز أن يطلقـوا عليـه فى هـذا الموضـع النهر الأصـفر Yellow River ، بينما النو ـ جاريب Nu-Gariep يسـمى زوارت Zwart River وأيضا النهر الأسود Bleck River أما المجرى الذى ننوى زيارته بعـد ذلك فهو جماب Gmaap أو ماب Maap ويمكن ترجمة اسمه بنهر الطين Modder river أو Muddy river ونظرا لملاءمة هذه الأسماء الثلاثة فاننا نجدها قد استرعت

ملاحظة السكان الوطنيين لأجيال عديدة ، وأنا أعتقد أنها أسماء صحيحة ويمكن الأخذ بها ، رغم أن خواصها المتميزة لم تبد لى واضحة جلية فى الفصل الذى رأيتها ـ أى هـذه الأنهار ـ فيه ٠

وقد زارنا ستة أشخاص من البشـمن فباعوا لنا بعض عسل النحل مقابل أعواد التوباكو وأوراق الحشيش hemp أو الداكا dakka ، والتوباكو يعد هو العملة الحقيقية بين البشمن ، ووسيط تجارى أساسى فى عملية المقايضة وقيمته لا تتدهور هنا (ثمنه لا يبخس عند البشمن) ٠ والبشـمن هنا أطول وأكثر امتلاء من البشمن فى جبال جارى Karree Mounatain ويبـدون أكثر توحشـا اذا أخـذنا فى الاعتبار ما قصه الهوتنتوت عـلى السـيد جانز Jansz وهم يبتسمون ٠ ولا أستطيع أن أكرر هذه الحكايات المرعبة عن البشمن دون أن يعتريني الشك فى أنها قد تكون مبالغات اختلقها المتوهمون الهوتنتوت من كلارووتر Klaarwater الذين يبدون فى كل مناسبة حريصين على أن يأخذ الرجـل الأبيض انطباعا طيبا عن هؤلاء المتوحشين البشمن ٠

وقد دخل هؤلاء البشمن مؤخرا فى حرب مع تجمع بشرى مناوىء (كرال Kraal) وهزموهم هزيمة ساحقة ومما يؤسف له أن زعيمهم وقع أسيرا وكان أول ما فعلوه مع هذا الزعيم هو أنهم ربطوه الى فرع شجرة وراحـوا يمارسـون الانتقام منه انتقاما قاسيا شريرا ببطء رهيب ، وليتأكدوا أنه سيموت حتى لو هرب فقد طعنوه فى صـدره بسهم من سهامهم المسممة ٠ وبعد ذلك استمروا يمارسون مع ضحيتهم البائسة أفعالا وحشية قاسية يصعب على المرء أن يرويها ٠ لقد مات البائس موتا بطيئا بسبب التعذيب والألم ٠

٢٧ أكتـــوبر :

أقبــل نحــوى ماجرز Maagers قبيل الظهر فى حال يرثى لها ليطلب منى وصفة طبية لابنه المريض الذى يبلغ عمــره عامين تقريبا ، فقد تعرض للدغة حشرة أو أحد الزواحف السامة ، ربما عنكبوت سام ، أو عقرب أو حية ، وذلك بينما كان يلعب فوق كوم من القصب والغاب الجاف ، فأسرعت الى حيث يوجد الطفل فوجدته فى طريقه للموت ، فقد انتفخ جسده بسرعة وتيبست أطرافه وظهرت أعراض التشنج على وجهه ويوجد أسفل السرة ثقبان سطحيان (غير عميقين) بينهما مسافة بوصة مما جعلنى لا أشك اطلاقا فى أن الثقبين هما نتيجة عضة نابى حية ، ولا شيء آخر الا أننى لم أكن قادرا على تحديد نوع هذه الحية • لقد بدا أن السم قد سرى فى البدن وتجلت الأعراض (أعراض التسمم بسم الحية) كأوضح ما تكون ، ومع أن الحالة بدت ميئوسا منها الا أننى لم أستبعد امكانية العلاج خاصة اذا لم يكن قد مضى عـــلى العضة وقت طويل •

فأسرعت بوضع عشر قطرات من محلول الأمونيات مــع أونصتين من الماء فى حلق الطفل ، وشرطت بسكين الجيب المناطق المحيطة بالثقبين (لدغة الحية) ، وأدى ذلك على أية حال الى خروج قليل من الدم وغسلت موضع الجرح وحــوله بمحلول مركز من الأمونيا مركز بمقدار أربع مرات زيادة عن المحلول الذى وضعته فى حلقه ، وبعد ذلك بعشر دقائق تقيأ الطفــل قليــلا ، لــكن كان هــذا القيء بسبب الســم أم بسبب الدواء ؟ لا أدرى ، وبعد ربع ساعة رأيت بغــير قليل من الدهشة والسرور أن أثر السم بدأ يزول بوضوح فاتخذ الدم دورة أكثر وضوحا ، كان هناك أمل حقيقى فى

انقاذ حياة الطفل ، وقبل أن يحل صباح اليوم التالى كان الطفل قد شفي ورأيته فى صباح هذا اليوم يلعب كالمعتاد وعلمت بعد ذلك أن هذه اللدغة لم تترك أثرا غير حميد فى حياة الطفل ٠

وأطلقنا النار على طائر كبير من نوع الحبارى bustard Kind يسمى الطاووس البرى Wilde paauw (Wild peacock) وهذا الاسم يطلق هنا على نحـو خاطىء فالطائر المقصـود يختلف عن الطاووس ، حقيقة أن هنـاك ثلاثة طيور وربما أربعـة فى منـاطق مختلفة يطلق عليهـا الاسم نفسه ، أما الطائر الذى نحن بصدده والذى يسمى باسم كورى Kori بلغة السيشوانا Sichuane فيبلغ طول جنـاحه مالا يقل عن سبع أقدام ، أما من ناحية الحجم والوزن فهو أكبر وأثقـل من أن يستطيع بعض الناس حمله ، والجزء الأدنى من جسمه أبيض أما الجزء الأعلى فمخطط بخطوط سوداء جميلة عـلى أرضية من لون كسـتنائى فاتح ، أما الذيل والريش فيغلب عليهما السواد أما الأكتاف فريشها أبيض وأسـود ، وريش القذال (بفتح القاف والذال وهـو مؤخـر الرأس) فيمتد على شكل عرف ، أما شعر الرقبة فممتـد أيضـا وناعم وبه زغب أبيض على خطـوط سـود ٠ وحدقتا العينين irides ذواتا لون جميل شفاف صاف متغير فضى حديدى (بلون صدأ الحديد) ٠ وحول جسمه ريش كثيف يحميه حتى أن طلقتنا ذات الحجم الكبير لم تحدث بجسمه أثرا وتعلمنا بالتجـربة ألا نطلق عليه طلقة صغيرة وانما رصاصة bullet ، ويعتبر هذا الطائر خير ما يمكن اصطياده من طيور فى هذه الأنحاء لا بسبب حجمه الكبير فحسب وانما لوفرة الدهن به ، ولحمه مستساغ كلحم الديك التركى ٠٠

وسرت خلال الدغل حتى وصلت الى الجزء الأدنى من مجرى النهر فتسلقت احدى أطول الأشجار وألقيت نظرة - لا يعوقها عائق رؤية - على المرحلة الأولى للنهر الأسود • وعلى أية حال فقد واجهت صعوبة فى أن أحرر نفسى من نوع من الياسمين البرى كان منتشرا هنا وهناك ويصل الى ذرى الأشجار ويغلفها بزهوره ، وأوراقه ، وهو يشبه كثيرا ذلك النوع الانجليزى المعروف بفرحة المسافر Traveller's Joy وهو يدل فى أوربا على أن التربة التى نما فيها جيرية ، ويلاحظ أنه بالنسبة للنبات الأفريقى المشار اليه يشبه النبات الأوربى سواء فى منظره أو دلالاته ، فهو أيضا ينمو فى تربة كلسية (جيرية) •

والمناخ على ضفتى الجاريب Garlep وفروعه أكثر حرارة - بشكل ملحوظ - فى كل الفصول من المناطق المحيطة • فالحرارة فى هذا الموقع الذى نحن فيه كانت تزداد يوميا منذ وصلنا ففى يوم ٢٦ كانت ٩٤° وفى اليوم التالى ١٠١° (30°6 R — 38.°3 C)

٢٨ أكتوبر :

لما أكملت ملاحظاتى وقمت برسم عدة لوحات للمناظر ، كنت قلقا من مغادرة المحطة (الموقع) مخافة أن يحيط بى الماء من كل جانب اذا ارتفع الماء لياردة واحدة فقط ، وقد حرمنى هذا الخوف من الشعور بالراحة والاطمئنان فقررت أن أواصل الى ماب Maap ، وفى حوالى منتصف النهار كانت كل جماعتنا تواصل رحلتها مرة أخرى • وسارت عرباتنا الواحدة فى اثر الأخرى فوق تلال رملية صغيرة وبين آجام الأشجار لنصل خلف العلامات التى خلفها الفيضان

السابق وتوقفنا لدقائق قليلة لنتيح الفرصة لبقية جمعنا كى يتجمع فى موضع واحد ثم واصلنا المسير قريبين من النهـر بقدر ما تسمح الوديان الصغيرة والأراضى غير المستوية ٠

وجلست النسوة كبيرات السن فى العربات ، أما الشابات فركبن الثيران وكانت مجموعة من هؤلاء الشابات الهوتنتوت تجهدن الثيران فى الجرى الى الخلف منـا ، مشـكلين بذلك منظرا طريفا وشائقا ، وكأنه منظر فى رواية ٠ لقد كانت الواحدة منهن تركب فوق الثور وقد باعدت ما بين فخذيهـا وراحت تقود الحيوان الضخم بيسر كامل و [illegible] ن خـوف ٠ وكان رأس الواحدة منهن ملفـوفا تماما [illegible] يل (غطاء رأس) من القطن أو الجلد ، وتلبس فى رجليها حذاء من جلد الحيوانات البرية الا أن بقية جسمها غير مغطى تماما فيما عدا حزمة صغيرة من الجلد المشـحم تسـحبها تحتهـا حتى لا تؤذيها عظام ظهر الثور (تجعل الركوب على الثور أيسر ـ تقوم بدور سرج الحصان أو بردعة الحمار) (★) ٠

ويتكون المئزر apron من قطعتين واحدة من الأمام والأخرى من الخلف hind kaross & fore karos وتربطان معا فوق مفصل الورك (الفخذ) مباشرة ، وهذا المئزر هـــو لباسهن الدائم ، ولا شيء غيره ، فالطاووس الكبير أو المعطف لا يلبس أو لا يوضـع عليهن الا تجنبـا للبرد ، والكاروس الخلفى (الذى يغطى العجز) أصغر كثيرا ونادرا ما يصل الى ما تحت الركبة ، ويتكون ـ ببساطة ـ من قطعتين أو ثلاث قطعت على هيئة شرائط أو خيوط ، وتحولت هذه السـيور أو الخيوط من كثرة الاستعمال الى ما يشبه الحزم (تشابكت

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم ٠

كل مجموعة معا) ، ولا يمكن أن يكون هناك لباس آخـــر يعطى الحـــرية فى الحـــركة والمشى أكثر من هـــذا • وهـــذه الشرائط أو السيور الجلدية غالبـــا ما تزين ــ عـــلى نحـــو مسرف ــ بالخرز المختلفة ألوانه ، وأحيانا تعلق الواحـــدة منهن حول خصرها قشور بعض النعام • والكاروس الخلفى من راقة (طبقة) واحـــدة ، وأحيـــانا يكـــون من طبقتين (راقتين) احداهما أطول من الأخرى وأعرض ، وأحيـــانا يكون غير مقسم أى غير مقطع الى شرائح أو سيور ، هـــذا الطاروس غير المقسم قد يصل الى الأرض الا أنه عادة يصل الى ربلة الســـاق (بفتح الراء وتســـكين الباء وتعنى بطـــة الساق) ، وفى هذا النوع لا توضع زينـــة من خرز وغـــيره لأنه يعد بمثابة وسادة أو حصيرة تجلس عليها لابســـته اذا كانت الأرض مبللة بالماء •

ولتحمى المرأة جسمها من أثر الشمس والمناخ ، فانهـــا تدهنه بعناية بدهون الحيوانات وتضيف اليها ــ بشكل عام ــ مسحوق بعض الأعشاب الطيبة رائحتهـــا ، ويســـمين هـــذا المسحوق بوكو Buku (Bookoo) • ويعمل هذا البوكو من أوراق بعض النباتات العطرية التى تجففنها وتســـحقنها بدقها بالحجر • والنباتات التى يشـــيع اســـتخدامها لهـــذا الغـــرض بين الهوتنتوت فى مســـتعمرة الرأس من فصـــيلة الديـــوزما Diosma (★) ومنها عدة أنواع تعتبر كلها

(★) Diosma أو butcku plant زهرة العطرة ، وتترجم أيضا دسيمـــة ، من اليونانية بمعنى عطر اشارة الى رائحة ورقها ، وهى من الفصيلة الذابيـــة والقبيلة العطرة وهى على أنواع : عطرة معرو Diosma Vulgars أو Common Diosma وعطرات Diosmacae وتشـــمل بدورها أنواعـــا منهـــا الدريدار (بتشـــديد الدال وضمها وفتح الراء) •

عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ــ (المترجم) •

جيدة لهذا الغرض · لكن فى المناطق الواقعة فيما وراء مواضع انتشار هذا النوع ، تستخدم نباتات أخرى منها الكروتون Croton وحب الملوك(★) وهو من الأنواع التى لم يصفها علماء النبات ، وتبدو هذه النبتة الأخيرة لى أطيب ·

وبعض النسوة تلبس الواحدة منهن حول كاحلى قدميها عددا كبيرا من الحلقات (الأساور) الجلدية أو الحبال المجدولة ، وتغطى هذه الحلقات من مشط القدم الى أعلى الربلة (بطة الساق) ، وتلبس نسوة كثيرات حلقات من أوتار نحاسية أو حتى من حبال فوق الركبة أو أسفلها كما يلبسن أساور من خرز فى أذرعهن فوق المرفق ·

والهوتنتويات شغوفات أيضا بالخواتم ((حلقات توضع فى الأصابع) كما يضعن حلقانا نحاسية تتدلى فى آذانهن ·

هذا هو اللباس المعتاد للهوتنتويات اللائى لم يفكرن بعد فى تقليد لباس الأوربيات · وما وصفته من لباس الهوتنتويات ينطبق على كل نساء شعوب جنوب أفريقيا التى رأيتها ، وحزام قشور بيض النعام تحتاج لمقدرة صناعية (حرفية) خلاقة (تحتاج الى قدر كبير من الابداع) فهى تتكون من قطع صغيرة من بيض النعام ، كل قطعة قد قطعت لتأخذ شكل دائرة ، وتكون كل الدوائر متساوية فى أقطارها ، ويتم ثقب كل واحدة منها من وسطها ويتم تشبيكها معا بأعداد كبيرة بحيث يكفى الحزام المصنوع منها ليلتف حول الخصر مرات عدة · ويبدو الحزام كأنه من عاج ،

(★) لم يرد فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية وأسماه صاحب المورد : حب الملوك ـ (المترجم) ·

ويبلغ سمكه نصف بوصة ، ويحتاج صنع مثل هذا الحزام الى عدد كبير من بيض النعام لذا فثمنه غال وهم يحصلون عليه من أمم (قبائل) الشمال (القبائل أو الأمم الواقعة الى الشمال منهم) ٠

أما بالنسبة لملابس الرجال الهوتنتوت الأصلية (الذين لم يتأثروا فى ملبسهم بالأوربيين) فهى لا تزال أكثر بساطة ومن المحال وجود ما هو أقل حجما وأكثر بساطة منها، فالرجل الهوتنتوى يلف حول وسطه حزاما من جلد ، وتتدلى من هذا الحزام من الأمام قطعة جلد يسميها جاكال Jakal نسبه الى حيوان ابن آوى الذى سلخت منه هذه القطعة من الجلد ، وقد جعل جانب الجلد الذى فيه الفراء الى الخارج ، ويتخذ شكل محدب مستطيل ٠٠ ومن الخلف تتدلى من الحزام قطعة جلد قلما تصل الى اثنتى عشرة بوصة بما فى ذلك السيور التى تصلها بالحزام ٠

وبين الأشجار والشجيرات التى تكسو شاطىء النهر ، وجدت نوعا من الأسباراجوس Asparagus أو نبات الهليون (★) منتشرا فى كل مكان وهو متسلق وملتف حتى أننى وجدت صعوبة فى شق طريقى خلاله ٠ وعلى هذا النبات حشرتين كبيرتين من جنس النافطات(★★) Mylabris

---

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية : جنس نبات من الفصيلة الزنبقية والقبيلة الهليونية فيه نوع زراعى مشهور وأنواع للتزيين وانواع برية ، ومن أنواعه الهليون البرى جاء الورق Asparagus Acutifolius وهليون معروف وهو النوع الزراعى الذى يؤكل Asparagus)officinalis (Common وهليون ريشى Asparagus plumosus Asparagus وهو للتزيين وهليون اسبرنجر Asparagus Sprengeri ومنتشر فى بيوت القاهرة ودمشق ويسمونه هواء لدقة أوراقه ٠٠٠ الخ ـ (المترجم) ٠

(★★) عن معجم الشهابى : جنس حيوانات من مغمدات الاجنحة وفصيلة النافطات Vesicants ... ٠٠٠ ـ (المترجم) ٠

وقد أطلقت على احداها اسم نافطة الهليون **Mylabrii asparagi** لأننى لم أجدها الا على نبات الهليون هذا أما الحشرة الأخرى فمن الصعب التفـرقة بينها وبين نافطة البيغـا سـكيانا **bifasciate** فى ضـخامة حجمها واستواء طوقهـا الأصـفر العريض **its broad yellow bands** .

ورأيت هنا للمرة الأولى شجرة ضخمة وقد نمت نمـوا هائلا، وأوراقها نحيلة يسميها هوتنتوت كلارووتر روديبلات Roodeblat وتعنى الورقة الحمراء ، وذلك نسـبة الى اللون القرمزى الجميل الذى تظهر به أوراقها فى فصـل الخريف أو فصل الذبول fading • وهى تشبه شـجرة اللوز الهنـدية وهى شجرة مشهورة ومن النوع نفسه (Terminalia Cattapat) ويبلغ طول الشجرة أربعين قدما ولها عـدة جـذوع معقوفة (منحنية) خارجة من الجذع الأم ، ويبلغ قطر الجذع الواحد من هذه الجذوع الفرعية قدما أو قدمين ، يغطيها لحاء شاحب أو أخضر غير داكن ، ولم أر هذه الشجرة الا عـلى ضـفاف الكى ــ جاريب • •

٢٩ أكتـوبر :

بمجرد أن رأينا الثيران قد استعادت قوتها بفضل الرعى طوال فترة ما قبـل الظهيرة فى مراعى العشب البهيج الريان الممتدة عـلى شاطىء النهـر ، قررنا مواصلة الرحلة رغـم أن حرارة المناخ هذا النهار لم تكن تقل عن اليوم السابق • وقبل الساعة الثانية ظهرا كان الترمومتر قد ارتفع بالفعل الى ٩٨° (٣٦ر٦° مئوية Centig) • لقـد كان ٩٤° بعـد الساعة الواحدة بقليل وهو الوقت الذى بدأنا فيه مواصلة الرحلة • وما ان اندفعنا بنشاط فى سـهل مكشـوف حتى

ابتعدنا عن النهر وسرنا حوالى عشرة أميال فى منطقة مغطاة بالأعشاب الجافة والشجيرات ٠

وراحت الكلاب تجرى فى ظل العربات ـ تجنبا لحرارة الشمس المرعبة ، لكن كلبى الصغير البائس تعيس الحظ أخطأ التقدير ولم يتحسس موضع قدمه وأصدر صيحة ألم قبل أن يتهشم رأسه تحت احدى عجلات العربة وأحضره لى واحد من الهوتنتوت فوجدت ان الحياة قد فارقت بدنه ، ورغم أنه مجرد حيوان فاننى لم أستطع مقاومة الشعور بالصدمة ولا أخجل من الاعتراف أن هذا الحادث قد حرمنى الراحة والمتعة طوال بقية النهار ، ومثل هذا الحادث غير نادر الحدوث فى الجو الحار خلال رحلتنا من الكاب اذ فقدنا عددا من الكلاب فى أحداث مماثلة ٠

وبدلا من أن يقودنى المرشدون الى مجمع الأنهار المتصلة بنهر ماب Maap قادونا ـ تحقيقا لأغراضهم ـ الى جانب من النهر (نهر مواب) حيث ينمو سمار الحصر بوفرة met-rush متوقعين أن يحثونى على التوقف هنا لعدة أيام حتى يجمعوا قدرا كبيرا من السمار ، ولما وجدوا أننى لن أوافق على ذلك وأن الأمر قد استقر بالنسبة لى على مواصلة الرحلة تخلفوا خلف مجموعة النساء وركبوا حوالى اثنى عشر ثورا وأخذوا عربتين وبعض الرجال لحمايتهم ٠

وواصلنا طريقنا الى جوار النهر مسافة سبعة أميال حتى وصلنا فى مواجهة ماب Maap وبعد أن درسنا المنطقة أحضرنا عرباتنا الى الشاطىء المنحدر للنهر الأصفر (كى جاريب) تحت مجموعة أشجار ظليلة مبهجة بالقرب من الماء ، واستقر الرأى على أن نثبت مقر اقامتنا لبعض الوقت

وأن ننشيء مركز قيادتنا (مركزا ثابتا) خلال حملات الصيد ورحلاتنا الكشفية القصيرة ، وهما (الصيد والكشف) الهدفان الرئيسيان للاقامة هنا ٠

أحداث ومفاجآت على شاطيء نهر الكى جاريب

انصبت عنايتنا على تغطية الحفر التى حفرها البشمن، وجعلناها مشاهدة مرئية حتى تتجنب ثيراننا السقوط فيها لقد كانت هذه الحفر كثيرة وفى كل مكان على طول الأشجار الكثيفة التى تحف النهر ، وكانت هذه الحفر معمولة بالطول ومحفورة ــ بالضبط ــ على طول آثار أقدام أفراس النهر Hippopotami منذ خروجها من الماء حتى وصولها للأشجار لترعى غذاءها ٠ ولأن هذه الحفر قد حفرت لاصطياد هذا الحيوان الضخم ، فقد كانت أوسع من الحفر التى رأيناها عند نبع سبوجسلانج Spuigslang fountain كما أنها أعمق منها ٠ واتضح لنا من خلال العظام الكثيرة المتناثرة هنا وهناك أن البشمن قد اصطادوا بالفعل أفراس النهر منذ وقت غير بعيد وأكلوا لحومها ، وكانت بقايا بعض أكواخ البشمن ظاهرة للعيان وبعضها مازال قائما لاستخدامه فى مثل هذه المناسبات مما يظهر بهجتهم بوجبات اللحوم هذه ، فلما كانوا غير قادرين على نقل اللحوم الى بيوتهم ، فقد نقلوا بيوتهم الى حيث توجد اللحوم ٠

وهذه العظام التى يفوق حجمها كل ما سبق لى أن رأيتها، أصابتنى بالدهشة واسترعت اهتمامى لفترة طويلة فعندما يصل المرء ــ للمرة الأولى ــ الى منطقة تقطنها مخلوقات ضخمة هائلة ، ويلمس بالفعل بقاياها العملاقة ، فان عقله لا يمكنه الا أن يصاب بالدهشة والعجب رغم فكرة ضخامة أفراس

النهر الكامنة فيه (فى العقل) منذ أيام الشباب • وحتى بعد أن تراجعت هذه الكائنات الضخمة كما هو ملموس الا أنه لا يمكن أبدا محو هذا الانطباع الذى يفرض نفسه على الانسان فيما يتعلق بها ، اذ يبدو عظم الفخذ وكأنه جذع شجرة قد نزع لحاؤها للتو ، وقد يخطىء المرء فيظن الجمجمة صخرة كبيرة • ولم يترك البشمن شيئا الا العظم ونحتوا ما عليه من لحم تماما •

٣٠ أكتوبر :

النهر الأصفر أضيق كثيرا من الجاريب ، لكنه هنا ـ كما هو واضح ـ عميق جدا وينساب فى مجرى رائق هادىء بين شاطئين مرتفعين باعتدال تغطيهما الأشجار الكثيفة حيث يشكل الصفصاف الصف الأول تليه أشجار الأكاسيا ويختلط بهذين النوعين من الأشجار ، أشجار اللحاء الاسود black bark وأشجار الورق الأحمر Red-leaf وأشجار الكارى والأشجار الشوكية من نوع Buffalo-thorakarree وتتكاثف هذه الأشجار جميعا فيصعب اختراقها فى معظم المواضع بالاضافة الى نبات الاسباراجوس Asparagus (الهليون) الذى أشرنا اليه آنفا • وعلى حافة المياه ، بل وفى الماء أيضا ، ينمو البوص بوفرة بالاضافة الى نوع مرتفع من السعد (بتشديد السين وضمها)(★) لم يكن من الممكن أن

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية السعد جنس نبات من الفصيلة السعدية فيه أنواع برية وأخرى تزرع فى الأراضى الرطبة وهو على أنواع منها السمار او الديس ، والكلمة الأولى (سمار) شائعة فى مصر اما الثانية فشامية ويستعمل فى صناعة الحصر لذا يسمى (Syperus dopecutoides (mat sedyge ومن أنواعه أيضا البردى ويسمونه فى الشام ببير ، وهو نوع مائى يوجد منه فى مناقع بحيرة الحولة ، وهو النوع المشهور الذى كان المصريون يصنعون الورق من لحائه ، ومن أنواعه ايضا سمار حب العزيز نسبة الى عزيز مصر وهو نوع يتخلل جذوره درنات (عساقل) تؤكل ••• الخ ـ (المترجم) •

نختار موقعا أجمل وأكثر مدعاة للسرور من هذا الموقع الذى اخترناه ، ماء وظل وأشجار وخلفية موسيقية تعزفها الطيور المختلفة ونهر جذاب يجرى أمامنا وبدا الماء عند شاطئه الآخر رائعا صافيا وكأنه صفحة من زجاج ، وسماء صافية جعلت الماء يبدو أكثر صفاء ، وانعاشا · وقد كونت آجام أشجار الأكاسيا مع مالا يحصى من سيقان الأشجار والنباتات مجازات ضيقة تحد الرؤية أحيانا وتمكن المرء من رؤية المشاهد من خلالها أحيانا أخرى كما شكلت متاهات (شبكات من الطرق المربكة) يحلو للمرء أن يجوس خلالها محتميا من أشعة شمس منتصف النهار فى ظلها الظليل الوارف · وعلى طول الشاطىء المعشوشب فان الممر المفتوح (المكشوف) الذى يستخدمه أهل البلاد وأفراس النهر يهيىء للمرء مسيرا مبهجا بجوار ماء النهر التى أحيانا ما تتغلغل بين أعواد البوص الأخضر الكثيف أو تصعد بعض الأكوام والمواضع المرتفعة شيئا ما عن مستوى المسطح المعتاد · وهنا وهناك يرى المرء مواضع مكشوفة تفضى الى الماء (تمكن المرء من الهبوط حتى مستوى الماء) وتغرى السابحين بالنزول لمجرى النهر ليسبحوا بالقرب من الشاطىء أو يعبروا الشاطىء الآخر بسهولة ودون خوف فلم يسمع عن حادثة غرق · لقد ظهر الآن لون بشرة أهل البلاد على حقيقته ، لقد ظهر اللون البنى غير الداكن وجعلته النظافة لونا مقبولا not unpleasing فتركناهم يلعبون بمرح ويبردون أجسامهم بالماء لا يعكر صفوهم قلق ·

وبعد أن استحممنا فى النهر تجولنا فى الغابات فقابلنا مجموعات صغيرة من الهوتنتوت نساء وبناتا ، كن جالسات فى الظل يشغلن أنفسهن بفتل الحبال من لحاء أشجار

الأكاسيا بينما الأخريات يقطعن الأفرع أو ينزعن اللحاء من السوق ، وبعضهن كن يقمن بالعمليتين معا فبدلا من تقسيم الألياف بطرقها بحجر كبير كن يمضغنها ، اذ يبدو أن العصير الناتج كان ذا طابع مقبول ٠

وعن الطريقة التى تصنع بها هذه الحبال ، فان النسوة يخرجن معا (على شكل حملة) ، فصناعة الحبال هى من عمل النساء ٠ تجلس النسوة على الأرض وتقبض على كمية من اللحاء المجهز فى يد وتضفر شريطين من اللحاء معا بعملية بسيطة بادارة الشريطين أسفل فخذها براحة كفها ثم تضمهما (الشريطين) معا وتضفرهما فيصبح الشريطان من اللحاء حبلا قويا ٠ وقد صنعت النسوة كمية كبيرة من الحبال أثناء وقوفى فى هذا المكان وحملنها الى ديارهم فى كلاروو تز حيث تستخدم فى صناعة الحصر ٠٠٠ ولا تستطيع المرأة أن تقوم بعملية ضغط النحاء وبرمه الا اذا كان فخذها عاريا وأحيانا تضغط عليه وتبرمه على أسفل ربلة ساقها (بطة ساقها) ، وبتوالى الضغط والبرم على هذه الأجزاء من الجسم يصبح الجلد فيها متقرحا ويسبب الألم لعدة أيام لكن بتكرار هذه العملية يصبح الجلد فى هذه المواضع يابسا سميكا بحيث أصبحت هذه العملية (عملية الضغط والبرم) تتم دون ألم يذكر ٠

لقد انتشر المرح واللغط الضاحك والنشاط بين الهوتنتوت الآن ــ بشكل ملحوظ ، ففى جانب نجد الصيادين يعدون أنفسهم لرحلة أعلى النهر ، بعضهم ينظف البنادق

وبعضهم يوزع الطلقات ، وبعضهم يضع البارود فى جيبه أو فى القرون المعدة لذلك ، وبعضهم يضع (السروج) على الثيران أو الخيول ، وراح بعضهم يقفز بهمة ونشاط ، يتبارون فى سرعة الانجاز ، وراحوا يعدون نساءهم وأطفالهم بوجبة دسمة عند العودة من رحلة الصيد ، وراحوا يتنادون ويحثون بعضهم بعضا لعدم التأخر ، وجمعوا كلابهم حولهم ودخلوا الدغل الكثيف وساروا على الشاطيء العالى ، وسرعان ما تواروا عن الأنظار ٠

وفى جانب آخر يجلس بعض الهوتنتوت الى جوار العربات ويمارس صناع الأوانى الخشبية عملهم فى صناعة الأطباق والأوانى والقدور من خشب الصفصاف الذى لم ييبس بعد (خشب الصفصاف الأخضر) ، بينما يرى المرء غير بعيد شجرة صفصاف قد سقطت لتوها وقد قطعت، وثقبت بالفئوس الصغيرة heatchets ثقوبا صغيرة وغير عميقة فهذه الأدوات التى يستخدمها الهوتنتوت فى الحفر (الفؤوس الصغيرة hatchets) لابد أن تستغرق وقتا طويلا وجهدا لعمل حفرة فى الخشب قطرها يزيد على قدم أو ثمانى عشرة بوصة ٠ انهم يقطعون خشب الصفصاف بطول مناسب وفقا للآنية التى يريدون صنعها وتساعدهم طبيعة الخشب الناعمة اللينة على ذلك ٠ وبعد ذلك يحفرونها بهذه الفأس الصغيرة هذه ويستخدمون بعد ذلك السكاكين المعتادة للتنعيم والصقل واكمال الشكل المطلوب من الخارج ، وثمة سكين آخرى معقوفة (خنجر) يستخدمونها بمهارة وحذق لتجويف الاناء (الخشب) من الداخل وبعد ذلك يدهنون الآنية الخشبية بالدهن حتى لا تتشقق بفعل الحرارة والجفاف ٠ والأوانى التى يصنعونها على هذا النحو تتخذ أحجاما مختلفة لكن معظمها ضحل (غير عميق) وبيضاوى ٠ والجرة

الخشبية التي يسمونها بامبوس Bambus تتخذ شكل الاسطوانة أما الفوهة أو الرقبة فثلثي القطر العام ، وسعتها المعتادة حوالي جالون وان كانت تعمل ليكون لها سعات مختلفة من بنت واحد pint (١٢٥ درهما) الى خمسة جالونات ٠

وشيد بعض أفراد من مجموعتنا لأنفسهم أكواخا من فروع الشجر الخضر وغطوها بالحشائش والأفرع الصغيرة كما شيدوا زرائب آمنة للماشية والدواب من فروع أشجار الأكاسيا الشائكة فهي ملائمة لعمل سياج وتفضل عن فروع الأشجار الأخرى ، ففروع الأكاسيا الشائكة تمنع هروب الماشية وتمنع المتسللين سواء كانوا لصوصا أم حيوانات مفترسة ٠

وسرعان ما انتشر خبر وصولنا ــ عن طريق الجواسيس ــ بين أهل البلاد natives فزارنا صباحا أربعة عشر بشمنيا من قرية Kraal تبعد عدة أميال عن شاطىء النهر المقابل ، وكانوا جميعا تقريبا من جنس مخلط من البشمن والكرا Kora والبتشوانا Bichuana ، وكانت لغتهم مختلفة تماما عن لغة سكان منطقة جبل كارى Karree int. ، وقد تأكدت أن الاختلاف في اللغة بين البشمن اختلاف كبير ، فسكان القرى Kraals المجاورة غالبا ما يتكلمون لهجات صعبة للغاية لا يمكن فهمها الا بصعوبة ٠ وعلى أية حال ، فلم أستطع تأكيد هذه المعلومات من خلال معلوماتي أو معاينتي المباشرة ، وانما اعتمادا على المترجمين الهوتنتوت ، الا انني أكثر ميلا الى أن درجة الاختلاف في لغة البشمن أمر مبالغ فيه على نحو ما ٠ مع انني لاحظت أن كل الهوتنتوت الذين سألتهم في هذا الموضوع يؤكدونه ، ولغة البشمن فيها

كثير من الطلقات Claps حتى ان كل كلمة ـ غالبا ـ ما تكون متبوعة بهذا الصوت الغريب (الطقة Clap) بل ان الكلمة الواحدة أحيانا تقطع بطقة ولا أستطيع الا أن أميل الى أن الحديث معهم يتطلب جهدا ويسبب ارباكا ذلك لأن أصوات لغتهم أقرب ما تكون الى الاعاقة impediment منها الى اللغة الطبيعية ٠

وكان كل زوارنا (من البشمن) هذا الصباح رجالا وكان سلاحهم خفيفا أما نساؤهم فتركوهم على الشاطىء المقابل للنهر لعدم تمرسهن على السباحة ، وكان هدفهم من الزيارة أن يعبروا عن صداقتهم لنا ، ولطلب التوباكو وبعض الهدايا القليلة ٠ وكان زعيمهم من بينهم وقد تعاقدنا معه على جمع سمار الحصير الذى قالوا انه ينمو بوفرة على شاطىء نهر الماب ، وقد عاملناهم برقة لطف مما أدى الى ابعاد كل المشاعر السيئة وزودناهم بالطعام وأجلسناهم ببساطة بين جماعتنا ، وبدءوا فى سلق اللحوم التى أعطيناها لهم وسرعان ما غدوا وكأنهم فى ديارهم وبيوتهم (ألفونا) ٠

وقد أغريت واحدا منهم بقدر طيب من التوباكو ليجلس ربع ساعة بهدوء بينما كنت أرسم له صورة ٠ وكان هذا الأمر برمته يبدو غامضا لهم فلم ير واحد من البشمن قبل ذلك رسما لشخص منهم ، ولما رأيتهم ينظرون بجدية وخطورة لما أقوم به ، بدأت أخشى أن تؤدى بهم بعض المعتقدات الخرافية الى الاعتقاد أننى أمارس السحر لأؤذى قريتهم أو لأسبب الموت للرجل الذى أرسمه ٠٠ وبعد أن أنهيت الرسم ودفعت له بالتوباكو شرحت لهم أن بلادى تكن

لهم صداقة قوية وتتمنى لهم أطيب الأمنيات • وأنها تريد أن تعرف عن لطف الآخرين وكرمهم لذلك فقد رسمت هذه الصورة ، واننى أقدم للشخص الذى رسمته كثيرا من التوباكو برهانا على المودة والصداقة ، بل اننى سأقدم له المزيد وسأعطيه الصورة أيضا مع التوباكو الذى سأحضره له الآن زيادة على التوباكو الذى أخذه حتى يحتفظ بهذه الصورة فى كوخه لتذكره بصديقه الرجل الأبيض ، وما كدت أنتهى من هذا الكلام حتى غادرتهم وذهبت لعربتى بحجة احضار التوباكو فقطعت الورقة التى فيها الرسم من دفترى ونقلت عنها صورة أخرى فى الصفحة التالية ، ثم أحضرت الصورة (الرسم) الأولى أمامهم ، وأعطيتها له • وبفعلى هذا بدوا راضين مرتاحين وأن رسمى للصورة لم يكن الا السبب الذى ذكرته لهم • ولو لم أفعل ذلك لكنت عرضة لالحاق الضرر بنفسى فقد يموت الرجل بعد ذلك بقليل أو يتعرض لأى حادث أو مرض ، عندها سيقولون ان رسمى كان هو السبب ، فألقى سهما مسموما يقضى على حياتى •

وبعد أن ذهب الجميع مباشرة وصلنا خبر أن فرس نهر قد تم اصطياده أعلى النهر على بعد مسافة قصيرة ، وكان الذى أطلق عليه الطلقة قائدنا الذى هو من كلارووتر ، فجرى البوتنتوت الجياع دون أن ينتظروا لحظة ، وتركونا بمفردنا ولم يبق معنا الا عدد قليل بقى ليحرس العربات بحذر وفطنة ، وخرج السيد جانز Janz على ظهر حصان بينما تبعته أنا مشيا على الأقدام مع جيرت مفضلا السير على طول شاطىء النهر عن الركوب فى سهل جاف سالكا طريقا غير مباشر حيث لن تقابلنا الا طيور أو نباتات قليلة •

وبمجرد أن تسلحنا بسرعة وغادرنا فيليب فى حراسة عرباتى حتى شققنا طريقنا بين أشجار كثيفة ورحنا نسير بشكل متعرج بين أشجار الصفصاف وعبرنا كثيرا من المجارى الجافة العميقة (الأودية الضيقة العميقة) وفى كل مكان وجدنا آثار هذه الحيوانات الهائلة · مطبوعة على الأرض تاركة حفرا ، ولم يكن جيرت Gert قد رأى أفراس النهر أبدا (Sea-Cow (أو جاموس النهر أو أبقار النهر) وهو الاسم الذى يطلقه سكان الكاب البيض Colonists على أفرس النهر Hippopotemus ـ لذلك فقد كانت هذه الرحلة باعثة للسرور فى نفسه كما بعثت السرور فى نفسى أيضا ، فقد كنا ـ أنا وهو ـ مشوقين لاشباع حبنا للاستطلاع ، لقد كان جيرت أقل سفرا من سائر مجموعتنا لذلك كان مثلى يتوقع كثيرا مما يثير الدهشة لم يكن لنا حديث ونحن نسرع الخطا الا عن أفراس النهر وكانت حيويته ودهشته تفوق دهشتى عند رؤية بعض الأشياء ، وقد أضاع هذا بعض الوقت اذ كان اهتماما منصبا على الطيور والنباتات ·

وفجأة توقف جيرت Gert وصاح ببعض الفزع « انظر هنا يا سيدى ! » فأدرت عينى لأنظر فى الأرض فرأيت أثر أقدام حديثة لأسد قدم هنا ليشرب منذ مالا يزيد ـ كما هو واضح ـ عن ساعة واحدة · وقد غير هذا الحدث حديثنا فتركنا الحديث عن أفراس النهر ، فراح جيرت يتحدث فى صوت خفيض خائف عن الأسد ولا شىء غير الأسد ، وعن خطورة وجودنا منفردين فى وسط أشجار كثيفة ، مع أن وجودنا منفردين بين الأشجار كان منذ دقائق مبعث بهجة وسرور بسبب الظل الظليل ، أما الآن فقد أصبح الحديث

عن خطر المكان باعتباره مأوى للأسود والحيوانات المفترسة الأخرى • وقبل ذلك كان دائما يتأخر عنى ، أما الآن فقد أسرع الخطو فلم أعد أستطيع ملاحقته فى المشي الا بصعوبة ، وهذا الاسراع بالاضافة لحرارة الشمس التى كانت تتسلل الى بعض الأماكن غير الظليلة جعلنا نحس أن المرحلة الأخيرة من رحلتنا على الأقدام هذه مرهقة ومتعبة جدا رغم أن المسافة لم تكن تزيد فى كل الاحتمالات عن خمسة أميال ، وفى هذه الأنحاء لم يسقط المطر منذ عدة أشهر لذا فقد كانت الأرض فى كل مكان مشققة شقوقا واسعة بسبب الجفاف •

ولم يكن لنا دليل الا النهر فاستمررنا فى المشى واعترتنا الدهشة أننا لم نصل الى المكان المطلوب اذ كان الرفاق قد أخبرونا أن المسافة اليه لا تستغرق أكثر من ساعة ، وقد مضى علينا الآن ــ نحن سائرون ــ ساعة ونصف الساعة ، وسرعان ما تبدد خوفنا من أن نكون قد ضللنا الطريق اذ سمعنا أصواتا تأتينا من بعيد من ناحية مجرى النهر ، فرحنا نتصنت ونحن نتقدم فتعرفنا بوضوح على نغمة (رطن) لغة البشمن ، فاعترانا التردد : هل نواصل المسير أو نسلك طريقا غير مباشر لتجنبهم فربما كانوا تجمعا غير صديق من البشمن ينتهزون فرصة وجودنا منفردين بعيدا عمن يمكن أن نطلب المساعدة منهم لكن بعد أن قطعنا بضع مئات من الخطوات ميزنا أصواتا أقل صخبا • لقد كانت أصوات مجموعتنا ، فأسرعنا الخطى ، وما هى الا دقائق خمس حتى رأيناهم من بين جذوع الشجر •

لقد كانت جماعتنا المنهمكة في العمل محاطة بأجمل منظر يمكن أن تراه العين ، وكانوا قد عوموا الحيوان :

بالقرب من الشاطىء ، وهم الآن يبذلون قصارى جهدهم لاخراجه من الماء ومع أنه لم يكن حيوانا كامل النمو فان حجمه يبلغ حجم ثورين على الأقل ، لقد كان أضخم من أن يستطيعوا السيطرة عليه حتى أتى البوشمن لمساعدتهم وآخيرا سحب الى الشاطىء المعشوشب وسرعان ما انخرط فى تقطيعه كل من معه سكين ٠

*ان حجم فرس النهر الهائل رغم صغر سنه وكتلته الهائلة التى لا شكل لها وهو منطرح على الأرض يبدو أكثر هولا اذا قارناه بالبشر الواقفين الى جواره وبينما كانوا يعملون فى سلخ جلده السميك وجدت أنه عمل جيد أقضى به وقتى أن أرسم هذه المجموعة الغريبة فى دفتر رسومى (اسكتشاتى) ، وعلى آية حال فان سرعتهم فى تقطيع اللحم وتجفيفه قبل أن يفسد بفعل الحرارة والهواء لم يترك لى الا وقتا قليلا ، فالرسم (الاسكتش) يبقى فى كل الأوقات أكثر صدقا كما انه يمثل ذكرى حية بالاضافة الى أنه يصف معظم التفاصيل بتفاصيل قد لا تتاح للكتابة (التعبير بالقلم) ان (الاسكتش)، غالبا ــ فى الحقيقة ــ أفضل آسلوب سريع للوصف ٠

ولهذا الحيوان لون واحد يمكن تشبيهه بدقة باللون الخفيف أو الباهت للحبر الصينى China-ink وجلده تزيد سماكته عن بوصة ولا يمكن ثنيه بسهولة (مرونته أو لدانته قليلة) ، لقد كانوا يسحبون الجلد (يسلخونه) كما لو كانوا ينزعون آلواحا خشبية من جانب سفينة ٠ وتم تقطيع الحيوان ــ بعناية ــ الى قطع متماثلة لأن أفضل ما تم تقطيعه الى شرائح Shamboks ستكون من نصيب أهل كلارووتر ، فهم الذين سيفوزون بأكبر جزء من الغنيمة ٠ وضلوع هذا الحيوان مغطاة بطبقة سميكة من الدهون وتعتبر

طعاما شهيا جدا ويعرفها البيض فى مستعمرة الرأس Colonalists باسم زكواسبك Zeekoe-spek وتعنى منحة البحر (★) Sea-Cow Pork ، ولا يمكن حفظ هذه الضلوع المغلفة بالدهن الا بتمليحها ثم تجفيفها فى الشمس مع سائر الأعضاء ، أما بقية اللحم ــ خلا الضلوع الآنف ذكرها ــ فلا دهن فيه ، وهم يقطعونه شرائح كبيرة ويجففونه ويستهلكون منه الآن ، ويحتفظون ببقيته • وهذا الجزء الذى أعدوه للاستهلاك الآن لم يكن قليلا على أية حال فثمة عدد كبير من الهوتنتوت دعوا أنفسهم للوليمة بالاضافة الى جمع من البشمن مكون من ستة رجال وخمس نساء أتوا لمنطقة الوليمة بعد سماعهم صوت الطلقة التى أودت بحياة الحيوان موضوع الوليمة • لقد كانت الطلقة بمثابة دعوة لهم •

لقد لاقى هذا الحيوان حتفه بطلقتين Lwo balls تحتنا رأسه ، فمن النادر أن تسبب له الطلقات جرحا فى أى مكان آخر فى جسده ، وهذا ليس بسبب سماكة جلده وهو الأمر الذى يردده الناس مثلما يرددون حكايات أخرى كثيرة لاثارة الدهشة والعجب ، وانما حقيقة الأمر أن هذا الحيوان (فرس النهر) لا يغادر النهر الا نادرا جدا الا بالليل، أما بالنهار فمن النادر أن يخرج ــ الا رأسه ــ فوق سطح الماء ، فليس أمام الصياد اذن الا أن يطلق على رأسه • وليس ثمة طلقة bullet مهما كانت سرعتها يمكن أن تخترق جلد هذا الحيوان اذا تم اطلاقها مائلة (بانحراف) فهى فى هذا الحال تنزلق على الجلد (أو ترتد من فوق سطح الجلد) بسبب

(★) الكلمة بورك تعنى لحم الخنزير ، وبالتالى فالعبارة تعنى أن لحم فرس النهر باعتباره حيوانا نهريا يعادل لحم الخنزير كحيوان برى ، فهذا أفضل ما فى البحر وذاك أفضل ما فى البر من وجهة نظرهم ، ولما كانت الترجمة الحرفية ستضيع المعنى فضلنا ما أوردناه فى المتن ــ (المترجم) •

كونه زلقا • مما يؤكد المثل : آنت فى هذه الحال بطة وذكر بط فى الوقت نفسه (★) •

وهذا الحيوان اذا اعتراه رعب وأحس باقتراب خطر لا يخرج من الماء الا منخريه وعينيه وأذنيه وربما كان هذا لتأمين نفسه بأن يتيح لنفسه فرصة التنفس والرؤية والسمع دون أن يعرض نفسه كثيرا لهجوم الانسان • ولهذا فان هذا الحيوان ليس من السهل اطلاق النار عليه كسائر الحيوانات الأخرى • فكبر حجم هذا الحيوان لا يجعله سهل الصيد بالنسبة للصائدين فاذا لم يكن الصياد دقيقا فى تصويبه ــ وكأنه يصوب فى اتجاه أرنب برى ــ ضاعت طلقاته سدى •

وعندما يكون رأس الحيوان فقط هو الظاهر فوق سطح الماء فانه يبدو كرأس الحصان ومن هنا جاء اسمه فرس النهر أطلقه عليه القدماء خاصة عندما لم يروا جسمه الذى ليس بينه وبين جسم الحصان أدنى شبه • أما اسم بقر البحر وهو الاسم الذى أطلقه عليه السكان البيض فى الكاب ، فهو لا يصلح فليس ثمة أدنى تشابه بينه وبين البقرة •

ولم يكن على جسد فرس النهر الذى تم اصطياده وتقطيعه أى شعر فيما عدا بعض الشعيرات المتناثرة على الذيل وأطراف الأذنين وخطمه (بفتح الخاء والطاء ــ أنفه وفكه) • وذيله قصير جدا قلما يزيد عن القدم طولا ، وعيناه صغيرتان وكذلك أذناه اذا قورنت (العينان والأذنان) برأسه وجسده أما الفم فواسع جدا •• وقد استخرج الرجال من

(★) النص : «making ducks and dracks» اوردناه فى المتن ترجمة تقريبية ، فالمعنى غير واضح لنا ــ (المترجم) •

معـــدته وأمعـــائه ثلاث بشـــلات (★) Bushels عـــلى الأقل من الحشائش نصف الممضوغة (التى لم تمضغ جيدا) من معدته وأمعائه ٠

لقد تحول كل أفراد المجموعة الآن الى جزارين يعملون بشغف بينما لم يكونوا يتـكالبون عـلى تقطيع الرأس التى سحبتها بارتياح وزحت أرسمها : صورة من الأمام وأخـرى من الجانب وما كدت أنتهى من ذلك حتى حاولت تسـجيل جمال هذه الطبيعة الجذابة الرائعة حولى ، ولم يكن جمالها فى المنظر فقط دائما فى الدفء الرائع الذى أضفى بهجـة عـلى كل شىء ولم تكن كل الألـوان التى معى ، وكل أدوات الرسم وكل ما آوتيت من مهارة بقادرة عـلى تصـوير هـذا الجمال على نحو قريب من الحقيقة فالنهر النبيـل الهـادىء أعطى المنظر معنى السلام ، والطبيعة الحية المفعمـة جمالا والتى كانت تتناقض بشـكل غريب مع البقعة التى حولتهـا جماعتنـا الى مسـلخ أو محل جزارة ، وعلقوا اللحم عـلى الأشجار فمالت فروعها نحو الأرض لفرط ثقل ما علق عليها من لحم ٠ وحينما وليت وجهى رأيت رجالا ونساء وكلابا يأكلون ، ونيرانا كثيرة تجللهـا الأوانى ، كل من حـولى كان ينحت ما علق من لحم أو يشوى أو يمضـغ أو يقضم حتى أنا لم أشعر بأى ميل لاستنكار ما يفعلون ، فبعد سير طويل شاق وامتناع عن الطعام طال لثمانى ساعات ٠ وجـدت أن شرائح فرس النهر جديرة بأن تؤكل ، وحتى هذه اللحظـة لا زلت مقتنعا أن أهل بلدى الانجليز الذين يحبون الطعـام الجيد لو تذوقوا شرائح لحم فرس النهر لمرة واحدة فلن يهدأ

(★) عن معجم المولد : البوشـل مكيال للحبوب يساوى ٨ جالونات أو نحو ٣٦ لترا ونصف - (المترجم) ٠

لهم بال الا بالحصول على فرس النهر هذا باستيراده بشكل منتظم ٠

وبحكم العادة فان كل فضلات الذبيحة والعظام والرأس كانت من نصيب البشمن ، فبمجرد أن تم تقطيع فرس النهر حتى انقضوا يعملون فى الأحشاء ، فترى الواحد منهم يمسح الدهن من فوق أصابعه فى ذراعيه وساقيه وفخذيه ويلوث نفسه وبوفرة بالدماء والأقذار ويدعكها على كل جزء من جسمه وفى كل موضع فى جسمه تطوله يداه ٠

وبين هذه المخلوقات السعيدة القذرة (يقصد البشمن) كانت هناك فتاة تبدو من خلال ملابسها وملامحها أنها ذات حيثية خاصة ٠ لقد كانت هذه البشمنة الشابة ــ فى الحقيقة ــ ألطف ما رأيت من نساء البشمن ، الا أن غرورها واحساسها الزائد بتميزها جعلها أقل جاذبية فى نظرى ، كما أن غلوها فى ملبسها ربما يجعل البشمنيين يؤثرون عليها غيرها عند الزواج (لا يفضلونها كثيرا كزوجة) ٠ لقد لطخت شعرها بكميات كبيرة من الشحم والمغرة (بتسكين الغين) الحمراء (وهى اكسيد الحديد المائى) والبوكو Buku وبمسحوق لامع Shining powder ... ٠٠ وكل هذا لا يقدر عليه الا الزوج الغنى جدا ، وقد شحمت (أو سخمت) هذه البشمنية جسمها وملابسها بكثير من الشحم ، لابد أنها من أسرة بشمنية ثرية فالأساور الجلدية حول ذراعيها وساقيها (رسغى قدميها) حوالى اثنتى عشرة اسورة جلدية من ذات النوع ، وتلبس صندلا (ذا طابع اغريقى baskins) ٠

على أن أكثر ما يلفت الانتباه ٠ فى زينتها هو ثلاث قطع من العاج ، تتخذ الواحدة منها شكل بيضة العصفور

وحجمها ، وهذه البيضات العاجية تتدلى من شعرها : واحدة تتدلى من الأمام وتصل الى أرنبة آنفهــا ، وواحــدة تتــدلى على صدغها الأيمن والثالثة عــلى صــدغها الأيسر ، وهذه البيضات العاجية جميعا معلقة فى ســيور (أو خيــوط) متساوية فى طولها • وكانت هــذه البيضات العاجيــة تهتز يمنة ويسرة كلما حركت هذه الفتاة البشمنية رأسها ، وكانت ــ بلا شك ــ بمثابة تعويض جمالى عن عدم اتسامهــا (أى هذه البيضات العاجية) بالروح العملية • وقد غطت هذه البشمنية الـ ـء العلوى من رأسها بطاقية جلدية صغير حجمها ومحكمة تماما لكنها غير مزدانة بأى من الزينــات ، وكنت أود آن آهديها عقدا من الخرز ليجعل طاقيتها أكثر أناقة ، لولا أنني خشيت آن أثير ــ بتصرفى هذا ــ مواطنيها البشمن فأدفعهم لطلب الهــدايا بشــكل مزعج ، وكان ما تبقى معى منها قد احتفظت به لتقديمه للقبائل (الأمم Nations) الأكثر ايغالا للداخل • ومع آن اعتزازها بالنفس وتكلفها كانا قد بلغا مبلغا كبيرا فان هــذا لم يمنعها من أن تتحدث بالنغمة نفسها التى يتحدث بها سائر البشمن فلم يعتر صــوتها أية رقة ، كما أن هذا لم يمنعها من ازدراد كميات كبيرة من اللحم بل وطلبها المزيد ، فيبدو أنه قد وقر فى نفسها أنه لا خجل فى مثل هذه المناسبات ، ومثل هــذا التصرف عــلى أية حال يمكن للمرء أن يجده بين الرجال والنساء فى أمم أخرى •

أما بالنسبة لبقية البشمنيات المصاحبات لها ، فقد ولى من زمن طويل موسم الجمال بالنسبة لهن ، واذا كانت الفترة التى تكون المرأة فيها جميلة تعد فى أمم أخرى فترة قصيرة ، فمن العدل آن نقول انها بالنسبة للبشمنيات فترة لحظية أو أقصر من القصيرة ، ففى غضون خمس سنوات أو ست بعــد

وصول الفتاة الى سن الأنوثة Womanhood يتحول لحمها الغض وجسمها الممتلىء الى لحم مغضن ظهرت عليه آثار الكبر، واذا لم ننظر اليهن بعين الرثاء والعطف فانه يمكن اعتبارهن أكثر نساء الجنس البشرى مدعاة للاشمئزاز والقرف . فشيخوختهن المبكرة ، ربما يمكن ارجاعها الى قسوة الحياة التى يعشنها وقلة الغذاء أو عدم انتظامه والتعرض لقسوة المناخ ، وقلة النظافة .

لقد ذكرنى امتداد ظلال الأشجار بقرب المساء وبأن وقت عودتى للعربات قد حان ، فركبت حصان آدم كوك وعدت بصحبة جانز Jansz على أن يتبعنا جيرت وبعض الهوتنتوت على ظهور الثيران أو سيرا على أقدامهم ، بينما بقى كوك وجماعته طوال الليل فى البقعة نفسها ليحرسوا اللحوم ويكملوا تجفيفها فى اليوم التالى .

ولم يكن من تركتهم بدون رفيق فاللحم متوفر وهذا سيجعل البشمن يحتفظون بمواقعهم ، وتركت معهم صديقى الكلب وانترو الذى أعارنى أذنا صماء . ولم يستجب لندائى فقد انشغل فى استخراج ما بقى فى الجمجمة من لحم ، وراح يستخرج ما بين العمود الفقرى والمفاصل من بقايا .

٣١ أكتوبر :

وفى صباح اليوم التالى زارنا – مرة أخرى – بعض البشمن الذين أحضروا لنا حوالى عشرين حزمة صغيرة من السمار الأخضر من الشاطىء المقابل ، وقد حمل كل واحد منهم ثلاث حزم أو أربع ، وربما لم يكونوا قادرين على عبور

النهر دون مساعدة ما يسميه هوتنتوت كلاروتر باسم الحصان الخشبى Houte-paard .

وهذا الحصان الخشبى مجرد جذع شجرة جاف يبلغ طوله ست أقدام أو سبع ، ويبلغ سمكه ست بوصات ، وفى الجزء العلوى يوجد وتد قوى طوله . ويعد هذا الجذع (الحصان الخشبى) الوسيلة الرئيسية للعبور ، اذ يوضع تحت الجسم (يركب) ويتم إمساك الوتد بيد ، وتستخدم اليد الأخرى والقدمين فى التجديف ، ويكون الوتد ازاء الكتف ، ليحفظ الجذع فى وضعه الصحيح ، وبتوجيهه ـ الوتد ـ بشكل مائل (منحرف) الى أعلى ضد التيار ، فان العابر ينجح ـ عموما ـ فى وقف شدة التيار بالقدر الذى يتيح له الوصول الى الجانب المقابل للنهر فى البقعة المطلوبة أو قريبا منها .

وللمرء أن يتعجب من أن هؤلاء الناس لم يحتالوا لعبور النهر باختراع قارب أو كانو Canoe رغم حاجتهم لعبور النهر العريض بين الحين والحين ، الا أن طبيعة حياتهم الجوالة غير المستقرة تجعل هذا الأسلوب فى العبور كافيا ، فجذع شجرة الصفصاف الجاف متوفر بدون جهد فى أى وقت يريدون فيه عبور النهر ، وعندما يصلون للشاطىء الآخر ما عليهم الا أن يسحبوه بضع خطوات الى البر ويتركوه ليستخدمه شخص آخر قادته الظروف للمرور بالقرب منه . لكن ملكية قارب Canoe قد تجعل مالكه يضع على كاهله مهمة المحافظة عليه وتحتم عليه الاقامة بالقرب منه ، والاستقرار والرعاية ليسا من عادات هذه القبائل .

وما كاد زوارنا هؤلاء يحسون أنهم وصلوا الى المياه الضحلة حتى وقفوا وحيونا بحرارة بلغتهم ومن ثم تقدموا

للشاطىء وكل واحد منهم يحمل حصانه الخشبى (جذع شجرة الصفصاف الآنف ذكره) على كتفه ويسنده بيده ، ويجر باليد الأخرى حزم السمار • وتركوا خيولهم الخشبية (المقصود الجذوع الآنف ذكرها) على الشاطىء وقد بدت البهجة والنوايا الطيبة على وجوههم وأحضروا أحمالهم (السمار) الى عرباتنا وراحوا يطقطقون بحيوية (★) لنا وكأننا نفهم كل كلمة يقولونها • ولم نكن على أية حال فى حاجة الى مترجم ودفعنا لهم الدكا dakka والتوباكو وقبلنا دعوتهم الودودة لزيارة قريتهم (الكرال) وفي الوقت نفسه هدية من اليونتج Uyentjes وهو اسم يستخدمه أهل مستعمرة الكاب Colonialists وأصبح شائعا ويطلق على أنواع متعددة من الأبصال التى تؤكل bulbs ولا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم حبة البندق ، ومغطاة بقشرة رقيقة بنية ، وعادة ما يشوونها على النار لكن طعمها أقل حلاوة من البصيلات التى يحصلون عليها من نبات من نوع الانسيت Ensetae ، من الفصيلة السعدية (★★) (بتشديد السين وضمها) ولم يوصف علميا حتى الآن •

لقد كان تجار السمار هؤلاء (يقصد البشمن الآنف ذكرهم) عراة تماما الا من قطعة من جلد حيوان ابن آوى ،

(★) clacked يطقطقون اى يتحدثون بلغة الطقات وهى عادة فى معظم اللغات الافريقية ونجدها احيانا عند بعض الاخوة السودانيين والطقة هى صوت يصدر فيما دون الحلق (بين سقف الفم والحلق وهو اقرب الى حرف الغين ، او بتعبير ادق اقرب الى الصوت الذى يستخدمه الحمار ـ لحث حماره هكذا غه •• غه ! وليس المقصود هنا (شى) او (حا) ، وقد تتخلل هذه الطقة الكلمة الواحدة او بين كلمة واخرى او عبارة واخرى ، وهذه الصفات شائعة •

(★★) عن السعديات ، راجع حاشية سابقة فى هذه الرحلة ـ (المترجم) •

وقد تحلقوا حول النار لتجفيف أجسامهم وللاستدفاء ، وأدي حسن معاملتنا لهم وما قدمناه لهم من طعام الى وقوفهم معنا طوال الليل ٠

وفى الوقت نفسه فقد كانت مجموعة الصيد التابعة لنا قد أطلقت طلقة على حيوان العلبذة على الشاطىء المقابل للنهر وقبل الغسق (ظلمة أول الليل) كان لحم طريدتنا هذه قد وصل بأمان محمولا على رمث (ألواح خشبية متجاورة ومربوطة معا) الى الشاطىء الذى نحن عليه ٠ وكان هذا تغييرا معقولا ومطلوبا فى طعامنا ، فهو بديل عن لحم فرس البحر الدسم ٠

لقد بدا النهر مليئا بأفراس النهر ، ففى المساء أطل اثنان من الحيوان برأسيهما بالقرب من عرباتنا كأنهما ينويان الصعود للشاطىء للرعى ، لكنهما سرعان ما اختفيا اذ غطسا تحت سطح الماء وهما يشخران ويقذفان الماء من مناخيرهما ٠٠

فرس النبى أو حصان ابليس :

أول نوفمبر :

لقد تعرفت هنا على نوع جديد من المانتيس Mantis (فرس النبى أو حصان ابليس) أصبح وجوده فيما بعد مألوفا لى فقد كان يزورنى فى الأمسيات الدافئة الهادئة وأنا أكتب يومياتى وأحيانا كان يعطلنى عن الكتابة باطفائه المصباح ٠ وكل فصيلة المانتيس حشرات جديرة بالملاحظة لكن هذا النوع الذى نحن بصدده المعتدل فى دكانته (لونه غير داكن جدا) يتناسب تماما مع ظلمة الليل وغالبا ما كانت

هذه الحشرة تستقر على كتابى أو عـلى الدفتر الذى أكتب فيه وتظل واقفة ثابتة · كما لو كانت تنجز أمرا ذا بال ، ولها منظر ينم عن الذكاء مما يجعل يدى تكف عن الحـاق الأذى بها ، ورغم أنه كان فى امكانى الامســاك بمئات منها فاننى لم آخذ أكثر من خمس وقد أسـميت هـذه الحشرة (المخلوق) المحبة للاسـتطلاع اسم المانتيس المفـكرة (★) Mantis Lucubrans ولا شك عندى أنها ستقدم نفسها لكل الرحالة الذين يأتون للمنطقة فى شهرى نوفمبر وديسمبر ، وانى أوصيهم ــ أى الرحالة ــ أن يعتبروها رفيقا صـغيرا غير مؤذ ··

★★★

(★) غريب أمر هذه الحشرة ، فحتى فى الفكر الشعبى فى مصر نجد أن الفلاحين خاصة يحرمون قتلها ويرى فيها اخرون براق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى فى المقابل الاجنبى نجد انه يطلق عليها المصلية Praying mantis او الراهبة Mants Religiosa ، واعطى لها معجم الشهابى عدة أسماء منها حصان ابليس وفرس النبى والراهبة والسرعوفة (بضم السين والعين) ووصفا بأنها خضراء غريبة (لم يذكر رحالتنا الحالى أنها خضراء ، ويبدو أنه كان أمام نوع اخر منها) وهى مفترسة تكمن على النباتات بلا حراك لتصيد الهوام (وهذا يفسر وقوفها على دفاتر رحالتنا بورشل دون حراك) ــ (المترجم) ··

رحـلة

جـون كامبيل
JOHN CAMPBELL

نهـر هارتـز
The Hartz River

ولد جون كامبيل فى ادنبرج Edinburgh فى سنة ١٧٦٦ وكان مهتما بالدين والاصلاح الاجتماعى بالاضافة الى اهتمامه بالاعمال التجارية • فقد كان هو مؤسس الجمعية الدينية فى سكتلندا Religeous Tract Society ومنظما لحركة مدارس الاحد ، ومكافحا نشطا ضد الرق • وفى سنة ١٨٠٢م اصبح قسا لكنيسة لندن المستقلة حيث درس فى تاسيس جماعة الانجيل Bible Society واظهر اهتماما نشطا فى العمل بجمعية ارسالية لندن التبشيرية London Missionary Society فطلب منه مديروها ان يزور جنوب افريقيا ليعمل بالتعاون مع السيد ريد Read والارساليين الاخرين لتحويل الوثنيين للمسيحية والرقى بحضارتهم • وسافر جون كامبيل بصحبة الراحل السيد جيمس ريد ممثل الجمعية فى الكاب الى كلاروتر ومنها الى لاتاكو Kaarwater حيث اتجها شرقا الى مالالارين Malalareen او نهر هارتس Hartz River والنص التالى من كتاب :

Campbell's Travels in South Africa (Black & Party - London, 1815)

رحلة الى ما وراء النهر العظيم من لاتاكو الى مالابيز

٧ يوليو ١٨١٣م :

بدأت عرباتنا ـ وقت الظهيرة تماما ـ فى التحرك من لاتاكو ، تحيط بها جموع محملقة · لقد ولينا وجهنا ناحية المشرق الى هذا الجزء من أفريقيا الذى لم يرتده رحالة أوربى من قبل وقد سمعنا أنه يسكن هذه الأنحاء الشرقية شعوب يمكن أن تتقبل جهود الارساليات التبشيرية فرأينا أن نزورها آملين أن نتمكن بعد ذلك من ارسال مبعوثين تبشيريين يعملون بينهم ·

وبينما كنا نتحرك تاركين لاتاكو ، لم أستطع الا أن أركز نظرى عليها وظلت عيناى معلقتين بها حتى توارت عنى ، فلاتاكو مدينة جذابة · انها المدينة التى قد تصبح قدس أفريقيا Jerusalem to Africa · وكان للسيد بول Paul مواهب تتناسب مع العمل الذى كان يتعين عليه انجازه ـ وذلك قبل أن يتحول الى مذهب آخر · ومن ناحية القدرات الطبيعية فانهم ـ أى هذه الشعوب · أرقى من الشعوب الأفريقية الأخرى التى رأيتها فهم أذكياء ونشيطون ·

وفى الساعة الثانية ظهرا توقفنا عند نبع يقال له كوكو Kookoo وهى كلمة تعنى شروق الشمس وربما كان هذا الاسم يرجع لكون هذا النبع يقع الى الشرق من لاتاكو · ومن هذا النبع ملأنا أوانينا · وفى الساعة الثالثة توقفنا لفترة قصيرة عند مراع صغيرة تسمى مالاماتشو Malamatchoo

تقع بالقرب من نبع ماء آخر ، وكان حول النبعين عدد كبير من الماشية يرعى الحشائش • وفى الساعة الرابعة مررنا بموضع رعى آخر يسمى كاكانيا Kakania • وفى السادسة مساء توقفنا عند حافة غابة ولم يكن فى موضع توقفنا ماء اذ كان على بعد ميلين وعلى هذا فقد توقفنا هنا مخافة أن تزعج نيراننا الجاموس فتجعله يولى مبتعدا ، وقد كنا أزمعنا أن نصطاده باطلاق النيران عليه وهو فى طريقه الى هذا النبع •

لقد كان سفرنا طوال النهار فوق أرض تصعد (ترتفع رويدا رويدا) تصعدا خفيفا وثمة تلال الى الشمال والى الجنوب ، لقد كان اتجاهنا فى بداية الرحلة الى الشرق أما فى المرحلة الأخيرة فقد كان يتخذ اتجاها شماليا شرقيا وكانت المنطقة تمتد أمامنا وقد انبهرت بشكل حقول الحنطة وكانت لا يحدها الا الأفق • وكانت درجة الحرارة عند الظهر ٦٨ درجة •

٨ يوليو ١٨١٣م :

صدور الذبائح لا يأكلها الا الشيوخ والزعماء :

كانت الأرض فى الصباح مغطاة بصقيع أبيض لونه • وقبل شروق الشمس بقليل قتلنا جاموسة وابنها مما أسعد كثيرا مرشدينا الأحد عشر ، وكانوا من الماتشابى Matchappee وقد التمسوا منا أن يكون صدر العجل (وليد الجاموسة) من نصيبهم فقد كان صدر أى حيوان يذبح مخصصا لزعماء البوتشوانا Boochuena ، وقد بدوا حقيقة قلقين من تذوق هذا الجزء من الحيوان فهو محرم عليهم ، وبطبيعة الحال فانهم يحملون أفكار أبينا آدم

Of Course they beer the image of father Adam

الأشجار المعمرة :

وكشف الصبح لنا كثيرا من الأشجار المعمرة التى صمدت أمام عوادى الزمن فى الماضى لكنها الآن قد تفتتت بفعل مرور الأيام والليالى · وفى الساعة التاسعة صباحا واصلنا مسيرنا للأمام ·

الماتشابى يشربون مع الكلاب :

وسرعان ما اكتشفت كلابنا وجود الماء بين الغاب (البوص) فجرى اليه بعض من رجالنا وشربوا جنبا الى جنب مع الكلاب وبعد آن تقدمنا قليلا توقفنا أمام غابة بالقرب من الماء · أشار الترمومتر فى الساعة السابعة (شروق الشمس) الى ٣٤° أما الظهر فأشار الى ٩٠° ·

الماتشابى يأكلون بشراهة :

لقد كانت فترة ما قبل الظهر فترة انشغال لرجالنا من الماتشابى Matchappee اذ تكالبنا على لحم الجاموسة ، وقضوا وقتا ممتعا فى الشواء والأكل بشراهة · لقد بدوا وكأنهم يخشون ألا تتاح لهم هذه الوليمة مرة أخرى ، فأكلوا وكأنما هى أكلتهم الأخيرة ، لقد كانوا يأكلون بيد ويطبخون باليد الأخرى ، وحتى اذا غادر الواحد منهم موضع النار (موضع الطبخ) للحظة حمل معه عظمة كبيرة راح ينزع ما عليها من اللحم بأسنانه بينما هو يسير فاذا ما أجهز على ما فيها عاد فأخذ عظمة أخرى · وقد سمينا هذا الموضع نبع آلريس Alers fountain .

ولم نستطع مغادرة الموقع قبل الساعة الثالثة لأن خرافنا كانت شاردة متفرقة ثم واصلنا رحلتنا بين حشائش

طوال وشجيرات حتى الساعة السادسة ثم توقفنا عنـد نبع ماء ، واصطاد بعض من رجالنا جاموسة برية كانت تقف غير بعيد ، ولكنهم عندما سـمعوا أصوات الأسـود واللبـؤات قريبة وجدوا أنه من الحكمة أن يؤجلوا تقطيع لحمها حتى الصباح مفضلين احتمال وقوع الطريدة بين أنياب الأسـود المتوحشة من أن يقعوا هم أنفسهم بين أنيابها ·

٩ يوليو ١٨١٣م :

منذ غادرنا لاتكو والأرض تصبعد (بتشـديد الصـاد وفتحهـا وتشـديد العين وفتحهـا أيضـا) بنا ، فأصبحنا الآن فوق أرض عالية وعند طلوع الشمس كان الترمومتر يشير الى رقم ٢٤° وكان الجليد يبلغ نصف بوصة سمكا · ولما كانت الماشية شاردة بين الشجيرات فاننا لم نستطع مغادرة المكان قبل الساعة العاشرة وقد أخـذنا معنـا في عرباتنـا الجاموسـة التى اصطدناها بالأمس فلم تكن الأسـود ولا اللبؤات قد اكتشفت مكانها · وكان الماتشابى Matchapees قد قطعوها الى قطع · وفى الساعة الحادية عشرة وصلنا الى بركة ماء صـافية فسميناها نبع نيـوتن Newton Fountain في يوم ذكرى الراحلة القديسة مارى وولنوث Woolnoth وكان ثمة عدد من الممرات تؤدى الى ماء البركة مما يدل على أن الجاموس البرى يكثر التردد عليها · ولاحظنـا وجـود دخان يتصـاعد عـلى البعد ناحية الشـمال نتيجة اشـتعال الحشائش الجافة · وصفير الماتشابى يشبه كثيرا شدو الطيور حتى أننى لم أكد أميز بين صـفير هـؤلاء وشـدو أولئك · درجة الترمومتر ظهرا = ٦٠ وفى الظهر رأينـا عدة قطعان من الظباء الأفريقية (القـوقز ـ بفتح القاف وتسكين الواو) والتقى عـدد من رجالنا مع بعض البشـمن

الجوالين الذين يبدو انهم هددوهم • ورأينا التلال البعيدة الى الشرق وكذلك رأينا سهلا لا يبدو له على مدى الرؤية نهاية فى معظم الاتجاهات واسمه سهل بوج Bogue • وفى الساعة الخامسة وصلنا الى قرية بشمن البوتشوانا a Bootchuana Bushmen وبدت قرية بائسة فى الغاية من البؤس • وتسمى قرية مارا باى Marabay • نسبة الى نبع ماء وافر ومجرى مائى ممتاز يحملان الاسم نفسه على بعد مئات قليلة من الياردات • وعند هذا النبع أعددنا موضع اقامتنا طوال الليل • وكان الناس حذرين منا ولا يدرون ماذا يفعلون ازاءنا اذ يبدو أنهم لم يروا عربات تجرها الدواب أو رجالا بيضا قبل ذلك • وكانت القرية تتكون من عشرة أكواخ يأخذ شكل الواحد منها شكل الفنجان المقلوب •

وهنا سجلت أسماء الماتشابى Matchapees الذين صحبونا كمرشدين الى مالابتسى Malapeetzee :

١ ـ ماروماشينا Maroomechina والاسم يعنى رمح القرية وهو ابن عم ماتيبى Mateebe وهو الشخص الذى تعاقدنا معه كمرشد أما الآخرون فاصطبوه كحراس له أثناء عودته •

٢ ـ ماشانو Machanoo ، والاسم يعنى سقف الحنك (سقف الفم) ، وسبب تسميته بهذا الاسم أن أباه كان يفضل أن يأكل هذا الجزء (سقف الفم) من أية ذبيحة تذبح •

٣ ـ تاو وتعنى الأسد •

٤ ـ ليرا Leraa وتعني الزعيم أو المغوار فى فرق من اللصوص •

٥ ـ تشهوفر Tchehevre وتعنى المجنون •

٦ ـ انكواجى Inquagee وتعنى الشوكة •

٧ ـ الكاروسو Carosooe وتعنى الأحشاء أو الأمعاء •

٨ ـ ميونستوى Meoonstwee وتعنى الأسود •

٩ ـ آوميورى ، وهو اسم أنثى وسميت بهذا الاسم لأنها ولدت عندما عاد ميترى Materee من جملة استمرت عشرة أشهر ضد الأومبورى وغيرهم •

١٠ ـ سيريبال Seerebaal طفل منبوذ وهو ابن المرأة آنفة الذكر أومبودى •

١١ ـ سينيهاى Senehai • وتعنى من لا وطن له وكلاهما (سيريبال وسينيهاى) يدل أسماهما على ظروفهما الحاليـة فقـد تخلى عنهما أبوهما وقـد أحضرناهما الى كلاروتر لمساعدتهما على التماس أسباب الحياة •

١٠ يوليـو :

وجدنا ثلجا فى المياه هـذا الضباح • وفى السـاعة الحادية عشرة غادرنا نبع مارابای Marabay (★) وسرنا محاذين شاطئيه فوق صخور مسطحة وكأنها مسفلتة حتى التقى بنهر يجرى قادما من الشمال الغربى ونتج عن هـذا الالتقاء تكون مجرى واسع • وقد سمينا هـذا النهر الواسع الذى تكون بعد هـذا الالتقـاء باسم نهر أروسميث Arrowsmith River • أشار الترمومتر فى الظهيرة الى ٦٨ ، وواصلنا المسير حتى الساعة الثانية ظهرا فى اتجـاه

(★) استخدم المؤلف Malabary Fountain ، والسياق يشير الى انه يقصد مجرى مائيا صغيرا ـ (المترجم) •

الجنوب الشرقى ثم دخلنا واديا ضيقا طويلا فاتخذ طريقنا اتجاهاً جنوبيا • وفى الساعة الخامسة عبرنا النهر من موضع صخرى عميق ، كان جافا ، وان بدا أنه استقبل مياه وافرة فى الموسم المطير • وقتلنا حيوانا جميلا من حيوانات الكواشا quecha غير بعيد عن النهر ، ورغم أنه من فصيلة الحصان ، الا أن اصطياده جعل الماتشابى Matchapee راضين مسرورين لأن لحمه مستساغ المذاق ، واندفعنا فى سفرنا هذا طوال النهار آملين أن نصل الى مالابتسى Malapeeze ليلا ، فنتمكن من قضاء يوم السبت فيها لكننا وجدنا ذلك محالا فتوقفنا بين الشجيرات غير بعيدين عن مصدر ماء غير وافر •

- ٢١ يوليو :
- الوصول للكافير الحمر •
- غطاءمن القذارة وبقع حمراء •

ولما علمنا أننا قد نصل مالابيتس فى غضون ساعتين بكرنا فى الانطلاق للأمام فى حوالى الساعة الثامنة صباحا ، فعبرنا السهل باتجاه جنوبى شرقى نحو مخرج الممر عبر التلال التى تفصل بين بلاد البوتشوانا Bootchuana وبلاد الكورانا Corranna ، وعلى بعد حوالى ميل مما أسميناه ممر ولبرفورس Wilberforce pass وجدنا حوالى مائة شخص من أهل Lattakoo كانوا قد غادروها بعدنا مباشرة ، وكانوا قد سلكوا طريقا مختصرا عبر التلال • وكان الهدف هو جمع جذور نبات الأونش Ounches التى يأكلونها • وقد ناموا بين الشجيرات طوال الليل رغم أن البرد كان شديدا • وقد بدوا سعداء لأنهم رأونا مرة ثانية وسرعان ما بدأوا تجارتهم القديمة فتسولوا منا النشوق

والتوباكو ، وعند مخرج الممر بالضبط وصلنا لقرية صغيرة يقطنهـا الـكافير الحمـر Red Caffres الذين انسـلوا الى التلال خلف قريتهم (كرال) بمجرد اقترابنا لكنهم عنـدما عرفوا آننـا بصحبة بعض الماتشـابى هبط الرجال من قمم التلال ، ثم هبطت النسوة أيضا بعد أن نادى الرجال لهن • كان منظرهم بائسا البؤس كله وراحوا ينظرون الينا بدهشة ومساكنهم منخفضة حتى ان المرء لا يراها من خلال الشجيرات الا اذا اقترب منها كثيرا ، ويبدو الكوخ كنصف بيضة دجاجة وله فتحة لدخول الهواء لكنها غير ملائمة بالمرة في الموسـم المطير الا اذا كان قاطن الكوخ قادرا على حماية ما بداخـل الكوخ من العاصفة •

★★★

● **صفحات التاريخ وجهود الهداية :**

وبالنسبة للرجل المسيحى الذى يجـد من المحتم عليـه آن يقضى أيامه فى تخليص هؤلاء الناس من بؤسهم فى هذه الأرجاء القصية من أفريقيا فانه يمثل أفضل الأعمال الخيرية النبيلة التى يمكن أن تسجلها صفحات التاريخ ، ان الله قادر على تهيئة مثل هؤلاء الرجال وقادر على أن يبارك جهودهم • فهؤلاء البشر (الكافير الحمر) تغطيهم القـذارة مختلطـة ببقع من طلاء أحمر • انهم يبدون وكأن الواحـد منهم لم يستحم منذ ولدته أمه • وبعد آن سرنا فى الاتجاه الشـمالى الشرقى ثلاثة أميال فى ممر ولبرفورس Wilberforce دخلنا ميدانا ذا طابع رومانسي شكلته التـلال وكان مغطى بشكل جذاب بالشجيرات التى تناثرت هنـا وهنـاك ، والى الشرق منه تقع مدينة مالابيتزى Malapeetzee التى كانت هى هدفنا منذ غادرنا لاتاكو •

مدينـــة مالابيتزى

مقابلات مع أهل المدينة ــ رأيهم فى مقتل الدكتور كوان

مالابيتزى اسم مكان بالقرب من نهر ماكاراب Makarab لكن شعب كورونا Coronna معروف باسـم قرية تيبـوس Tybuss Kraal ، وأيضـا باســم قـرية ماكهـولويانك Makholoyenk • لقد نظرنا الينا السكان بخوف ودهشــة ، فوقفوا فى جماعات وراحوا يرقبوننا من بعيد لبعض الوقت بعد وصولنا وأخيرا التقينا بالناس لنخبرهم بهدف زيارتنا حتى نطمئن بالهم ومضى بعض الوقت قبل أن نستطيع معرفة زعيمهم ، ففى البداية قالوا انه لا زعيم لهم ثم ما لبثوا أن قالوا ان زعيمهم شخص يسمى تيبوس Tybuss لكنه ليس موجودا الآن بينهم ، ثم ما لبثوا أن قالوا أن أوكى Oukey الذى كان حاضرا هــو الــزعيم فى غيــاب تيبوس Tybuss فوجهنا الخطاب اليه وعرفناه بأنفسنا وهدف زيارتنا •

معرفة الله :

فأخبرنا الزعيم أنه كان لفترة عند نبع ريد Reed's Fountain فى الوقت الذى كان فيه الارساليون هناك ، وأنه سمع أن معرفة الله لابد أن تكون متــاحة لكل البشر ، وأنه ظن أن قدومنا يبرهن عــلى صحة ذلك • وبالنســبة له فلا اعتراض لديه أن يعمل المبشرون بينهم ، لكنه لا يستطيع الا أن يتحدث عن نفسه فقط فرغم أنهم يدعونه زعيما لهــم فقد لا يأخذون بمشورته • وقال : انه على سبيل المثــال ،

فان ابن تيبوس Tybuss ومعه آخرون ذهبوا فى حملة مع وانكتزنس wanketzens ، وقد نصحتهم ألا يفعلوا ، ومع هذا فقد ذهبوا وقتلوا ، واستمر قائلا : « انهم أناس منقسمون • أنت ترى انهم لن يقولوا ما يفكرون فيه » فقلنا اننا لا نضغط لسماع أى اجابة فى الوقت الحالى فلهم آن يتشاوروا معا ، ويعطونا رأيهم واجابتهم غدا ، الترمومتر ظهرا : ٧٢ •

البوق والبزة العسكرية :

وبينما كانوا يجلسون أمامنا لاحظنا بوقا فضيا فى مقدمة شعر واحد من ساداتهم ، فاستنتجنا أن هذا البوق لابد أنه يخص البزة العسكرية للدكتور كوان Cowan أو اللفتينانت دينوفان Denovan • فكلف السيد ريد Read واحدا من رجالنا بمقايضته بالتوباكو ، وقال الرجل انه حصل عليه من قبيلة (شعب) الى الشمال •

الصلاة :

وعقدنا اجتماعا تعبديا فيما بيننا وفى المساء تقابلنا مع السكان لتعليمهم وتحدث اليهم السيد اندرسون عن طريق المترجم •

١٢ يوليو :

الترمومتر عند الشروق : ٣٢ • يوجد خمسة وستون كوخا ، أما السكان فحوالى ثلاثمائة ، وثمة ألفى بقرة هنا وأبقار أخرى كثيرة فى محطتين (مركزين) آخرين • وهم

يكادون يعيشون تماما على مواشيهم خاصة ما تدره من حليب فليس لديهم بعد حلب الماشية الا أعمالا قليلة ·

واختلف الأخان :

وهما : لينكس وأبى Abby وقد اختلفا فانفصلا ، وتبع بعض النـــاس أحـدهما وتبع آخـــرون ثانيهما · وأولئك الموجودون حاليا فى مالابيتزى قد تعلقوا بالأول (لينكس) الذى مات ، ولكن أبى استمر عـــلى رأس عـــدد من القـــرى Kraals فى الشمال الشرقى ·

الوفرة وتواضع التطلعات تؤدى للكسل :

وبشكل عام فهم ليسوا طوالا جدا ، وليسوا سودا جدا كالماتشابى Matchappees ولا يدهنون أجســـامهم كثيرا ولا يرشون عليها المســاحيق كثيرا أيضا مثلهـــم (مثـــل الماتشابى) كما أنهم ليسوا ماهرين فى الحرف فهم يحصلون على رماحهم ومعاطفهم من الماتشــــابى ، فلبـــاس الرجال والنساء يتشابه كثيرا مع لباس الماتشابى، ويبدو من ملامحهم أنهم يتسمون بالنشاط لكن وفرة قطعانهم وقلة ما يطلبونه جعلتهم كســـالى · وقد أخبرنا أوكى أنهم ينوون الانفصـــال حالا · ولكنـــه هو وأصدقاؤه قد صـــمموا على البقـــاء فى مالابيتزى Malapeetzee

شرح تعاليم الانجيل :

واجتمعنا بالناس حوالى الساعة التاسعة صباحا وحضر معظم الناس هذا الاجتماع وتحدث اليهم السيد ريد Read

عن طريق المترجم وقدم لهم ملخصا لتعاليم الانجيل فاستمعوا اليه باهتمام باد ، وبدوا مسرورين بغنائنا ، وبعد ذلك اجتمعنا بهم مرة ثانية لمناقشة رأيهم فى قبول مبشرين بينهم وقد كانوا حذرين فى التعبير عما فى صدورهم ، وعلى أية حال فقد قال بعضهم انهم سيكونون سعداء اذا أرسلنا لهم من يعلمهم وقالت امرأة من الكورانا Coranna من جماعتنا أن النساء كن مختلفات مع الرجال ، واعترضن عليهم منكرات أسلوبهم فى عدم الافصاح عما فى ضمائرهم بوضوح وقلن لأزواجهن ان قدوم من يعلمنا هو أمر كنا نتوق اليه منذ وقت طويل ، ولا شك أن الارساليين سيلقون ترحابا .

حل مشكلة اللغة :

وقد أبدى العم ماتيبى Mateebe ــ الذى يعيش هنا ــ اعتراضا لمجىء الارساليين لأن عدم قدرتهم على الحديث باللغة المحلية ستجعل من مجيئهم أمرا لا فائدة فيه ، فقلنا أن هؤلاء الارساليين يمكن أن يكونوا شبابا صغار السن فيمكنهم بذلك أن يتعلموا اللغة المحلية بسرعة ، وقبل أن يتعلموا اللغة المحلية يمكنهم أن يذكروا كثيرا من المعلومات عن طريق المترجم . فاقتنعوا بهذه الاجابة .

التحقيق فى مقتل الدكتور كوان :

ولما سألناهم عن الدكتور كوان وجماعته قرروا أنهم كانوا فى حملة ضد قرية (كرال) المكراكا Makarkka وأنهم رأوا هناك عددا كبيرا من السكاكين وكتيفة epeulette (نسيج مقصب على كتف سترة عسكرية) وقالت لهم احدى النساء هناك أنهم استولوا أولا على خرافه ــ أى خراف الدكتور كوان ــ ثم هاجموا عرباته وأحرقوها وكانت

البنادق مع ماكابا Makkaba وأنهم سمعوا عن هذا الخبر منذ فترة طويلة ، وقالوا ان ماكايا منـذ فترة مضت جمع الناس من مختلف القرى وراح يفخر بأن أباه المحارب العظيم لم يهزم الناس بالبنادق أبدا لذا فانه أحضر الدكتور كوان الى أهل وانكنزى Wankenze (الوانكنزيين) ليقتلوه ، وقد اشترك هو نفسه فى عملية قتله ٠

وقطعت النسوة الأزرار :

وقد قال مرشدونا الذين أتوا معنا من لاتاكو Lattako انهم كانوا فى الحملة ذاتها وأنهم رأوا ملابس الدكتور كوان وكثيرا من السكاكين والشوك والملاعق والبنـادق ٠ وقد أحضر رجل اسمه تو Tow الى لاتكو عباءة ليلية خاصـة بأحد الفلاحين البيض ، وأن هذه العباءة لازالت هناك (فى لاتاكو) وقد سمعوا أن عربات الدكتور كوان قد تم احراقهـا وأن خيوله قد قتلت وأن النسوة قطعن أزرار ملابسه ، أما خرافه وثيرانه فلازالت موجودة فى مواضع مختلفة ٠

وفى الساعة الثالثة استأذنا من أصدقائنا الثمانية من الماتشابى الذين كانوا قد صحبونا كمرشدين من لاتاكو ٠ وحملناهم تبليغ احترامنا لماتيبى Mateebo وقـد كافأناهم على جهدهم بأن قدمنا لكل منهم قليلا من التوباكو فسـعدوا بذلك كثيرا ٠ واستبدلنا بهم مرشدين آخرين من الكورانا Coranna لأن هذه الأنحاء من أفريقيا لم تكن معروفة لأى من جماعتنا ٠ وكنا قد سمعنا عن نهر مالالار Malalareen وعلمنا أن كثيرين من البشمن يعيشون على ضفافه ، ورأينا أننا لو تتبعنا هذا النهر (المالالارين) فانه سيؤدى بنا الى النهر العظيم لذا فقد طلبنا من مرشدينا الجدد (الكورانا)

أن يصحبونا الى هذا النهر ، ولهم بعد ذلك الحق فى أن يعودوا الى مالابيتزى • وقد أهدانا أحد الزعماء (الشيوخ) عنزا وعندما أحصينا خرافنا وجدنا أجدها ناقصا ولم نمل الى الرأى القائل انه سرق ، فهو فى الغالب قد شرد •

- مغادرة مالابيتزى
- رؤية نهر مالا لارين
- قرية (كرال) الماكونا
- السفر على طول المالالارين
- الوصول لقرية الجريكوا Griqua

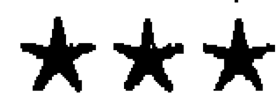
بعد أن استأذنا من السكان الذين تجمعوا جميعا لرؤيتنا ونحن نغادر مدينتهم ، اتجهنا جنوبا في منطقة مكشوفة تحفها التلال من الشرق والغرب ، وكان سفرنا بشكل عام فوق أرض صلبة صخرية كانت هى الأشد صلابة خلال رحلتنا كلها • وكان مما يدعو للدهشة أن عرباتنا لم تتحطم ، وظللنا نبحث عن الماء حتى الساعة التاسعة ليلا دون جدوى حتى هبطنا فوق الصخور الى واد صغير تحفه التلال كان فى باطنه بطن صخرى لنهر ، لكننا لم نجد فيه ماء فتوقفنا هنا لقضاء الليل •

١٣ يوليو :

زعيم البشمن يهدد برمحه :

عند شروق الشمس غادرنا مأوانا هذا وصعدنا تلا يقع مباشرة خلف هذا الوادى فلما وصلنا القمة سعد النظر برؤية

واحد من أكثر المناظر جاذبيـة فى أفريقيـا ، تلال مزدانة قممها بالآشجار ووديان تحاكى أجمل حدائق انجلترا لـكن ما زاد من بهاء المنظر فى عيون ثلاثين من الرجالة العطشى هو تموج نهر المالالارين أمام التلال ٠ وكان هنـاك أيضـا منظر الغابات البعيدة ٠ والحشائش الذابلة بين الشجيرات كل هذا جعل هبوطنا من فوق التل عملا مبهجا ٠ وراح بعضنا ينظر للبعض الآخر كما لو كنا سندخل عالما جديدا ٠ لقـد كانت المنطقة التى نحن بصـدد دخـولها تختلف كثيرا عن المنطقة التى غادرناها خلف التل ٠ وفى التاسـعة صـباحا اقتربنا من قرية (كرال) بشبمنية ليس فيها الا عدد قليل من الأكواخ ٠ وافترض البشمن أننا أعداء أتينـا لشن هجـوم عليهم فأسرعوا يتجمعون تجمع الحرب ولوح زعيمهم برمحه مهددا وقفز عاليا فى الهواء لارهابنا فأشار رجالنا الذين كانوا فى المقدمة أننا أتينا كأصـدقاء وأقنعـوهم أثنـاء اقترابهم أن ينحوا قسيهم وسـهامهم المسمومة ، أما النساء البشمنيات فقد اختبأن فى الأكواخ ٠



نسوة البشمن يفزعن عند رؤية الرجل الأبيض :

وبعد أن تناقشنا قليـلا مع الزعيم الذى كان اسـمه ماكون Makoon خطوت جانبا لأكون قريبا من كوخه وانحنيت لأرى ما بداخله لكن الفزع الذى انطبع على ملامح زوجتيه عندما رأيانى لا يمكن أن ينسى ، لقـد كان الأمر وكأنهما رأيا أسدا أو نمرا ، بل لو أن ذلك حـدث بالفعـل لما كانا

فزعتين بالقدر نفسه الذى فزعتا به عندما رأيانى • ولأجذب انتباههن وأستميلهن أخرجت ساعتى ، وفتحتها (★) وعرضتها أمام الجميع ليلاحظوا حركتها •

الساعة المرعبة :

وسرعان ما خلصوا الى أن ساعتى هذه هى فى الحقيقة حيوان حي ، وأن عرضى بأن أقربها من آذانهم لسماع دقاتها ، ما هو الا عرض خبيث لالحاق الضرر بهم بواسطة هذه الساعة (الكائن الحى الضار) فأغلقت المرأتان البشميتان باب الكوخ هروبا من الساعة • ولما رأيت أن رعبهما ليس مجرد تكلف أو تظاهر وانما هو رعب حقيقى تركتهما وحملت الساعة مفتوحة للزعيم ماكون Makoon فحملق فيها هو وشعبه ـ من مسافة قريبة ـ بخوف ودهشة • ولما عرضت عليه أن أضعها قرب أذنه انكمش متراجعا ، لكنه رغب فى أن يظهر شجاعته أمام شعبه فاستجمع كل شجاعته وقرر أن يستمع الى دقات الساعة • فلما رأى الناس أن الزعيم لم يصب بسوء بعد أن وضع الساعة قرب أذنه أراد كل واحد منهم أن يستمع لدقاتها ، وظلت عيونهم لبعض الوقت معلقة بهذه الظاهرة العجيبة ، ثم قدمنا لهم هدية من التوباكو ، وكان هذا بالنسبة لزوجتى الزعيم اغراء لا يمكن مقاومته فخرجتا من الكوخ واقتربتا منا لتستجديا التوباكو مثل غيرهن ، وأمام اغراء التوباكو سمحتا بتقريب ساعتى من آذانهما وهما جالستان تدخنان •

طول زوجة الزعيم أربع أقدام لا غير :

لقد كانت زوجتا الزعيم قصيرتين ، لا يزيد طول الواحدة منهما عن أربع أقدام تقريبا ولم يكن بهما أدنى

(★) من الواضح أنها ساعة جيب ذات غطاء •

تشوه وكانت كل واحدة منهما تربط فوق ظهرها طفلا صغير الحجم جدا ، ولم تسمع زوجتا الزعيم أبدا عن كلاروونن أو عن الارساليات التبشيرية ٠

البشمن يريدون معرفة الله :

وشرحنا للزعيم ماكون الهدف من زيارتنا لبلاده وأقنعناه أنه يمكننا أن نقول له أشياء كثيرة مفيدة له ولشعبه خاصة فيما يتعلق بالله (سبحانه وتعالى) the Being الذى خلقه وخلق شعبه وخلق الشمس والقمر والجبال والأشجار ، انه (أى الزعيم) اذا وافق فاننا نرسل له ــ من بلاد بعيدة ــ شخصين ليعلما شعبه هذه الأشياء ٠ وكانت اجاباته مختصرة لكنها شاملة ومتفهمة ، ومن ذلك قوله : « سأكون سعيدا اذا أتى الى بلادى من يعلمنا ما لم نعلم » وأضاف قائلا : « ان هناك خلقا كثيرا يتبعنى » وأشار بيده الى الشرق وقال : « اننا بشمن مسالمون ، وكان أبى مسالما وكان جدى كذلك أيضا ٠٠ انهم لم يسرقوا أبدا أى شىء من جيرانهم » وليشجعنا على ارسال معلمين لشعبه قال : « ان لدينا طرائد كثيرة وماء » ٠

دهان الوجه بالحمرة لارهاب العدو :

وكانت وجوه بعضهم ملطخة باللون الأحمر بشكل مرعب وربما فعلوا ذلك لارهابنا اذا تبين لهم أننا أعداء ٠

دعم الكنائس :

وتوقفنا هنا الى جوار النهر حتى حوالى التاسعة والنصف ٠ ويسميه البوتشوانا مالالارين Malalareon

ويسميه الكورانا مهو Ilhou ويسميه آخرون القلب the Heart • لقد كان قدرا فريدا ذلك الذى قادنا الى حيث زعيم كل البشمن على النهر ، فلو أننا كنا قد عبرنا التل فى منطقة أبعد بنصف ميل فقط لما اكتشفنا وجود قرية (كرال) البشمن وبالتالى لم نكن حققنا الهدف من زيارتنا لهذه البقعة الأفريقية التى لم يكتشفها أحد قبلنا • انه أمر الله ، وبشارة طيبة لهؤلاء البشمن البؤساء ، وماكون رجل ماهر بشكل جلى بدا لنا لا يمتلك شيئا الا معطفه الجلدى الذى يغطيه وقوسه وسهامه • ان الارساليين الذين سيعملون هنا بين هذا الجنس البشرى البعيد تماما عن حياة التحضر يستحقون الشكر والدعم من كل الكنائس المسيحية •

قطيع الزراف :

وفى الساعة الثانية والنصف استأذنا الزعيم ماكون وشعبه وعبرنا نهر المالالارين عند البقعة التى رغب الهوتنتوت أن يسموها قلعة المبشر • وكان اتجاهنا بعد ذلك جنوبيا وأحيانا جنوبيا غربيا وقبل الغروب بقليل أطلق رجالنا النار على قطيع من الزراف كان ارتفاع الزرافة منه ــ كما قدروا ــ حوالى ثمانى عشرة قدما ورأيت القطيع وهو يفر هاربا • لقد بدت الزرافة حيوانا ضخما لكننى لا أستطيع تقدير ارتفاعها لأننى رأيتها على البعد الا أنها على أية حال أكثر الحيوانات التى عرفتها ارتفاعا • وفى الثامنة صباحا توقفنا على شاطىء المالالارين فى ظل بعض الأشجار حيث وجدنا خشب وقود كثير ، وقرونا مختلفة لحيوانات برية • وزارتنا أسرة بشمنية كانت تقيم على مسافة غير بعيدة •

١٤ يوليــو :

الترمومتر عند طلوع الشمس : ٢٧ ·

غادرنا سهل فاندركب Vanderkemp ظهرا حيث أشار الترمومتر الى ٧٦° · نهر المالالارين يجرى هنا متخذا شكل قوس · ومن الطبيعى اننا واصلنا المسير الى الشرق · كان السهل عامرا بالطرائد ، وأطلقنا النار على أحد حيوانات الكنو Knoo فى حجم البقرة العادية وأعطينا جانبا من لحمه للكورانا السبعة المرافقين لنا كمرشدين من مالابيتزى وبعدها غادرونا وكانت أسماؤهم كالتالى :

ـ كائين دى هارى Kaeen de-heree والاســـم يعنى بهجة الشمس المشرقة ·

ـ كورهى Korhee والاسم يعنى الحجر الأبيض ·

ـ موكوى Mooquee والاسم يعني رؤية الأشياء عــلى نحو صحيح ·

ـ شـــيبى Cheebeea ·

ـ كيسيشـــــا Keissecha ، والاسم يعنى رئيسى أو فى المقام الأول foremost ·

ـ تيـــــون هـــــافل Teoon havel والاسم يعنى الطلقة الطائشة أو الصيد غير الناجح ·

ـ موكها Mookha والاسم يعنى النظرة الحادة ·

عوى الذئب ثم هرب :

وكانت المنطقة فى الجانب المقابل أو الجــانب الشرقى لنهر المالالارين تغطيها الأشجار بشكل جميل ، وكانت التلال

البعيدة تحد المشهد ، وفى الساعة السابعة مساء التقينا بالنهر مرة أخرى وتوقفنا للمبيت • وسرعان ما شم ذئب رائحة أغنامنا فتسلل مقتربا الا أنه وجدنا أقوياء ومستعدين للقائه فعوى ازاءنا ولم يفعل الا العواء ثم غادرنا • كان الليل باردا وأخشاب الوقود قليلة ، فجاهدنا أنفسنا لننام بسرعة •

١٥ يوليو :

الذرة بديلة للبن والفاصوليا بديلة للخبز :

الترمومتر عند شروق الشمس ٤٢ ، وكانت الرياح قوية وباردة • لقد نفد ما معنا من شاى وبن ، وحاولنا أن نستخدم ذرة الكافير Caffre Corn (★) كبديل ونجحت المحاولة ولما كان يعوزنا الدقيق لعمل الخبز طوال الاسبوعين الماضيين ، فقد وجدنا أن فاصوليا (أو حبوب) البوتشوانا Bootchnau هى خير بديل ، أما بالنسبة للزبد فان ذيول الخراف (لية ــ بتشديد الياء) اذا ما أعدت اعدادا جيدا كان لها مذاق الزبد الطازج • وأثناء السير على شاطىء النهر سقطت ــ تقريبا ــ فى حفرة من الحفر المغطاة التى يعدها البشمن لطرائدهم ، وكان من الممكن أن يكون سقوطى على مقدمة السهم الخشبى الحادة الذى يثبتونه فى قاع الحفرة • الترمومتر عند الظهر ٧٢ وهو الوقتالذى بدأنا فيه الاتجاه للجنوب الغربى ، وفى الساعة الواحدة ظهرا عبرنا المالالارين وفى غضون نصف الساعة كان علينا أن نعيد عبوره مرة أخرى وفى هذه الأثناء اصطدمت احدى

(★) يبدو أن المقصود هو تحميص الذرة الذى يزرعه الكافير وطحنه كبديل للبن ــ (المترجم) •

عرباتنا بشدة فى وسط النهر (فى موضع جاف) بسبب انغراس احدى العجلات الأمامية فى حفرة ، وعلى أية حال فقد تم سحبها بسلام بعد جهود مضنية قام بها الهوتنتوت والثيران ، وعند غروب الشمس تقريبا اصطاد رجالنا واحدا من حيوانات الكواشا Quacha .

الكواشـــا :

والفرق بين حيوان الكواشـا الموجـود فى شـمال النهر وحيوان الكواشا فى جنوب النهر يختلف اختلافا بينا . كلاهما مخطط لكن حيوان الشمال خطوطه سوداء وبيضاء ، وحيوان الجنوب خطوطه بنية وسـوداء . ولا أسـتطيع أن أخاطـر بمحاولة معرفة سبب هذا الاختلاف . وبعد عدة ساعات من السفر اختفى نهرنا الحبيب من أمام نواظرنا وبتنا خائفين ألا نلقاه مرة أخرى وعلى أية حال فاننا وصلناه مرة ثانيـة فى الساعة العاشرة .

الوحل والطاووس البرى :

الترمومتر (مقياس الحرارة) عند شروق الشـمس : ٣٨ ، وعند الظهيرة : ٦٠ . وقد غادرنا موقعنا وواصلنـا السير عند الظهر ومررنا بأطراف تلال هامز Hammes Hills على الجانب الغربى للنهر ، وسرعان ما دخلنا مكانا عميق طينه تغطيه حشائش طويلة ذابلة وغاصت الثيران حتى الركب فى هذا الوحل ، ورحنا ـ وكأننا نركب سفنا أثناء هبـوب العاصفة ـ نبحث عن أقرب ميناء ، فأسرعنا بالعربات بأقصى سرعة حتى نصل الى أرض يابسة . وخـلال هـذا النشاط الصاخب والسرعة ، بسبب الرغبة فى الخـروج من هـذا الوحل ـ أطلقنا النار على طاووس برى يبلغ قياسه من طرف

جناحه الأيمن الى طرف جناحه الأيسر ست أقدام • وعبرنا الى الشاطىء الشرقى للنهر فى الساعة الثانية ظهرا فدخلنا سهلا مستويا جميلا سميناه أرض الملوك Kingsland ، وهنا وقعت واقعة مؤثرة •

الكنو يجرى مقطوع الساق :

أصيب واحد من حيوانات الكنو Knoo بكسر فى ساقه الخلفية فوق القدم بقليل نتيجة طلق نارى ، بينما كان يجرى ناحية عرباتنا حوالى ميل رغم قطع جزء من ساقه • وتوقف على بعد مائة ياردة من عرباتنا ليبعد عنه الكلاب التى بدأت تضايقه ، وكاد واحد من الكلاب يقع ضحية قرونه فهى قرون على شكل خطاف hocks وهو يستطيع دائما — بهذه القرون — أن يقتل من يريد ، لقد دافع عن نفسه دفاعا نبيلا لكن طلقة فى جبهته عجلت به ، لكن دفاعه عن نفسه بهذا الشكل المستميت لابد انه حقق له الرضا ، وفى السهل نفسه قتلنا ظبيين (من ظباء القوقز — بفتح القاف وتسكين الواو) •

يد تقطع اللحم وأخرى تحمل السهام السامة :

واقترب منا اثنان من البشمن — كان واضحا عليهما الخوف والجبن — بينما كنا نقطع لحم الكنو فأعطيناهم العمود الفقرى مكسوا باللحم فظهرت عليهما السعادة لكن عندما شرعا فى تقطيعه ظل كل واحد منهما يحمل سهامه المسممة وقوسه كما لو كانا غير آمنين على حياتهما فى وسط الغرباء الذين لم يظهر مثلهم قبل ذلك فى هذا الجزء من العالم •

وسقط الثور على جنبه :

وفى حوالى الساعة السابعة مساء التقينا مرة أخرى بنهر المالالارين وحاولت عبوزه بعربتى فغرست فى الطين

وسقط واحد من الثيران على جانبه وكانت سقطة مربكة فلم نستطع اقامته • أشعلنا النيران لنتمكن من رؤية العوائق فرأينا أن الشاطىء المقابل منحدر جدا بحيث لا يستطيع الثور جر عربة والصعود بها ، وربطنا حوالى ستة عشر ثورا بمؤخرة العربة وسحبناها للخلف الى الشاطىء بعد أن قضينا ساعة فى قاع النهر ، لقد كنت مسرورا من أجل البشر العاملين معنا الذين مكثوا فترة طويلة فى المياه ، وذلك عندما رأيتهم يجمعون قدرا كبيرا من الأخشاب لاشعال النيران ليستدفئوا ويجففوا أنفسهم ، وكان علينا أن نتجه نحو الجنوب الغربى •

● الوصول للنهر العظيم

● وسلمنا من الأسود

١٧ يوليو :

وفى الساعة السابعة صباحا عبرنا النهر بسهولة •• وفى الساعة العاشرة صباحا ـ بعد مرور وقت طويل التقينا بالنهر مرة أخرى حيث قابلنا أربعة من البشمن الذين أخبرونا أننا لم نكن بعيدين عن مصب النهر • وفى الساعة الحادية عشرة لاحظنا ثيرانا ترعى على البعد وعرفنا بعد ذلك أن أصدقاءنا فى كلارووتر قد أرسلوها لاراحة ثيراننا المرهقة • وسرعان ما رأينا ثلاث عربات تابعة أيضا لهؤلاء الأصدقاء الذين وصلوا هنا لاصطياد أفراس النهر Sea Cows وفى الظهر وصلنا الى النهر الأصفر الذى يصب فيه نهر المالالارين ، والنهر الأصفر أكبر كثيرا من نهر التيمز وتزداد مياهه باتصال أنهار أخرى به ، ويعتبر مكان التقاء الأنهار الأخرى به من أجمل البقاع وأكثرها جاذبية حيث

يكون النهر (★) وشاطئاه المستويان مغطى بالشجر (؟)
The river & its elevated banks Covered with trees.

ولم يسبق لأى رجل أبيض أن زار هذا الجزء من النهر العظيم . مقياس الحرارة (الترمومتر) ظهرا : ٦٩ . وظل سفرنا طوال النهار فى اتجاه الجنوب الغربى .

١٨ يوليـو :

مقياس الحرارة (الترمومتر) عند الشروق : ٥٠ وعند الظهر : ٦٨ . زارنا رجل من البشمن ومعه زوجتاه ، وشاهدوا صلاتنا لكن بدا أنهم لم يهتموا بها كثيرا ، وبعد أداء الصلاة ارتقيت ربوة منعزلة على شاطىء النهر ، كان مدى الرؤية الى الشمال الشرقى والجنوب الشرقى ممتدا واسعا . لقد كان ثمة احساس عميق جاء وقورا يجتاحنى عندما فكرت أن عينى أوربى لم يسبق لهما أن مسحتا هذه السهول والجبال والأنهار كما مسحتها عيناى ، واننى الآن على بعد عشرة آلاف ميل من وطنى ، وعمق هذه الأحاسيس العميقة والجادة والوقورة ، ذلك السكون الذى يغمر المكان ...

١٩ يوليـو :

انظر الى عينى الأسد يبتعد عنك :

غمرت الحركة المكان قبل الشروق ، فالكل يستعد للرحيل ، وكان آدم كوك koko هو الوحيد فى جماعتنا من يعرف الطريق الذى يجب أن نسلكه ، ولم تكن ثيرانه

(★) لا نفهم كيف يكون النهر مغطى بالشجر ــ (المترجم) .

جيدة نشطة ، لذا فقد تركناه يسبقنا على أن نسير فى اثره متتبعين آثار عربته ، وفى الساعة الحادية عشرة صباحا غادرنا مجمع النهرين (النهر الأصفر والمالالارين) وسرنا فى منطقة صخرية ضارة بالنسبة للعربات • وفى الساعة الثانية ظهرا افتقدنا آثار عربة كوك وسرنا بين صخور سيئة فى واد ضيق بين الجبال ، وعند الغروب تقريبا لاحظت واحدا من رجالنا يقف بلا حراك لدقائق : ولما اقتربت عرباتنا استدار وسار نحونا أقرب ما يكون الاستثارة والهياج وعندما استفسرنا منه عرفنا أنه رأى على حين غفلة أسدين • وقف كل واحد منهما ينظر للآخر حتى وصلت أصوات جلبة عرباتنا فوق الصخور فسارا مبتعدين ، ولولا ان هذا الرجل يمتلك الثبات الكافى الذى جعله ينظر مباشرة للأسدين لكان قد تم تمزيقه اربا ، فما دمت تنظر لوجه الأسد بثبات فانه لن يهاجمك (★) وأعلن انه أحس بالاضطراب حتى قبل أن يرى الأسدين • لقد توقفت ثيرانى مرة واحدة وأبت أن تتقدم للأمام بسبب الارهاق ، وعلى أية حال فاننا أجبرناها على التقدم قليلا بين الأدغال بعد جهد جهيد ، وسرعان ما أصبحت الأدغال من الكثافة بحيث لا يمكن اختراقها وأصبح الظلام شديدا واكتشفنا بعد جهد أنه لا طريق للخروج من هذا الدغل الكثيف ، وعلى أية حال كنا مضطرين للتوقف حيث كنا فى الساعة السابعة مساء • وأشعلنا نيرانا كثيرة وأطلقنا طلقتين ناريتين كاشارة لآدم كوك لكننا لم نتلق ما يفيد انه سمعهما • وظهرت نيران عظيمة على تل الى الجنوب لكن تبين أنها نيران أوقدها

(★) من الصعب – بطبيعة الحال – ان نؤكد هذا الكلام او ننفيه ، فهذه مهمة الاختصاصيين فى سلوك الحيوان – (المترجم) •

البشمن • وكنا نعرف أنه ليس من ماء قريب لأن النهر يتخذ شكل قوس فهو على بعد أميال كثيرة صوب الجنوب •

٢٠ يوليــو :

الوصول للماء بواسطة استغلال غريزة الماشية :

اكتشفنا فى ضــوء النهــار اننا وســط غابة تحيط بها الجبال من كل ناحية وبفضل حاسة الشم أو الحاسة الغريزية لدى الماشية وجدنا ماء فى ركن بين التلال ، مقياس الحرارة عند الشروق : ٣٤ • جاءنا أربعة من البشــمن وامرأة فى الصباح الباكر وأخبرونا عن الموضع الذى يمكننا أن نحصل منه على الماء بعد ذلك • وفى الساعة التاسعة واصلنا المسير بالاستدارة حول طرف التل •

ملايين الأفدنة بلا صاحب :

وسلكنا الطريق الأيمن مرة أخرى ، ومررنا بكثير من أشجار القطن البرية التى ربما كانت تزرع بمساحات واسعة فى هذا الجزء من أفريقيا لاستغلالها كمادة تجــارية مهمــة لا يعــوق تصــديرها الا البعد عن البحر • ان ملايين كثيرة من الأكرات acres يمكن أن تكون تحت امرة أى رجــل يود استغلالها على أن يتحمل المشاكل الناجمة عن ادعائه ملكيتها • وقد رأى رجالنا الذين يسيرون فى المقــدمة احــدى عشرة زرافة لكنها انسلت للنهر قبل أن تصل عرباتنا ، وفى الظهر توقفنا عند ماء رائع سميناه مجرى ستينكوبف Steinkopff

وفى الساعة الثانية ظهرا تقدمنا وسط غابة تحــدها التلال التى كانت قريبة من أيامننا ، ورأينا طرائد مختلفــة لم نصطد منها شيئا رغم أنها كانت تتيح لنا مزيدا من اللحم •

وبعد الغروب مررنا بقرية من قرى (كرال) البشمن على مسافة يسيرة · وكانوا يشعلون النيران لكن أحدا منهم لم يقترب منا وهنا قابلنا رسولا يركب حصانا وكان يبحث عن آدم كوك ، وقد قدم هذا الرسول من احدى المراكز outposts التابعة لكلاروونر وقد خاب أمله لأنه لم يجده معنا · وكان هذا الرسول مسلحا ببندقية وكان يأمل أن يلتقى بآدم كوك سريعا ، وقد أوقدنا مصباحا لنتمكن من التقدم للأمام قليلا، وفى الساعة الثامنة وصلنا لموضع به كثير من خشب الوقود فتوقفنا وأشعلنا نيرانا كثيرة واستمتعنا جميعا بالدفء حول هذه النيران لأن برد الليل كان قارسا ·

٢١ أكتوبر :

معركة الأشواك :

غادرنا المكان فى الساعة الثامنة صباحا وأسرعنا بالتقدم للأمام لنصل الى الماء · لقد سببت الأشجار لنا أذى غير عادى خاصة هذا النو من الأشجار المعروف باسم توقف لحظة Stop-a-white (★) فقد آذى الثيران والعربان ومزق ملابسنا · لقد أمسكت بى احدى هذه الأشجار بقسوة ولم أخلص نفسى منها الا بمشقة فما أكاد أتحرر من خطاف (شوكة) حتى تنغرس شوكتان (خطافان) فى مواضع أخرى من ملابسى · وفى الساعة الحادية عشرة درنا حول قمة التل فأصبح طريقنا الى الغرب بين الجنوب الغربى ، وعند الظهر وصلنا لقرية من قرى كلار ووتر ولما سألت عن اسمها قالوا لى ان اسمها قرية كامبيل Campbell (★★) ·

(★) يبدو انها اشجار شائكة والاسم الذى اورده ـ من الواضح انه ذو طابع بلاغى وليس الاسم الحقيقى ـ (المترجم) ·

(★★) اى على اسم هذا الرحالة ـ (المترجم) ·

جون كامبيل ـ ٢

كـوريشـين

KURREECHANE

فى سنة ١٨١٩ م اهتم مديرو الجمعية الارسالية بلندن بالتقارير التى وصلتهم والمتعلقة ببعض المفاسد فى محطاتهم (مراكزهم) فى جنـوب أفريقيـا ؛ فأرسـلوا الدكتور جـون فيـليب كامبيل لتقصى حقيقة هذه التقارير · وقد بقى فيليب فى مدينة الكاب (الراس) كمسئول عن محطات (مراكز) الجمعية أما جون كامبيل فواصـل رحلته الى لاتـاكو lattakoo وهنـاك قـرر أن يزور البوهوروست Buhuruste وأن يبحث أوضاع الارساليات العاملة بينهم والنص التالى من كتاب :

Cempbell's travels in South African a 2nd Journey (Vol I Francis Westley (London, 1822).



· · · بعض الوقائع فى رحلة من الماشو الى كوريشين ·

٢ مايو ١٨٢٠م :

أثناء الليل كنا نسمع أسودا كثيرة تجوس حول العربات وعند شروق الشمس فى السادسة والنصف غادرنا المكان · كان الضباب كثيفا فتسببت أشعة الشمس فى تساقط ما يشبه

المطر الخفيف ، وكانت الحشائش محملة بقطرات النـدى .
وتوقعنا أن نتناول الافطار على ضفاف نهر المولوبو Molopo
لـكن كان من الصـعب أن نتـأكد من المسـافة من أناس لم يسـمعوا أبدا عن الميـل أو السـاعة أو الدقيقـة . وكان اتجاهنا ينحو نحوا شرقيا . كانت التربة سـوداء وكانت الأشـجار متناثرة فوق السـهل المعشـوشب ، وكانت بعض الحشائش يبلغ ارتفاعهـا ثلاث أقدام وأربع . وفى الساعة التاسعة وصلنا الى نهر المولوبو ، وهو آخر نقطة وصـلتنا عنها معلومات نتيجة استطلاعات السيد كوين Cowen ودونوفان Donovan وجنـود فوج الـكلب الذين كانـوا قد عبروا النهر منذ أربعة عشر يوما . لقد كان عرضه ـ أى النهر ـ عشر ياردات ، كما كان عمقه ـ فى بعض المواضع ـ قدمين وكان بطن النهر صخريا الا أن ماءه كان رائعا حسن المذاق ، ولا تنمو أشجار على أى من شاطئيه ولمسافة لا تقـل عن خمسمائة ياردة ، الا أن البوص (الناب) متوافر عـلى شاطئيه بكثرة ، وقال أهل البلاد ان منبعه الى أعلى غير بعيد عنا ، ويتجه هذا النهر ناحية الغرب . وتوقفنا على شاطئه الشمالى وكنا سعداء جدا بمياهه . وهذا النهر لم يرسم حتى الآن على الخرائط المتداولة .

لاحظت أن ثيران التحميـل التابعـة للماروتزى Morootzee كانت محملة بجلـود الحيوانات التى اشـتروها من تاماها Tammaha فى ميريبوهـوى Meribohwhey . وكان من المفهوم أن هذه الجلود قد جلبت ليقايضوا عليهـا مع الأمم الواقعة الى الشرق من الماروتزى ـ فى اتجـاه المسـتوطنات البرتغالية .

★★★

وقد واصل الموناميت Munameets الرحلة كلها سيرا على الأقدام ، ذلك لأنهم كانوا قد اشتكوا فى المرحلة الأولى من الرحلة من أنهم يعانون من رجرجة عرباتنا .

وغادرنا نهر المولوبو Molopo عند الظهر (درجة الحرارة ٧٢ ، والسحب متناثرة) ودخلنا سهلا ، وبعد فترة وجدنا آجاما (مجموعة من الأشجار) متباعدة بعضها عن بعضها الآخر ، وبعد ذلك لم يكن ثمة شىء خلا الحشائش تحيط بها الأشجار ــ بعيدة عنها بعدا شديدا وبين الحين والآخر كنا نمر على أرض جرانيتية مسطحة وينمو العشب حول كل بركة صغيرة ، وعندما كنا نسير بين الحشائش الطويلة كنا نأخذ حذرنا تماما مخافة الحيات المنتشرة فى هذه الأنحاء ، فالخطر الأكبر من الحيات فى هذه الأنحاء يكمن فى وطئها وهى مختبئة بين الحشائش ، فانها فى هذه الحالة تلدغ من اعتدى عليها ، مع أنه فعل هذا بغير قصد منه . واشارة الى مثل هذه الأحداث فان السيد المسيح قال لحوارييه السبعين الذين أرسلهم ليبشروا بالانجيل (لوقا ــ ١٠ ــ ٤٩) « انظروا ، اننى أعطيكم قوة وطء الحيات والعقارب ، ولن يصيبكم منها أذى » . وارتحلنا فى سهل بلا شجر فمكننا هذا من أن نلقى نظرة ماسحة شاملة على كل قافلتنا ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتيسر لنا فيها ذلك . لقد كانت العربات والرجال والنساء والأطفال والثيران والخراف ، وكل ما يكون حملتنا يمتد قرابة ميل . خمسة وأربعون ثورا من ثيران التحميل كل واحد منها وراء الآخر يمتد طابورها مسافة كبيرة . وكان كل الرجال يحملون أسهما والنسوة يحملن أطفالهن أو أشياء أخرى فوق ظهورهن وفوق أكتافهن أو رءوسهن . ولما رأيت هذا المشهد لم أستطع

مقاومةالرغبة فيأن تكون كلالارساليات التبشيرية هنا لتشهد هذا المنظر الفريد : هوتنتوت وماتشابى Matchappees وتاما Tammahe وماشو Mashoas وماروتزى Marootzes ، انهم جمع متباين فى ملامحه وملابسه وادواته ·· الخ ·

ومررنا باثنين من حيوانات وحيد القرن (الكركدن) يرعيان بهدوء على جانب تل صغير ، على بعد حوالى نصف ميل الى اليسار · وأدركت أن بطن المسيل كان مغطى تماما بالأحجار وبدا أن به ماء ، كما بدا كما لو كان قد تم نقبه فى أكثر من مكان بوسائل بشرية (ليست بفعل الطبيعة) ·

وقابلنا ثلاثة من الماروتزى فى الممر ، وكانوا قد غادروا كوريشين Karreechane هذا النهار بهدف القيام برحلة صيد قصيرة · وكان وجه قائد المجموعة the principal man مطليا بلون أكثر حمرة من أى حمرة أخرى سبق أن رأيتها على وجه أحد من الشعوب (الأمم) الموجودة فى بقاع أكثر تطرفا نحو الجنوب · وعند ظهورنا نبههم كلبهم بشدة حتى أنه جرى بسرعة بمجرد اقترابنا ، ولم يعد الرجل الذى جرى فى اثره بينما كنا نتوقف · ولما غادرنا الممر دخلنا واديا متسعا على نحو ملحوظ تحفه التلال ، ومن خلال فرجة بين هذه التلال ألقينا نظرة خاطفة على المنطقة الواقعة الى الشمال الشرقى ، وتطلعت اليها بشوق خاصة اننى أعلم من خلال التقارير التى وصلتنا أن عددا كبيرا من السكان يعيش فى هذا الاتجاه ولما فكرت فى مدى ما يمكن أن تتركه رحلتنا اليهم من تأثير وجدت أننا بصدد الاقتراب من عالم جديد ·

وفى وسط الوادى وجـدنا نهـرا يجرى نحـو الشرق محدثا ضوضاء أثناء جريانه وبدا انه يعوق تقدمنا نظـرا لعمقه وتحدر شاطئيه تحدرا شـديدا · لقـد كانت حافة الشاطىء عمودية ويبلغ ارتفاعها حوالى عشرين قدما وبعد أن فحصنا المنطقة من أعلاها ومن أدناها ثبتنا فى موضـع قدرنا أنه يمكننا أن نمر خلاله بقليل من العمل ورحنا نعمل بالفؤوس والمجاريف ولم يحدث لنا أثنـاء العمـل حوادث خطرة ، وكان علينا أن نصعد ــ بعد ذلك ــ الحافة المنحدرة للتل والتى تفصلها أحجار غير ثابتة ، وأشجار ، وبالقرب من القمة أصبح الصعود أكثر سهولة واستمر كذلك مســافة ميلين ، لكن سرعان ما وصلنا لسفوح تلال عاليـة شـديدة الانحدار ، لقد كانت هذه التلال هى الأعلى والأشد تحدرا منذ غادرنا الماشون Mashon ، بل انها لا تبلغ نصفها ، وعلى أية حال فاننا اذا قسنا ارتفاعها من مستوى سطح البحر فربما كانت مساوية فى ارتفاعها لأى جبال أخرى فى جنوب أفريقيا اذ يبدو أنها ــ أى هذه الجبال ــ تشتمل على منابع لأنهار تجرى غربا وأخـرى تجرى شرقا وتصب فى المحيط الهندى ·

وفى الساعة الخامسة وصلنا لسفوح هذه السلسلة من التلال ، وقدرنا أننا لن نصل الى قممها قبل الغروب ·

وما كدنا ننصب خيامنا حتى جاءنا واحد من الموناميتز Munameets بملامح مكتئبة ، وأخبرنا أنه يشعر بالخوف فقد أصبح قريبا من الماروتزى Merootzee ولم نجد ما نفسر به خوفه الا بأن ما قام به قبل ذلك من اراقة دم وقر فى عقله ، تماما كما أحس قابيل بالخوف بعد قتله لأخيـه هابيـل ·

وقد لاحظنا شجرة من النوع الذى ينمو فى المستعمرة (مستعمرة الكاب the Colony) وتسمى هناك شجرة الكارو (شجرةالعربة الكارو أو التى تجرها الدواب Waggon tree) ويقال انها لا توجد أبدا بعيدا عن المحيط الا بمقدار رحلة قوامها خمسة أيام أو ستة ، ووجدنا أيضا أشجار الخوخ البرى كما شاهدنا أشجارا دائمة الخضرة محملة بثمار غضة تشبه الكرز لكنها خضراء تماما ۰ ورغم أننا الآن فى أول أسبوع من فصل الشتاء الا أن الحشائش وأوراق الأشجار تبدو كما لو كانت فى أول أسبوع من فصل الصيف ، التربة سوداء والأرض مكونة من طبقات كألواح الاردواز بدت للرائى من خلال الحفر التى سببتها الأمطار ۰

٤ مايو :

مر خمسة عشر رجلا من الماروتزى Marootzee فى الصباح فى طريقهم الى منجم أحجار الحديد iron stone وكانوا قد اخترقوا الممر الضيق الذى قدمنا منه ۰ ويقولون انهم يصنعون من الحديد الذى يحصلونه السهام والسكاكين والخرز ۰۰ الخ ويبادلون مصنوعاتهم هذه بأشياء أخرى ، مع جيرانهم من الأمم (الشعوب) الأخرى ۰ ويحمل معظم الرجال شباكا ليضعوا الخام الذى يجلبونه فيها ، وهذه الشباك معمولة من حبال مجدولة من الحشائش أو السمار ۰ وتوقفت كل مجموعة منهم لفترة وجيزة عند مرورهم بعرباتنا ۰

غادرنا المكان فى الساعة السابعة صباحا وصعدنا بالتدريج نحو سلسلة التلال الواقعة أمامنا نحو الشمال ۰ وسرعان ما دخلنا فى المنطقة التى يمكن أن نسميها مرتفعات

الماروتزى حيث أربعة مدقات (طريق لا يصلح الا للمشى على القدمين Foot paths)_أو خمسة تتخذ اتجاها واحدا ومتوازية معا ٠ وكانت متقاربة بحيث تتخذ شكل طرق الريف الانجليزى الفرعية وثمة ألواح حجرية فى اتجاه حافة المدق (الطريق) قد ثبتت فى الجوانب المنخفضة من الطريق ٠ وكانت التلال مكونة من طبقات stratified وتميل ناحية الشمال ٠ وكان الطريق (المدق) فوق التل مغطى بأحجار غير ثابتة بينها كثير من الأحجار التى تتخذ شكل درجات ، يبلغ ارتفاع الواحدة منها بوصتين أو ثلاث أو أربع ، وهى على أية حال ، لا تشكل عوائق تقدم عرباتنا ٠ وكانت التلال على جانبى الممر جميلة فى ارتفاعها الشاهق وكانت مزدانة بأشجار مختلفة أنواعها ٠ كان الصباح جميلا وكان المنظر بهيجا ٠ وكانت الصخور التى تكون التلال ذوات ألوان برنزية وصفراء ، وهى ثرية بخام الحديد ٠

وعندما غمرنا ضوء النهار أرسلنا عددا قليلا من الرجال ومعهم أدواتهم ليسبقوا وليتبينوا ان كان ثمة عوائق تعوق عرباتنا نتيجة كثافة الغابات ، ووجدنا انهم قد قطعوا أفرع بعض الأشجار وملأوا بعض الحفر العميقة وقاموا بتسوية أجزاء أخرى وأزاحوا أحجارا ضخاما ، وعند قمة المنحدر وجدنا كومة من الأحجار الصغيرة تكونت نتيجة ما كومه العابرون ، فكل من يعبر يجمع بعض هذه الأحجار ويلقيها عند قمة المنحدر ، وهذه الكومة قصد بها احياء ذكرى ملك من أمة (شعب أو قبيلة) بعيدة لاقى حتفه فى مكان قريب وتم دفن رأسه ويديه فى هذا الموضع ٠

وقد سعدنا بالقاء نظرة شاملة من هذا الارتفاع على المنطقة الجبلية الواقعة الى الشمال حيث بدت التلال

والوديان مزدانة بالأشجار • وكنا مضطرين أثناء تقدمنا أن نبعد بين الحين والحين أفرع الأشجار حتى تتمكن عرباتنا من المرور حتى انه يمكننا القول انه كان علينا أن نشق طريقا فى منطقة الماروتزى ــ بكل ما فى كلمة شق من معنى • لقد قضينا ساعة فى المرور بين تلين متواجهين عامرين بالأشجار المبهجة المختلفة أنواعها ، أما الأجزاء التى لا أشجار فيها فكانت تغطيها حشائش ذوات خضرة يانعة • وكان الجو صافيا ، وكانت الشمس مشرقة وقد أرسلت الينا أشعتها الحانية • ولم يكن المنظر الذى نراه يفوق ــ بشكل عام ــ ما سبق أن مر بنا من مناظر ، غير أن اعجابنا بكل ما يحيط بنا مرجعه وصولنا الفجائى وغير المتوقع لنهر لوكووهاى Lukoowhi الذى كان بشاطئيه المنحدرين انحدارا شديدا ، وقاعه العامر العميق العامر بالطين بمثابة عائق هائل يعوق تقدمنا • لقد كان ارتفاع شاطئيه يتراوح بين أربعين وخمسين قدما ، كما كان الشاطىء يتخذ شكلا عموديا ، وذلك باستثناء موضع واحد كانت ثيران الماروتسى تعبر غالبا منه • وكان عرض القاع حوالى عشرين ياردة ، وعندما سبرنا غور النهر وجدنا طينا لينا بعمق قدمين • وترددنا لبعض الوقت فى مسألة عبور هذا النهر لكننا عندما سمعنا أنه لا أمل لنا فى اكتشاف موضع غير هذا ، صممنا ــ بطبيعة الحال ــ على اتمام محاولتنا • وهبطت أول عربة من عرباتنا بسرعة وغرست فى الطين الذى وصل الى محاور عجلاتها axle ، أما الثيران التى تجرها فقد وصل الطين الى بطونها ، وعلى أية حال ، فان الثيران قد نجحت ــ بعد بذل مجهود كبير ــ فى سحب العربة على النهر ، بل وسحبها حتى وصلت بها ــ صاعدة حافة الشاطىء المقابل ، مع أنها

كانت مرتفعة شديدة الانحدار • وتم عبور العربتين الأخريين بنجاح أيضا •

وعندما وصلنا الى الشاطيء المقابل لنهر لوكووهاى LukooWhai ، تجلى أمامنا واد ممتد وواسع ، وان كان يصعد تصعدا جميلا ، وكانت التلال على جانبيه مكسوة بالأشجار تماما كالتلال التى غادرناها لتونا ، وكان بطن النهر الذى يسيل أدنى الوادى يتلوى كالثعبان مما سبب بعض الأضرار لعرباتنا اذ كنا مضطرين لعبوره أكثر من مرة • وفى حوالى الساعة الواحدة ظهرا وصلنا لمنبع هذا النهر ، وكان مستوى ارتفاعنا عند منبعه مساو تقريبا لارتفاع التلال المحيطة بنا لذا فقد كان انحدار النهر هينا وئيدا ، فهو أقرب للاستواء منه للانحدار • والى الغرب رأينا سلسلة من التلال تمتد من الجنوب الى الشمال وتواصل امتدادها حتى تضيع أمام نواظرنا فى الأفق ، وثمة سلسلة أخرى من التلال تمتد أمامنا من الغرب الى الشرق ، وكان المنظر العام يشبه الى حد كبير مناظر ولش Welch scenery غير أن الأشجار هنا وكذلك الطيور والحشرات كانت مختلفة تماما •

وكانت بعض الأشجار من نوع النخيل ، كما كانت هناك أشجار أخرى تشبه أشجار البرتقال ، وأخرى تشبه أشجار الخوخ وثمة نوع من الأشجار يبدو وكأن دقيقا قد نثر عليه • وثمة شجرة جليلة جدا لها ورق كأوراق أشجار الخوخ ، ويتخذ أهل البلاد من أخشابها عوارض لمساكنهم • ويقال ان الفاكهة وافرة فى هذا الفصل لذا فالمدن خاوية من سكانها فقد ذهبوا لقمم التلال لجمعها •

وفى الساعة الثانية ظهرا رأينا حقل قمح فى سهل ممتد بالطول امتدادا كبيرا ، وان كان عرضه لا يزيد عن ميلين أو

ثلاثة · ولم يمض وقت طويل حتى رأينا جانبا من المدينة التى طال اشتياقنا لرؤيتها · لقد كانت تقع على قمة واحد من أعلى التلال في هذا الجزء من أفريقيا ·

والتحق بنا مولواى Moeelway وهو الابن الأكبر للملك ماروتزى الراحل (رغم أنه ليس ابن الملكة الأساسية) وكان معه شخصان آخران ، وكانوا جميعا فى طريقهم للصيد · وكان مولواى طويلا حسن الخلقة معتدل الملامح ويبلغ من العمر حوالى خمس وعشرين سنة · وقد عمل كمرشد لنا حتى وصلنا للمدينة التى كانت تبعد زهاء خمسة أميال ·

وعندما وصلنا لحقل قمح أسرع الرجال والنساء والصبية من كل حدب وصوب نحو عربتنا ، لقد راحوا يحملقون كما لو كانوا قد انتقلوا ـ فجأة ـ الى عالم آخر جديد · لقد اقترب الرجال من العربات بينما بقيت النسوة بعيدا شيئا ما ، وتجرأ أجرؤهم فاقترب كثيرا ، لكن صوت السياط التى هوى بها سائقو الثيران التى تجر العربات ، كانت كافية لجعلهم يجرون مبتعدين وكأنما تطاردهم الأسود ·

ووصلنا الى تل ، صعوده صعب وكان مغطى بأحجار ضخام رغم انحداره الشديد ، وكان يقع الى الشرق من حقول القمح ، وربما كان الهبوط منه أشد صعوبة ، اذا كان هبوطه ــ من الأصل ــ ممكنا · وكانت كل صدمة للعربات فى صخرة من هذه الصخور تعطى احساسا غير مريح ، فقد كنا ندرك جيدا أهمية الاحتفاظ بالعربات سليمة فى منطقة

نائية كهذه وبعيدة عن أى مكان يمكن اصلاحها (أى العربات) فيه ٠

وكان السهل الذى هبطناه بين التلال ، وفيه تقع المدينة وسرعان ما امتلأ بالبشر ، انها سيول بشرية ـ ان جاز التعبير ـ راحت تهبط من التلال من كل اتجاه ٠ وكان من الصعب أن نسحب العربات الى التل أمامنا ، فوجهناها لتسير فى طريق دائرى آخر ، بينما راح عدد منا يصعد مدقا (ممرا ضيقا) صخريا ، شاق صعوده ، بين بشر من مختلف الأعمار راح الواحد منهم يزاحم الآخر ويدفعه ليتمكن من القاء نظرة خاطفة علينا ٠ ووصلنا للمدينة فى الساعة الرابعة عصرا بالتمام ٠

وعند وصولنا الى كوريشين kurreechane رحنا نتشاور ـ فى البداية ـ فى ساحة مكشوفة ورغبنا أن نستريح فوق مصطبة طينية ترتفع عن الأرض حوالى ثلاث بوصات ٠ وبعد جلوسنا بدقائق قليلة محاطين بجموع كثيرة من الناس بدوا قلقين لرويتنا ـ قدم مبعوث ليتناقش معنا ، فقمنا فى الحال وتبعناه ٠ وكان الطريق الذى سلكناه مزدحما عن آخره بالناس ، وأسرع من بقوا فى بيوتهم الى الوقوف أمام الأبواب لرؤيتنا ٠ لقد كانت رؤية الرجل الأبيض مدعاة لضحك هستيرى ، لكن الشباب منهم كان تأثرهم يبدو فى شكل أكثر جدية فراحوا يصرخون وراحوا يختبئون فى أول مكان يصادفهم يمكن الاختباء فيه ، وأصابهم الرعب والفزع لقد كانت الجلبة عنيفة صاخبة لكنها كانت ملائمة لمثل هذه المناسبة ٠

وقادنا المبعوث الى باحة واسعة مسورة بالأحجار فيما عدا البوابة التى دخلنا منها ٠ وكان يوجد عدد من أعمدة

القوية يبلغ ارتفاع الواحد منها عشر أقدام أو اثنتى عشرة قدما ، وكانت مثبتة فى الأرض ، فرغبنا الى المبعوث أن نجعل عرباتنا فى جزء من هـذا المكان ، وبعد أن توقفنـا زهاء ساعة آدخلنا عرباتنا وسط ضوضاء وجلبة ، ولأن البـوابة كانت ضيقة فان عربتى قد أسقطت بعض الأعمدة الحجرية فوق الأرض ولم نتمكن من تمريرها الا بعـد أن أنزلنا من فوقها الأخشاب التى كنا جمعناها لنستخدمها كوقود • وقد آثار الحصانان دهشة الناس واستغرابهم تماما كما لو كانا فيلين فى شوارع لندن •

وبعد أن وضعنا عرباتنا وفقا لنظامها المعتاد ، وقفنـا حوالى ساعة وسـط زحام شـديد ، طلبنـا من المـوناميت Munameets ان يسألوا عن مكان الملك ، ولم يمض وقت طويل حتى أخبرونا أن هناك ثلاثة أشخاص كانوا يقفون بالقرب منا ، هم اخوة الملك الراحل وأن أحدهم هو الوصى على العرش Regent وثمةآخرون كانوا وقوفا بالقرب منا وكان يشار لهم باعتبارهم آقرباء الملك • وأبدينا رغبتنـا فى آن نذكر لهم هدفنا من زيارة مدينتهم • فقالوا ان هـذا ــ وفقا لعاداتهم ــ لابد أن يتم فى اجتماع عام حتى يسمع الجميع •

واقترحنا عليهم أن نذهب الى مكان مرتفع أشرنا اليه ، وذلك حتى نتمكن من القاء نظرة شاملة على المدينة ، وسرعان ما تم تعيين شخص ليدلنا على الطريق الى هـذا المرتفـع ، وعندما وصلنا دهشنا لاتساع المدينة • وكان لكل بيت من بيوتها سور حجرى ملائم وبين السور والمنزل تركت مساحة واسعة • وبعض البيوت كانت مطلية بالمـلاط من الخارج ومدهونة بالطلاء الأصفر • ولاحظنا بيتا مطليـا باللونين

الأصــفر والأحمر بطريقــة تنم عن بعض الذوق • وكانت ساحات البيوت (داخل الأســوار الحجــرية آنفة الذكر) مسوية بالطمى لتكون بمستوى الأرضــية ، وكانت هـــذه الساحات نظيفة ومكنوسة جيدا ومريحة • ومن فوق هــذا المرتفع أيضا رأينا سهلا تطوقه التلال ويبلغ محيطه حــوالى ثمانين ميــلا أو مائة ميــل • وأخبرونا أنه عامر بالفيلة والجواميس البرية ، وأشاروا الى تلال مختلفة فى الجانب الشرقى ، وقالوا انه توجد مدن كبيرة فى هذا الاتجاه •

★★★

وبعد أن تناولنا الافطار فى صباح اليوم السادس من مايــو ، صحبنا جالب المطر rain-maker الذى كان فى مهمة فى لاتاكو Lattakoo لجلب المطر بينما كانت ارساليتنا هناك ــ وذلك لنرى أحد الضواحى الكبيرة للمدينة على بعد ميل حيث يقيم هو • وأثناء الطريق قابلنا موكتز Moketz ابن ســـينوزى Sinosee الذى كان قائدا أو نائبــا للملك alderman فى الضاحية (أو المقاطعة التى كنا ذاهبين district) اليهـــا •

لقد كان رجلا يبدو محترما وقد عاد معنـــا ، وكذلك صحبنا ليكولنج Liqueling ومولواى Moeelway وقد وجدنا ضاحية (مقاطعة) سينوزى Sinosee مساوية تقريبــا لمدينــة نائب الملك • وقد انتهى العمــل فى بيت ســينوزى تماما • لقد كان بيتا دائريا ككل البيوت الأخرى ولم تكن جدرانه مطلية بالملاط من الداخل والخارج فحسب وانما كان السقف أيضا مطليا بالملاط ، وكانت الجدران مدهونة باللون

الأصفر ومزخرفة بأشكال الدروع والفيلة والزراف٠٠الخ، كما أنها ــ أى الجدران مزدانة بافريز أحمر ٠

وقد أهدتنى زوجة جالب المطر صفين من الخرز المعدنى فاعطيتها مقابل ذلك خمسة أزرار معدنية ، لـكننى سمعت بعد ذلك أنها لم تكن راضية لأننى لم أعطها خرزا بالاضافة للأزرار ، فالهدية لا تعنى العطاء أو الهبة Gift فى كوريشين وانما هى شىء مقابل شىء آخر يساويه ٠

وفى بعض البيوت رسوم وأعمدة ٠٠ الخ محفورة أو مشكلة (منحوتة) فى الطين اليابس ومدهونة بألوان مختلفة ومتقنة بحيث لا يتبرأ العامل الأوربى من أنه هو صانعها ٠ انهــم حقــا شــعب بارع ٠ ورأينا عنــدهم بعض الأوانى الفخــارية وملــونة بألوان مختلفــة بل ومصقولة ، وهم يحفظون فيها الماء والحليب والطعام ونوعا من الجعة beer من القمح ولديهم أيضا قوارير فخارية مختلفــة الأحجــام ومتينة ٠ وتتسم بيوتهم وباحاتهم بالنظافة ويشم المرء فيها رائحة الخديد والنحاس معا ٠

★★★

رحـــلة

هنرى فين

HENRY FYNN

شــاكا ملك الزولو

بعد ان عمل هنرى فين كجراح مساعد فى مستشفى لندن ، هاجر الى جنوب افريقيا سنة ١٨١٨م ، وعمل منذ سنة ١٨٢٢م فى مزرعة سومرست الحكومية Somerset على نهر فش الصغير : (نهر السمك الصغير Little fish River) . وعاد الى مدينة الكاب واصبح مسئولا عن حمولة احدى المراكب الشراعية وحيدة الصارى والتى كانت تتاجر مع منطقة خليج ديلجوا Delagoa ولما عاد للكاب التحق ببعثة تجارية مع ساحل الناتال .

وكان اللفتنانت فرنسيس فارول Francis Ferewell ـ عند عودته من البحرية الملكية ـ قد اشترى سفينة وتاجر بين الهند وامريكا الجنوبية وقد غرقت السفينة فى ريودى جانيرو ، فعاد فارول الى مدينة الراس (الكاب) وهناك رخص سفينة بشراعين كانت تحت قيادة اللفتينانت جيمس كنج كما عمل كضابط بحرى وقد قام من كنج برحلات تجارية ، وكان فارول يعتقد ان كميات الذهب والفضة التى تصل الى خليج ديلجوا Dingan قد جلبت من بلاد الزولو ، وقد اعاد هو وكنج الرحلة الى ميناء ناتال (بورت ناتال) وسانت لوشيا Luciius وعند عودتهما للكاب (الراس) قاما مع بترسون Peterson وهو مالك مكتب تاجير سفن ، ووالد زوجته بتاسيس شركة انضم اليها رحالتنا فين Fynn الذى وصل بورت ناتال فى سفينة صغيرة وانطلق للاتصال بالملك شاكا ملك الزولو ، وتمت رحلته سنة ١٨٢٤ م والنص التالى من كتاب :

J. Bir d, Rnnals of Natal (p. Davis, Pieterma ritzburg, 1888).

•• عندما وصلنا على بعد حوالى ميل من مقر الملك قيل لنا أن ننتظر تحت شجرة كبيرة حتى يصل المبعوثون الذين سيستدعونني والسيد فارويل Farewell وبقية المجموعة •

لقد كان محيط القرية (الكرال Kraal) حوالى ميلين ، وفي الوقت الذى دخلنا فيه من البوابات ، كانت القرية محاطة بحوالى ١٢٫٠٠٠ رجل مسلح فى لباس الحرب • فرغبنا أن ندور حول القرية عدة مرات ثم نعود لاحضار بقية مجموعتنا ، وعندما عدنا طلبوا منا أن ندور أربع مرات أخرى حول القرية (الكرال) ، ثم نقف على بعد عشرين ياردة من شجرة تقع على رأس الكرال (القرية) ، وأجرى أمبيكوانا Umbekwans الذى كان بصحبتنا حديثا طويلا مع الملك الذى كان محاطا بالزعماء chief التابعين له حتى اننا لم نستطع تعيينه من بينهم • وكان أحد الزعماء يجيب على تساؤلات أومبيكوانا Umbekwana الذى كان في مواجهته ، وخلص ــ أى الزعيم ــ الى انه قد أحضر هدية للسير فارول Farewell عبارة عن ناب فيل • وتحدث أومبيكوانا مرة أخرى ، وحثنا بين الحين والحين أن نوافق بقولنا «بيبو Yebo » وهي تعني « نعم Yes » أو الموافقة ، أما ما الذى كنا نوافق عليه فلا علم لنا به • وهب شاكا واقفا بين الزعماء المحيطين به وضرب درع الزعيم المجاور له ، ثم جزوا جميعا الى الجانب الأدنى (الأكثر انخفاضا) فى الكرال (القرية) وتركونا بمفردنا ، ولم يتركوا أحدا الا رجلا واحدا كان وسط الزحام • وكان هذا الرجل ــ كما ثبت ــ أحد مواطني المناطق الحدودية للكاب ، وكان قد أخذ أسيرا أثناء الحرب بين المستوطنين البيض Colonists والكافر وسجن فى جزيرة روبن Robben وقد أخذه أوين Owen

كمترجم وأحضره معه الى الساحل الشرقى لجنوب أفريقيا ، ثم تم تقديمه للسيد فارول Farewell فى رحلته الى خليج القديس لوكيا Lucia ، وهناك هرب وطلب الحماية من شاكا الذى أسماه هيلامبا ـ أمانزى Hlamba-Amanzi وتعنى الرجل الذى عبر الماء ، أما بين المستوطنين البيض فعرف باسم يعقوب سمبيتى Jacob Sumbiti • وهو يتحدث الهولندية بطلاقة • المهم ، فلنعد الى موضوع رحلتنا •

لقد كانت المنطقة كلها على مدى رؤيتنا يغطيها البشر وقطعان الماشية ، وجاءنا الملك وقال لنا ألا نخاف من شعبه • وكانت الماشية مصنفة (معلمة) وفقا لألوانها ، وذلك حتى يتم التمييز بين كل قطيع عن القطيع المجاور له ، وأحيانا يتم التمييز عن طريق أشكال القرون فبعضها يبدو مضفورا متخذا شكلا فنيا على نحو ما ، وبعضها ألصق بقرونها قرون أخرى قد تبلغ أربعة أو ستة أو سبعة أو حتى ثمانية ، وبعضها معلق ويتحرك وقد علقت على أجسامها سيور جلدية • وبعد أن عرضوا قطعانهم فى حوالى ساعتين تحلقوا فى دائرة وغنوا ورقصوا رقصة الحرب Wer Whoops ثم عاد الرجال الى قطعانهم واستعرضوها أمامنا كما حدث آنفا وبين كل عرض وآخر راحوا يرقصون ويغنون • والآن فقد دخلت النسوة الكرال (القرية) واليد اليمنى لكل واحدة منهن طويلة نحيلة وكن يحركنها وهن تغنين ، ولم يستمر الغناء أكثر من دقائق معدودة ثم كان عليهن أن يتخذن طريقهن الى سيدات (حريم) الملك بالاضافة الى مائة وخمسين امرأة يطلق عليهن اسم الأخوات • وقامت الأخوات بالرقص فى مجموعات ، كل مجموعة من ثمانى نساء ، وكانت كل مجموعة تتزين بخرز يختلف لونه عن لون خرز المجموعات الأخرى ، وكانت عقود

الخرز هذه تتدلى من الكتفين حول الرقبة • وكانت الواحدة منهن لها غطاء رأس من ريش أسود وتضع أربع جلقبات نحاسية حول رقبتها • ودخل الملك جلبة الرقص مصحوبا بالرجال • واستمر الرقص نصف ساعة، وتحدث الملك بعد ذلك حديثا طويلا ترجمه لنا المترجم هلامبا أمانزى Hlamba-qmanzi لقد كان الملك راغبا في أن يعرف منا ما اذا كنا قد سبق لنا أن رأينا مثل هذا النظام في أي دولة أخرى ، وأكد لنا الملك أنه أعظم ملك في الوجود وأن شعبه كبير بعدد النجوم وأن قطعان ماشيته لا تحصى • وتفرق الناس بعد ذلك ، وأمر الملك أحد الزعماء التابعين له أن يذهب بنا الى الكرال Kraal حيث يمكننا نصب خيامنا • وأرسل لنا ثورا وخروفا وسلة قمح ووعاء مليئا بالجعة (به حوالى ثلاثة جالونات) • وفي الساعة السابعة أطلقنا أربعة سهام نارية ، وأطلقنا النار من ثماني بنادق ، فأرسل الملك شعبه ليرى ذلك ، لكنه هو نفسه لم يخرج من كوخه رعبا وخوفا • وفي صباح اليوم التالي دعينا لركوب خيولنا والذهاب لمقر اقامة الملك Kings' Kraal • وعند وصولنا وجدناه جالسا تحت شجرة ، كان يزين نفسه ويحيط به حوالى مائتين من رجاله ، وكان الخدم يجلسون الى جواره ويضعون الدروع كظلة تظلله لتحميه من أشعة الشمس • وربط الملك حول جبهته عمامة من جلد القضاعة (بضم القاف وفتح الضاد وهي ثعلب الماء — حيوان مائى ذو فراء) وقد ثبت في مقدمته ريشة من ريش طائر الكركى (الغرنوق — بضم الغين وتسكين الراء) • لقد كانت ريشة طويلة يبلغ طولها قدمين • وثمة أقراط (جمع قرط) من قصب السكر المجفف منحوتة (منقوشة) حول الحافة ، ولها أطراف بيضاء ويبلغ قطر القرط منها بوصة — تتدلى — أي هذه

الأقراط من شحمتي أذنيه ، ويلبس عقودا حول رقبته تمتد من الكتف للكتف الآخر ، وهنا العقود من جلود النمور وحيوانات الرباح (بتشديد الراء وفتحها ــ وتسمى أيضا الزريقاء genets) وقد ضفرت هذه العقود لتتخذ شكل ذيول الحيوانات ، وتركت تتدلى الى منتصف الجسم ، وحول حلقة الرأس ring والتي سنقدم لها وصفا منفصلا ــ توجد اثنتا عشرة حزمة من ريش طائر اللورى Loorie الأحمر ربطت بذوق في عصى رفيعة مثبتة في الشعر • وحول ذراعيه ذيول ثيران بيض White ox-tails قد شقت ليكون الشعر ملاصقا للذراعين • وعلى كل ذراع اربعة ذيول وحول الوسط توجد تنورة (جيبة) تشبه نسيج الأراضي المرتفعة Highland paid المربع نقشه ولهما شراريب tassels من اعلاها ، وهذه الشراريب تدور مدار التنورة (الجيبة) التي تصل الى الركبتين ، أما الى الأدنى من الركبتين فتوجد ذيول ثيران لفت حول الساقين ، ويحمل درعا أبيض به بقعة سوداء واحدة ، كما يحمل رمحا نحيلا • وبينما كان يرتدى ملابسه آنفة الذكر كان أهل البلاد يتحركون كما فعلوا بالأمس ليستعرضوا قطعان الماشية ويرقصون بين كل عرض وآخر وينخنون • وفي هذه الأثناء علمنا أن شاكا قد أمر بقتل رجل كان يقف بالقرب منا لكننا لم نعرف الجريمة التي ارتكبها والتي استوجبت قتله ، لكننا سرعان ما وجدنا أن مثل ذلك يحدث طوال النهار •

وقدم السير فارول Farewell للملك ــ الهدية التي أحضرها له • وقد حازت رضاه ، واستمر الرقص والغناء حتى الساعة الرابعة عصرا وبعدها انسحبنا الى خيامنا • وفي الساعة السابعة مساء أتانا رسول يستدعيني للحضور

في حضرة الملك، فوجدناه جالسا في(قصره)الذى لم تدخله من قبل . لقد كان جالسا بعيدا عن كوخه هذا بسبع ياردات وأمامه ثيران ، وسألني اذا كان لدى أي دواء لأنه كان قد سمع أنني عالجت عددا من المرضى في زيارتي الأولى لبلاد الأمبكوانا Umbekwana وقال انه يعاني من الروماتيزم . وكان كل حديثه معي عن الطب والدواء . لقد استمر حديثي معه حتى الساعة العاشرة ، ووعدته أثناء انصرافي انني سأبقى معه بناء على طلبه لمدة شهر بعد رحيل السيد فارويل Farewell والسيد بيترسون Peterson ومن معهما الى الناتال Natal .

وفي صباح اليوم التالي طلبني شاكا لأسير معه حوالى اثني عشر ميلا لنرى أحد الزعماء التابعين له لأنه مريض جدا . وعندما وصلنا فصدته وأعطيته دواء ، وسمعت أنه شفي تماما ــ بعد ذلك ــ في غضون خمسة أيام . وقد أخبر أومبكوانا الملك أن السيد بيترسون لديه دواء أيضا فطلب منه أن ينتج هذا الدواء وأن يصف خواصه ، فأنتج (صنع) بالفعل صندوقا من الحبوب (من هذا الدواء) قال انه مفيد لعلاج كل الأمراض وأوصى شاكا بحماس أن يتناول منه حبتين (قرصين) فأخذ الملك أربعا وأعطي واحدة لكل زعيم من الزعماء الأربعة حوله ، وطلب بيترسون أن يتناول بدوره أربع حبات وحاول بيترسون أن يتهرب قائلا ان أربع حبات تعد مقدارا كبيرا بالنسبة لشخص واحد ولكن الملك أصر ، فلم يجد بيترسون مناصا من تناولها . وسئل الزعماء عن مذاق هذه الحبات فقالوا انه لا طعم لها لأنهم ابتلعوها مباشرة ، وعندئذ ابتلع الملك حبتين ورغب الى بيترسون أن يتناول حبتين أخريين واعترض بيترسون اعتراضا جادا

لـكن الملك أصر وأيـد الزعماء اصرار الملك قائلين ان من يصف دواء لابد أن يتناوله ، فاضطر بيترسـون لابتـلاع حبتين آخريين . تلك اذن ست حبات كاملة ، ولا أجد مبررا لذكر تفاصيل النتائج التى ترتبت على ذلك بالنسبة لشخص يبلغ من العمر ثلاثا وستين سنة . وفى اليوم التالى فهم شاكا أن فارويل وبيترسون يعتزمان العـودة للنـاتال فى صباح اليوم التالى فجمع كل قواته وكل ما هـو موجود منهـا فى المناطق المجاورة ، رجالا ونساء ، فبلغ عددهم حوالى خمسـة وعشرين ألفا ، وفى حوالى الساعة العاشرة بدأوا الرقص ـ كما حدث فى أول يوم ـ وكانوا يستعرضون قطعانهـم فى فترات الراحة (الفواصل بين الرقص) . وكانوا قد دهنوا وجوههم بطين مختلف ألوانه : أبيض وأحمـر وأسـود .. واستمر الرقص حتى الساعة الرابعة وعندما أمر الملك شعبه بالنظر الينا ليروا عجب الرجال البيض وليعرفوا مدى عظمته وقوته (أى عظمة شاكا) . لقد كان قادرا ومالكا الجـرأة للتحدث عن أصل شعبه ، وكان فخورا بقدرته على القول بأن هؤلاء الرجال البيض هم رعايا الملك جـورج وأن أجـداده (أجداد شاكا) كانوا جبناء لأنهم لم يجسروا على استقبال رجل أبيض فى حضرتهم ، وذكر ـ كمثال ـ واقعة رجل أبيض كان قد نجا من حطام سفينة منذ ثلاثة أعوام وأن جاره الملك كـوابى Kuabis قد قتله لأنه ظن أن هذا البحار الأبيض البائس مجرد حيوان خرج من أعماق البحر . وتوقع من شعبه أن ينظر الينا وأن يقـدموا لنـا الاحترام كملـوك ، وألا يعتبرونا مساوين لهم . ولما انتهى الملك من حديثه ذهبنـا الى خيامنا .

وفي صباح اليوم التالي صحبت فارويل وبيترسون الى شاكا ليستأذنا في الرحيل وتلقيا من الملك ــ كهدية ــ ماشية وأشياء أخرى ، ثم بدءا طريق العودة ، بينما بقيت أنا ــ وفقا لوعدي له ــ وبقي معي أيضا خادمي الهوتنتوي • وفي الساعة الثانية عشرة أهداني اثني عشر ثــورا ، ثــم غادر الكرال ليذهب الى كرال آخر على بعد خمسة عشر ميلا • وفي اليوم التالي استدعاني الملك وعندما وصلت سألني أن أنظر الى قطيع ماشية من قطعانه لم أكن قد رأيته قبل ، وأن أعده ، وعددته بالفعل وقلت انه مكون من ٥٫٦٥٤ فأثار قولي هذا ضحكا عاما ، وسألوني كيف أمكنني أن أعد هــذا القطيع الكبير دون أن أســتخدم أصــابعي بالعــد أولا حتى العشرة ، وخلصوا الى نتيجة مؤداها أنني لم أعد عــلى الاطلاق ، ولم يستطع المترجم أن يقنع شاكا بامكانية العد دون استخدام الأصابع • وليس لدى الزولو وسيلة أخرى للعد (الحساب) الا هذه (استخدام الأصابع العشرة) وهم يبدأون من الاصبع الصغير لليد اليمنى ويواصلون الى الاصبع الابهام في اليــد اليسرى (وهي تمثل الرقم ستة) ثم يواصلون حتى يصلون الى الاصبع الأصغر في اليد اليسرى فتكتمــل عدة العشرة ، أما العشرون فهي عشرتان ، والثلاثون ثلاث عشرات حتى يصــلون الى عشر عشرات (ما نسميه مائة) فيســـمونها (العشرة الكبيرة) ، وبعضهم لديه فكرة عن الألف ويسمونها الانجوانو العظمى Great Ingwanu . واستمر شاكا في الحديث عن منح الطبيعة وهباتها ، فقــال ان أجــداد الأوربيين قد قدموا لنا هبات كثيرة بأن أعطونا كل المعلومات عن الفنون والصناعات الا أنهم منعوا عنا أعظم الهبات ألا وهي لــون البشرة الأسود ، فمع سواد البشرة لا يحتاج المرء للملابس التي نلبسهــا لا لشيء الا لنخفي جلدنا الأبيض لأن منظــره

لا يسر العين ، فهو يعلم جيدا أننا نقدم لهم كل ما يستحقونه بفضل سواد بشرتهم • وأننا لا نقدم فنوننا وصناعاتنا لهم الا حبا في سوادهم • ثم سألني عن استخدام جلود الثيران التي ننحرها في بلادنا ، وعندما أخبرته أننا نصنع منهـا الأحذية وأشياء أخرى لا أستطيع شرحها له بدقة ، اعترته الدهشة مؤكدا أن ذلك دليل آخر على أن أجدادنا لم يكونوا رفيقين بنا لأنهم اضطرونا لتخبئة أقدامنا في نعال ، فهـذا أمر غير ضروري ، بينما أجداده استخدموا الجلود في أمر أكثر نفعا وهو صناعة الدروع ، وأدى بنا ذلك الى الحديث عن تفوق أسلحتهم فهي كما قال أفضل من بنادق البيض من جوانب كثيرة وللتدليل على ذلك ذكر أن الدرع اذا تم نقعه في الماء قبل الهجوم يمكنه أن يمنع طلقة رصاص تم اطلاقها من بعد ، كما أن الفترة التي يستغرقها الرجل الأبيض في اعادة تعمير بندقيتـه تمـكن شـاكا ورجاله من الاقتراب والاقتحـام خاصـة وأنه ليس لدينـا دروع مما يضـطرنا للجري ، وبالنسبة للجري فاننا ـ أبدا ـ لن نسـبق جنـوده فلا مناص من الوقوع في أيديهم • ووجدت أنه من المحال أن أدحض أدلته فلم تكن لدى معرفة بلغته كما أن المترجم الذى أعتمد عليه قد لا يجسر على نقل الأدلة الدامغة التي سأقولها للملك ، فكنت مضطرا لقبـول كل قراراته •• وظللت مع الملك حتى وقت متأخر من الليل نتناقش في أمور مختلفـة متعلقة بانجلترا ، وقد وضع هذا الملك أسوأ المعاني لـكل شيء في (انجلترا) وكان يقول ذلك أمام رعيته ، ساخرا من كل عاداتنا وأحوالنا ، رغم أنه فعل ذلك بطريقـة فكاهيـة مرحة • الا انه كان يصغي باهتمام اذا لم يكن أحد من رعيته حاضرا ولم يكن يستطيع هضم فكرة تفوقنا • وعلى أية حال، فقد عبر عن كراهيته لأسلوبنا في العقاب بالسجن لمرتكبي

بعض الجرائم ذاكرا أن ذلك أقصى ما يمكن أن يتعرض له الانسان ، انه يسبب آلاما مرعبة ، فاذا كان مذنبا فلم لا تقتلونه ، أما اذا كان ذنبه موضع شك فلم لا تتركونه حرا ، فالقبض عليه كاف فى حد ذاته لتحذيره مستقبلا • وقد نشأت هذه الحجة من الظروف التى مر بها مترجمه الذى سجن وتم ارساله الى جزيرة روبن Robben لذلك ، فلم أكن أستطيع من خلال هذا المترجم أن أشرح كيف أننا فى انجلترا نحب كثيرا انقاذ حياة الأبرياء ، لذا كان على أن أفسح الطريق لآراء الملك •

واستغرق الرقص طوال اليوم التالى اذ استمر حتى المساء ، ولأننى قضيت فترة بعد الظهر فى القراءة فقد حفزنى هذا لالقاء نظرة خاطفة أخرى على الراقصين ، ولأننى ذهبت وقد أرخى الليل سدوله ، فقد أمر الملك عددا من أفراد شعبه باشعال النيران فى الأفرع الجافة لتلقى ضوءا على المشهد ، ولم يمض على بقائى دقائق معدودات حتى سمعت صرخة وسرعان ما انطفأت النيران وخبت الأضواء المنبعثة منها ، وأعقب ذلك صراخ وصياح عام وهياج ، ولأننى كنت قد تركت جاكوب Jacob (الذى سأطلق عليه من الآن فصاعدا اسم المترجم) وميشيل الهوتنتوى فى الكوخ ـ فقد رحت أسأل كل من قابلنى عن سبب الصرخة وهذا الهياج غير العادى ، وعلمت أخيرا أن شاكا قد طعن بينما هو يرقص ، فأسرعت عائدا لاستدعاء ميشيل فوجدته غير بعيد كثيرا ، وكان يصرخ ويمزح ظنا منه أن هذه الفوضى جزء من مهرجان مرح ، فقلت له فى التو عما سمعته وأرسلته ليعد مصباحا ويحضر بعض البابونج Camomile فهو الدواء الوحيد الذى بقى معى ، وطلبت منه أيضا أن يرسل المترجم • لقد كان الهياج والفوضى كائنا ما يكون

الهياج والفوضى · ووصل جاكوب وميشيل فذهبنا الى كوخ شاكا حيث توقعنا أن نجده ، وانخرط جاكوب فى الهياج العام واعترته نوبة صرع فلم أعد ـ الآن ـ قادرا على توجيه أى سؤال أو تلقى أية معلومة ، عن مكان وجود شاكا ، وحاولت دخول كوخه لكن زحاما شديدا كان حوله وانطفأ مصباحى وسحبتنى نساء الملك ، احداهن أخذتنى الى طريق ، والأخرى الى طريق آخر ، لقد كن فى حالة جنون · ولازال الصراخ يزداد والهياج يعم ·· لقد أصبح الأمر مرعبا ، وأصبح موقفى مرتبكا ولا يسر · لقد أصبح في الغاية من السوء · وعندما حاولت مرة أخرى أن أدخل الكوخ حيث كنت أظن أن الملك موجود فيه ، حاول رجل يحمل بعض الأعواد المشتعلة أن يسحبني بعيدا وعندما رفضت سحبني بقوة وأعانه على ذلك آخرون · وفكرت أنه من الأفضل أن أرى النتيجة وما اذا كان ثمة شيء يدبر ضدي فمن الأفضل مواجهته للوصول الى نتيجة أفضل ، فسرت معهم لحوالى خمس دقائق والخوف يعتصرني وسرعان ما انزاح الشك عن كاهلى فقد رأيت الملك فى كرال (مجمع سكنى) قريب ، فغسلت الجرح على الفور بمنقوع البابونج (Cemomile-tea) وربطته بالكتان · لقد كانت الطعنة التي وجهت اليه برمح بين ذراعه اليسرى وأدنى صدره · وكان على أن أعرف ما اذا كانت المسألة مجرد جرح وأن الطعنة لم تصل للرئة ، وكان الملك يبصق دما · وكان طبيبه الذى بدا أن لديه معلومات جيدة عن الجروح قد أعطاه مقيئا ، وأعطاه بشكل متكرر ـ قطرات من دواء مطهر ، وراح يغسل الجرح باستمرار بماء غليت فيه بعض الجذور النباتية التي تسبب انعاشا · وقد سبر الجرح أيضا ليتأكد ما اذا كان السهم الذى طعن به الملك كان مسموما أم لا · وكان الملك شاكا يصرخ

طوال الليل تقريبا ولم يكن يتوقع الا الموت ، وزاد الزحام الآن بشكل فظيع وكان الصياح والجلبة لا تحتملان • وشهد الصباح مناظر مرعبة فيوضح النهار • ان الكلمات لتعجز عن نقل الانطباع لأى قارىء بعيد عن هذا المشهد المرعب • أعداد ضخمة كانت تصل باستمرار ، وحالما يصلون لكرال Kraal شاكا حتى يشرعوا فى الصياح والجرى ، ويصرخون بكل ما فيهم من طاقة وراح يدفع بعضهم بعضا ، ويلقون أنفسهم على الأرض دون مراعاة لأى خطر يواجهونه أثناء اسقاطهم أنفسهم ، لا فرق فى ذلك بين رجال ونساء ، وتعرض عدد كبير للاغماء بسبب الاجهاد وحرارة الشمس الشديدة ، وكان حريم الملك هم الأكثر تضررا وتأثرا فقد أرهقن أنفسهن طوال الليل وكن يعانين من الحرارة مختنقات بهذه الأطواق النحاسية التى تضع كل واحدة منهن أربعة فى رقبتها ، فلم تكن الواحدة منهن قادرة على تحريك رقبتها ، وكن منهكات فى حاجة الى الطعام لكنهن لم يكن يجسرن على الاقتراب منه ، وقد مات عدد منهن • وعندما وجدت وضعهن يرثى له ولا أحد يقدم لهن المساعدة أحضرت بعض الماء ورحت أنضحه فى وجه من تسقط منهن حتى تعبت أنا نفسى فكففت عن القيام بمثل هذا العمل ، وعلى أية حال فقد بذلن بعض المحاولات لتساعد احداهن الأخرى • وطوال هذا الوقت كنت مشغولا تماما حتى أننى لم أر أكثر جوانب هذه المأساة هولا وفظاعة ، لقد راح الناس يقتل بعضهم بعضا • لقد قتل بعض الناس لأنهم لم يكونوا يبكون ، وقتل آخرون يضعون التفل (بتشديد التاء وفتحها ـ أى الرضات أو البصاق أو ما يفرزه الفم)(★) ، وقتل بعضهم لأنه يبكى وهو جالس ، فلم تشفع له دموعه ، وبعد هذا البكاء ، وهذا

(★) حتى يبدو وكأنهم يبكون •

الحداد ، وهذا الصراخ بدا الجميع الجميع وكأن طاقاتهم قد استنفدت •

وعلمنا بعد ذلك أن القتلة الذين جرحوا الملك شـــاكا تمكنوا من طعن ستة آخرين • وافترض الناس أن المعتدين قد أرسلهم زويدي Zuedi اندواندوي Endwand-we الذى كان هو العدو القوى الوحيد للملك شاكا ، وتم ارسال مجموعتين مسلحتين للبحث عن المعتدين • وفى هذه الأثناء كان الدواء الذى وعد به السيد فارويل قد وصـــل • لقـــد وصل الدواء فى الوقت المناسب وسعد شاكا بهذا ، ورحت أغسل جرح شاكا بين الحين والحين وأعطيته مطهرا ومسكنا وغطيت جرحه بالمرهم ، وعلى أية حال فقد كان الملك فاقدا الأمل طوال أربعة أيام • وخـــلال هـــذه الأيام كان الناس يأتون من مختلف الأنحاء والضواحى وينخرطون فى نوبات من البكاء والصراخ ، ولم تنحر الماشية لاطعام النـــاس طـــوال أربعة أيام • ومات كثيرون فى هذه الأيام كما تم قتل كثيرين لأنهم لم يحـــزنوا أو لم يقيموا الحداد أو لأنهم ذهبـــوا الى مساكنهم لتناول الطعام •

وفى اليوم الخامس كانت هناك علامات تشير الى تحسن صحة الملك شاكا ، وبدت جروحه فى حال أفضل فى اليـــوم التالى • وفى الظهر عادت المجموعة التى أرسلت للبحث عن المجرمين ، ومعهـــا ثلاث جثث رجال تم قتلهم فى الغـــابة ، ومن المفترض أنهم هم المجرمون ، وطرحت الجثث على الأرض على بعد حوالى ميل من الكرال ، وقطعت الأذن اليمنى لـــكل

جثة ، وجلست المجموعتان العسكريتان على جانبى الطريق ، ثم تجمع كل النــاس رجالا ونساء ــ ربما زاد عـددهم عن ثلاثين ألفا ــ ومروا على الطريق وهم يصيحون ويصرخــون وكلما وصل أحدهم الى الجثث الملقاة ضربها عـدة ضربات بعصا فى يده حتى تقطعت ، لدرجة أنه ما كاد نصف هــذا العدد (الثلاثين ألفا أو يزيد) يمر على الجثث ، حتى كانت الجثث لا تكاد ترى فقد توارت تحت العصى التى ضربت بها ، ومع هذا استمرت هذه الشــعيرة • وجمعت الجثث فى النهاية وسار ثلاثة رجال فى المقدمة يحمل كل واحــد منهم عصــا علقت فيهــا أذن أحد هؤلاء القتلى ، وسار الموكب الى كرال (مسكن) الملك شــاكا • وظهر الملك الآن لشــعبه • وغنى الشعب أغنية الحداد الوطنية وتم اشعال النيران • وتم احراق الآذان الثلاث حتى صارت رمادا •

ومنذ اللحظة التى طعن فيها شاكا ، كان محرما على كل الناس أن يلبسوا ما يعد زينة ، ومحرما عليهم الاســتحمام وحلاقة الشعر ، كما كان محرما على كل رجل زوجتــه حامل أن يحضر فى حضرة الملك • وكل من يخرق هــذه القــواعد يعاقب بالقتل • وبالفعل فقد تم قتل عدد كبير من البشر •

لقد دلت الشواهد كلها الآن على أن شاكا قد عوفى تماما فنحر الزعماء والقادة الذبائح كأضحيات ، وفى اليوم التالى فعلت نساء الزعماء الشىء نفسه ، ثم نحــر شــاكا الذبائح وقدمها كأضحيات لروح أبيه المتوفى •

★★★

رحـــلة

ألان جاردينر

ALLAN GARDINER

الدراكنزبرج

DRAKENSBERG

ولد آلان جاردينر سنة ١٧٩٤ م والتحق بالبحرية وهو في الرابعة عشرة من عمره ووصل لرتبة الآمر (دون رتبة الكابتن مباشرة) ٠ ولأنه لم يعين ـ بالاضافة الى توجهاته الدينية ـ فقد قرر ان يصبح رائدا ارساليا (تبشيريا) ٠ ووصل الى مدينة الكاب سنة ١٨٣٤م ومنها برا الى ميناء الناتال ، وزار دانجان Dingasn خليفة شاكا ليتفاوض معه بشأن السماح بالارساليين للعمل بين الزوار ولما لم يحصل على مبتغاه عاد الى ميناء الناتال واسس مركزا تبشيريا في بيرا Berea ٠ ويسبب الاشاعات التى ذكرت ان الزولو يعدون للقيام بهجوم ، اضطر الى العودة الى بلاد الزولو بناء على طلب المستوطنين ونجح في عقد معاهدة سلام مع دنجان (خليفة شاكا) ، وكانت ناحية ديربان D'urban قد بدات (نشات) فخرق اثنان من الاوربيين المعاهدة مع دنجان ان يحفظ النظام بين المستوطنين (في المستوطنة ـ ديربان) وطلب منه ان يكون بمثابة زعيم Chief ، واسرع جاردينر على حصانه الى الكاب ليطلب من حكومتها ان تمد سلطان الحكومة البريطانية الى ميناء الناتال ، وكان الزوسا Xosas في حرب على المستعمرة (الراس) وفشل جاردينر في الحصول على اذن من فاكو Faku بالمرور ، فعاد الى الناتال ، وخرج مرة اخرى بعربة تجرها الدواب في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٣٥م في محاولة منه لعبور جبال كواثلامبا Quathlamba (دراكنزبرج) ووجد طريقا للحدود في الجانب الشمالي للسلسلة الجبلية ٠

والنص التالى من كتاب جاردينر : رحلة جاردينر الى بلاد الزولو :

Gardiner's Journey to the Zoolu Cauntry.
London : William Crafts, 1836.

★★★

السبت ٣ أكتوبر :

من هذا المستوى المرتفع (بالقرب من دونيبروك الحالية (Donnybrook ألقينا لأول مرة نظرة على جبال كواثلامبا Quathlamba التى تمتد فى سلسلة واحدة مستمرة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى التى تجلل قممها الثلوج .

الثلاثاء ٦ أكتوبر :

بسبب الأمطار التى هطلت بالأمس كنا غير قادرين على الاستمرار فى رحلتنا حتى هذا الصباح . وقد رأى الرجل الذى ذهب طلبا للماشية فى مساء يوم الأحد ـ لبؤة مع أشبالها الأربعة ، وكانت اللبؤة متمددة على الأرض غير بعيد عنهم مترقبة فرصة تلوح لتنقض على أى شارد . وعندما ظهر ، قامت اللبؤة وأشبالها وتحركوا ببطء ، وكانوا يتوقفون بين الحين والحين لينظروا حولهم . بينما كان هو منشغلا فى توجيه القطيع نحو العربات ، ولأن الحصان لم يكن معتادا على صحبة الأسود فقد أطلق سيقانه للريح ، ولم يظهر بعد ذلك . وعندما اعترف المرشدون الدومازولو Doomezoolu أنهم لم يعودوا يعرفون عن المنطقة أكثر من ذلك صرفتهم هذا الصباح من الخدمة وانتهزت الفرصة بأن أرسلت معهم بقرة وعجلا ليسلموها للسيد فورتو Foortu ومن ثم الى ميناء الفاتال عندما يكون قد استرد عددا كافيا .

ولم آكن آسفا لما أملته علينا الضرورة (تضاءل الحليب لعدة أيام) معتقدا أنه من الأفضل ــ بشكل عام ــ لحملات من هذا النوع ــ آن يتناول الجميع الطعام نفسه على نحو سواء ، وآن يعانى من شيء من وخز الضمير اذا تملكته الأنانية وتناول طعاما خاصا ٠

وبعد آن غادرنا المرتفعات مباشرة ــ تلك المرتفعات التى قضينا فيها اليومين الماضيين ــ واجه عرباتنا غدير اعترض مسيرتها ، كما آن الأمطار الشديدة التى هطلت قد جعلت الأرض رخوة حتى أن المجلات الخلفية للعربات كانت تنغمس (تنغرس) فيها ٠

وكانت محاولة سحبها للخلف باستخدام قوة الأربعة عشر ثورا غير مجدية لأن الأكسات (المحاور) الخلفية كانت مستقرة على الشاطىء وكانت يد المسحاة (المجراف) قد كسرت عند محاولة حفر ما تحت الأكسات ، وبعد كل المحاولات وجدنا من الضرورى انزال حمولة العربات ، وحفر الطريق من أمامها حتى نتمكن من سحبها بالطريقة المعتادة ٠ وتمكنا من اجتياز هذه المشكلة فى الساعة الواحدة ٠ ولاحظنا وجود أشجار ذات أخشاب صفراء وغيرها على منحدرات الجبال وفى الوديان ، لكننا كنا قد واصلنا المسير بالفعل على طول السلسلة فى المنطقة المكشوفة ، وفى مواضع كثيرة رأينا نبات المريمية (القصين) البرى والنعناع والسذاب (بتشديد السين وفتحها) أو الفيخ (بفتح الفاء وتسكين الياء) والبقدونس ، وكانت هذه النباتات متوفرة بكثرة بالاضافة الى بعض النبتات المنفردة

من نبات السرخس (أو الخنشار ـ بضم الخاء وتسكين النون)، وهو النبات الانجليزى المعروف ويسمى هنا كومو كومو Como Como وهو نبات منتشر هنا ويطلبه بكثرة سكان المناطق المجاورة ويعدون جذوره علاجا ناجحا للاضطرابات المعوية نتيجة أكل اللحوم بدون ملح أو الاعتماد طويلا على تناول وجبات من الحليب •

ان الطبيعة المتضرسة للمنطقة واستمرار الحيود الجبلية التى يصعب على العربات اجتيازها اضطرتنا للاتجاه نحو الشمال حتى نستطيع اقامة معسكر مبيتنا فى الخلاء بعد تقدم قليل فى الاتجاه المطلوب • كانت المسافة التى قطعناها حوالى تسعة عشر ميلا ، وكان الاتجاه بشكل عام شمال الشمال الغربى •

الأربعاء ٧ أكتوبر :

ولما مررنا عبر منطقة جميلة يحفها عن أيامننا مجرى صغير وتلال منحدرة بينها مسطحات بها مياه ، وثمة أشجار متجمعة على كثير من المواضع على منحدرات الجبل • ورأينا قطيعا من حيوانات الهرتبيس لكنها ولت هاربة مبتعدة عن مجال بنادقنا • وذيول هذه الحيوانات تشبه ذيول الخيول ، وعندما تكون هذه الحيوانات فى أقصى سرعتها تطير هذه الذيول خلفها تاركة لدى الرائى تأثيرا جميلا ، وهذه الحيوانات لا تنطلق فجأة ولكنها ــ مثل حيوان العلندة ــ تعدو كالفرس أو تسير خببا gallop or trot وبدا ملحوظا من بين سلسلة كاتلامبا Quathlamba جبل بعينه كنا نظل نراه طول الضباح ويقع الى الشمال الغربى ونظرا لتفرد شكله وجدتنى اسميه كوب (فنجان) المارد •

وفي فترة بعد الظهر هذا اليوم اجتزنا لبعض الوقت تلالا عالية مكشوفة في اتجاه غربي تقريبا لكننا توقفنا فجأة بسبب جرف اعترض طريقنا ، وأشرفنا على بعض الوديان الجميلة المنعزلة كان يتلوى خلالها نهر ملت الى أنه هو نهر أونجانجواني Unganguani ، واضطررنا بسبب الجرف ـ الى الدوران نحو الشمال مسافة كبيرة ، وتوقفنا بعد الغروب مباشرة على شاطىء هذا النهر نفسه (أونجانجواني) عند نقطة يحتك فيها ماء النهر بقاعدة تل صخرى ، ويتخذ الشاطىء المقابل لهذه النقطة شكل حدوة حصان ورغم أن المرء لا يرى على الأرض هنا أثر غصن واحد الا أن شاطىء النهر كان عامرا بما يمكن أن نستخدمه كأعشاب للوقود . المسافة التى قطعناها تبلغ حوالى ستة وعشرين ميلا ، وكان اتجاهنا العام غرب الشمال الغربى .

الخميس ٨ أكتوبر :

وخفضنا شاطىء النهر بالتدريج لتمكين عرباتنا من المرور ، وعبرنا النهر الى النقطة المواجهة لمعسكرنا . عند تلك البقعة التي سميتها قلعة وينجارتى Wyngart Ford (نسبة الى جان وينجارت سائق عربة المؤن) ، واصلنا الرحلة فوق تلال معشوشبة مكشوفة متخذين طريقا غربيا تقريبا ، وبدأت السلسلة القليلة تنخفض تدريجيا حتى وصلنا الى نهر آخر أكبر من الآنف ذكره وأظنه فرعا من نهر أومزمكولو Umzimcoolu . وكلا النهرين : النهر الذى نحن بصدده ونهر أوجانجواني ينحنيان انحناء افعوانيا بين المنحدرات ، وذلك فى النقاط التى وصلنا اليها فيها . ورأينا حيوانا من حيوانات ابن آوى اليوم ، كما رأينا الحيوان نفسه بالأمس ، كما رأينا أيضا بعضا من حيوانات

الهرتبيس • والى الشرق أيضا ــ لكن أبعد ــ يظهر جبل آخر بين الكواتلامبا Quathlamba وقد سميته جبل السرج Saddle back تمييزا له عن الجبل الآخر الذى سميته فنجان المارد ، لأن الجبلين متشابهان •

لقد اختفت الثلوج الآن من السلسلة الجبلية على مدى رؤيتنا • وكنا نرى البط البرى فى كل الأنهار التى مررنا بها ، لكننى أخيرا أخذت برأى واتربور زعيم جريجوا (جرايكوا) Grigua Chief الذى كنت قد قابلته فى مدينة الكاب والذى أجاب بضحكة مجلجله عندما سألته عما اذا كان قادرا على اطلاق البندقية على طائر محلق ، فقال انه لا يضيع ما معه من بارود من أجل طائر • أما وقد اطمأن البط الى أننا لن نطلق عليه بنادقنا فقد أخذ يسبح سعيدا دون قلق فقد فقد ما كان معنا من طلقات قليلا وقررنا أن نوفرها لصيد أثمن من البط ، وكان ما مع الصيادين من رصاص قد نفد قبل أن نغادر ميناء الناتال •

ولم يكن صبرنا هذا بغير فائدة فخلال فترة النهار أطلقنا الرصاص على حيوان من حيوانات الغلندة على الجانب الآخر من النهر وكان علينا أن نعبر النهر جيئة وذهابا من البقعة نفسها التى سبق أن عبرناه فيها والتى أطلقنا عليها اسم قلعة الكنج (نسبة الى رتشارد كنج سائق العربة) •

بعد الظهر ــ وما كدنا نفارق النهر حتى وجدنا أنفسنا مضطرين للاتجاه جنوبا فهبطنا حافة صخرية شديدة الانحدار واستغرق هبوطها وقتا طويلا بسبب الاحتياطات التى اتخذناها مخافة انقلاب العربة أو سقوطها ، وكى نتبين النور كنا نتوقف حالما تصل الى أرض منبسطة أو مائلة قليلا فى

الوادى • كانت سلسلة تلال من الحشائش المستوية تشكل مدرجات منبسطة تحمى معسكرنا المكشوف من ثلاث جهات ، وثمة مجرى مائى رائقة مياهه يتلوى عبر المنطقة • لقد كانت بقعة محمية بشكل ممتاز ومناسبة لاقامتنا ، الا انه لم يكن ثمة فرع شجرة واحد قريبا منا ، وكان على رجالنا أن يرحلوا بعيدا لجلب خشب الوقود • لقد كان اتجاهنا العام نحو الغرب ، وكانت المسافة التى قطعناها خمسة عشر ميلا •

الجمعة ٩ أكتوبر :

ولأن الجبال واجهتنا من ناحية الغرب ، فقد اضطررت لاتخاذ اتجاه شمالي • ففى هذا الاتجاه كانت المنطقة مكشوفة ، وبعد أن عبرنا تلالا متواصلة مكسوة بالعشب ، وصلنا لشاطىء نهر ــ أظنه ــ أومزمكولو Umzimcoolu فخضناه بلا صعوبة ، وكان قاعه صخريا تماما • وقد سميت الموضع الذى خضناه منه حصن أوجل Ogle ford (نسبة الى السيد أوجل الذى صحب المجموعة) • وأجبرتنا عاصفة رعدية ومطر شديد على التوقف عند الشاطىء المقابل ، وقد وجدت أن عرض النهر فى هذا الجزء سبع وعشرون ياردة وذلك بتقدير طول العربة والحيوان الذى يجرها وتقدير المسافة بين الثور الأمامى والشاطىء الكائن خلفه • بينما كان عرض النهر فى البقعة الأخرى السابقة ثمانين ياردة •

السبت ١٠ أكتوبر :

بينما كنا نسير فوق التلال هذا الصباح ، قبل أن ننطلق بعرباتنا ، رأيت حية داكنة سمينة يبلغ طولها حوالى خمس أقدام ولها رأس مسطح عريض وفم مدبب ، وكان رأسها

مبقبع ببقع صفراء ، وأظن انها من النوع الذى يسميه الهولنديون الحية المتجعدة Wrinkle snake . وعند عودتى اخترقنا واحدا من الوديان الجميلة أدى بنا مباشرة الى قمة فنجان المارد Giant Cup ، ومن هذا الموضع رأينا عن أيامننا مجرى صخريا ربما كان هو الامكاماس the Umcemas (*) ولأننى جرحت بعد أن قطعت مسافة فى هذا الوادى فقد كنا نتحاشى الاقتراب من الجبال على الجانبين ، وفجأة توقفنا بسبب صخرة ضخمة سقطت من فوق الجبل وظهرت فجأة من شمائلنا، بينما لم يكن عن أيامننا مسافة كافية فقد كان النهر يكاد لا يترك لنا مساحة نتحرك فيها . المسافة التى قطعناها حوالى خمسة أميال . الاتجاه شمال الشمال الغربى .

وبعد أن عبرت بالفعل المجرى فوق ظهر حصانى أعطيت تعليماتى لبقية الفريق بالاجتياز ، واندفعنا متقدمين آملين فى آن نجد ممرا ملائما فى الجانب الآخر أو على الأقل فى المناطق الممتدة خلف الجبال بعد الصعود لقممها المرتفعة ، ولتحقيق هذا الهدف قدت حصانى فى أكثر المواضع وعورة ، فقد كانت بعض الأماكن التى عبرتها صخرية شديد انحدارها ، وقد ظللت أصعد من حافة الى حافة ومن حين الى حين حتى فاجأتنا عاصفة رعدية ، وسرعان ما عم الضباب الكثيف فضاع منا الممر ، وفى الوقت نفسه أرسلت السماء علينا زخات من البرد فاستقبلته بسعادة ورحت أستمتع بما سببه لى من انتعاش ، وتوقعت بما يشبه اليقين ــ أنه ــ أى البرد ــ سيزيح الضباب لكن توقعى لم يتحقق على أية حال ، وبعد برهة من الانتظار القلق فككت سرج حصانى

(*) لم افهم المعنى المقصود ــ (المترجم) .

واستلقيت على صخرة وزحت استعد لقضاء الليل في هذه البقعة غير المريحة .

لقد كان على أن أكمن في هذا الملجأ المضمون (المتاح) رغم أنني في هذا الملجأ ما كان لى أن آمل فى توقع أدنى مساعدة من رفاقى الذين يبعدون عنى الآن عدة أميال ، انه فضل عظيم من الله — رغم أن غير المؤمنين لا يؤمنون بمثل هذه الأقوال — وسأقرر ذلك للآخرين تشجيعا لهم ، فقد كان هذا المكان الذى احتميت به استجابة من الله سبحانه لتضرعى فمن على بسماع استغاثتي ، فسرعان ماتبينت الطريق — رغم الضباب — تبينا يساعدنى على مواصلة خطواتى بحذر ، لكن الضباب قد انزاح تماما بعد ذلك وقبل أن أوغل فى المسير الا أننى لم أصل الى عرباتنا قبل حلول الظلام ، وكان رفاقى قد أرسلوا رجلين ليبحثا فى أثرى الا أننى لم ألتق بهما الا بعد وصولى لسفح الجبل . وكنت أثناء تجوالى المحموم قد التقطت فوق بعض القمم الجبلية المرتفعة عدة قطع من العقيق (حجر اليشب) agate من بين قطع كثيرة متناثرة بكميات كبيرة على سطح الأرض ، وكانت هذه القطع — بشكل عام — صغيرة وغير منتظمة كما كانت شفافة جدا والواحدة منها فى حجم حبة جوزة الطيب . لكل هذا فقد أطلقت على الوادى الجبلى الذى وجدت فيه هذا اسم وادى العقيق Agete vale

الأحد ١٢ أكتوبر :

لقد خرجنا في مجموعتين لاكتشاف الطريق ، وكان بصحبتى هذه المرة اثنان من أهل البلاد أحدهما من الهوتنتوت والآخر من الزولو Zoolu . وكان حصانى قد تلقى درسا قاسيا يوم السبت بسبب « خطوة الظبى antelpe step »

وأظن أنه قد وعى الدرس ولن يكرر الخطأ اليوم ، لكن برهن على طفولته النهر الذى كان وجوده سببا فى عدم امتداد النيران (المترجم : يبدو أن حريقا شب فى الحشائش على احدى ضفتى النهر ، ولم يمتد الحريق الى حشائش الضفة الأخرى بطبيعة الحال لوجود النهر) وبطبيعة الحال فقد نمت الأعشاب والحشائش مرة أخرى بعد أن خمد الحريق ، لكن لون الحشائش الجديدة التى نمت بعد أن خمد الحريق كانت غير لون الحشائش القديمة ، وكان الأثر الذى أحدثه فارق اللون بين الحشائش القديمة وتلك النامية حديثا أثرا فريدا ، وقد تم التمييز بين هذين اللونين على خريطة ·· ولم يحدث أبدا أن تذكرت أن صعوبات مرت بى أكثر من تلك التى مرت بى هذا اليوم ، ففى مواضع كثيرة لم يكن هناك ما يشغلنى سوى التمعن فى الصخور التى كان يتحتم على اجتيازها ، لقد كانت الجروف (جمع جرف ـ بضم الجيم ـ تسكين الراء) على جانبى الجبل مرعبة رعبا هائلا ، فيكفى أن يتأملها المرء للحظة ليمتلىء رعبا ·

وبعد كل هذه المشاق التى تكبدتها فشلت فى القاء نظرة على المناطق الممتدة خلف هذه الجبال ، فالحيد ridge الذى أقف عليه سرعان ما تحول الى هوة تهبط بشكل عمودى دون أدنى انحدار وما ان وصلت الى حافة الهوة حتى وجدت قاعدتها تصعد لتتصل من الناحية المقابلة بدورة قمة فنجان المارد Giant's Cup · وفكرت أن العودة من الطريق التى كنت أتيت منها، تعد ضربا من المحال لكننى مع هذا اقتنعت

أنه لا بديل عن ذلك • فأدى بي المنحدر الى عبور موضع أو موضعين من أكثر المواضع مشقة في عبورهما ، لكن أسوأ المواضع فعلا وأكثرها مشقة وصعوبة في العبور لم يكن قد أتى بعد ، فعند هذا الموضع الذي يمثل نقطة حرجة اكتشف واحد من الرجال بطريقة تكاد تكون اعجازية (بطريقة يمكن وصفها بأنها ما كانت لتتم لولا رعاية الله وعنايته) طريقا أقل خطورة كان بامكاننا نسلكه لنصل الى الوادى بسلام • لقد كانت الصخور العارية الجدباء تملأ أعالى هذه الجبال ، لكن المناطق المتوسطة والدنيا كانت مزدانة بمساحات متفرقة تنمو فيها الأشجار ، خاصة من نوع Protea grandiflora ويبلغ ارتفاع الشجرة منها ما بين اثنتي عشرة قدما وأربع عشرة قدما • وكان كثير من المروج يتسم بالجمال لكنها لم تكن تختلف عن المروج التى شاهدتها في مستعمرة الرأى (الكيب) • وكانت زهور الربيع البيضاء (زهور المرغريتا) (★) ، وشاهدنا البامبو الذى يبلغ ارتفاعه ما بين عشر أقدام الى اثنتى عشرة قدما بالقرب من ضفاف النهر • على أن الشجرة الجديرة بالتأمل هى شجرة عوان بين النخيل والسرخس ferns (★★) ، وهى شجرة أقرب ما تكون شجرة الزاميا Zamia أو شجرة ذقن الكافر ، لكن الشجرة التى نحن بصددها تختلف عن المروج التى شاهدتها في مستعمرة الرأس بينما أشجار ذقن الكافر (الزاميا) لها أوراق كتلك التى

(★) عن معجم الشهابى : Daisy (Bellis perennis)

زهرة من الفصيلة المركبة ، وتعرف بزهرة عين البقرة وشاش القاضى فى اللغة العامية السائدة فى دمشق ، وتعرف باسم لؤلؤية صغيرة أو صغرى أو مرغريتا الصغيرة أو صغرى كما تعرف باسم زهرة الربيع – (المترجم) •

(★★) فى معجم الشهابى : يقال لها بروطية أو شجرة الفضة •

للنخيل • وجذوع الأشجار التى نحن بصددها والتى لا توجد الا فى المنحدرات الدنيا للجبال وفى الأودية مشابهة لجذوع نخيل التال أو (التار) (★) ، الا أن جذع الشجرة التى نحن بصددها قلما يزيد ارتفاعه عن ست أقدام أو سبع ، لكن اذا ما اعتراه السواد نتيجة احتراق الحشائش حوله فقد لا يستطيع المرء التعرف عليه عن بعد • ومع أن أملى قد خاب فى تحقيق هدفى الرئيسى (القاء نظرة على السهوب فيما وراء هذه الجبال) الا أننى حصلت على مكافأة (تعويض) غير بسيطة بالتمتع بعظمة المناظر فى الجبل التى تعكس — مع اختلاف كبير — كثيرا من ملامح منطقة جبال الألب ، فالصخور — فى مواضع كثيرة — بدت محطمة بعنف ، ومتناثرة بلا شكل محدد ، كما بدت فى مواضع أخرى وكأنها بقايا قلاع • أما عن تكوين هذه الصخور فهى — كما أستطيع أن أؤكد الى حد كبير — من الحجر الجيرى المركب والناعم ، والنوع الأول (المركب) يحتوى على دقائق من الكوارتز • وبينما كنا على قمة لاحظنا عمود دخان يتصاعد على البعد ناحية الجنوب الغربى ، وربما كان هذا ناشئا عن أن بعض الحشائش لازالت تحترق •• ولم نصل الى مخيمنا الليلى الا بعد حلول الظلام ، ولأنه لم يكن فى مقدورنا أن نحصل على مؤن مناسبة بعد تسع ساعات متواصلة من السير والمعاناة ، فقد وجدت اننى مستعد لتناول أى طعام مهما كان • وكان باقى الرفاق قد عادوا جميعا لكن دون أن يحرز أحدهم نجاحا •

(★) عن معجم الشهابى : Palmyra تال أو تار ، نوع من النخيل •

الثلاثاء ١٣ أكتوبر :

لم تكتشف أى مجموعة أخرى طريقنا عمليا يمكننا أن نسلكه وكان هناك اعتقاد دائم أن تكون المنطقة على الجانب الآخر من الجبال ، منطقة متضرسة لمسافة ما (عكس كل التوقعات السابقة) ـ لذا فقد قررت بعد أن وضعت في اعتبارى ظروفنا الحالية وحاجتنا للمؤن مستقبلا ، أن أعيد احدى عرباتنا مع ثورين الى بورت ناتال Part Natal ثم نواصل مسيرنا على الأقدام مع بقية الثيران التى نحملها بالمؤن ٠ وتعمدت أن أترك عربة الأمتعة هنا ، فقد اتضح أن هذا وفقا للظروف الحالية هو الأضمن للوصول لمستعمرة الرأس بشكل أسرع ٠ أما عن موقعنا الحالى فأظن أننا على بعد حوالى مائة ميل جغرافى Geographical miles الى الغرب من خط زوال بورت ناتال ٠٠٠ (★) ٠

الجمعة ١٦ أكتوبر :

أدى هطول المطر الذى استمر طوال يوم الأربعاء تقريبا الى اعاقتنا عن القيام بالاستعدادات الضرورية لتحميل الثيران والقيام بالأعمال الأخرى الضرورية ٠ كان البرد قارسا مع صقيع شديد بالليل ٠ وعلى أية حال فبالأمس تم تحميل الثيران بعد عناء شديد ، فقد كررنا كثيرا عملية رفع الأجولة والحقائب الممتلئة ٠ لقد عانت الثيران معاناة شديدة ، وبعد الظهر واصلنا سفرنا المعتاد ٠ وبالنسبة للمراقب المحايد ،

(★) وجدنا صعوبة فى نقل العبارات الى العربية بشكل واضح ـ (المترجم) ٠
The true course made good west vy north half north, and that by shaping a south west compass course, ...

فان ظهورنا فى هذا الوقت قد يكون باعثا على السخرية او الضحك على نحو ما · ولم تكن الا قلة من الثيران هى التى تسير هادئة تحت أحمالها ، بينما كانت معظم الثيران ساخطة متذمرة الى حد كبير ·· لقد علقنا الغلاية (القــدر) عـلى الحبل الذى يصل بين ثورى المقدمة كما علقنا على الحبال الأخرى بل وعلى قرون الثيران كثيرا من الأشياء الأخف وزنا كالحصر والكيزان (جمع كوز) ··· الخ ، وعلى أية حال فما طال مسيرنا حتى تعثرت بعض الثيران عند عبور مجرى صغير فأزحنا بصعوبة شديدة أحمال أحد الثيران التى كنــا نتوقع أن يكون أداؤها أفضــل من ذلك ، وفي محــاولة منه للتخلص من أحماله الى الأبد راح يضربها بقرنيــه وقدميــه ليمزقها اربا ، وكان سائقى (سائق عربتي) السيد ركشاكنج Richerd King لازال يعــالج من العرج الذى ســببته ركلة بسبب الصعوبات التي عانيناها في هــذه المحــاولة الأولى ، اننا سنواجه المزيد من الصعوبات والمتاعب فى بقية الطريق وأن أكثر من نصف مؤننا سيتلف فى كل الاحتمالات ، لذا فقد أزمعت تغيير الطريق واصطحاب العربتين وعبور الجبال من موضع آخر ، لكننى تراجعت عن هذا الرأى ووجدته غير عملى · تقلب المناخ هنا واضح بشكل جلى ، فبالأمس كانت الحرارة شديدة مدارية ، أما اليوم فالرياح الجنوبية الغربية شديدة ، فعانينا جميعا من البرد ، أما من صحبنا من أهــل البلاد فقد كاد البرد يصيبهم بالشلل التام ·

وفى حوالى الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم تركنا معسكرنا الليلى وألقينا النظرة الأخــيرة عــلى وادى العقيق (اليشب) بصــخوره الرومانســية وجروفه (جمع جــرف يضم الجيم وتسكين الراء) ، وانطلقنا بمجرد دورانها حول

هذه الجبال التى تحف بهـذا الوادى المنعـزل ـ فى اتجـاه الجنوب الغربى كما أشـارت اليـه البوصلة • وقبـل الظهر وصلنا لمجرى صخرى وقد تناثرت حمولة عربة التحميل عند محاولة عبور هذا المجرى عند مخاضة من مخاضاته ، الا أن شيئا ـ لحسن الحظ ـ لم يكسر ، كما أن المؤن ظلت سليمة لم تبتل باستثناء النذر اليسير ، رغم أن الصناديق وغيرها من الأشياء قد أصابها الماء بشدة • وحالما خففنا من حمولة العربة ، سقطت جوانبها واندفعت الى القاع لكننا استعدناها بمعاونة قوة الثيران وثبتناها كما كانت فوق العجلات وتم سحب العربة الى الشاطىء • أما العربات الأخرى فقد عبرت من مخاض أفضل ، وبعد ذلك كان لابد أن نمكث لاصلاح ما أصـاب العربات من عطب ولتجفيف ما أصـابه البلل • وبينما كنت راكبا أمام العربات في هـذا الصـباح التقطت عصا مجرفة (فأس) من ذلك النوع الذى يستخدمه أهل هذه الأنحاء فاستنتجت أننا اقتربنا من منطقة مأهولة بالسكان ، وقد تكون آثرا من آثار جنسي نزح من هنا ، فقد بدت قديمة ظهر عليها تأثير الليل والنهار وتقلب أحوال المناخ ، وعلى أى حال فان وجودها فى هـذه البرية لا يمـكن أن يخلو من دلالة •

بعـد الظهر :

لم نكن قد قطعنا أكثر من أربعة أميال حتي اضطررنا الى عبور نهر آخر اعتبرته هو نهر أومزيمكولو Umzimcoolu ذلك أن المجرى الضيق الذى عبرناه هذا الصباح يصب فيـه ـ فيما يبدو ـ عند نقطة غير بعيدة منا ، وقد أطلقت عـلى

المخاضة التى خضنا عندها هذا النهر اسم مخاضة سيروس - Cyrus ford نسبة الى جورج سيروس مترجمى الخاص ..

السبت ١٧ أكتـــوبر :

لا أذكر أنه سبق لى أن عانيت من البرد كمـا حدث لى خلال الليلة الماضـية ، فبقايا الميـاه التى بقيت فى الوعاء (الجردل) قد غطتها طبقة من الجليـد بسـمك بوصـة . والعربات فى جنوب أفريقيا غير مهيأة جيدا ضد الريح ، فكل جزء فيها متحرك ومعد لاستقبال الهواء من الجهات كلها ، ولم يكن لدينا حطب نشعله فيخفف عنا غائلة البرد خاصة أن آخر عود كان لدينا استخدمناه فى طهى طعامنا فى الليلة الماضية ، ومن هنا فقد واصلنا مسيرنا هـذا الصباح ونحن صائمون ، وقد تحول الجو بعد ذلك فأصـبح دافئا ، كمـا أصبحت الشمس قوية ، لكن بعد أن قطعنا زهاء عشرة أميال وجدنا أنفسنا غـير بعيدين عن معسكرنا الذى قضينا فيـه الليلة الماضية ، فلم تكن المسافة بيننا وبنه تزيد على ميلين أو ثلاثة .

الجروف الصخرية الحادة تعوق تقدمنا للالتفاف حولها آملين فى الوصول الى تلال معشـوشبة ، وفى أثنـاء هـذا الدوران غير المجدى فوجئت تماما برؤية جبل صارم وعـر فأطلقت عليه اسم قلعة المارد Giant's Castle فقـد بدا لى ما يشبه القلعـة فوق تل داخلى . وكان ما سـميته بقلعـة المارد يشبه قلعة ادنبورج Edinburgh Castle من ناحية أو ناحيتين ... وعبرنا ـ ببعض الصعوبة ـ مجـرى صـغيرا واجتزنا الى الناحية المواجهة .

بعـــد الظهـــر :

عبرنا المجرى المائى الذى يبدو أنه يتحد مع النهر ـ الذى أظنه نهر أومزيمكولو Umzimcoolo وهـو فى طريقـه نحـو مصبه • ولما عبرنا للشاطىء المواجه دهشنا الدهشة كلهـا لظهور آثار أقدام بشرية فوق الرمال اتضح منها أن شخصين بصحبة كلب قد عبرا النهر عنـد مخاضـة هنا فى اتجـاه معاكس لاتجاهنا • واستنتجنا من هذا وجود بشمن اما أنهم قد عبروا الجبال بحثا عن الطرائد أو أنهم من القاطنين فى بعض المناطق القريبة على هـذا الجـانب من سلسلة جبـال كثلامبا Duathlamba وآثنـاء ارتحالنـا هـذا اليـوم رأينا عديدا من حيوانات الهرتبيس والعلندة وقطيع جنـو Genu من أحد عشر فردا ، ويعرف الجنو فى مستعمرة الرأس باسم ويلدبيست Wildebeest وتعنى الحيوان الوحشى Wild beast وهو الاسم الشائع بين الهولنديين • وعند الغروب تقريبـا أوينا الى سفوح تلال حيث كان المـاء متـوفرا وكذا خشب الوقود • ولأن عددا من السلاسل كانت تتخذ اتجاها جنوبيـا شرقيا منشعبة من كتلة الجبال الرئيسية ، وكأنهـا أكتـاف أو نتوءات buttresses ، لذا فان وجـود ممر ملائم خـلال الجبال فى هذا الاتجاه الآنف ذكره كان أمرا مبهما ، الا أننا اتخذنا اتجاها جنوبيا غربيا وقطعنا فى هذا الاتجاه واحـدا وعشرين ميلا •

الأحد ١٩ أكتوبر :

كانت المنطقة تتصعد بنا (ترتفع شيئا فشيئا) منـذ بعد ظهيرة الأمس ، وكنا نتوقع توقعا قريبا من اليقين فى يومنا هذا اننا سنصل الى الممر المنشود • وكان مظهر المنطقة

مشجعا ، وكنا قادرين أن نصعد بعرباتنا الى قمم بعض المرتفعات الصخرية التى كنت أميل الى أنها جزء من السلسلة الجبلية الرئيسية ووجدت واديا عميقا أمامنا ، فتركت الرفاق وتسلقت سلسلة جبلية طويلة شديدة الانحدار ، وكانت هذه السلسلة عن أيامننا ، وتابعت التسلق حتى وصلت الى سطح مستوى (كالمنضدة) ، ولم يكن تسلقى هذا مجديا رغم أنه استغرق منى ساعتين ، فلم تكن هذه الجبال غير سلسلة موازية بينها وبين جبال الكوتلامبا Quathlamba الحقيقية سلسلة من الصدوع والجروف الشديدة التى تجعل الاقتراب منها مستحيلا ٠

الثلاثاء ٢٠ أكتوبر :

أكملنا الهبوط من المنحدر وهو ما كنا غير قادرين عليه فى الليلة الماضية ، حتى وصلنا الى أرض مسطحة ، وعبرنا مرتين المجرى الذى كان يمر بها ، ثم عبرنا فرعا لهذا المجرى ذاته ٠ وبالقرب من هذه البقعة لاحظنا أخشابا محترقة بالقرب من جمجمة علندة ، وكانت هذه الأخشاب مرتبة بطريقة جيدة مما يدل على أنها لم تشتعل صدفة وانما أشعلها بعض البشمن الجوالين فى المنطقة أو أجناس أخرى من أهل البلاد ، بقصد انضاج لحم الحيوان (العلندة) الذى تم اصطياده ٠ ولأن السلاسل الجبلية مازالت تتخذ فى استمرارها اتجاه الجنوب الشرقى ، فاننا ــ لتجنب الدوران الكامل حولها ــ عبرنا واحدة فقط ٠ لقد كان ذلك عملا شاقا بالنسبة لهذه الثيران البائسة ، لقد تطلب الأمر تغيير دعامتى spans كل عربة مرتين أثناء الصعود ، كما تطلب الأمر اعادة تثبيت ثلاث عجلات على الأقل عند الهبوط من الناحية الأخرى ، وكان من الضرورى أن نمسك أعنة

الثيران جيدا ونحاول السيطرة عليها حتى لا تنقلب بالعربات رأسا على عقب ...

الأربعاء ٢١ أكتوبر :

آعاقتنا بالأمس (بعد الظهر) ريح عاصف مصحوبة بمطر شديد ، وبروق ورعود ، فلم نستطع اكمال هبوط المنحدر واكمال العملية المعتادة المتمثلة فى تثبيت العجلات الثلاث واصلاحها واعادة فتل الأحبال وتدعيمها ، وقد أنجزنا كل ذلك هذا الصباح ، وكان المنحدر الأخير وعرا شديدا تماما كالمنحدر الأول ، ولما عبرنا المجرى الذى يفصل ما بين الجبلين ، وتطلب هذا منا جهدا وجدنا أنفسنا على أرض أكثر استواء وعبرنا بعض المرتفعات حتى وصلنا الى المجرى نفسه لكن من ناحية الغرب . ولم نر الا حيوانا واحدا من حيوانات الهرتبيس وقليلا من الأيائل .

بعد الظهر :

أضحى الطريق معقدا غاية التعقيد مرة أخرى ، وتطلب الأمر كثيرا من الحذر وكنا غير قادرين على الاسراع وعند اقتراب غروب الشمس وصلنا لمرتفع مجاور حيث قضينا الليل ، قطعنا اثنى عشر ميلا . الاتجاه العام : ناحية الغرب .

الجمعة ٢٣ أكتوبر :

وجدنا صباح الأمس أن توالى الحواجز الصخرية شديدة الانحدار قد منع كل تقدم لنا صوب الجنوب الغربى ، فهبطنا مرة أخرى ، وتبعنا تعرجات مرتقى حاد a steep acclivity وكان عن يمينى نهر تعترض مجراه سلسلة من

الجنادل ، وقد تبينا بقلق بطن المســيل ravine باحثين عن مخرج فمن يميني ويسارى جبلان قاحلان شــديدا الانحدار الا أننا كنا قادرين على مواصلة المسير غربا لثــلاثة أميــال ، لكن الجبلين قد التقيا الآن فى نقطة ، فاستحال علينا بذلك مواصلة المسير فى الاتجاه ذاته ولم يعد أمامنــا الا صــخور وجروف مضطربة اضطرابا شديدا ، وكان الارتفاع شديدا ، ولم يكن ثمة ممر أو طريق ملائم للعربات ، وعلى أية حال فقد تفرق رفاقنا بحثا عن مخــرج وعادوا جميعــا بتقارير غــير مشجعة • ان هناك مساحات مسطحة يمكن للعربات أن تسير فوقها ، لكن بعد ذلك يأتي المنحدر الشديد ••• وبينما كنا فى هذه الحيرة الشديدة لاحظنا آثار أقدام خيــول وماشــية وأخبرنا جاكوب Jacob أنه استدل على ممر مطروق يصل الى كهف يبدو أنه آهــل بالبشر ، ولم نضع وقتا فى اكتشــاف هذا المأوى البشرى (الكهف) غــير المتــوقع ، فتتبعنا الممر المتعرج لحوالى نصف ميل فوصلنا فجأة لمدخل كهف •• كان الكهف مقسما من الداخل بشكل فج بجذوع أشجار وأفرع ، وبذلك كان يكون أربع غرف منفصلة • وكانت آثار النيران واضحة فى كل مكان ، وهناك بقايا حصر ، وبقايا أعــواد ذرة ، وأوان للطهى ، وريش من ذلك النوع الذى يوضع فى الرأس ، وسوار من ذلك النوع الذى يوضــع حــول الرأس (الشعر) وغير ذلك •• ولفت انتباهنا على نحو خاص آثار الخيول •• مما يشير الى أن قاطنى هذا الكهف كانوا جماعة من الأماكوزا Amakosa لجأت لهذا المأوى الذى يسهل الدفاع عنه •

ان هذا الكهف يمكن أن يضم مائة شخص على الأقل •• وبالقرب منه مرعى واسع يكفى للعديد من رءوس الماشية ، ومن شواهد عديدة أظن أن هذا الكهف لم يهجره قاطنــوه

الا منذ مدة لا تزيد على ستة أسابيع أو سبعة بعـد أن تأكد هؤلاء الكافير من استقرار السلام مع مستعمرة الرأس أو بقصد تركيز قواتهم في موضع أكثر ملاءمة ، الا أنني أميل الى ترجيح الغرض الأول لكن ما جعلني أرتدع عن محاولة التقدم صوب الجنوب الغربي هو التقارير التي تلقيتها عندما كنت في بنتنج Bunting ، خاصة اعتراف جواسيس خيلى Kheeli أن قبيلة الراحـل هنزا Hinze كانت تفـكر في الاتجاه شمالا ، وربما ــ قبـل ذلك ــ تكـون قد احتلت كل المنطقة من رأس كيتو Keito الى الجبال ، وبذلك يكونون قد استولوا بشكل مباشر على الطريق الذى سنسلكه • لقـد حان الآن الوقت الذى ينبغي أن نقرر فيه ما اذا كنا سنواصل لتحقيق هدفنا الحالى بالوصول لمستعمرة الرأس بعبور سلسلة جبال كوثلامبا Quathlamba ... • • • •

وانتهى بنا التفكير الى ضرورة العودة الى بانتنج Banting ثانية آملين أن تكون حروب الـكافير قد انتهت في الـوقت نفسه وأن يكون الطريق المعتاد قد أصبح مرة أخرى مفتوحا وما ان استقر رأينا عـلى هـذا القرار حتى ودعنـا جبـال كوثلامبا بصخورها وجروفها • •

★★★

رحـــــلة

روبــرت موفات ـ (١)
ROBERT MOFAT

ماكابـــا
MAKABA

ولـد روبـرت موفـات سـنة ١٨٩٥ م فى شـــرق لوثيـــان East Lothian وقد تدرب ليكون بستانيا وبالفعل اشتغل بهذه المهنة ؛ لكنه احس بشوق شديد للقيام بعمل ارسالى (تبشيرى) ، وقد قبلته ارسالية لندن التبشيرية سنة ١٨١٦ م ليكون احد اعضائها . وفى سنة ١٨١٧ م وصل الى جنوب افريقيا ومكث فى بلاد النماكوا Namaqua-land حوالى اثنى عشر شهرا وجال فى المنطقة من الاورانج الى لاتاكو Lattakoo ، وعند عودته الى بلاد النماكوا اصبح واحدا من الافريكانز Afrikaner (مواطن من مواطنى جنوب افريقيا من اصل اوربى) ، وعينه الدكتور فيليب والراحل جون كامبل Campbell كمسئول تبشيرى فى لاتاكو ، وفى سنة ١٨٢٠م ذهب الى بلاد البتشوانا Bechuanaland وزار القبائل المحيطة بلاتاكو وساعد الوطنيين الذين يقاومون غزو المانتانيز Mantetees الذين هربوا بدورهم بسبب استيلاء الزولو على بلادهم ؛ وفى سنة ١٨٢٤ م قبل دعـوة لزيارة ماكابا Makaba زعيم البانجواكتس Bangwaketse والمقتطفات التالية من كتاب :

Moffat's Missionary Labours and Scenes in Southern Africa.

المنشور فى لندن سنة ١٨٤٢ م .

... لقــد خــرجت بصحبة بعض الجريكوا Griquas الذين كانوا فى ســبيلهم لصــيد الفيلة ، وبعــد آن ظللنا سائرين طيلة ثلاثة أيام فوق سهل رملى الى حد ما تنمــو به أشجار الأكاسيا هنا وهناك ــ وصلنا الى نهر ماشاوا Mashana وهو نهر ليتاكو القديم Old Lithako river حيث حصلنا على الماء بالحفر فى باطن مجراه • وهنا انضمت الينا مجموعة أخرى يقودها الزعيم بيرند بيرند Berend Berend .

وبعد أن غادرنا هذه البقعة التى تزودت فيها ثيرانا العطشى بقليل من الماء ، اتخذنا اتجاها شــماليا وسرنا فى سهل رملى آخر تناثرت فيه أشجار الأكاسيا الضخام بأعداد قليلة •

وعندما حل وقت الغروب توقف مرشدونا من البشوانا Bechuana ــ وفقا للعادة المتبعة ــ لقضــاء الليل ، ولأن الماء كان بعيدا فان جماعتنا خشيت التقدم فى هــذا الليل البارد لجلبه (أى الماء) للثيران العطشى •

وقد آكد مرشدونا آننا ان حاولنا التقدم لجلب المــاء (بمفردنا) فسنضل الطريق لكن الغالبية رأت أن تســير فيما بدا وكأنه الطريق المباشر ، وبينما كان ركب العربات سائرا اضطجع سائقو العربات الخلفيــة وناموا ثقــة منهم بسائقى عربات المقدمة ، وهو أمر شائع • وداعب النعاس بشدة سائقى العربات الأمامية ، وبعد بضع ساعات استطعت آن أتبين بوضوح من النجوم أننا قد انحرفنا ناحية اليسار ، فأخبرت بذلك سائقى العربات الأمامية الا انهم آكدوا أنهم يسيرون فى الاتجاه الصحيح ، وكنت أنا متأكدا أنهم يسيرون فى الاتجاه الخاطىء • وفى حوالى الســاعة الثانيــة صباحا

توقفنا ، واستغرق أفراد المجمــوعة الرئيسيون فى النــوم لفترة يســيرة ، ولما استيقظوا أحاطــوا بالنيران المشــتعلة للتدفئة ، فالتدفئة الآن من الأمور المقبولة ، بينما حر النهار لا يطاق ، وبينما كانوا يعدون أقداح القهوة أخذت بوصلتى لأؤكد للمجموعة أننا طوال ساعتين كنا نسير فى اتجاه الماشوا Mashaua وهو المكان الذى خرجنا منــه ، ومعنى هــذا أننا نعود من حيث أتينا ، فنظــر الأكثر تعقــلا منهــم الى البوصلة لفترة ، ثم تطلعوا حولهم ونظروا للنجوم وأعلنوا أن البوصلة غير ســليمة ، وذكر آخــرون أن بوصــلتى قد تعرف الاتجاه فى بلدى لكن كيف تعرفه فى بلاد الآخرين ! وبينما كنا نتناول طعامنا المتواضــع ، بدأ القمر الشــاحب يظهر من الأفق الشرقى • فقال واحــد منهم : « يا لها من نار ! » فقلت له « انه القمــر » فأبدى الجميع دهشـــتهم وقالوا : « ان القمر لا يمكن أن يبزغ فى هذا الجانب » وقال أنطوانى ــ وهو رجل وقور كبير السن كان عبدا ذات يوم ــ بوقار : « ســيدى ! ان رأســك دار ، لم يبزغ القمــر من الغرب طوال حياتى •• وأنا رجل كبير السن » فقلت مؤكدا: « انه القمر » لكن أحدا لم يصــدقنى ، وواصــلنا تنــاول طعامنا • وسرعان ما ظهر القمر هلالا فى الأفق ، فهبــوا واقفين جميعا ، وقال بعضهم متسائلا : « ما هذا ؟ » • ولم أجد مبررا لمواصلة تقديم براهين لهم ، وقال أنتونى بحزن : « انّ القمر ــ للمرة الأولى فى حياته ــ قد بزغ من الناحيــة الخطأ » ،وعندما أشرقت الشمس بدا جليــا للجميع أننــا ظللنا طوال نصف الليل نسير عائدين الى المحطة التى انطلقنا منها ، ولم نكن نتقدم ، والأسوأ من ذلك أننا اكتشفنا أن كل ثيراننا العطشى قد غادرتنــا عائدة لموضــع المــاء الذى تركناه ، وأرسلنا رجالا على خيول لاعادة الثيران مرة أخرى،

وفى المساء عادت الثيران جميعا فربطناها للتو وسرنا فى اتجاه الماء ، وعنده وجدنا بعض أدلتنا فضحكوا كثيرا وبعمق ... وتوقفنا لساعتين لانعاش ثيراننا ، بينما أحضر لنا صيادونا كثيرا من لحوم الكركدن (وحيد القرن) والجاموس البرى . وبعد ذلك واصلنا رحلتنا فوق منطقة من الأحجار الجيرية تغطيها أشجار الأكاسيا الشائكة nook-horn acacia وتوقفنا مرة أخرى فى كونجكى Kongke فقضينا يوم السبت واسترحنا ــ وفقا لاتفاق مسبق مع الجريكوا اذ اشترطنا عليهم أننا وهم لا يجب أن نسافر أو نصطاد فى هذا اليوم ، واستمتعنا بالخدمات المعتادة . وقد أتيح لى هنا أيضا مخاطبة الأهالى الذين تحلقوا حولنا مع أن المنطقة بدت فى بادىء الأمر بلا سكان . واتخذت جماعة البشوانا Bechuanas التى صحبتنا حتى هنا طريقا نحو الشمال الغربى حيث يريدون الوصول الى كالاجارى Kalagaré بينما واصلنا نحن رحلتنا الى الشرق .

لقد أصبحت المنطقة أكثر جاذبية ، تتناثر فيها تلال من الحجر الجيرى تغطيها الأشجار والآكام ، وتتوافر فيها الطرائد التى يتعين على بعضها أن تقطع عشرين ميلا على الأقل لتصل الى المياه ، وعلى أية حال ، فقد وجدت أن كثيرا من الظباء من النوع الذى يمكنه البقاء بدون ماء لمدة يومين ، بينما حيوانات وحيد القرن (الكركدن) وحيوانات الكواغة Quaggas (حمير جنوب أفريقيا الوحشية) لابد أن تشرب كل يوم . وخلال النهار قتل بعض رفاقنا فيلين ، وكنا مضطرين لاقامة معسكرنا فى مكان مكشوف فى سهل لا ماء فيه ، فقد كان من الخطورة مواصلة السير فقد كان صوت زئير الأسود يأتينا من مكان بعيد . وفى اليوم التالى

واصلنا المسير نحو الشمال فى منطقة متموجة مغطاة بعدد كبير من آشجار جيدة أخشابها . وتوقفنا عند نبعين طبيعيين يفوقان الوصف ، تفصل بينهما تكوينات الشست الحديدية iron schist ، ويبعدالنبع عن الآخر مسـافة مائة ياردة . ويبلغ عمق أحدهما حوالى ست عشرة قدما ويبلغ عمق الماء فيه أربع أقدام . وكلاهما منحدر انحدارا عموديا ، وقطر الواحد منهما قدمان ونصف قدم . ويتكون التل الذى يقعان به من كتلة متكتلة من الشست الحديدى ويبـدو من مظهره وكذلك من جوانب هذه العيون (الآبار) كما لو أنه كان فى حالة انصهار فى وقت من الأوقات ، كمـا بدا أن نارا داخلية كانت خلال هذه الثقوب (التجويفات) ، لكن شيئا كاللافا Lava (الحمم البركانية) لا يظهر فى المنطقة المحيطة وقد علمت من الوطنيين الأكبر سنا والذين عاشـوا طـوال حياتهم بالقرب من هذه الينابيع أنها فى وقت من الأوقات كانت أكثر عمقا . لقد كانت مياهها ممتازة . وحتى نحصل على قدر كبير من المياه لنا ولخيولنا ، فقـد ربطنـا وعاءنا (جردلنا) فى حبل ...

لقد أطلقت النيران على فيلين وكان هـذا خبرا مفرحا للبوشوانا البائسين الذين راحوا يترددون على جسدى الفيلين بسكاكينهم الهزيلة ورماحهم وسرعان ما قطعوا الحيـوانين الثقيلين . ان وضع هؤلاء الناس الفقراء بائس حقا ، وقد أشرت اليهم فى الفصل الأول حيث يجد القارىء أن حالتهم لا تختلف عن حال البشمن ، بل ان أوضاع البشمن أفضـل فهم ـ أى البشمن ـ يتمتعون بالاستقلال ويمـكن لهم أن يقدموا خدماتهم لجيرانهم فى أوقات المسرات ، ان معاناتهم تفوق معاناة القبائل غير المستقرة لأنهم سراق ماشية مما يجعل

جيرانهم يكنــون لهـم البغض ، فكل ما يفعلونه هــو جلب الطريدة والاستحواذ عليها كلها ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للبشــــوانا Bechuanas البؤساء ، فاذا تقابل أحد ســكان المدن مع واحد منهم طلب منه أداء كل الأعمال حتى المزعج منها • وقد شاهدت بنفسي شيئا كهذا أثناء هــذه الرحلة ، فالآخرون يتحدثون عنهم على نحو ما يتحدثون عن ثيران الجر ودواب التحميل لأنهم بالفعل يقومون بهذا العمل ، وبينما كنا هنا قابل رجل من الموشوانا Mochuane بعضــا من هؤلاء البشر كانــوا قادمين من مسافة بعيــدة حاملين معهم اللحوم لأسرهم •• واذا حدث أن سقطت الطريدة الجريحة في مكان بعيد عن الماء ، فان هؤلاء البشر يتجمعون ــ خاصــة النساء ــ ويضطرون لحمل اللحم لمسافة قد تصل الى ثلاثين ميــلا ، ولمنع هــؤلاء البشر من الفرار من الخدمة خاصــة اذا كان مطلوبا منهم أداء أعمال في اليــوم التــالى ، فانهم يحتجزون في مكان تحيط به الأشواك تماما كالخراف ، وفي هذا المكان المسور والمحاط بالفروع الشــائكة يتعين عليهــم قضاء الليل ، وكثيرات من النسوة البائسات يردن الماء خاصة اذا لم يجدن غرباء عنده • ولم يعترض البشوانا Bechuanas الذين كانــوا يســافرون معنــا الى بارولونجس Barolongs لتدخلى لصالحهم الا أنهم ضحكوا لغبائي لتعاطفي مع هــؤلاء الكلاب Lincha • لقد كانوا مثل الوطنيين عامة يعيشــون بعيدا عن الماء ويضطرون للذهاب لجلبــه مرة في اليــوم ، ولأنهم لا يستحمون فان قليلا منــه يكفي للشرب ، لذا فان أوانيهم التى يجلبون فيها الماء عبارة عن قرب جلدية ، كمــا انهم يستخدمون كروش الحيوانات وأحشاءها لملئها بالمياه ، ويستخدمون للغرض نفسه بيض النعام (بعد ثقبه ويتخذون

له سدادات من الأعشاب) ، ويمكن للمرأة أن تحمل ثلاثين بيضة من بيض النعام هذا وهى مليئة بالماء ٠

لقد قضينا هنا راحة يوم السبت ، وكان يوما مفيدا كما أعتقد ٠٠٠ وكان الجانب الرئيسى من الطرائد التى حصبوا عليها عن طريق الشراك (الحفر التى يحفرونها لتسقط فيها الطرائد) ٠ وقد رأيت بعضا من هذه الحفر التى يبلغ عمق الواحدة ست عشرة قدما والتى يمكنها أن تستوعب زرافة أو حتى حيوان وحيد القرن ٠ وبعض هذه الحفر تتخذ الواحدة منها شكل القمع ، وبعضها الآخر مجرد مستطيل وفى قاعها أوتاد حادة ، وهم يبعثرون الأتربة المستخرجة ، ويغطون هذه الفتحات بالأغصان والحشائش ، وتعد هذه الحفر خطرا يمكن أن يحيق بالمسافرين والصيادين ٠٠٠

لقد كان المنظر مبهجا للعين ، فالآجام متناثرة حولنا والسهل الواقع بيننا وبين نهر مولابو Molape الى الشمال منا يبدو كالغابة لكن الأشجار ــ خاصة الأكاسيا ــ كانت صغيرة ٠ وفى الأفق البعيد يرى المرء تلالا فى منطقة باونجتسى Bauangketsi وقد غطتها ــ أى التلال ــ الأشجار بشكل واضح ، مما يشير الى أن تربة المنطقة خصبة ٠ وكانت الأسود كثيرة فى المناطق المجاورة لنا لكنها لم تزعجنا الا بزئيرها الذى كان يصل الى أسماعنا بين الحين والحين ٠ وتوجه بعض راكبى الخيول الى نهر مولابو Molapo فوجدوه جافا ٠ وكان يتحتم علينا أن نغير اتجاهنا ٠

وذات مساء وصلنا الى بركة كونتها مياه الأمطار ، وكانت محاطة بالنيران لمنع الحيوانات من الاقتراب منها ، وكان

عثورنا على هذه المياه بمثابة نجدة الهية لأننا لم نعثر على مياه بعد مفارقتنا هذه البركة ليومين كاملين .

وقد استقبلنا الوطنيين القليلين الذين زارونا بود شديد فدفعهم هذا لاحضار كل أفراد القرية الى معسكرنا ، ولأنه كان في حوزتنا قدر كبير من اللحوم فقد قدمنا لهم منها فكافأونا بالسماح لماشيتنا بالشرب من البركة التى يحرسونها باشعال النيران حولها . ومع أن الحساء الذى أعددناه كان به قدر كبير من الطين الا انهم ابتلعوه بشراهة وتحلق اثنا عشر شخصا حول الآنية وراحوا يشربون ويقتنصون اللحم دون ملاعق ، ولم ينتظروا حتى تبرد ، لقد راح الواحد يستخرج قطعة اللحم بيمناه وينقلها الى يسراه ثم يقذف بها الى فمه بسرعة . لقد اكتسحوا كل ما في الاناء ولم يبقوا شيئا .

وفى اليوم التالى ارتحلنا عبر سهل رملى جاف ، وتوقفنا بدون ماء . وتابعنا مسيرنا فى اليوم التالى مبكرا وكان أمرا مقلقا أن نرى الماشية البائسة تعانى العطش وراحت تجرى فى ظلال الأشجار والشجيرات . . وأخيرا هبطنا قاع نهر مولابو Molapo لكنه كان جافا كالسهول المحيطة به . وتابعنا مسيرنا شرقا فى قاع هذا النهر الجاف ولم نلتق بأحد يدلنا أين نجد الماء . لقد أصبح الوادى صخريا فاضطررنا لقيادة عرباتنا فى المنطقة المكشوفة ، وما كدنا نفعل ذلك حتى سمعنا صوت أسدين فى المنطقة التى غادرناها لتونا ، وكان الأسدان يزأران بعنف .

وبعد أن قطعنا بضعة أميال بعيدا فوق أرض يابسة مشجرة ، هبطنا مرة أخرى لبطن (قاع) النهر فاكتشفنا

وجود غاب (بوص) مشتعل ، فجرينا متوقعين وجود الماء لكننا لم نجد ما نطلب · لقد كانت الماشية وكذلك الرجال في الغاية من الارهاق فتوقفنا لقضاء الليل ، وراح كل منا يفكر في أن هذه الليلة قد تكون هي الأخيرة في حياته · لقد كانت أجسادنا مرهقة وعقولنا مشتتة بسبب السفر ليومين متواصلين ، كانت الحرارة فيهما شديدة ، وكان السهل الذى قطعناه في هذين اليومين متربا ، وكانت الرياح جافة ساخنة · لقد كان معسكرنا المكون من أحد عشر عربة وأكثر من مائة وخمسين ثورا وما يقرب من مائة شخص ساكنا سكون الصحراء لا يقطع سكونه سوى أنين الماشية المرهقة المنهكة ، بينما كان هذا المعسكر مفعما بالحركة والنشاط في ظروف أخرى خاصة عند توفر كمية كبيرة من اللحوم ·

لقد جعلنا الظمأ الشديد نستيقظ مبكرين ، وعندما تفحصنا آثار الأقدام وجدنا أن راكبى الخيول الذين سبقونا في اليوم السابق قد اتجهوا شرقا · وقبل أن نتقدم كثيرا اكتشفنا وجود جاموسة برية بين الغاب (البوص) ، فأطلق رجالنا بنادقهم لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليها فقد كانت قد توغلت في عمق الغاب (البوص) ، وتوسلت للرجال أن يكفوا لأنه من طبيعة الجاموس البرى أنه اذا جرح أصبح خطرا يصعب تحاشيه ، وعلى أية حال فان الرجال استمروا في اطلاق النار قائلين : « اذا لم نصب ماء فلا أقل من الحصول على لحم طازج » · ولكى يجبروا الحيوان على الخروج من البوص راحوا يطلقون النار ، فاندفع الحيوان الهائج بين النيران والدخان ، وبدا من خلال اندفاعه كخنزير سمين هائج ولحق توا بواحد من الرجال ، فتحاشاه بمجرد الانبطاح أرضا فجرح جرحا خفيفا وتمزق رداؤه · ولولا أن الكلاب كانت تحاصر الحيوان الهائج من الخلف لكان الرجل قد لاقى

حتفه • وعاد الحيوان (الجاموسة البرية) الى البوص لا يريد تركه لكن طلقة شوت جلده بما فى كلمة شواء من معنى • ووصلنا ظهرا الى مجرى مائى ولم نكن نتوقع هذا فاندفع الرجال والثيران والخيول والخراف واختلط الجمع الجميع بشكل مضحك • ودفع ثور أحد الرجال وعم السرور وأنعشت برودة الماء الحيوان والانسان على سواء • وثمة رجل آخر ــ من فرط تسرعه ــ ألقى بنفسه على الشاطيء بدلا من آن يلقى بنفسه فى الماء وتبعته الماعز والخراف ، وثمة رجل ثالث راح يزحف بين أرجل الثيران ، وآخر راح يدفع ببدنه بين الثيران مزاحما اياها ليصل للماء • وصرخ رجل معلنا أن حصانا قد وطأه ، وصاح رجل قائلا انه يغوص فى الطين ، وأثناء حدوث ذلك كله لم تظهر الفرحة على حقيقتها الا بعد آن ارتوى الجميع وخرجوا من الماء • لقد كانوا مبتلين ، وبعضهم كان ملوثا بالطين ، فكان هذا المنظر باعثا على الضحك ، فأغرق الجميع فى الضحك حتى استلقوا على أقفيتهم • وبينما كان يتم اعداد اللحوم فوق النيران راح الجميع يدخنون التوباكو بتلذذ وأطلقت الألسن بفصاحة معبرة عن الشدة التى واجهناها فى الأيام الماضية • من الضرورى أن تكون شاهدا حاضرا معنا لتفهم ما كنا فيه من سعادة ، فالكلمات وحدها لا تكفى للتعبير • وقد استمتعنا هنا بيوم راحة ، ووصلنا فى اليوم التالى الى بيتسان Pitsan وهى المدينة الرئيسية لقبيلة البارولنج Barolong التى كان يعيش سكانها قبل ذلك ــ عندما زارها السيد كامبل Campbell ــ فى منطقة كنوانا Kunuana أو موشو Mosheu الواقعة الى الجنوب على بعد ثلاثة أيام •

وظهر تونى Tauane **الزعيم الأكبر** وسط جمع غفير وجلبة ، وحيانا بالطريقة الانجليزية مادا يده اليمنى ليصافحنا قائلا بقدر ما أسعفه النطق صباح الخير ، لقد تمنوا لنا كلهم عددا كبيرا من « صباح الخير » مع أن الشمس كانت قد غربت، وفى اليوم التالى قابلنا المسئولون الرئيسيون وتحدثنا معهم عن هدف رحلتى وحدثهم الجريكو Griquas عن خصم لصيد الفيلة فى المناطق المجاورة • وقد حاول تونى ــ وهو رجل يبدو ضعيفا متسما بالبلاهة ــ أن يثنينى عن زيارة هذا الشخص سيىء السمعة ، توقع أن ألاقى حتفى بسبب هذه الزيارة ، ومثل هذه الأقوال شائعة بين القبائل الأفريقية ، وهذه المدينة ــ التى تشغل مساحة واسعة ، وتضم أقساما عدة للباهورستى Behursti وأقساما أخرى للبوانجكتسى Bauanghetsi ــ بها ما يزيد على عشرين ألف نسمة تجمعها هنا جميعا المانتاتيز Mantatees • وأثناء غيابى فى مدينة الكاب زارهم السيد هاملتون Hamilton واستمع اليهم كثيرون باهتمام كبير ، وقد كان مطر يهطل أثناء زيارته لهم، فأتيح له أن يرى صانع المطر (جالب المطر rainmaker) ـ الشخص الذى يطلبون منه التضرع بدعوات خاصة لجلب المطر • ولم يذكرونى بهذه الحقائق وعندما سألتهم عما علمه منهم وجدت أن ذاكرتهم غير قوية بما فيه الكفاية •

وخوفا من ألا نستغل الوقت أفضل استغلال خاصة يوم السبت ، فقد أديت الصلوات باللغة الهولندية للجريكوا الا أن الضوضاء التى أحدثتها الجموع أجبرتنا على التوقف • ثم حاولت التحدث مع مجموعتين مختلفتين فى المدينة أن أشرح ــ عن طريق مترجم ، وبمؤازرة بعض الزعماء • وناقشت مع الأشخاص المهمين موضوع اقامة مركز تبشيرى بينهم ، فقال أحدهم « يجب أن تأتى لتسقط المطر » وقال

آخر : « يجب أن تأتى لتقدم الحماية لنا » ، ومن الطبيعى أننى حاولت أن أجعلهم يفهمون أن هدف الارسالية ليس اسقاط المطر أو تقديم الحماية لهم وضربت لهم مثلا بالارسالية التى فى كورومان والتى يعرف بعضهم عنها معلومات وافية • وقد ازدحمت حولنا الجموع التى بدا من الواضح أنه ليس لديها ما تفعله ــ من الصباح حتى الليل • وكانت المدينة تخضع لحكم ثلاثة زعماء : تونى Tauane وجونتسى Gontse وانشى Inche وكان تونى يعتبر هو الأقوى ، رغم أن هناك عددا كبيرا من البارولونج Barolongs يخضعون لسلطة جونتسى Gontse وهو أخو خوزى Khosi الذى وصفه السيد كامبل ، وقد تم خلع خوزى هذا لافتقاده للأنصار • وكما فى كل المدن الأخرى ، يوجد فى هذه المدينة أقسام مخصصة لسكان من قبائل أخرى تجمعوا تحت قيادة زعماء منهم واحتفظوا بخصائصهم التى تميزهم عن القبائل (الأمم) الأخرى ، ومن ثم ، فهناك خاصية كبيرة للبوانجكتسى Bauangketsi يحكمها الزعيم مورومولو Moromolo وهو رجل حقق شهرة لاتصافه بالعدالة والبراعة القيادية • لقد أحضروا لنا عددا كبيرا من الأوانى الخشبية والملاعق الخشبية والحلى ليبادلوها بما لدينا ، وتقدم لنا ــ مع آخرين ــ رجلان كبيران وقدما لنا طفليهما وعرضا بيعهما وطلبا فى مقابل أحدهما خروفا ، وفى مقابل الآخر جفنة خرز • وقد انتهزت هذه الفرصة وبينت لهما ولكل الحاضرين أن بيع الأبناء أمر غير طبيعى ، كما بينت لهم النتائج الرهيبة التى تحدث نتيجة ذلك ، فالخروف سرعان ما يؤكل وفائدة الخرز وغيره من أدوات الزينة محدودة ، أما الأطفال فهم الباقون والأطفال هم الذين يقدمون المساعدة لذويهم • كما أنهم ــ أى الأطفال

ـ سيكونون مفيدين للقبيلة بشكل عام ولأهلهم بشكل خاص خاصة اذا كبر الوالدان وطعنا فى السن واحتاجا لمساعدة من الأقارب والتمسوا أصدقاء ، ساعتها سيودون أن يكون لهم أبناء • وابتعد الرجلان وقد خاب أملهما فلم نشتر طفليهما ، بينما وجدت الآخرين الذين تحلقوا حولى واستمعوا لكلامى قد اقتنعوا ببشاعة هذا الجرم وأدانوا أنفسهم بالتغاضى عنه ، ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن البشوانا Bechuanas لا يعرفون الاسترقاق (العبودية) بالمفهوم المعروف للكلمة • ويسود النظام الاقطاعى بين القبائل • وتوجد طبقتان : طبقة الأغنياء وهى تتمثل فى الزعماء الذين يتوارثون الزعامة ، وطبقة الفقراء وقد استمرت هذه الطبقة الأخيرة فى الظروف نفسها وهم بمثابة عبيد للأرض (مقطعين ـ بفتح الطاء) Vassalage وحياتهم تشبه على نحو ما حياة كلابهم اذ يعانون من الجوع والكسل والبطالة لكنهم يعدون مملوكين (من ممتلكات) زعمائهم الموقرين ، وقد عاش آباؤهم منذ زمن سحيق فى نعمة سادتهم (زعمائهم) • وعلى أية حال ، فثمة اعتقالات تجرى عليهم ويتم التحفظ على بعضهم ، فيضطرون الى مغادرة المكان ليعيشوا حياة أكثر راحة فى مناطق بعيدة لكنهم ان تعرضوا للخطر فى منفاهم الاختيارى اضطروا للعودة الى سادتهم (زعمائهم) القدامى لحمايتهم •

وقد كان تونى (تاونى Teune) معارضا تماما لذهابنا لمنطقة (حى) الباونجكتسى ، وكان قد قدم لى احدى زوجات ماكابا كانت قد هربت مع ولديها ، وكان أحدهما قد لاقى حتفه بعد ذلك مثل أبسالوم •• Absalon على يد المقاتلين فى جيش والده بسبب خيانته (هروبه مع أمه) •

وكانت الأم المغامرة جميلة ووقورة . وبعد أن اقنعت نفسى بأنه من الضرورى أن نستمر فى طريقنا واصلت المسير مع مجموعتى الصغيرة ، متوقعا أن يسلك الصيادون طريقا آخر لاقتناعهم بأن كل ما سمعوه عن ماكابا صحيح . وعلى أية حال فقد فك الجميع أربطة ثيرانهم فى وقت واحد وبدأ الركب طريقه الى منطقة الباونجكتسى Bauangketsi . وتوقفنا ليلا بالقرب من بركة كبيرة متوقعين بسرور أن نقضى يوم سبت هادىء tranquil Sabbath لعلمنا أن الطريق مازال طويلا أمامنا حتى نصل الى زرائب ماشية الباونجكتسى Bauangketsi وكلما أوغلنا فى المسير بدا الاعياء جليا على ثيراننا . لقد تركناها بلا حراسة أو أرخينا لها حبال الجر التى تربطها بالعربات مع أننا كنا فى منطقة غريبة تعج بالأسود .

وبعد أن أدينا الأعمال المعتادة فى المساء خلدنا جميعا للراحة ورحنا نستعيد حكايات البارولنج Barolong المرعبة عن الرجل المهم الذى نحن ذاهبون اليه ، والذى يتحتم علينا ــ وفقا لما قاله البارولنج ــ أن نشرب جعته (بيرته) فى جماجم آدمية . وقد اكتشفنا فى الصباح أن حوالى خمسين ثورا من ثيراننا قد شردت أثناء الليل ، والتقينا فى الفترة ما قبل الظهر متوقعين أن يعود الرجال الذين ذهبوا للبحث عن الثيران الشاردة ــ حالا . وفى منتصف النهار عاد الرجال وذكروا أنهم أجروا بعض التحريات فعلموا أن الثيران قد وقعت فى أيدى حراس زرائب ماكابا Makaba وذكر رجالنا أنهم قتلوا أحد الثيران ، ولم تثر هذه الأخبار فى معسكرنا مجرد الثرثرة والهمس ، وانما أثارت الرعب أيضا ، وكثرت التأويلات والتخمينات وفكر البعض جديا فى الهرب ،

وبذلك لم يكن يوم السبت مفيدا ومريحا كما كنت أتوقع • وعلى أية حال فقد هدأ بالنا شيئا ما لأن الرجال استعادوا فى المساء ستة ثيران ولحم الثور المقتول وذكروا أن بقية الثيران قد انفصلت وتم ارسالها الى زرائب مختلفة ، وتوسل الينا الرجال كثيرا كى نتشفع (نتوسط) لهم عند ماكابا Mekaba الذى سيقتلهم غالبا ــ بالتأكيد ــ مقابل الثور الذى نحروه ، فأكدنا لهم أننا سنتدخل لصالحهم ، وبحكم الضرورة اقتنع الجريكوا Griquas بالاستمرار فى المسير الى مراكزهم الرئيسية •

وقد قررنا مواصلة السير اذ توفر لكل عربة من عرباتنا ثمانية ثيران لجرها ، ولم يستمر تقدمنا كثيرا حتى قابلنا ماروجا Maroga (أو ماروشا Marocha) وهو أحد أبناء ماكابا Makaba على رأس عدد من الرجال ، فأهدانى بعض الحليب ، وقال لنا : « اننى منزعج بسبب ما لحق بكم من ضرر بسببنا ، لقد كان يتحتم علينا جميعا أن نهرب ، لكننا نعلم انكم رجال سلام • اننا سنعيد لكم ثيرانكم التى فقدتموها لقد أمرت أن يمزق رجال المدينة الذين نحروا ثوركم اربا أمام أعينكم • ان والدى ماكابا لن يعفو عنهم لأنه ظل ينتظركم ــ كأصدقاء ــ مدة طويلة ، ان الطريق الى المدينة بعيد لا ماء به • أبقوا وأشربوا من الماء الذى معي ، وفى الغد سأصحبكم الى منزل أبى » • وقد رفضت أن أذعن لاقتراحه بأن نبقى الليل هنا ، فأهدانى ثورا ولكننى ظللت على رفضى خشية أن يقوم والده بقتل الرجال المشار اليهم آنفا فى هذه الأثناء مما يؤدى الى كراهية قبائلهم لنا ، فيمنعوننا من زيارة مناطقهم (بلادهم) مرة أخرى • وأخيرا أذعن ماروجا ، وركب ــ بناء على طلبى ــ هو وزوجته فى

عربتى • وكانت العربة أمرا جديدا بالنسبة لهم ، فلم يحدث أبدا أن استخدمها الباونجكتسى Bauangketsi أو البارولونج Barolongs وفى الساعة الثامنة توقفنا فى موضع لاماء فيه ونظر ماروجا وجماعته لأوعية المياه التى ادخرناها لمثل هذا الموقف بدهشة • كانت زوجة ماروجا متزوجة قبل زواجه منها من باهورتسى Bahurutsi وهو جالب مطر غادر ليتاكو Lithako سنة ١٨٢٢م • ويبدو أن ماكابا قد دغاه وفقا لرواية الزوجة الى عاصمته بعد أن امتلأت خزائنه بالقمح ، وكان الجزاء الذى ناله جالب المطر انه اتهم بعمل السحر لابن ماكابا الذى كان يعانى المرض ، ومن ثم فقد أمر ماكابا بقتله وزوج زوجته لابنه • تلك هى القصة كما روتها الزوجة ولكن الحقيقة أن ماروجا (ابن ماكابا) كان جالسا ذات يوم بجانب أبيه فرأى زوجة جالب المطر بمنظرها الجميل فأصدر ماكابا أوامره لرجاله بقذف زوجها بالرماح، ثم زوج المرأة لابنه •••

وفى اليوم التالى قابلنا ــ قبل أن نوغل بعيدا فى المسير ــ مبعوثين من ماكابا قالوا لنا ان ماكابا لم ينم من فرط الفرح عندما علم باقترابنا ، ومررنا بكثير من النسوة كن يعملن فى بساتينهن ، وكن ــ عندما يبصرن بنا ــ يطرحن أحمالهن أرضا ويجرين الى عرباتنا رافعات أيديهن وهن يصحن محييات (روميلا •• روميلا Rumèla) وتلك هى طريقتهم فى التحية • وكن يتبعن ذلك بصيحات حادة ، كانت الصيحة الواحدة منها كافية لازعاج ثور كبير •

ولأنه كان يتعين على العربات أن تتخذ طريقا دائريا فوق التل للوصول للمدينة ، فقد أسرجنا خيولنا وامتطيناها لنصل للمدينة من أقرب الطرق اذا ما وصلنا لقمة التل الذى

تقع غاصمة الباونجيتسى عند سفحه ، ولما يممنا وجوهنا شطر الشمال اعترتنا دهشة شديدة فقد وجدنا عددا من المدن متناثرة فى الوديان • لقد قادنا وشدنا خلال شوارع متعرجة الى المجمع السكنى لماكابا Mekaba وكان ماكابا واقفا أمام باب أحد منازله ، ورحب بنا فى مدينته بالطريقة المعتادة ، وقد بدا مندهشا وسعيدا لرؤيتنا جميعا بلا سلاح ، وضحك ضحكة من الأعماق مندهشا لأننا لابد أن نكون واثقين من أنفسنا لحضورنا غير مسلحين الى مدينة تتسم بالجلافة • وما هى الا دقائق حتى تجمعت الجموع وراح الناس يتدافعون ويطأ بعضهم بعضا بالفعل شغفا لرؤيا الغرباء وخيولهم • وفى هذه الأثناء دخل ماكابا بيته وأرسل لنا جرة كبيرة مليئة بالجعة وقرعة يابسة (يقطينة يابسة) لنستخدمها كمغرفة (ملعقة كبيرة) ، ولأننا كنا عطشى فقد شربنا بشغف من الجعة (البيرة) التى لم يكن لها تأثير مسكر الا قليلا •

وفى هذا الوقت كانت عرباتنا قد وصلت المدينة وعبر ماكابا عن رغبته أن نسير بها فى شارع المدينة الرئيسى ، فذهبت أستطلع الطريق المتعرج الضيق الذى يمر بين منازل كثيرة وقلت ان ذلك غير ممكن لأن العربات ستحتك بالجدران وتلحق بها ضررا بليغا ، الا أن ماكابا أعلن أن ذلك غير مهم وقال « فقط ، دعنى أرى العربات تمر فى مدينتى » ووقف الزعيم فوق مكان مرتفع أمام بيته وراح ينظر ببهجة لا توصف للعربات التى راحت تسقط أركان الأسوار وراحت النسوة قاطنات البيوت تنظرن بدهشة للعربات والثيران غير عابئات بما تحدثه من أضرار رغم أن بعضهن أبدين عدم رضائهن • ولما وصلت العربات للجزء الأدنى من المدينة فككنا الثيران وأحاط آلاف من البشر بالعربات ، كل واحد

منهم يبدى ملاحظاته على هذا المنظر الدرامي محدثين جلبة وضوضاء شديدة تصم الآذان ، ولم ينفض جميعهم حتى أوغل الليل • وفى فترة ما بعد الظهر أقبل ماروجا Maroga مصحوبا بثلاثة زعماء قبليين ليعينهم ـ بناء على أوامر والده ـ كممثلين له لحراسة عرباتنا من الشروق حتى وقت خلودنا للراحة ، وقد جرى هذا التعيين فى حضورنا بطريقة رسمية حاسمة ، كما كانوا مكلفين بمراعاة راحتنا وازالة أسباب أى شكوى ، كما كانوا مسئولين عن كل مقتنياتنا التى تفقد أو تسرق • وعند الغروب تقريبا أرسل ماكابا احدى زوجاته لتقول لنا ان من دلائل احترامه لنا أنه أرسل أحب زوجاته اليه لتسلمنا وعاء مليئا بالحليب المتخثر ، ولتقول لنا انه سيرسل لنا فى الغد ثورا مذبوحا • لقد كانت آنية الحليب المتخثر كبيرة جدا حتى أنها احتاجت لرجلين ليحملاها الى العربة • وسوف أصف وعاء الحليب هذا ويسميه البشوانا Bechuana باسم ليكوكا Lekuka فى موضع آخر من رحلتى هذه •

أما وقد وصلنا لعاصمة الباونجكتسى وألقينا نظرة على هذه الكثافة السكنية ، فقد تهيأنا لسماع مزيد من الضجيج والصخب فى الأيام التالية • ولم نكن مخطئين فى توقعاتنا ، ففى بكور الصباح التالى وقبل أن نغادر الفراش بوقت طويل أحاطت بنا الجموع حتى أن المرء ليجد صعوبة فى شق طريقه بين عربة وعربة • وعندما ذهبنا نصعد التل لنلقى نظرة على المناطق المجاورة تبعنا عدد من الرجال وأبدوا دهشة غير قليلة عند رؤية بوصلتى التى بدت كأنها أداة من أدوات المشعوذين والسحرة وقد ضحكوا كثيرا عندما سألتهم عما اذا كنت أبدو ساحرا أو مشعوذا •

وفي حوالى الساعة العاشرة ظهر ماكابا Makaba ومعه حاشيته وجلس مقابل عربتي فتراجعت الجموع المحتشدة الى الوراء وغمرها الصمت • وتحدث ماكابا الينا قائلا : « يا أصدقائي ، انني سعيد تماما ، وقلبي أشد بياضا من الحليب لأنكم زرتموني • انني اليوم رجل عظيم ، فسيقول الناس ان ماكابا قد تحالف مع البيض • انني أعلم أن كل الناس يقولون انني شرير • انهم يريدون ايذائي لأنهم لم يستطيعوا هزيمتي واذا أرادوا بي سوءا كلت لهم الصاع صاعين • ! انهم لا يفهمون في المعارك الا كما يفهم الأطفال، وماذا يمكن أن يقول الضعفاء العاجزون سوى اطلاق الكلمات السيئة على عدوهم القوى • لقد أتيتم لرؤية ماكابا الفظ • لقد أتيتم ـ كما قال باتلابيز Batlapis لتلقوا حتفكم على يدى • انكم حكماء وشجعان لأنكم قررتم أن تأتوا لتروا بأعينكم ولتضحكوا من قول أعدائي » • ودار حوار طويل عن احوال المنطقة وعن غزو المانتاتي Mantatee . وفي هذا الموضوع الأخير ، تحدث بفصاحة وطلاقة خاصة وهو يصف كيف وقع مئات من أعدائه في الشراك واصطادهم الرجال الكائنون في الكمائن وأشار الى ميدان المعركة وقال : هناك عظام الأعداء الذين أتوا الى تلالنا بأعداد كبيرة كالجراد لكنهم تلاشوا أمام قوة رماحنا •• » وأضاف قائلا بصوت جهير مشبع بالرضى والثقة : « من مثل ماكابا بن ميليتا ؟ •• انه رجل الغزو والانتصار ! » •

وقطعت الجموع المزدحمة حبل الصمت بتصفيق حاد يصم الآذان • وقد قلت له عندئذ ان الهدف من زيارتي الحالية هو أن أفتح وسائل للاتصال بيننا وبينه لأننا سنعتبره في المستقبل أحد أصدقائنا الرئيسيين ، وكدليل

على هذه الصداقة فان الارسالية التبشيرية ستأتي الى هنـــا وتقيـم معهم فأجاب قائلا : « فى المســـتقبل ، فانه يأمل الا تغطى الحشائش الطريق بين كورومان ــ Kuruman وكواكو Kuakue ، وأنا أعلم أن موثيبى Mothibi سيعوقك عن تنفيذ مخططك لأنه يخشى أن تبنى بيتك بجوار بيتى » وقال ان الثيران الشاردة ستصل اليــوم ، وأنه ســيعفو عن الرجل الذى قتل ثورا منها بناء على توسلاتنا وتضرعاتنا ، فقدمت له هدية من الخرز والأزرار وأشياء أخرى صغيرة ، وقدمت له أيضا قبعة ، فوجهه واحد من الجريكوا Griquas ليضعها فوق رأسه ، ففعل ، لكنه سرعان ما خلعها ووضعها على رأس شخص آخر قائلا : انه لا يســتطيع أن يرى مــدى جمالها وهى فوق رأسه هو ولأن معظم الجريكــوا قد حضروا للمقايضة فقد أخبرهم أنه سيبدأ ذلك يوم الجمعة • وحالما غادرنا عمت الجلبة والضوضاء ولم يتح لنا الجمهور الغفير لحظة واحدة من الهدوء ، أما فى الليل فقد أزعجتنا الضباع، وكانت الضباع على ثلاثة أنــواع : منها المخطط ، ومنهــا المبقع ، بالاضافة الى نوع ثالث كان أصغرها حجما وأشدها خطورة •

وفى الصباح تم ارسال ثلاثة ثيران للنحــر ، وأثنــاء النهار وصلنا قمح مسلوق وجعة وحساء الخضر باللحم • وقد زرت المدينة • انها كبيرة ، لكننى لم أستطع تقدير عدد السكان ، فالمدينة نفسها ممتدة تشغل مساحة كبيرة ، ومن ثم فان عدد السكان لابد أن يكون كبيرا بالمقــارنة بمــدن جنوب أفريقيا الأخرى • ولــكل زوجة من زوجات ماكابا ــ وعددهن كبير ــ مجمع ســكنى خاص بها مكــون من ثلاثة منازل ومخزن عام ومخزن للقمح • ولكل واحدة منهن أيضا

عدد من الصوامع الاسطوانية للقمح ، يبلغ قطر الواحدة منها ما بين ثماني أقدام الى اثنتى عشرة قدما، وقدأقيمت كل صومعة على قاعدة حجرية ، والمباني والمنازل مشيدة بتصميم مختلف كثيرا عما رأيته قبل ذلك • فالمنازل ــ رغم أنها ليست أوسع من منازل الباتلابيز Batlapis ــ فانها مشيدة بطريقة تراعي الذوق والراحة أكثر مما في بيوت الباتلابيني ، والدوائر منضبطة والجدران غير مائلة (عمودية) رغم أن ذلك كله تم بالاستعانة بالعين المجردة دون أدوات ، وكان ذلك مثار دهشتنا • وأرضيات المنازل وساحاتها نظيفة جدا كما أنها ناعمة كسطح الورق ، فليس من سيدة بيت انجليزية يمكنها أن تجعل آنيتها الخشبية أنظف من ذلك • وهم في ذلك يختلفون عن الباتلابيز • وكان ماكابا يشير مرارا للطباع البربرية لجيرانه الجنوبيين وسألني بلهجة المنتصر عما اذا كان الباتلابيز قد غسلوا ولو مرة واحدة أوانيهم الخشبية أو انهم ــ ولو مرة واحدة ــ قدموا لى طعاما خاليا من الذباب في طبق أنظف من لسان الكلب •

وحظيرة الماشية الأمامية ــ أو مكان الاجتماعات العامة ــ عبارة عن دائرة قطرها ١٧٠ قدما مكونة من مصاطب دائرية ، كل مصطبة بارتفاع ثماني أقدام وقد حفر حول كل مصطبة بالفأس ، وخلف هذه الحظيرة الأمامية أو مكان الاجتماعات العامة توجد حظيرة مبيت الماشية وهى تسع عدة آلاف من الثيران ، وتوجد أيضا عدة حظائر واسعة للخراف • وبشكل عام فان ماكابا يكون مشغولا في فترة الصباح بتقطيع الجلود وسلخ الماشية ، ثم انه يشرف على خياطة الجلود لعمل المعاطف ، أما بعد الظهر فانه يكون سكرانا من

جراء الجعة المسكرة التي تعد خصيصا له • انه يبــدو كبير السن رغم أن أمه لازالت على قيدة الحياة ، وهو طويل القامة وقوى ويبدو بصحة جيدة ، ويبدو كالهوتنتوت ، وتحمــل ملامحه قدرا كبيرا من المكر والدهاء ، ويبدو أثناء النقــاش معه بسهولة ، أنه يتحلى تماما بالآداب الأفريقية وهو لا يخشى أحدا من القبائل المحيطة به ولكنه يخشى الماكوس Makoaes أو أهل المدن (الماكوس هم الحضر) ،تدور الحرب دائمــا بينه وبين الباكــون Bakones وهم قبيلة (شــعب) كثير العدد الى الشرق والشمال الشرقى منــه • وخلف البــاكون توجد قبائل البامانجواتو Bamenguato وهى قبائل بارعة فى الحرف وعلى قدر كبير من الثراء ، ووراء البامانجواتو توجد قبائل البامجالاتسيلا Bamgalatseia التى يبدو أنهــا تشكل ــ فى هذا الاتجاه ــ الحد الذى تقطنه القبائل الأصلية (أهل البلاد الأصلية) فخلفهم ــ فيما يقال ــ يوجد شــعب نصف أبيض يلبس أفراده أقمشة الكتان وطبــاعهم شرســة جدا (بوجال Bogale) ، وبينما كنا نسير الى المرتفعات المجاورة ، كنت قادرا على احصاء أربع عشرة قرية كبيرة ، وكانت أبعدها تقع على مسافة حوالى ميل ونصف ميل ، وقيل لى انه توجد مدن أخرى كثيرة لا أستطيع رؤيتها •

ولعدة أيام حاولت أن أجــد ــ وقت الظهــيرة ــ مكانا ملائما منعزلا لأحــدد خط العــرض لكن ذلك كان متعــذرا ومزعجا لكثرة الزحام •• وقد تركت بوصــلتى فى العربة حتى تجذب اهتمام الناس بينما أنسل أنا بعيدا ، لكن بدون جدوى فقد تبعنى الناس أينما ذهبت ليراقبوا هــذا العراف Seipone وهــو الاسـم الذى يطلقــونه عــلى الــزئبق quicksilver • لقــد حالت حــركتهم الصــاخبة بينى وبين تحديد خط العرض بدقة •

وذات ليلة سمعنا امرأة تصرخ في المدينة ، وعندما استفسرنا في الصباح عن جلية الأمر وجدنا أن ضبعا قد خطف طفلها عندما كان يتجول غير بعيد عن باب بيته ببضع خطوات ، وعندما عبرنا عن دهشتنا أخبرونا أن هذا أمر كثير الحدوث فقد اعتادت الضباع اذا هبط الليل أن تجوس كل طرقات المدينة لتخطف ما يمكنها خطفه . ولأن هذه الضباع قد ألفت طعم اللحم البشرى فقد أصبح من الأمور الخطيرة جدا أن يقضى أحد الليل في الحقول المكشوفة خاصة في ضواحي المدينة . وقد أشرت الى خطط بدا لى أنها مجدية في القضاء على الضباع لكنهم لم يقتنعوا باقتراحاتى على أساس أن الاقتراب من دماء الضباع يجلب سوء الطالع .

وذات مساء قبل أن نخلد للراحة بوقت طويل سمعنا من ناحية برك الماء صراخ نساء وأطفال ، وبدا من صراخهم أنهم يتعرضون لخطر شديد . فأرسلت عددا قليلا من الرجال فهرولوا مسرعين الى البقعة فوجدوا ثلاثة أطفال كانوا يجلبون الماء على وشك أن يقعوا فريسة للضباع ، ونجح الرجال في ابعاد الضباع عن الأطفال فجرت ــ أى الضباع ــ نحو النساء ، الا أن الرجال أنقذوهن أيضا . وفهمت أنه يحدث كثيرا ألا يعود الأطفال الذين يذهبون لجلب المياه من البركة . لابد أن عددا كبيرا تقتله الضباع خلال العام . انه أمر يجعل المرء يرتعد .

ومنطقة البوانجكتسى Bauangketsi منطقة تلية بل وجبلية خاصة تجاه الشرق والشمال . أما التربة فهى بشكل عام خصبة جدا ، لكن الماء شحيح ، ورغم أننى أعتقد أن المطر وافر الا أن الرى أمر ضرورى لاستنبات الخضروات الأوربية والغلال .

والمناطق الواقعة الى الشمال والى الشرق بها أنهار كثيرة وهى مناطق مثمرة وغاصة بالسكان ، وتجلل قمم الجبال أشجار وأحراش لا تعرفها الأجزاء الجنوبية من القارة ، مما يعطى هذه المنطقة منظرا جذابا جليلا ٠



لقد استنفدنا وقتنا فاخبر الجريكا Griquas ماكابا انهم يرغبون فى مغادرة بلاده فى غضون يوم أو يومين للصيد وفى الوقت نفسه أخبرته بضرورة أن أعود مع مجموعتى الصغيرة لخشيتى أن يحل الجفاف فتجف البرك القليلة فى مناطق البارلوغ Berlong ، لكنه لم يرحب بقولى هذا رغم وعيه بصعوبة عودتنا الا إذا سلكنا الطريق الدائرى وعند وصولنا الى العربات فى المساء وجدت الناس فى فزع شديد ، فقد انتشرت أخبار مفادها أن أهل البلاد يعتزمون قتل كل المجموعة ، وعندما تقصينا الروايات المختلفة وجدناها متناقضة رغم أنها جميعا كانت مفزعة ، فاقتنعت أن هذه الحكايات لا أساس لها من الصحة ٠ وعلى أية حال لم يكن هناك شىء يمكنه اقتلاع مخاوف الجريكا اذا أخرجوا بنادقهم وعمروها ووضعوها الى جانب العربات لاستخدامها اذا وقع هجوم ، بينما كانت كآبة الليل تزحف على الوادى الذى تحيطه الجبال ، مما أشعل الخيال بأصوات المعارك ، وتخيل كل من كان بالمعسكر قدوم آلاف من محاربى الباونجكتسى Bauangketsi ٠ فكل رسالة ، وكل حركة يحدثها زائر كانت تفسر على أنها عدوانية ٠ وكنت قد تركت مترجمى فى المدينة مع الصبية والثيران فى زرائب ماكابا ٠ ولم يظهر المترجم حتى الآن ٠ وقال بعض الأشخاص الذين لم

يرهم أحد ولا يستطيع أحد أن يقل من هم ـ ان المترجم ومن معه من الصبية قد قتلوا جميعا ٠

وعدت للمدينة لاستطلاع حقيقة الأمر لأقنع من فى صحبتى أن مخاوفهم لا أساس لها من الصحة ولأجد الشخص الذى أبحث عنه (المترجم) ، ولم أكن أدرى أن الرعب الذى استولى عليهم وصل الى الحد الذى جعل ذهابى للمدينة وعودتى سالما لم يقنعاهم بأنه لا خطر هناك ٠ لقد قضى كثيرون ليلتهم دون أن يداعب النوم جفونهم وقاموا قبل أن ينهى الباونجكتسى ليلتهم ، وتم احضار الثيران من الزريبة ، وتحرك الركب جميعا ٠ ولما رأى الناس استعداداتنا للرحيل أحاطونا بالآلاف ومعهم الثيران والأدوات الأخرى التى راحوا يعرضونها للبيع ٠ وقد اكتشفوا جميعا ما كنا فيه من حذر، وكل ما كنا قد أعددناه للقتال ٠ لقد كان الوقت مبكرا ، والجو بارد وقد تدثر الجمع الجميع بعباءاتهم ، وراح الخيال يصور لهم رماحا تظهر مقدماتها بين الحشائش والأشجار ، وسبقنا جماعة من الخيالة المسلحين ليفتشوا المجرى الجاف الذى سنعبره وليتأكدوا أنه خال من الأعداء اذ قيل ان كتيبة من الأعداء ترابط هناك للقضاء علينا ٠ لقد كان هذا المسلك لا يخلو من المزايدة خاصة بالنسبة لملك وشعب لم نر منهما الا الرقة والدماثة ٠

وكان ايقاف سيل الرعب المسعور بمثابة الوقوف فى وجه الريح ٠ وقد استجوب أحد الزعماء المحليين واحدا من جماعتنا عن سر رحيلنا بهذه الطريقة ، فتلقى بالاضافة للاجابة المتغطرسة ضربة باليد فتنمر تنمرا خطيرا ٠ وفى هذه اللحظة بدأت أخاف لا لأننى اكتشفت أن التقارير التى وصلتنا اتضح أنها صحيحة ، وانما لأن هذا العمل (ضرب

الزعيم المحلى) قد يؤدى الى نتائج خطيرة وأن مقاومة غضب آلاف من الوطنيين المقاتلين تعد مهمة مستحيلة ويائسة تماما ٠ ولأننى لم أكن قادرا على إيقاف الناس (الجماعة) التى معى ، فقد بقيت فى المؤخرة ورحت أتناقش قدر ما أستطيع مع الرجال المهمين الذين تحلقوا حولى ، وحاولت بشغف أن أعرف سر الاسراع (الهروب) ٠ وبعد أن سارت العربة قرابة ليلة كاملة سمحوا لى بمتابعة طريقى بعد أن أكدت لهم أننى اذا لم أستطع أن أوقف المجموعة فيجب أن أعود ، وتوقفت العربات عند نبع صغير هو نبع ماهوبيشو Mahubichu يقع على بعد ميل ونصف ميل خلف التل الذى تقع فوقه المدينة حيث فقدنا بعض ثيراننا ٠ ووصل رسل من ماكابا Makaba يشكون متذمرين من رحيلنا المفاجىء ٠ وهدأ الخوف شيئا ما لكن واحدا منهم لم يجسر على المغامرة بالذهاب للمدينة ٠ ولم تظهر الثيران ولا بعضها وهكذا قضى علينا أن نقضى ليلة أخرى نعانى الخوف والرعب ٠ وأرسلت رسولا لماكابا أخبره أننى سأزوره فى المدينة فى بكور اليوم التالى ٠ وخلال المساء وصل أحد الوطنيين وأكد لنا التقارير المرعبة والتى مؤداها أننا جميعا سنقتل ، لكنه عندما سمع أننا سنحميه ونؤمنه لم نعد نره مرة أخرى ٠

وفى الصباح أخبرت رفاقى أننى بزيارتى للمدينة سأمحو ـ ان أمكننى ـ أثر سوء الفهم الناتج عن سرعة تصديقنا للشائعات ؛ وان أعمل على ألا يغلق الباب الذى كنا قد فتحناه أمام دخول الكتاب المقدس لهذه الأنحاء ٠ واعترض كل رفاقى على ذهابى بل وتحدث بعضهم عن استخدام القوة لاجبارى على عدم الذهاب الى حيث الاقى حتفى ٠ وعلى أية حال فقد سرت بالفعل تجاه المدينة وقبل أن أصلها لحقنى ثلاثة من جماعتنا ولم يقولوا شيئا لكنهم

سازوا خلفي . ووجدنا ماكابا جالسا وسط جماعة من الزعماء التابعين له . عند اقترابنا خاطبنا قائلا : « يوزو مولتسانا Borow Molutsana » وتعني صباح الخير » فرددت عليه مداعبا صباح الخير يا خير You molutsana فضحك بحرارة من الأعماق . ثم جلسنا ورحنا نتناقش . لقد اشتكى كثيرا من رحيلنا المفاجيء غير المتوقع ، كما اشتكى من أننا لم نعلمه بالتقارير (السيئة) التي وصلتنا ونخضعها للبحث والتقصي ، فهذه التقارير قد وصلته أيضا ، فأجبته بأنني لم أصدق أبدا هذه التقارير وان زيارتنا هذا الصباح ونحن بدون سلاح كما يرى بنفسه (فلم أكن حتى أرتدي سترتي) لخير دليل على ثقتنا به فذكر لنا أنه لم ينم طوال الليل لكن وصولنا هذا الصباح يعد كافيا ليجعله يرقص من الفرح . وبعد أن قضينا بعض الوقت في الحديث قدم لنا بعض المنعشات وأهداني ثورا آخر ، وأمر بارسال عدد من الثيران الى الجريكا Griquas عند العربات ، وفي هذه الأثناء تجمعت جموع غفيرة راح كل واحد فيها يبدي سعادته لرؤيتنا مرة أخرى ، وقبل أن أغادر مجلس ماكابا خاطبته قائلا انني قد قدمت له ولشعبه الدليل الكافي المرضي على رغبتنا في السلام والصداقة وانني أطلب منه عملا يكافيء عملي هذا كأن يصحبني الى خيث العربات فقال انه الآن عجوز كبير السن ولكنه لن يرفض لي طلبا فعدنا الى العربات وهناك مازج الجريكا Griquas لشكهم وعدم ثقتهم وأهدى لكل زعيم من زعمائهم ثورا . وقبل أن يغادر طلب مني ومن اثنين من رفاقي أن نترجل خيولنا لأنه كان قلقا من رؤية البنادق muskets وهي تطلق النار من فوق ظهور الخيول ، فتنحيت نظرا لوجود آخرين أكثر خبرة ، لكنه لم يقنع وطلب أن أفعل ذلك بنفسي باعتباري رجلا أبيض

(أكثر خبرة بالضرورة) ، وبعد الحاح تقدمت الى عربتي متظاهرا أنني أبحث عن معطفي ووضعت في جيبي مسدسين معمران بالبارود فقط ، وبعد أن درت عدة دورات حول السهل المعشوشب ، وبينما كان الملك ومن معه يصيحون اعجابا ، تجاوزتهم وأفرغت محتويات المسدسين بسرعة طلقة اثر أخرى ، وقد أدهش ذلك البوانجكتسى Bauangketsi أكثر من أى شيء آخر ، كما أرعبهم أيضا فقد انبطحوا أرضا ظانين أنها طلقات مصيبة • وحالما توقفت شرع ماكابا يفك أزرار معطفي ليرى هذين الوغدين الصغيرين the little togues — يقصد المسدسين وقال : « يا لكم من مباركين أيها البيض لأنكم تبحثون عن صداقة كل الشعوب والأمم ، فمن ذا يستطيع مقاومتكم ؟! » ووضع يده على كتفي وأضاف : « انني آمل ألا تخاف أنت ورفاقك ••• » وبعد أن مكثنا حوالى ساعتين رحلنا وكان ماكابا ممتنا وراضيا ولم يكن الجريكا Griques أقل رضا بعد هذا التوضيح •

★★★

تعليق المحرر : وعند عودتهم طلب سيبونيلو Sebonello زعيم الباورولونج Barolong منهم أن يساعدوه ضد المانتاتى Mantatees الذين كانو يهددون بالهجوم على بيتسان Pitsan • وأشارت تقارير الحشود الى تضارب ، ومن ثم فقد غادرت مجموعة موفات المدينة (بيتسان) •

★★★

••• وبعد أن قطعنا حوالى اثنى عشر ميلا توقفنا عند بطن نهر مولابو Molapo الذى يقع على خط عرض ٤٠ر٢٥°

ويتجه منسابا نحو الغرب • وبعد أن توقفنا وبينما كنت أتناول قلمي لكتابة بعض الملاحظات القليلة لاحظت رجلا يجرى نحونا قادما من المرتفعات المجاورة ، وكان ــ عندما وصل للعربة ــ فى الغاية من الانهاك والفزع • وكان من الصعب أن نعرف منه أى شيء خاصة سبب هروبه • لقد راح ينظر حوله بوحشية مما دفع البعض للظن أنه مخبول فتركناه ولدينا شيء من الانطباع أنه مخبول فعلا • وبعد أن استعدت قلمي لمواصلة الكتابة تراءى لى أن الظن بأن الرجل مخبول قد يكون غير صحيح فعدت مرة أخرى مع بيرند Berend للرجل فعرفنا بعد استفسارات كثيرة أن القبيلة التى نخشاها كانت قد سجنته ولكنه تمكن من الهرب ، وأن هذه القبيلة تستعد للهجوم على المدينة وأن قواتهم موجودة بالفعل على مسافة (غير بعيدة) وأن مائتى مقاتل تركوا القوات الرئيسية وأخذوه معهم كدليل أو مرشد لمهاجمة مدن البارولنج وقراهم ، ولكى يضمنوا بقاءه أثناء الليل فقد غطوه بمعطف جلدى كبير ونام رجالهم فوق أطراف هذا المعطف لأنهم كانوا ينوون مهاجمة البارولنج فى الغرب ، بينما ستهجم القوات الرئيسية على المدينة من الشرق • وعند رؤيتهم العربات ومعرفتهم من الدليل أن هناك رجالا بيضا فى منازلهم المتحركة (عرباتهم) ولوا الأدبار هاربين على حين فجأة ، فتمكن هو من الهرب ، لكنه يظن أنهم سيهاجموننا • ومن خلال طريقته فى الكلام ، قلما كان المرء يشعر بوضوح توجهاته • لقد اقترب الغروب قبل أن تقتنع المجموعة بارسال عدد قليل من الخيالة ليتأكدوا مما اذا كانت هناك آية آثار أقدام فى الاتجاه الذى أتى منه هذا الدليل الهارب ، ولم تمض الا أقل من نصف ساعة عندما عاد أحد هؤلاء الخيالة ومعه خبر مؤداه أن المانتاتى أو الباخارى Bakhari

موجودون هناك بالفعل ولما كنت قد أصدرت اليهم تعليمات بعدم اطلاق النار فقد كانوا يريدون أن يعرفوا ما يتحتم عليهم عمله • وقد حثني بيرند Berend بشدة أن أذهب ومعي عدد اضافي من الرجال اليهم وأن أحاول اما أن أتحدث معهم أو أرهبهم لأن الهجوم على معسكرنا غير المهيأ للدفاع خلال الليل قد يسفر عن هلاكنا جميعا وفقا لكل الاحتمالات كما أن هروبنا سيجعلنا صيدا سهلا • ولما أصبحنا على مدى الرؤية منهم بدأوا يتحركون لكن عندما توقفنا توقفوا هم أيضا •

لقد كان منظرهم مرعبا وهمجيا تماما ، وكان اتجاههم هو التهديد والوعيد • لقد بدا واضحا أنهم لا يودون الرحيل مما يشير الى أنهم يخططون لشن هجوم ليلى فاذا أقبل الليل أجبرونا على التراجع فأطلقت عدة طلقات فى الهواء فتراجعوا وزاد الأمل فينا لبث الرعب فيهم • وباغتنا واحدا منهم وأحطنا به بقصد أن نخبره عن نفسنا ومن نكون وأننا لا نقصد بهم شرا ، فوقف حاملا درعه وفأسا للقتال فى يده اليسرى ، ورمحا فى يده اليمنى ورفعه وكأنه ينوى قذفه • أعتقد أننى لم أر أبدا محاربا شديد البأس كهذا الرجل واذا كانت قبيلته مثله فقد ضاع كل أمل للبارولنج • لقد كان جسده مشحما بالشحم ومدهونا بالهباب وقد وضع حزمة كبيرة من ريش النعام الأسود على رأسه ، وكانت عيناه تنطلقان بالغضب وأبدى فمه المفتوح أسنانه البيضاء وراح يهدد أنه سيقدم لحومنا للضباع ، وعيوننا للغربان بينما كان يجرى متجها لأحدنا ثم تاركا اياه ليجرى لرجل آخر منا • وأطلق أحد رجالنا — ليرعبه — طلقة مرت مباشرة فوق رأسه فانبطح أرضا وجرى راكبو الخيل بخيولهم لمحاصرته قبل أن يهب واقفا لكنه كان خبيرا بحق فقد جعلنا نستدير بسرعة فى غير قليل من الاضطراب وكنا خائفين من أن يغرس رمحه فى

جسد أحدنا . لقد أظلم الليل وأوغل فلم تعد تجدى أية محاولة معه فتركناه يذهب وعدنا فى اتجاه عرباتنا التى كانت على بعد سبعة أميال منا . وما كدنا نخطو بضع خطوات حتى وجدنا أننا محاطون بهؤلاء الأعداء الذين ظننا أنهم قد هربوا .. لقد أخفوا أنفسهم بين الأحراش وساعدتهم الظلمة على ذلك .. لقد حاصروا مجموعتنا الصغيرة . لقد أطل رأس فى أثره رأس فى أثره رءوس من بين الأدغال وبدأ صراخ الحرب . لقد كانت لحظة مرعبة بالنسبة لنا وتصرف الرجال المصاحبون لى بشكل يدعو للاعجاب فقد أطلقوا النيران فى الرمال أمام رءوس الخيول بينما كنا ننطلق الى ما بدا لنا أنه الجانب الضعيف في حصار العدو ، لكنه ــ أى العدو ــ أطلق علينا كثيرا من الرماح القصيرة . لقد كان هذا هو الهروب الضيق أو الهروب المحكم ، فاننا كنا نخاف أن يسقط أحد الخيول ، فساعتها ستنهال السهام على الحصان وراكبه ، ورحنا نرعب العدو بمزيد من الطلقات أثناء هروبنا في اتجاه عرباتنا حيث أنبأتنا أصوات طلقات البنادق ، بأن من عند العربات قد تعرضوا أيضا لهجوم العدو ، والتحقنا بزملائنا عند العربات بصعوبة بسبب بعض أفراد العدو الذين كانوا يحومون حول المكان والذين ظهروا في غسق الليل من بين البوص (الغاب) النابت فى قاع النهر وقادوا بعض رجالنا الذين كانوا بعيدا عن العربات وضربوهم بفئوسهم الحربية . وراح الأعداء يغمسون أيديهم فى أوانى الماء المغلى على النار لاصطياد اللحم . ولأننا لم نر الكتلة الرئيسية من المقاتلين التى قد سارت فى اثرنا فقد عرفنا أنها تراجعت ولابد أن واحدا أو أكثر تعرض للاصابة منها . كانت ليلة ليلاء لم نذق فيها طعم النوم وقبل أن ينبثق نور النهار وصل رسل من

المدينة يناشدون الجريكا Griquas العودة ، لأن هجوما عاجلا على وشك الحدوث ويذكر الرسل أن المعلومات التى جلبهــا الخيــالة قد أنقــذت المدينــة ، ولم يوافق بيرند Berend لذلك وفضل الانتظار بحثا عن بعض الأفراد من مجموعتنــا كانوا لازالوا متخلفين وراءنا خوفا من أن يقعوا فى أيدى الأعداء • وفى الصباح، لم يعد الا اثنان من ستة جواسيس من البارولنج Barolong كان قد تم ارسالهم ، أما الباقون فقد قتلوا ، وفى المساء غادر بضعة آلاف من المقاتلين المدينة مصحوبين بسبعة أو ثمانية من الخيالة على أمل أن يولى العدو الأدبار ، حال رؤيتهم ، وما كاد المقاتلون يتقدمون أكثر من ثلاثة أميال حتى رأوا الكتلة المقــاتلة الرئيســية من قوات العدو تتقدم حاملة المشاعل • وتوقفت القوتان المتقاتلتان وجها لوجه ، وبدلا من أن يملأ الرعب قلــوب الأعــداء ، وجدناهم قد اندفعوا متقدمين كموجة سوداء مجنونة ، فولى البارولنج أدبارهم ، وقاومت كتيبة سيبونيللو Sebonello القوية لبضع دقائق سقط خلالها ســبعة عشر قتيلا منها ، وكان من بين القتلى اخوته الثلاثة ، أما الخيالة فقد وجدوا أن العدو لم يرهب ظهورهم فأطلقوا عدة طلقات فى اتجــاه العدو الذى أوقف زحفه وولى بعيدا عن الخيالة ونيرانهم ، ولما رأوا الجانب الأكبر من البارولنج يحاولون الاستيلاء على ماشيتهم أحاطوا بهم •• وراح البارولنج يحث بعضهم بعضا لا للقتال وانما للامساك بالماشية واستطاع الجريكا استرداد بضع مئات من الماشية ، كما استعادوا بعض النسوة اللائى كن قد وقعن فى أيدى البارولنج ••••

وبينما كل ذلك يحدث كنت أنا وبيرند وأخــوه نيقولا Nicholas وســائقوا العربات ننتظر فى قلق بالغ ، ولما رأينا

الجرحى والموتى انسللنا بعيدا عن المدينة بينما كان السكان يغادرونها (المدينة) فى رعب هائل . لقد رأينا صورة للهمجية الحقيقية فى الرجال الذين كانوا قد بقوا في المدينة لحراستها اذا تعرضت لهجوم من الحى (الجانب) المقابل ، لقد كانوا يعدون برماحهم وتروسهم تاركين النساء يفرون وفقا لما يرونه أفضل لهن حاملات أطفالهن وما يقدرن على حمله فوق ظهورهن . ولما رأينا المدينة خاوية بعد هذا الفرار آخرجنا عرباتنا أيضا وبقيت أنا ونيقولا فى المؤخرة مع خيولنا لننتظر النتيجة ولنعرف ما حدث لرجالنا وكنا قلقين جدا وغير متأكدين من نجاتهم . ولما تأكد لنا أنهم فى أمان وأن العدو قد ولى مدبرا ركبت وتقدمنا لأطمئن الجموع التى اعتراها الرعب الشديد بأن الخطر قد ولى .

★★★

رحـــلة أخـــرى

روبرت موفات ـ ٢

ROBERT MOFAT

الزعيم موسيليكاتسى

MŌSELEKATSE

انتقلت المحطة الارسالية من لاتاكو Lattako قرب عين نهر كورمان Kurumen وهناك شيد موفات مستوطنة ذات تاثير كانت نموذجا يحتذيه لبشوانا Bechuanas كرس موفات نفســه لجمع معارف تفصيلية عن اللغــة المحلية واضعا فى اعتباره ترجمة الكتاب المقدس ـ بلغة البشوانا ٠

وزار كورمان اثنان من قبيلة موسيليكاتسى ، ولانهم كانوا على وشك العودة لقبيلتهم (قبيلة موسيليكاتسى) جاءت التقارير تؤكد ان عددا من البشوانا سيكمنون لهم ويقتلونهم ، وخوفا من ان يوضع هذا المخطط موضع التنفيذ قرر موفات أن يرافقهم ليبعدهم عن البشوانا ٠ وتم استئجار عربة لمجموعة الماتابيلى Matabele ، وفى ٩ نوفمبر ١٨٢٩ م انطلق موفات وهما معــه ٠

والنص التالى من كتاب :

Moffats' Missionary Laboura & Scenes in Southern Africa (Snow, London, 1842).

★★★

رفاق الأســـود :

لما غادرنا ليتاكو Lithako سافرنا فى عرباتنا الفارغة بأكثر من السرعة المعتادة قاطعين ســهول البارولنج ، وفى مناطق كثيرة من هذه السهول يكون المرء كالبحــار وســط المحيط لا يرى حوله الا الفــراغ يحده الأفق • وفى بعض الأحيــان كانت العين ترى مجمــوعة من أشـــجار السنط Mimosa ، وكانت الحشــائش ـ كثيفة وكأنها حقــول قمح ـ تتمايل مع النسيم وكانت بعض الطــرائد تجــرى خلالها ، وكان ملك الغابة يطوف بعظمته فيها ، وراح بعض السكان القليلين الذين يعيشون على جذور النبــاتات وصيد الطرائد يتسولون منــا قليــلا من التوباكــو وكانوا أحيانا يبيتون بالقرب من معسكرنا • انهــم حقــا رفاق الأســود ويبدون عارفين بكل خططها تماما (عارفين بكل تكتيكاتها) وكلما ملنا لنبيت ليلة كان الأســد يمر بالقــرب منا ويزأر وسرعان ما يتلاشى صدى زئيره فى هذه البرية ويجاوبه زئير أســد آخــر • وكنا نوجه اهتمام هــؤلاء البالالا Balala الى هذه الأصوات فكان الواحد منهم يصيخ السمع ويركزون لسماع الصوت الذى ألفوه (الزئير) وبعد لحظة أو لحظتين يقول الواحد منهم « لا خطر انه قد أكل وهو فى طريقــــه للنوم » وكان قولهم صحيحا ، وبعد أن نطمئن عــلى نــــوم الأسد ، ننام نحن أيضا ، فاذا سألناهم كيف يعرفون أن الأسد فى طريقه للنــوم قال قائلهم : « اننا نعيش مع الأســود • انهم رفاقنا » •

وفر الأسد تاركا فريسته لنا :

وعند نهر ستلاجول Sitlagole الذى يبعد عن كورمان Kuruman بحــوالى مائة وســتين ميــلا ، توقفنا بعــد

الظهيرة وتركنا ثيراننا ترعى على الشاطىء المرتفع أمام عرباتنا الى الأبعد قليلا من رمية بندقية • وما كدنا نتوقف ولم نكن قد وضمنا بنادقنا حتى فوجئنا بأسدين يندفعان خارجين من بين مجموعة أشجار قريبة ، وكان أكبرهما ضخما قد اقترب بالفعل من الثيران وغدا على بعد حوالى عشر ياردات منها ، وانقض على واحد من الثيران فقتله فى لحظات وأغمد أنيابه فى رقبته ، أما الأسد الأصغر فقد ربض على بعد ، بينما الأسد الكبير يتناول فريسته وراح يحرك رأسه فى اتجاه الثيران الأخرى بين الحين والحين ثم انطلق ووضع قدماه الأماميتان على بدن طريدته والتفت نحونا وراح يزأر • لقد كان عظمته متحديا ولا يخشى أن نطلق بنادقنا نحوه • وكان اثنان من جماعتنا يميلان الى ارهابه أكثر من ميلهما الى قتله ، فأطلقا بندقيتهما •

المعزوفة المرعبة :

وربما كانت الطلقتان قد مرتا بجوار أذنه ، فاضطر للتراجع الى الأشجار الكثيفة من حيث أتى تاركا لنا وجبة اللحم • وفى ميريتسان Meritsane ــ بطن نهر آخر جاف ــ سمعنا معزوفة ليلية (سيرينادا Serenade من الموسيقا الصحراوية) وكانت ألحان هذه السيرينادا المرعبة مكونة من عواء حيوانات ابن آوى والضباع وزئير الأسود •

لقاء حار :

وقد عاملنا البارولنج Berolongs برقة ، وفى اليوم العاشر وصلنا الى موزيجا Mosega مقر موخاملا Mokhatla وهو حاكم على بعض القطاعات fragments من الباهورتسى Bahurutsi الذين يتجمعون فى أودية صغيرة منعزلة

ويعيشون على الطرائد والجذور وبعض الثمــار بالاضــافة للقمح الذى تغله حقولهم ، وقد حرموا من قطعانهم بسـبب المانتاتيز Mantatees ، وهم يعيشون فى رعب خشية أن يوقعهم الموزيليكاتسى Moselekatse يوما فى الأسر • وقد رحب بى هؤلاء الناس (القبيلة) ترحيبا حارا رغم أننى لم أكن معروفا الا لعدد قليل منهم لا يعرفون غير اسمى •

نابليون الأفريقى :

ونظــرا لأننى تعهدت بتسليم الشخصين اللذين معى الى الباهوروتس Bahurutsi فقد قمت بتسليمهما بطريقة رسمية ووقورة ليكونا فى رعاية موخاتلا Mokhatla وطلبت منه أن يذهب معهما بنفسه أو يرسل معهمــا حاميــة قــوية لتصحبهما حتى يصلا الى قرى الماتابيلى Matabele • ان الرجلين the Tunas اعترضا بشدة وطلبا منى بشدة أن أصحبهما الى بلادهما ، وحثانى على ذلك قائلين اننى لم أر منهما الا كل خير ، لأن ملكهما اذا علم أننى عــدت دون أن يرانى فانه سيقتلهما ، وأقبل موخاتلا Mokhatlla مضطرا وتوسل الى أن أذهب لأنه هــو وشعبه سيفرون اذا أنا رفضت • وعرضت عليهم كل ارتباطاتى فى كورومان لكن كل حججلى ذهبت هباء ، وأخيرا قررت أن أصــحبهما حتى أول زريبــة من زرائـب دوابهم ، فغمرهما فرح لا يوصف • وكان موخاتلا تواقا منذ زمن طويل لرؤية موزيليكاتسى المــرعبين الذين دمروا بلاد الباكون Bakone وكان قربهم من مقــر اقامتــه مثار رعب وخوف على مصير شعبه (قبيلته) ، فهم لم يقعوا فريسة فى يد نابليون الأفريقى الا لأنهم ليســوا أثرياء ولا يمتلكــون قطعان ماشية كثيرة •

وخلال الأيام الثلاثة التى كان المطر فيهـا كثيفا ، مما تسبب فى تأخيرنا وجدنا موخاتلا الذى تشير ملامحه وسماته وسلوكه الى أنه لا يمتلك كثيرا من الصفات النبيلة ـ وجدناه خبيرا ماهرا فى الخداع ، وراح يتملقنـا تملقـا زائدا عن الحد ليستجدى احترامنا ، واقترح أن يكـون واحـدا من حاشيتى · لقد كانت المنطقة التى كان علينـا أن نجتـازها مختلفة تماما عن المنطقة التى اجتزناها بالفعل فهى جبليـة تجلل جبالها الغابات وكانت الأشجار دائمـة الخضرة تزين الوديان وكانت المجارى المائية العديدة ذوات المـاء العـذب الممتاز تنساب متعرجة فى طريقها للمحيط الهندى · لقـد استمتعت كثيرا خلال اليومين الأولين فى الرحلة وكنت غالبا ما أتذكر تلال سـكوتيا Scotia ووديانها ، ولأننـا كنـا فى الموسـم المطير فقـد كان كل شىء زيان طازجا ، فالأشـجار والشجيرات التى تغص بها السهول وقد كستها خضرة حيـة خصبة ·

معزوفة الزئير :

ولم يكن يعكر صفونا الا أن هـذه الصخور والـوديان وتلك المناظر الجديرة بريشة فنان ، كانت غالبا ما تمتزج مع صوت زئير الأسود · انها لوحة جميلة مع معزوفة زئير قاسية · لقد كانت هذه المنطقة كثيفة السكان فى وقت من الأوقات · وعلى جوانب التلال وجبال كاشان Kashan توجـد خـرائب مدن كانت يوما عامرة بالسـكان الذين عاشـوا فى هـذه الوديان التى تكسوها الآن أعشاب طويلة تكثر فيها الطرائد · لقد أعطى الغزو الوحشى للمنتاتيز Mantatees والماتابيلى

Matabela للحيوانات المتوحشة الحق في الانفراد بهذه الوديان الجميلة التي تكسوها الغابات • فالأسد ــ المغرم باللحم البشري ــ وكأنما أحس أن أحدا لا يقدر على مواجهته ، فراح يزأر زئيرا مخيفا ، انه لأمر مفزع للمسافر الذي غالبا ما ينتابه الرعب من جراء هذا الزئير الليلي الذي تردد صداه التلال المحيطة • لقد كنا قد اتخذنا احتياطات محمودة خلال الليل ومع هذا فقد كان نومنامتقطعا مضطربا في غالبه بسبب هـذا الزئير المخيف • وكان علينا ــ بين الحين والحين ــ أن نحمل بنادقنا ونقف أمام العربات لأن الثيران كان يعتريها الخوف في بعض الأحيان بسبب اندفاع مفاجيء لجاموس بري أو وحيد قرن (كركدن) ، فقد حدث أكثر من مرة أن جرت الثيران وكأنها خيول سباق مما أدى لتحطم بعض أجزاء العربة ، وكان جريانها بسبب حركات وحيد القرن الذي هب من نومه • وكنا ــ بشكل متكرر ــ مضطرين لأن نسلك طرقا طويلة دائرية فليس ثمة طرق معدة لمسير العربات ، وكنا نبحث عن مسالك خلال الوديان العميقة ، وكنا مضطرين في الغالب لاستخدام الفؤوس والمجاريف والمعاول لازاحة الحشائش والأشجار وغيرها لنعد لأنفسنا طريقا نسلكه وعندما كنا نعسكر في الخلاء ليلا كنا نختار موقعا ملائما يساعدنا للدفاع عن أنفسنا بشكل أفضل ، واذا كانت أخشاب الوقود متوفرة بكثرة كنا نشعل نيرانا حول العربة وعلى مسافة منها ، لكن عندما تمطر السماء فان موقفنا يكون جديرا بالشفقة حقا فلم نكن ساعتها نتمنى شيئا سوى أن يكون المطر غزيرا عنيفا حتى يمنع الأسد من مغادرة عرينه •

الباكون يسكنون الشجرة العملاقة ــ المساكن المعلقة :

ووصلنا الى الزرائب الأولى لماشية الماتابيلي بعد أن

قطعنا مائة ميل فقط منذ غادرنا موزيجا Mosega منذ أيام خمسة ، فتوقفنا في واد صغير جميـــل • واسترعى انتباهى شجرة جميلة عملاقة تقف شامخة في شعب يؤدى الى واد شديد انحداره غاص بالأشجار بين سلسلتين من الجبال المرتفعة ، ولما رأيتهم كانوا يعملون في الأرض في ظلها ، ورأيت بعض الأسقف المخروطية التى بدت كمساكن صغيرة ناتئة من بين أوراق الشجرة • وصعدت الشجرة مستخدما جـذعها المثلم فوجدت الباكون Bakones وهم أهل البلاد الأصلية يسكنون هذهالشجرة • وصعدتالشجرة مستخدما جذعها المثلم فوجدت ــ ويا للدهشة ــ أكثر من سبعة عشر مسكنا من هذه المساكن الهوائية المعلقة ، بالاضافة الى ثلاثة مساكن أخــرى لم يتم الانتهاء من تشييدها ، وعندما وصلت الى الكوخ (المسكن) الأعلى الذى يرتفع أكثر من ثلاثين قدما فوق ســطح الأرض دخلت وجلست • ولم يكن به أثاث الا القش غطــاء للأرض ومغرفة ورمح وآنية مليئة بالجراد •

مسحوق الجراد :

لأننى لم أكن قد أكلت شـيئا هـذا اليوم ولأننى كنت معجبا باقامتى فى كوخ فوق شجرة ولم أكن راغبا فى العودة حالا للعربة فقد طلبت من امرأة كانت جالسة عند باب الكوخ تحمل طفلا عــلى صدرها ، أن تسمح باحضار شىء كى آكله فقامت بسرور وأحضرت لى مزيدا من الجـراد المســلوق ، وأقبل عدد من النسوة من الأعشاش (الأكــواخ) المجــاورة (على الأفرع الأخرى للشجرة) متنقــلات من فرع الى فرع لرؤية الغريب الأبيض الذى كان مثيرا بالنسبة لهــم ، تماما كما كانت سكنى الشجرة مثيرة بالنسبة له • ثم زرت عــددا آخر من هذه الأعشاش (الأكواخ المعلقة) التى أقيمت عــلى

الأفرع الرئيسية الغليظة للشجرة • وكان تصميم هذه المساكن بسيطا للغاية : منصة مستطيلة يبلغ عرضها سبع أقدام ومكونة من أفرع خشبية مستقيمة وتتخذ هذه الأخشاب شكلا مخروطيا من طرف واحد ، ويغطى سقف هذا المسكن المعلق بالقش ، ولا يستطيع المرء الا بالكاد أن يقف فى هذا المسكن ، وقطر الأرضية حوالى ست أقدام ، ويقع المسكن فى نهاية المستطيل (المنصة) اذ يتركون مربعا صغيرا خلف الباب • وفى اليوم السابق كنت قد مررت بعدة قرى كان بعضها لا يضم أكثر من أربعين مسكنا ، كلها مشيد فوق أعمدة خشبية يبلغ ارتفاع الواحد منها ما بين سبع أقدام وثمان ، وقد صنعت هذه المساكن على شكل دائرة • والصعود لهذه المساكن المقامة فوق الأعمدة ، وكذلك الهبوط يتم عن طريق فرع من فروع الشجرة ملىء بالعقد مغروس أمام المنزل وفى وسط الدائرة توجد دائما كومة من عظام الطرائد التى اصطادوها ، تلك هى مساكن الآلاف من أهل البلاد الأصلية الذين أصابهم الفقر والذين فرق شملهم موسيليكاتسي وسلخهم من جمعهم فأصبحوا لا يمتلكون قطعانا ولا زرائب وانما يعيشون على الجراد وجذور النباتات والطرائد • وقد تبنى أهل البلاد هذا الأسلوب فى السكنى هروبا من الأسود التى تكثر فى هذه الأنحاء • وخلال النهار يهبط الناس من منازلهم ويستظلون ويتناولون طعامهم ، واذا زاد سكان المنزل وثقلوا دعموا المسكن بمزيد من الأفرع واذا قل سكان المنزل استخدموا ما يزيد من الأفرع كخشب وقود •

اجتماع الأسود التآمرى :

وكدليل على ضرورة مثل هذه التحوطات فى السكنى كما ذكرناها آنفا ، أضيف أنه خلال النهار أطلقنا النار على

وحيد القرن (الكركدن) وأعددنا ظهر الحيوان للشواء ليلا واخترنا كثيبا أنشأه النمل عند حفره لاعداد مساكنه وأعددنا حفرة وأشعلنا النيران ووضعنا وجبتنا الشهية تلك ٠ وأثناء الليل جذبت رائحة الشواء أسدين فاقتربا ورغم أنهما كانا أبعد من مرمى بنادقنا فقد كان بامكاننا أن نسمعهما بوضوح كما لو كانا يعقدان اجتماعا وكأنهما قد اتفقا على الانتظار حتى تخبو النيران فيسبقان ويتناولان طعامنا المرتقب ، ولما بدا أن النيران على وشك أن تخبو ، عشنا على أمل أن يبقى طعامنا الشهي وأوضح لنا نور الصباح أن الأسدين كانا مازالا جادين فى طلب شوائنا ، لكن الحرارة والدخان كانا خير حارس ٠

أنت تحبنا أيها الأب :

وبعد عودتي للعربة إقترب بعض مقاتلى الماتابيلى Matabele الذين انحنوا على البعد عندما رأوا أومبا umbate وزميله (الرجلين اللذين صحبهما موفات لتوصيلهما خوفا عليهما من القتل) فلما أومأ لهما بالاقتراب اقتربا وتحدثا اليه والى زميله بلغة ودودة رقيقة مما يؤكد اننا لم نكن مخطئين فى اعتبارهم رجالا يتسمون بالكياسة ٠ أما وقد وصلنا الى الزرائب الخارجية لماشية مملكة موسيليكاتسى فقد أشرت لهما مرة أخرى الى اتفاقنا واقترحت أن أعود من حيث أتيت ما دمت قد أوصلتهما الى هذا الحد وجعلتهما بين أبناء جلدتهم ، فهب الرجلان وبعد أن نظرا للأرض للحظات فى تفكير عميق ، ووضع أومبيت Umbate يده اليمنى فوق كتفى وضع يده الأخرى على صدره وخاطبنى قائلا : « أيها الأب ٠ لقد كنت حارسنا ٠ اننا مليكك ٠٠ اننا رجالك ٠ أنت تحبنا ، وأنت لن تغادرنا ٠٠ لن تتركنا ٠٠ » وأشار الى

الجبال الزرقاء التى تحد الأفق البعيـد ، وأضـاف قائلا : « هنـاك يعيش موســيليكاتسى العظيم ، فكيف نقترب من حضرته وأنت لست معنا ؟ ان كنت تحبنا ابق معنا ، وأنقذنا ، لأننا اذا أخبرناه بأخبارنا فانه سيسألنا كيف أننا لم نبـذل كل جهدنا لابقائك ، وسيقول ان مسلكنا هـو الذى دفعك للعودة ، وسيأمر بقتلنا . انظر الى والى رفيقى وقل لنا انك لن تتركنا وتذهب فاننا نفضل أن نقتـل هنـا بدلا من أن نقتل أمام عيون شعبنا » وتحدثت ولكنهمـا ظـلا صـامتين وتحدثت عيونهما لغة لم يكن فى مقدورى مقاومتها ، وقال أحدهما : « هل أنت خائف ؟ » فقلت : « لا » فقال أومبيت : « اذن ابق معنا لتنقذنا ، وتحمى زوجاتنا وأطفالنا من البكاء والحزن علينا » . وجدت نفسى فى وضع مربك ، فهذان الرجلان النبيلان يتضرعان الى : أومبيت بملامحه الذكية يحثنى عـلى عمل الخير ، بينما رفيقه المفعم رجولة والمقاتل الشرس يبدى مشاعر رقيقة ، وفيضا من الأحاسيس الدافئـة التى قلمـا تصدر من رجل حرب ... وقررت أن أصـحبهما الى حيث الملك .

وبدأنا المسير على طول سلسلة جبلية تتخذ اتجاها شرقيا شماليا شرقيا تقريبا (جبال الماجا ليزبرج Magaliesberg) بينما أصبح الاقليم ناحية الشـمال والشرق أكثر اسـتواء وان كانت تزينه سلسلة تلال صغيرة متباعدة ويتخذ كل تل منهـا شكلا مخروطيا ، وعند سفوح هذه التـلال عـديد من بقايا المدن (القرى) المخربة ، وبعض هذه الخرائب يشير الى أن بعض هذه المدن كان واسعا ممتدا ، وتربة السهول والوديان جيدة بل من أكثر أنواع الأرض خصوبة . وتحمل السـيول الهابطة من المرتفعات القريبة ــ عاما بعد عام ــ كتلا ضخمة تبدو جرداء فى بعض المواضـع ، فقـاعدة الأرض هنا من

صخور جرانيتية غطتها تربة خصبة يبلغ عمقها ما بين عشر أقدام وعشرين قدما مما يشير الى أن الغلال الوطنية والبطيخ واللوبيا والقصب كلها كانت يوما ما مزروعة وتموج بهـا الحقول • وخرائب بعض هذه المدن والقرى تشير الى عمـل وجهود هائلة دءوبة ، فثمة أسـوار يتراوح ارتفاعهـا بين أربع أقدام وسـبع •• وكل شيء فى تصميم هـذه المـدن دائرى ، فالمنازل دائرية والجدران المحيطة بها تتخذ شـكلا دائريا والسور الخارجي للمدينة دائرى • وأثناء مرورى بهذه الأطلال وجدت منازل نجت من نيران الغازين السلابين • وكانت منازل واسعة كبيرة وتشير الى نمط متفوق، انها تفوق كل مساكن قبائل جنوب أفريقيا التى سبق أن رأيتها • لقد كانت الجدران الدائرية مشيدة ــ بشـكل عام • من الطين الخليط مزج بنـوع من المعـدن الخام • وزينة الجـدران جيدة ، وتبدو جدران المنزل من الداخل وكأنها مطلية لأن الخليط مزج بنوع من المعدن الخـام • وقد زينت الجدران والممرات بنوع من العوارض الخشبية والأفارين • وتحمـل الأعمـدة السقف خارة من الجـدران (يقصـد أن السـقف معرش بالألواح الخشبية) وهو محلى بزخارف مما يدل عـلى ذوق معمارى جيد • وأسقف المنازل مخروطيـة وتمتـد الى ما وراء الحوائط لتهيىء للساكن ظلا خارج المنزل فى موضع يمكن أن نطلق عليه اسم الشرفة (الفراندة) •

لابد أن رفع الأحجـار لتشييد الأسـوار الحجرية قد استغرق جهـدا هائلا ، لأنه كان يتعين عليهم حملها عـلى الأكتاف من المحاجر التى يحصلون منها عليها وهى على بعـد غير قليل ، وتظهر التلال المجاورة آثار جهود بشرية مضنية باستخدام أدوات بدائية •

الخراب والجماجم البشرية :

وفى بعض المواضع وجدنا أشجار تين برية تنمو فى المربعات الخالية الناتجة عن قطع الأحجار ، ويبلغ طول الشجرة منها اثنتى عشرة قدما ·· وقد وجدنا على بعض هذه الأشجار تينا ناضجا لكنه كان أقل جودة من التين المزروع فى بساتين مستعمرة الرأس (الكاب) بسبب صخرية الأرض ولعدم العناية به ، لقد سرت أكثر من ساعة أطالع ــ مستغرقا فى التأمل ــ آثار هذا الدمار ، وعدت بأفكارى الى الفترة التى كانت فيها هنا المدن والقرى المدمرة الآن ــ عامرة بالحياة والمرح الصاخب ، وتخيلت التلال والوديان يوم كانت تردد رجع صدى السرور والمرح ، لم يبق الآن الا هذه الجدران المهدمة وأكوام الأحجار والمخلفات والقمامة مختلطة بالجماجم البشرية التى اذا تأملها المرء وجدها تحكى حكايات شبحية مروعة · لقد غدت هذه المدن والقرى الآن مسكنا للحيوانات المفترسة والزواحف المهلكة · وفى بعض الأحيان تظهر زريبة كبيرة مشيدة بالأحجار تشغلها ماشية الماتيبيلى الذين سبق لهم أن كانوا سببا فى خراب هذه الأراضى ، ولأن واحدا من الماتيبيلى كان بصحبتى فقد وجدت من الصعوبة التامة أن أجمع معلومات من أهل البلاد الأصليين الذين شردوا من ديارهم وتشتتوا ، والذين كنا نلقى بعضهم بين الحين والحين أثناء رحلتنا · فقد كانوا يرتجفون رعبا أمام السادة (النبلاء) الذين يحكمونهم بقبضة من حديد · وسرعان ما اتضح أن المغتصبين كانوا قلقين وحاولوا تعمية الأمور أمامى والحيلولة بينى وبين معرفة مدى التدمير الذى أحدثوه ، ذلك التدمير الذى يظهر لكل عين ترى ، وكانوا حريصين على أن يكونوا حاضرين عندما ألتقى بأى فرد من

أبناء البلاد الأصليين ، ومع هذا فقد سنحت لى بعض الفرص لجمع بعض المعلومات بقدر ما أسعفتنى معرفتى بلغة أهل البلاد ، فقد كان واحد من ثلاثة خدم اصطحبوا الرجلين المبعوثين الى كورومان أسيرا بين المانتاتيز Mantatees الذين هزموا فى ليتاكو القديمة old Lithako • وقد كان هذا الخادم وزميلاه سعداء بالتحدث معنا بلغة السشوانا Sechuanas وهى لغتهم الوطنية (المحلية) ، وقد وقع هذا الخادم ومئات من شعبه (قبيلته) — أثناء عودتهم مهزومين — فى يد قوات موسيليكاتسى وتم سجنهم • وكان هذا الشخص (الخادم) رغم نشاطه ومنظره الصارم ، فانه مراقب داهية وله عقل نبيل جعله ثائرا على طغيان سادته الجدد •

وحدثنى عن أرض آبائه وكيف دمروها :

وكان هذا الخادم من أهل المناطق (البلاد) التى نمر بها الآن ، وكان أحيانا يهمس فى أذنى ذاكرا أحداث التدمير والتخريب التى لحقت بأرض آبائه • فهذه الأمم — كما وصفها — كانت فى وقت من الأوقات كثيرة العدد كالجراد ، وكانت غنية بقطعان الماشية وكانوا يتصلون بقبائل الشمال التى تقطن على مسافات بعيدة • وقد شهد محدثى ورفاقه الباكون Bakones وقائع التدمير التى حاقت بكثير من المدن حولنا • لقد شهدوا وقائع ذبح السكان ونهب الماشية والممتلكات • ان قادة شاكا Chaka الذى كان حاكما دمويا للزولو قد شنوا حروبا مدمرة ، لكن هذه الحروب (حروب شاكا) وما ألحقته من تدمير لا تساوى شيئا اذا قيست بالتدمير الأخير الذى لحق بقبائل الباكون Bakone على يد جيوش موسيليكاتسى •

الوفرة والسلام :

فالسكان السابقون لهذه التلال الرائعة والسهول الخصبة كانوا قد أصبحوا مخنثين غير أقوياء بسبب الوفرة والرخاء وطول السلام ــ بينما الماتابيلى ــ تحت حكم شاكا البربرى المرعب ، حيث كان الماتابيــلى يريدون الافلات من قبضــته الحديدية ، فانطلقوا كالسيل مندفعين نحــو الشــمال شاقين طريقهم وسط الدماء والمذابح والأشلاء ٠

عندما خمدت الأغنيات :

وصعدت التل يوم السبت مبكرا منطلقا من سفحه حيث توقفنا فى المساء السابق ، لأقضى فترة النهــار ٠ وما كدت أصل الى قمة التــل وأجلس حتى وجــدت رفيقى الذكى قد انسل من الجماعة وأتانى ليجيب عن أسئلة وجهتها له فى اليوم السابق ولم يستطع الاجابة عنها وقتها بسبب وجــود سادته ٠ ولما استدرت ناحية اليمين ووقعت عيناى على مساحات هائلة من الأرض تغطيها آثار الدمار فسألته عن مصير السكان ، فقال بعد أن هب واقفا ــ وكان قد جلس لتوه ــ وقد بدت عليه المشاعر الحادة ، وبســط ذراعه فى اتجــاه الخرائب والدمار وقال : « حتى أنا لاحظت ذلك ! » وتوقف عن الكلام قليلا وكأنه يفكر بعمق ، ثم استطرد : « هناك عاش زعيم هــذه الجموع العظيم ٠ لقــد كان يحكمهم كملك ، وكانت قطعــانهم تغطى الســهل ٠ لقــد ظن الملك أن عدد مقاتليه ســيرهب عــدوه ٠ لقــد كان أفــراد شــعبه يفخــرون برماحهــم ، ويســخرون من جبن الهــاربين من مدنهــم ٠ كان الواحد منهم يقول انه سوف يقتلهم ويعلق دروعهم على

التل ٠٠ فجنسنا خلق للقتال ، فمن يقدر على قهر آبائنا ٠ لقد كانوا عظماء فى المعارك ، جبارين فى ساحة الوغى ، اننا مازلنا نحتفظ بأسلاب الماضى (ما سلبه آباؤنا من أعدائهم) فكلابنا لم تأكل بعد دروع نبلائهم ، والنسور سوف تلتهم من ذبحناهم من أعدائنا » هكذا كانوا يغنون وهم يرقصون حتى شاهدوا اقتراب العدو من المرتفعات البعيدة ، فخمدت أغنياتهم فى الليل وامتلأت قلوبهم بالرعب، وشاهدوا سحبا تصعد من السهول ٠٠ انها دخان المدن المحترقة ، واضطرب قلب الزعيم العظيم لقطعان الماشية الزرقاء ٠ لقد ارتفع صياحه « انهم أصدقاء » لكنهم أجابوه : « انهم أعداء » فلما اقتربوا أعلن قربهم أنهم الماتابيلى العراة ، فأمسك الرجال بأسلحتهم واندفعوا كما كانوا سيطاردون ظبيا وكان هجومهم كصوت البرق (وليس الرعد) وكانت رماحهم هزيلة ، لقد كانوا كما لو كانوا سيواجهون عاصفة خريف فى غابة ٠ وصاح أسود الماتابيلى صيحة الحرب والموت وانقضوا على ضحاياهم ، فكانت صيحة الموت هى صيحة الانتصار ٠ لقد كان تقدمهم بين جثث القتلى يحدث صوتا كصوت فحيح الأفاعى ٠ لقد كانت لحظات قليلة كافية ليقع المئات صرعى على الأرض ، وكان ضرب الدروع بعضها ببعض احدى سلامات الانتصار ٠ وهرب شعبنا بقطعانه الى قمة الجبل البعيد ، ودخل الماتابيلى المدينة وهم يزأرون كالأسود فسلبوا البيوت وأحرقوها وطعنوا الأمهات وأطعموا النيران أطفالهن ٠ وغربت الشمس وبرز المنتصرون من بين الوادى الذى يتصاعد منه الدخان وتابعوا مسيرتهم ليحيطوا بالتل البعيد فذبحوا الماشية وظلوا يرقصون ويغنون حتى طلع الصباح ٠

وتعبت أيديهم من القتل :

وعندما طلع الصباح « صعدوا التل وظلوا يقتلون حتى تعبت أيديهم » وانحنى محدثى للأرض حيث يقف وأخذ قليلا من ترابها وقذفه وبسط راحة يده الخالية ، ثم أضاف قائلا : « هذا كل ما تبقى من الزعيم العظيم للماشية الزرقاء » • انه من الصعب بالنسبة لى أن أصف شعورى وأنا أستمع لهذا الوصف المتدفق لوطنى فصيح ، وبعد ذلك انتظرت حتى سنحت فرصة فكتبت ما قاله بشكل مختصر • وقد تأكدت من آخرين من أهل البلاد أن روايته ليست مجرد أغنية خرافية ولكنها مجرد تلخيص لحدث مأسوى •

وحاصرتنا الأمطار :

لقد تأخرنا عدة أيام فى هذا المكان بسبب عاصفة رعدية مرعبة بدت وكأنها تهز الجبل الراسخ ، وبسبب الأمطار الشديدة التى سببت سيولا قوية هبطت من المرتفعات المجاورة لتغمر السهول • لقد تشبعت التربة السوداء الخصبة بالماء وأصبحت لزجة فوجدنا من المحال ـ سواء بالنسبة للبشر أو الثيران ـ أن نتحرك ، فقد أصبحت العجلات كتلة من الطين وأصبحت أرجل الثيران متضخمة من فرط ما أحاط بها من طين • ورغم أننا لم نكن نستطيع أن نرى سوى بعض الدخان المتصاعد من القرى البعيدة ، الا أنه قد وصلنا ـ بشكل متتابع ـ زوار أحضروا لنا معهم كثيرا من المؤن خاصة الحليب والغلال حملتها ـ على رءوسهن ـ بعض نسوة قبائل البشوانا المستعبدة (الخاضعة) •

كان الجو معتما لكثافة السحب ، وكانت استعدادات الاقامة غير مريحة مما جعل رجالى مكتئبين ، ولولا أن المسافة

الى ديارهم طويلة جدا لفكر بعضهم فى الهرب من مرافقتى سعيدا بالفكاك من هذا الاكتئاب . وعندما انقشع السحاب وأصبح الجو ملائما لمواصلتنا السفر واصلنا المسير ليومين فوصلنا الى منطقة خصبة على شاطىء نهر لمبوبو Limpopo تسمى أورى Uri وظهر تمساح وقد مد فمه الواسع البشع الى شاطىء النهر الغاص بنبات السعدى (البردى) .

البحث عن مكان لارسالية وزليان التبشيرية :

ومررنا فوق بعض التلال ناحية اليمين واعترتنا دهشة غير قليلة عندما وجدنا أنفسنا نهبط فى الوادى المنعزل التالى حيث مجموعة الصيد الكبيرة التابعة لبيرند Berend وشعبه (أفراد قبيلته) ومعه عدد من العربات ، وعلمت من بيرند أن السيد آرشبل Archbell التابع لارسالية وزليان التبشيرية Wesleyan missionary قد قدم معه ليبحث عن مكان مناسب لاقامة مركز تبشيرى ، وأنه (أى بيرند) قد فارق مجموعته منذ ثلاثة أيام ليصحب السيد أرشيل فى زيارة لموسيليكاتسى وقد رفض ملك الماتابيلى مقابلته حتى أصل ، فقد كان خبر اقترابنا من العاصمة أمرا معروفا منذ فترة ، وأقبل مبعوث خاص ليرافقنى الى العاصمة فواصلت المسير معه فى طريق دائرى فوق التل وفى الوادى ، وكان طريقا صعبا سواء بالنسبة للبشر أو العربات التى تجرها الدواب ، وبعد ركوب مزعج غير مريح وصلنا الى نهر بيبان Peban وتوقفنا يوم السبت الذى قضيت الشطر الأكبر منه مع السيد أرشيل وزوجته ، وما كنت أتوقع أن أحظى بهذه المتعة عندما غادرت فى طريقى الى هذه الأنحاء .

الترحيب بالوصول المرتقب :

وفى يوم الأحد انضم الينا السيد أرشيل وأحد التجار ، أن موسيليكاتسى لم يكن راضيا عن تطفل بيرند وتدخله فى أمور مملكته لذا فقد رفض أن يقابل أى أحد حتى نصل ۰ وقد اقتنع السيد أرشبل باصطحابنا بعد أن ظل طيلة يومين ينتظر ، وبعد أن كان يميل بشدة للعودة من حيث أتى ، ومن ثم فقد واصلنا المسير شرقا لمدة يومين آخـرين فوق منطقـة تلية وغابية ، ولقينا أثناء الطريق كل حفـاوة وتكريم مما يشير الى ترحيب موسيليكاتسى بوصولنا المرتقب لعاصمته ۰ وكان واحد من الشخصين الذين تعهدت بايصالهما قد تركنا عند نهر اللمبوبو ليقابل مليكه وليمهد ــ كما قال ــ لوصوله مباشرة لمسكن جلالته ۰

الملك الفيــل :

لقد قال أومبيت وهو يشير للمدينـة : « هنـاك يقيم الملك العظيم بيزولو » Pezoolu ، الكلمـة تعنى الفيـل ۰۰ الملك العظيم يد الأسد Lion's paw » وأتبـع هـذه الألقاب التشريفية بفيض من المديح المبالغ فيه ۰

الفزع من الخيول :

آلاف المقاتلين يحرسون الزريبة :

ولأنه كان يتعين أن تتخذ العربات طريقا دائريا حتى تصل الى مخاضة لعبور النهر ، فقد أسرجت فرسى وكذلك فعل أرشبل وانتسابولوكو واثنان آخران ، وذلك لنتخذ الطريق المباشر ۰ وعندما وصلنا للنهر وجـدنا جمعـا من النـاس

يستحمون وعندما رأوا الخيـول خرجوا من النهر وراحـوا يقفزون وقد اعتراهم فزع شـديد ، وتقـدمنا مباشرة الى المدينة ، ولما وصلنا لوسـط الزريبة الـكبيرة (أو الحظيرة) التى تتسع لعشرة آلاف رأس ـ اعترتنا الدهشة اذ وجدناها محاطة بثمانمائة مقاتل بالاضافة الى مائتين قد اصطفوا على جانبى المدخـل كمـا لو كانوا فى كمين • وأومأوا الينا كى نترجل ، فترجلنا وأمسكنا بألجمة خيولنا بأيدينا •

صرخات مرعبة :

واندفع المقاتلون عنـد البـوابة فورا وراحوا يصيحون ويصرخون صيحات وصرخات مخيفة بشعة ، وراحوا يقفزون فوق الأرض وقد ارتدى الواحد منهم تنورة (بلوزة) تتدلى من الخلف وكأنها ذيل متحرك ، وأفزعت دروعهم خيولنـا ، ثم انضموا للحلقة التى كانوا بها بنظام وكأنما قد تدربوا على التكتيكات الأوربية • ووقفنا يحيط بنا المقاتلون من كل جانب • وكانت تنورات (بلوزات) المقاتلين من جلود القرود، وكانت سيقانهم وأذرعهم مزينة بذيول الثيران وشـعرها ، وكانت دروعهم تصـل الى أذقانهم ، وكانت رءوسـهم مزينة بريش الطيور •

حركة العيون :

ورغم أن كل من كان فى وسـط المدينة صامتا ، حيث لا حركة • العيون فقط هى التى تتحرك ، والأسـنان تبدو بيضاء لامعة • وبعد دقائق من الصمت العميق لم يكن يقطعه الا تنفس الخيول ، اندلعت أغانى الحرب والحق أقول لكم ، لقد كانت أغنية متناسقة (هارمونيـة) وراح المقـاتلون

يضربون الأرض فى الوقت نفسه بأقدامهم محدثين صوتا كالرعد الأجوف لكن بعض أجزاء العرض كانت تعطى احساسا موسيقيا (ذا طابع موسيقى) خاصة عندما كانوا يقلدون أنين القتلى الذين قتلوهم فى المعارك ، وكذلك عندما كانوا يقلدون صيحات المنتصرين المرعبة ، وأصواتهم (هسهساتهم) الشبيهة بفحيح الأفاعى .

وظهر الملك :

ويتلو ذلك فاصل يتوقفون فيه ونظل فى حالة دهشة وترقب ، فماذا يقصدون ؟ حتى ظهر الملك قادما من خلفية الصفوف يتبعه عدد من الرجال حاملين السلال وأوانى الطعام . لقد قدم الينا وحيانا وفقا لطريقتنا فى التحية وصافح كل واحد منا بشدة ــ لكن بود ، ثم استدار ــ بأدب ــ للطعام الذى وضع عند أقدامنا ودعانا للمشاركة . وفى هذه الأثناء ظهرت العربات للعيان على البعد وتم الاعلان عن رغبتنا بتوجيهها للمكان الذى سنعسكر فيه فى ضواحى المدينة ، وصحبنا الملك ممسكا ذراعى اليمنى بشدة ، وان كان بطريقة ودودة بل وبألفة . وقال لى : « الأرض أمامك .. لقد أتيت الى واحد من أبنائك ، نم فى أى مكان ترغب .

المساكن المتحركة ودهشة الملك :

وعندما تحركت المساكن المتحركة (هكذا يسمون العربات) اقترب وقبض على ذراعى بشدة وراح ينظر للعربات بدهشة شديدة تجل عن الوصف ، بل ان هذا الرجل (الملك) الذى يسبب الرعب للآلاف قد انسحب للخلف خوفا من منظر العربات كما لو كان ظنها كائنات حية . وعندما فككنا أربطة الثيران اقترب من احدى العربات بحذر شديد

وظل ممسكا بى باحدى يديه وواضعا يده الأخرى على فمه دلالة الدهشة • ونظر للعربات بتركيز شديد ، خاصة العجلات ، وزادت دهشته عندما أخبرناه بأن كل عجلة مكونة من عدد من القطع الخشبية • وبعد أن تفحص العجلات والعربات بدقة عن قرب بقى في عقله سر غير مفهوم فكيف تكون قطعة الحديد الدائرية المحيطة بالعجلة متصلة دون علامة تشير الى اتصالها بقطعة حديد أخرى أو بمعنى أدق كيف التحم طرفاها • وهنا قال أومبيت صديقى ورفيق سفرى والذى أدت زيارته لمركزنا التبشيرى الى أن يكون أكثر حكمة من مليكه : « لقد رأيت بعينى أن يديه النشيطتين ــ وأشار الى يدى ــ قطعت أسياخ الحديد ووصلت أحد طرفيها بالطرف الآخر كما ترى الآن » وتفحص الملك العجلة بدقة واكتشف الجزء المتصل وسأل « لا ، انه لم يستخدم الا النار والمطرقة والازميل» ثم عاد موسيليكاتسى الى المدينة حيث كان المقاتلون مازالوا فى انتظاره منذ غادرهم ، فاستقبلوه بعاصفة من التصفيق •

لباس المقاتلين وأسلحتهم :

لقد كان بضعة آلاف من الماتابيلى يشكلون عدة كتائب ويتم التمييز بينها بألوان الدروع ، وكذلك بنوع الريش الذى يستخدمونه بكثرة فى تزيين رءوسهم ، ولكل مقاتل أيضا ريشة طويلة من ريش طائر الكركى (الغرنوق) الأزرق تبرز من جبهته ••• أما أسلحتهم فتتكون من دروع ، ورمح صغير وهراوة ، وغالبا ما تكون الهراوة من قرون وحيد القرن أو من الخشب القوى ، وهم يجيدون تسديد الرمى ، فهم قادرون على أن يصيبوا بدقة حتى الظبى الصغير، والرمح الصغير غير معد للقذف وانما هو معد للقتال المتلاحم،

أما وهذه هى عدتهم فى القتال فان لدى القبائل أسهما خفافا يقذفونها لمسافات بعيدة ٠٠ وعقيدة هؤلاء المقاتلين هى النصر أو الموت ٠٠٠ وهم يبدون فى حال أفضل عندما يلبسون لباس الحرب وهم لا يلبسونه الا فى الحرب أو فى المناسبات المهمة ، بدونه يبدون عراة كقبائل الكافير ٠ ونادرا ما يستخدمون الفأس فى الحرب a war axe تلك الفأس التى تميز المقاتل من البشوانا والتى يستخدمها ـ فقط ـ اذا وقع فى مأزق أو كان فى ظروف غير ملائمة أى عندما تفقد سهامه أو عندما يقوم بنحر أعدائه المهزومين ٠ دروعهم مصنوعة من جلود الثيران السميكة ، وهى ـ أى هذه الدروع ـ تختلف حجما وشكلا ٠ ودروع الماتابيلى كبيرة تغطى جسد المقاتل ، بينما الدروع الأخرى خفيفة ٠٠٠ ودروع الباسوتو أصغر حجما وتبدو وكأنها لا تحمى الا الذراع اليسرى التى تقبض على السهم (أو الرمح) وعلى قضيب مزين بخصلة من ريش النعام الأسود ٠

الحفل الراقص :

ولم يفشل موسيليكاتسى فى امدادنا بفيض من اللحم والحليب والجعة غير القوية المصنوعة من الغلال الوطنية (التى تنتجها بلاده) ، وكان قلقا خشية الا يظهر هو وشعبه فى أحسن صورة ٠ فقد أمر كل السكان والمحاربين فى المدن المجاورة بالتجمع فى المراكز الرئيسية ، وفى اليوم التالى عقدت حفلة راقصة تحية للغرباء ، ووقع الاختيار على السهل المجاور للمدينة ليكون مسرحا لهذا الحفل الراقص حيث وقف موسيليكاتسى فى وسط حلقة كبيرة من جنوده ، وحضر أيضا الى جانبه عدد من النسوة رحن يصفقن ويصدرن أصواتا حادة ، فكن جزءا من المعزوفة العامة ٠

حريم الملك فى المهرجان :

وتقدم حوالى ثلاثين من حريم الملك بصولجاناتهن البيض المرتفعة أمام صفوف المغنين وخلفها، وكانت أجسادهن الممتلئة الثقيلة اللامعة من فرط ما عليها من دهان لا تستجيب بسهولة للحركات الرشيقة التى تتطلبها الرقصات ، بعكس نساء الطبقات الأدنى ، لقد غنى المغنون أغانى الحرب الخاصة بهم بمناسبة زيارة الغرباء لبلادهم وراح أحدهم يدور حول الملك الواقف في مركز الحلقة (وسطها) وراح يحملق في الملك ويوقره توقيرا شديدا باظهار الفزع منه والخوف منه والاعجاب به ، وكان الملك ـ أحيانا ـ ينظم حركة الألوف المحتشدة بحركة من رأسه أو رفع يده أو خفضها • وجلس الملك وعليه ترسه المعمول من جلد الأسد وسألنى ان كان في بلادى شيء كهذا ، وتساءل موجها حديثه لى : أليس جميلا ؟! ولم أستطع أن أرضى غروره بقولى اننى بالفعل معجب بهذا الترس المثير للمشاعر وهو يحمى صدره المقاتل (الشجاع) •

.. ..

لقد شغل هذا الحفل (الوطنى) معظم النهار وكان المقصود منه اظهار العظمة (الوطنية) والفخر ، ثم عاد الملك (الزعيم) وقد انتفخت أوداجه فخرا وسط هتافات الجماهير ودعائها له وتوقيرها اياه ، وشملت الهتافات أيضا أسماء معاونيه his satraps الذين تبعوه (لكنهم خلوا بينهم وبينه مسافة دلالة الاحترام والتوقير) • لقد كان الناس ـ اذا ما وقف الملك أو جلس أو ظهر يصيحون بيت Baite

أو آيت Aite بالاضافة لكلمات أخرى تعنى (الملك العظيم) أو (ملك السماء) أو (الفيل) ٠٠ الخ ٠

.. ..

ولأن السيد أرشبل Archbell وجد أنه من الضرورى ألا نمكث هنا طويلا ، وأيضا لأننى قد غادرت موطنى منذ فترة طويلة ولم أكن أنوى أن أمكث بعيدا هذه المدة ولا أن أقطع مسافة بهذا الطول ــ لذلك فقد أخبرت الملك ذا العظمة المتوحشة his Savage Majesty **أن زيارتى يجب أن تكون** قصيرة حتى لا يقلق أصدقائى وأفراد أسرتى فى كورومان kurnman بشأنى مخافة أن يكون شر قد أصابنى أثناء الطريق حيث لا رفيق الا الحيوانات المتوحشة ٠ ومع أن ما قلته كان مقنعا جدا الا انه دبر فى غير قليل من الدهاء أن يحتجزنى مدة عشرة أيام ٠ وخلال هذه المدة كنت ألتقى به تباعا لكننى لم أكن فى وضع يسمح لى بالحصول على المعلومات عن شخصيته الحقيقية فلا أحد فى مملكته يجرؤ على النطق بحرف عنه سوى وصفه بأنه أفضل من وجد على ظهر البسيطة وأكثرهم نبلا وأنه ظاهر فى كل أفعاله كامل فى أوصافه وعدله وطيبته ، وان لديه القوة التى تجعله قادرا على دك الجبال دكا ومحوها من الوجود ، وأخيرا فان ابتسامته هى الحياة ، وتقطيبته رعب وموت ٠ وعلى أية حال فاننى عرفت شيئا عن ميوله ونزعاته من الزعماء الحاضرين الذين كان قد سبق لهم أن زاروا كورومان Kuruman والذين كان قد سمح لهم بالبقاء فى عرباتى سواء لأداء خدمات أو لحمل رسائل وان كان الهدف الحقيقى لزياراتهم هو مراقبة تحركاتنا وتسجيل كل لقاء لى بأهل البلاد ٠ وقد كانوا ــ مع ذلك ــ مطيعين جدا لطلباتى واقتراحاتى ، فاذا

أردت الهدوء ، كان يكفى جدا أن أرفع اصبعى لتسير الأمور وفقا كما أريد ، وكان من غير المسموح للعوام الاقتراب منى الى حد معين بدون اذن خاص وكنت مضطرا ـ على نحو متعاقب ـ لمنع حارسى الخاص من استخدام العصى والأحجار ضد أى شخص يقترب منى الى حد معين دون استئذان • لقد منعت بصعوبة تكسير رأس بعض الأشخاص ومنع طحن عظامهم ، ذلك لأن الحرس كان ينفذ مهمته الاستبدادية بحماس حقيقى •

.. ..

وخلال احدى لقاءاتى الأولى مع موسيليكاتسى حدثت واقعة تبين الى أى حد يمكن أن يؤثر اللطف والكياسة فى الرجل القاسى الفظ • لقد اقترب من البقعة التى كنت أقف فيها وكان معى آخرون يحملون أطباق الطعام وكان من بينهم زعيمان كنت قد التقيت بهما فى كورومان لكن عند اقتراب الملك انحنيا وصاحا كالمعتاد :

« بيتى ، نخوسى انكولو Baite Nkhosi Enkolu » لكن الملك رغب فى عودتهما • ووضع موسيليكاتسى يده اليسرى فوق كتفى ، ووضع يده اليمنى على صدره ، وخاطبنى قائلا : « ماشوبين Machobene (★) اننى أدعوك بهذا الاسم لأنك أبى ، لقد جعلت قلبى أبيض كالحليب ، لا تندهش لحبى لغريب •• انك لم ترنى قبل ذلك لكنك تحبنى حبا يفوق حب شعبى لى • لقد أطعمتنى عندما كنت جائعا وكسوتنى اذ كنت عريانا وحملتنى على صدرك » ثم رفع

(★) وهو اسم ابيه •

ذراعى اليمنى مع ذراعه ، وأضاف قائلا : « هذه الذراع هى درعى ضد أعدائى » ومن جانبى لم آكن فاهما أو على وعى بما يقول ، لذا فقد أشار الى المبعوثين السفيرين القابعين عند قدمى ، وقال : « وان هذين رجلان عظيمان فأومباتى Umbate هو يدى اليمنى ، فعندما أرسلتهما للتعرف على بلاد البيض ، فانما أرسلت آذانى وعيونى وفمى ، فما رأوه رأيته وما سمعوه سمعته ، وما قالوه انما عن لسانى وبلسانى . لقد تحدثا باسم موسيليكاتسى ، وعندما تعرضا للخطر قمت أنت بحمايتهما .. انك بعقلك هذا تكون قد حميتنى أنا .. لقد فعلت ذلك لشخصى .. لموسيليكاتسى بن ماشوبين » .

★★★

رحـــــلة

وليم كورنوالز هاريز

WILLIAM CORNWALLIS HARRIS

الى نهـر الفـــال

ولد وليم هاريز فى كنت سنة ١٨٠٧ م وعمل فى شركة الهند الشرقية البريطانية مهندسـا • وفى ١٨٣٦ م – وكان قد وصـل الى رتبـة كابتن – ارسل الى مدينة الكاب لمدة عامين • وفى السفينة التى اقلته الى هناك قابل رتشـارد وليامسون Williamson وهو موظف مدنى كان يعمل فى بمباى كان هو الاخر فى طريقه الى جنوب افريقيا لاسباب صحية • وقرر الاثنان – هاريز ووليماسون القيام برحلة صيد فى المنـاطق الداخـلية • وفى جراهامستـون Grahamstown حالفهما الحظ فقابلا هيوم Hume وسكون Scoon وحصلا منهما على معلومات كثيرة عن بلاد الماتابيلى ، وامدهما هيوم ايضا بسائق كان قد تردد على بلاد موسيليكاتسى خمس مرات • واكملا استعداداتهما فى منطقـة جـراف – رينت Graaf-Deinet وتعرفا على الدكتور موفمات Maffat فى كورومان Kuruman عن طـريق بعـض البعثــات التبشيرية الأمريكية التى وصلت حديثا • وقد لقيا موستليكاتسى فى فى كابتن Kapain بالقرب من موقع كوريشين Kurreechane وحصلا على موافقته على صيد الفيلة وان يعودوا عن طريق الفال Vaal route الذى لم يسلكه اوربيون من قبل • وتابعـا مسيرهما على طول الجانب الجنوبى لماجاليسبرج Magaliesberg حتى وصلا الى قرب اوليفانت Olifent الى الجنوب من رستنبرج الحديثة Rustenberg والنص التالى من رحلة هاريز Harris المعنونة :

Wild sports of Southern Africa (John Murray, London, 1839)

صيد الفيلة فى جبال كاشان Cashan :

لقد اكتشفنا ــ قبل أن يشرق صباح اليوم التالى ــ أن الثيران قد اعتراها الخوف من الأسود ، ومن ثم فقد ولت هاربة من حظيرتها • فأرسلنا مجموعة لتتبعها ، وتابعنا نحن مسيرنا فى التلال بحثا عن الجاموس البرى • لقد نقت العاصفة الرعدية الجو وجعلت الجو باردا يبعث على البهجة والنشاط ، وكان الوادى الضيق الذى لم يصبه الحريق الهائل الذى شب أمس عامرا بالطرائد التى فرت من النيران، وسرعان ما قتلنا عددا من حيوانات وحيد القرن ، وقبل أن نعيد تحميل أمتعتنا رأينا قطيعا من الجاموس البرى يبلغ مائة وخمسين رأسا كان يهبط على منحدر مجرى معشوشب ، فزحفنا حتى أصبحنا على بعد خمس وعشرين ياردة ، وقتلنا ثورين بسرعة قبل أن يتنبه بقية القطيع الذى اندفع فى الغابة وراح يحطم الأشجار فى طريقه واندفع فى اتجاه التل المقابل فى فوضى مرعبة محدثا سحابة ترابية هائلة • وامتطينا خيولنا وبعد أن مكثنا بعض الوقت نعانى من طين النهير الذى سبب لنا ولخيولنا ارباكا ، وصلنا للجانب الآخر للنهير وحاصرنا ثورين آخرين وقتلناهما بعد عدة طلقات • وكان أصدقاؤنا البدائيون (من أهل البلاد) Savage Friends كسولين بسبب كثرة تناولهم الطعام بالأمس لذلك لم يظهروا على مسرح الأحداث، ولذلك فقد أرسلنا كلاسى بعد أن انتهينا من طعام الافطار ــ لاحضار بعض مخ العظام، الا أن أسدا قفز خارجا من دغل بالقرب منه بسرعة فلم يتح له وقت لاستخدام بندقيته • وبعد عدة ساعات ــ على أية حال ــ استجمع كلاسى شجاعته وأخذ معه عددا من الرجال وذهب ليستعيد الثور القتيل •

السيول الراقصة :

وعاد الهوتنتوت في وقت باكر بعد الظهر ومعهم الثيران ، وواصلنا مسيرنا دون اضاعة وقت في اتجاه الشرق وسط حشائش عالية جدا متتبعين خط اتجاه الجبال ، ومررنا بين تلين متفردين لكل منهما شكل مخروطي ، وقد شمخا وكأنهما حارسان ، وبعد أن عبرنا ست مجار عانينا في عبورها بعض المشقة ، وجدنا أنفسنا بالقرب من فتحة في السلسلة التلية ، ومن خلال التليسكوب رأينا أنه يمكننا ـ من الناحية العملية ـ أن نشق طريقنا صوب الشمال ، وقد غرست عجلات عرباتنا بشدة في نهر سانت Sant وتعاون كل الفرقاء في اخراجها لكن بعد جهد جهيد • وكانت الحرارة شديدة وليس من نسمة هواء ، وتجمعت سحب سوداء كثيفة مما أوحى لنا بقرب هطول طوفان من الأمطار فرحنا نستعد لذلك ، فاقمنا معسكرنا في موضع مرتفع محمي تحت جانب صخرة مرتفعة • لقد كان الموقع محاطا جيدا لا ينقصه الا أن يسد مدخله بأفرع الأشجار ليكون حظيرة آمنة للماشية • وما كدنا ننتهي من هذه الترتيبات حتى انفجر الرعد فوق رءوسنا وجرت خطوط البرق الخاطفة في السماء وأنارت الأرض وكأنها نهيرات من نار وهطل المطر سيولا ، لقد كانت خطوط المياه تصل للأرض راقصة ، وكأنها أنهار منابعها في السماء فلم يكن هطولها على شكل قطرات فرادى ، وانما في استمرار متواصل عنيف يستعصي على الوصف ، وظل الحال على هذا المنوال معظم الليل ثم تراجع الرعد شيئا فشيئا وقلت دمدمته شيئا فشيئا ، لكنه ظل يدوي ويدمدم فوق الجبال البعيدة عنا ، وراح صداه يجلجل في التلال الأقرب الينا ، ثم يعود فيدوي مرة أخرى بعنف عنيف فوق رءوسنا •

فالرعد الوحشى ينطلق من كل السحاب لا من سحابة واحدة وكأنما يتنقل من قمة جبل الى قمة أخرى

From peak to peak, the rattling Grags among,
Leapt the wild thunder, not from one lone cloud,
But every mountain soon had found e tongue.

لقد وصلت المياه الى ركب الثيران والخيول ، وظل رفاقنا جالسين طوال الليل فى عربة المؤن التى تسرب اليها الماء ٠

وضعنا رءوسنا تحت الوسائد :

أما عربتنا فكانت ـ لحسن الحظ ـ مغطاة بشكل جيد، فقاومت العاصفة الهوجاء ٠ وكان النوم ـ بطبيعة الحال ـ أمرا محالا ، وبدت الأرض وكأنها ـ بالفعل ـ تميد تحتنا ، وكان البرق يخطف أبصارنا ، حتى أننا كنا نجد سعادة فى تخبئة رءوسنا تحت الوسائد ٠

كانت العاصفة مرعبة حقا :

ولا يستطيع أن يفهم فهما كاملا مدى الرعب الذى سببته هذه العاصفة التى وصفتها توا الا أولئك الذين شهدوا العواصف التى تسببها الرياح الموسمية فى الهند ٠ وقبل الفجر بحوالى ساعة بدأت وطأة العاصفة تخف ، وعندما أشرقت الشمس أصبح الجو رائعا ، وأصبحت الأنهار ملأى بالماء ولا يمكن عبورها ٠ وتقدمت مع بعض الهوتنتوت لاستكشاف الطريق لكننى وجدت أنه من المستحيل أن تتقدم

العربات فى هذه الأحوال ، فلم يكن هنـاك الا قناة ضـيقة تحيطها صخور مشكلة شاطئين عمـوديين ، حيث ينـدفع نهر سانت Sant فى طريقه ليلتقى بنهر لنجكلنج Lingkling (نهر ايلاندر Elands) ، ويتلوى نهـر سـانت أثنـاء اندفاعه بتعاريج حادة مفاجئة وهـو يقطـع منطقـة وعرة مخترقا منحدرات صخرية متتابعة ٠

قطيع الجاموس والفيل العملاق :

وقد رأينا من فوق أعلى القمم عدة قطعان من الجاموس البرى وبينما كنا نهبط رأينا آثار أقدام فيل ضخم كان قد مر منذ ساعة تقريبا ٠ وبدت آثار أقدامه كأضـخم آثار أقدام فيل سبق لى أن رأيتها ، ودفعنى حب الاستطلاع لقياس أبعاد أثر هذا الفيل وذلك للتأكد من ارتفاع هذا الحيوان ٠ فمن المشهور آن ضعف محيط قدم الفيـل يسـاوى بالضبط ارتفاعه حتى الكتفين (★) لقد كان ارتفاعه ـ وفقا لهـذه القاعدة حوالى اثنتى عشرة قدما، هو بذلك أعلى فيل أفريقى، وتابعنا الأثر عبر نهر ست الذى هدأ اندفاعه الآن بشـكل ملحوظ ـ ووجـدنا آنه (أى الفيل) تابع مسيره شرقا مـع سلسلة الجبال ، وعدنا لمعسكرنا لاصطحاب خيولنا وللحصول على الذخيرة ٠

آثار الأفيال :

وتركنا العربات وتقدمنا فى بقعة ملائمة ، وفى حوالى الساعة العاشرة كنا بالفعل فى وضـع معتم وتابعنـا آثار الفيلة بلا ملل ولا كلل طوال ثمانية أميال فى منطقة تغيرت

(★) لا ندرى مدى صحة ذلك ، ولعل هناك خطأ فى النسخة ـ (المترجم) ٠

ملامحها تماما ، وعبرنا حيودا حجرية جرداء ، وعبرنا أحيانا غابات ظليلة لكن أشجارها محطمة ، وكافحنا لنشق طريقنا عبر أراض شاسعة تغطيها الحشائش الطوال المتموجة ، ثم نجد أنفسنا مرة أخرى على منحدرات مكشوفة ، وأخيرا وصلنا بين مجموعة من الآكام (التلال الصغيرة) المعشوشبة تغطيها أحجار صغيرة غير ثابتة وتتخللها المجارى المائية الصغيرة وأحيانا تكسوها غابات غير متسعة بدت فيها ـ بشكل يدعو للدهشة ـ آثار التخريب الذى أحدثته فيها الأفيال ، هذه الحيوانات التى طال بحثنا عنها ، فغمرنا شعور هائل بالسرور والرضا • لقد كانت الأفيال ترعى بتكاسل على رأس الوادى البعيد فركزنا انتباهنا تجاهها بفعل الرائحة الكريهة التى حملتها الرياح لنا • تلك الرائحة التى لا تخطئها أنف • ولأننا لم نكن قد رأينا قبل ذلك الفيل النبيل فى أدغاله الوطنية فقد رحنا نحملق فى المنظر الماثل أمامنا باهتمام بالغ ودهشة لا يمكن وصفها ، وقد انتقل شعورنا بالاهتمام لكل من معنا ، فأندريس Andries كان مستثارا لدرجة أنه كاد يعجز عن الكلام ، فقد تمتم أخيرا بشفاه مرتعشة ، بينما كانت عيناه مفتوحتين عن آخرهما ،«انها ديار الفيلة Dar stand de olifant » وتم ارسال موهانيكوم Mohanycom ولنجاب Lingap فى التو ليجعلوا القطيع يعود ثانية (للخلف) الى الوادى الذى تقدمنا اليه ببطء ودون احداث ضجة مراعين أن نكون فى تقدمنا عكس اتجاه الريح •

أجمل الجميلات فى عالم الأفيال :

ولما وصلنا على مسافة مائة وخمسين ياردة من القطيع ، دون أن تحس الفيلة بتقدمنا ، أسرعنا بخيولنا

وكمنــا فى زريبــة حجرية قديمة ٠ وأدى صياح البدائيين Savages الذين ظهروا فوق المرتفعات يقعقعون بتروسهم ــ الى أن تحركت الحيوانات الضخام (الأفيال) نحونا ، بل انها أصبحت لا تبعد عن مكمننا بأكثر من عشر ياردات ، لقد كانت مجموعة الأفيال تتكون من تسع ، وكانت كلها اناثا ذوات خراطيم ضخمة ٠ واخترنا أجملها وأطلقنا عليها بترو وهدوء وابلا من خمس رصاصات ، فتعثرت لكنها نهضت من جديد ، أطلقت صرخة كأنها نــواح ، فرفعت بقيــة الأفيال خراطيمها فوق رأسها وانطلقت مبتعدة تتسلق التل المجاور بسرعة شديدة ، وراحت آذانها الضخام الشبيهات بالمراوح تخفق بسبب جريها السريع ، فركبنا خيولنا سراعا واتجهنــا للسيدة الجريحة (الفيل المصاب) التى لم تكن الأحجار الحادة غير الثابتة ملائمة لأقدامها ، فاستدارت الينا بغضب بخرطوم مرفوع ، ولم تصب طلقاتنا مخها بشــكل مؤثر الا بعــد محاولات عديدة ، فسقطت سقطة مدوية وفقدت الحياة ٠

بانوراما تفوق الوصف :

ولما انتزعنا أنفسنا من المنظــر المــدهش الذى وصفته آنفا ٠ وجدنا أن الوادى الآخر الذى كان مكشــوفا أمامنــا تحيطه تلال حجــرية جرداء يقطعه مســيل نحيــل تحيطــه الغابات ، انها بانوراما طبيعية رائعــة وعظيمة لا يمــكن للوصف أن يوفيها حقها ٠ لقــد كانت المنطقة كلهــا مغطاة بالأفيال ٠ لقد كان عددها ــ على مدى الرؤية ــ لا يمكن أن يقل عن ثلاثمائة فيل ، فكل أكمة خضراء كانت مرصعة بعدد من هذه الأفيال ، بينما كان بطن الوادى يشهد حشدا كثيفا من هذه الحيوانات الضخام السود ، وفى بعض الأحيان كانت

أجسادها الضخمة تتوارى جزئيا وراء الأشجار التى ألحقت بها تدميرا هائلا بسبب قوتها الجبارة ، وفى مواضع أخرى رأينا هذه الأفيال الجبارة يحمل الواحد منها بخرطومه فروع الأشجار وينسحب الى مكان خال بعيدا عن الغابة ليحمى بها نفسه من الذباب (المترجم : ربما كان المعنى : ليتخذها كمظلة تقيه الذباب) أما خلفية المشهد فكانت تمثل سلسلة جبلية زرقاء تعطى ايحاء بالضخامة وتكمل سمو الصورة المفعمة حياة واثارة ٠

الطلقة الطائشة :

لقد أصبحت مراعاتنا أن يكون تقدمنا عكس اتجاه الريح مسألة غير مؤكدة ، فقد خرقنا هذه القاعدة التى راعيناها سابقا ، مما أدى الى اثارة انتباه الفيلة قليلا حتى أن القطيع الذى خلفناه وراءنا انحدر بشكل طائش لينضم لمجموعة الفيلة الرئيسية ومر قريبا جدا منا حتى أننا لم نستطع كبح تهورنا فأطلقنا النار على واحد منها الا أنه ــ على أية حال ــ تحمل القذيفة بشجاعة ٠ ووضعنا خيولنا فى مكان آمن فوق قمة حيد حجرى ، وتمركزنا فى موضع ملائم فوق افريز جبلى (موضع ناتىء) يشرف على الممر (الشعب) الممتلىء بالأشجار ، وأرسلنا أندريس Andries ليناور ، حتى نجبر أكبر عدد من الفيلة على المرور أمامنا حتى نتمكن من ملاحظتها عن قرب لنتأكد من عدم وجود فيل ذكر بينها ، وراحت الفيلة تسير بتكاسل ، وكانت تتوقف بين الحين والحين تحت الأشجار الظليلة ، ولم تكن المسافة بيننا وبينها تزيد عن خمس عشرة ياردة ، وراحت الفيلة تروح عن نفسها بكسل بتحريك آذانها الكبيرة ، ومبعدة الذباب عن أجسامها

بتحريك خراطيمها ومطلقة أصواتا ضعيفة واهنة يعرفها الهنود جيدا • لقد كانت كل الأفيال اناثا وكان بعضها أمهات حيث كانت الأفيال الصغيرة تسير خلف أمهاتها ، وتقلدها في كل حركتها • ومن موقعنا هذا كان يمكننا قتل أى عدد من الفيلة نريد ، فقد كانت تستدير برءوسها تجاهنا وكانت قريبة منا ، وكان يكفي أن نطلق طلقة واحدة على مخ الفيل الذى يوجه رأسه الينا ليخر على الأرض • ان طلقة واحدة كانت كافية لقتل فيل فى مثل موقعنا هذا ، لكن بينما كنا مترددين ، انطلقت طلقة فمرت محدثة أزيزا الى جوار أذن رتشاردسون Richardson فتنبهت الفيلة وانطلقت هاربة •

اطلاق النار :

ولم يكن أمامنا وقت كاف الا لحظات لنتراجع خلف شجرة تحاشيا لرتل من عشرين فيلا ضخما فى اثرها الأفيال الصغار • لقد كانت تجرى بأقصى سرعتها وقد رفعت رءوسها وهى تصرخ بصوت عال ، فأسندت بندقيتى للشجرة وأطلقت النار على كتف الفيل القائد فهوى فى الحال •

رتل آخر من الفيلة

الهروب والمراوغة :

وظهرت مجموعة أخرى من الفيلة فى اثر المجموعة الأولى ، لقد كانت خلفنا مباشرة ، وكان ظهورها فى اللحظة نفسها التى ظهرت فيها المجموعة الأولى ، واضطررنا للتراجع ورحنا نراوغ من شجرة الى شجرة ونحن نتعثر بين الأحجار المدببة الحادة ، وكنا دائما نلتقى بأعداء جدد (أفيال أخرى) • ولم يستمر هذا الاضطراب المضحك فسرعان ما وصلنا لأنثى

الفيل التى أطلقنا عليها النار آنفا فأنهينا حياتها بطلقة في جبهتها • لقد أصبح أندريسى الآن فى قمة فرحة وكان فكها مداعبا للغاية سعيدا بانجازاته ، وفى غمرة ادعاءاته وفخره وتبجحه بأهميته أطلق رصاصة من رصاصاته على الحيوان الميت زاعما أن أنثى الفيل لم تمت بالفعل وانما هى تتظاهر بذلك ، وكان هدفه من هذا هو أن يخلط بين الطلقتين (طلقتي وطلقته) ليدس اصبعه الوسطى فى الثقب الذى أحدثته قذيفتى (٢ أونصه) ، وراح يزعم أنه هو الذى تسبب فى موت الحيوان بقذيفته ، وبدا مسرورا وهو يعاين الطلقتين ليؤكد أن طلقته كانت هى القاضية •• وسواء كان هذا حقيقيا أم لا فانه لم يكسب سوى أنه فقد احترامي وتقديرى له كرفيق رحلة •

الارتباط بالصغار :

وفى طريقنا للمعسكر ــ ولم نكن متأكدين من موقعه بالضبط بسبب فيض المطر الذى هبط مؤخرا ــ مررنا بثلاثة قطعان آخرى من الأفيال • وقد توقف أحدها فى طريقنا مباشرة ، فهاجمناه وتتبعنا الفار منه لمسافة تقرب من الميل فوق أحجار غير ثابتة • وثمة أقوال كثيرة عن ارتباط الأفيال بصغارها ، لكن فى هذه المرة وفى مرات آخرى لم نلاحظ أدنى اهتمام من اناث الفيلة بحماية صغارها ، بل العكس فقد كانت أنثى الفيل تختبىء أحيانا وراء صغارها • وقد طعن موهانيكوم ولينجات ـ ـ ــ اللذان كانا وراءنا فيلا صغيرا برمحيهما ، وأحضرا ذيله معهما • وقد قتلنا أنثى فيل كبيرة السن ونحن نصعد ربوة ، وفى الوقت نفسه أدركنا أن عرباتنا على بعد مئات قليلة من الياردات فى البقعة نفسها • وقد اقتحم رتل الأفيال معسكرنا

هاربا مندفعا مسببا ذعرا يفوق الوصف بين الماشية ورجالنا، لكن ـ لحسن الحظ ـ لم تقع حادثة مؤسفة • وبعد هذا اليوم من العمل الشاق المرهق ، لم نكن آسفين لعودتنا لمعسكرنا •

وفرت الثيران بالليل :

وحجبت سحب ممطرة الشمس وهى تغرب بتثاقل خلف الجبال ، ودوى الرعد ، وقبل أن يحل الظلام تعرضنا لعاصفة كعاصفة الأمس وراح النهر يزأر أمامنا بشكل مرعب ، وفرت جحافل الفيلة من المشهد القاتل ومرت بالقرب من عرباتنا والليل حالك ، وكان صوت صراخها المرعب يتردد صداه فى « الجبال » ، لقد طغى صراخها على صوت العاصفة • وكان من الصعب أن نحتفظ بالنيران مشتعلة ، وكانت الثيران والخراف فزعة فزعا شديدا حتى أنها خرجت من حظيرتها وراحت تبحث عن الأمان فى البرية • وكنت متعبا ، جافى النوم عينى بسبب هذا الوضع المثير ، فرحت أتأمل أحداث اليوم التى مرت بى ، لقد كانت حقا أحداثا مفعمة بالحياة والاثارة ، وكنت أتحرق شوقا لمثلها •••

تعليق المحرر لربط الأحداث :

واتخذ هاريس اتجاها شماليا وعبر نهر التمساح بالقرب من ثاما زمبى Thamazimbi الحديثة وواصل مسيره الى خط عرض ٢٤° تقريبا • وعند عودته الى المناطق المجاورة لماجالسبرج Magaliesberg وجد أومنومبيت Um'Nombate وهو أحد الزعماء المحليين التابعين لموزيليكاتسى Moselekatse وكان هذا الزعيم المحلى قد زار كورومان ومكث فيها انتظارا لقدوم هاريس •

لقاء مع أومنومبيت

ورحلة عبر جبال كاشان Ceshan

الى الجنوب الشرقي

وصلنا مبعوث الملك (موزيلكاتسى) ، وبعد أن ذكر ملاحظات غير مهمة عن المناطق التى زرناها ، وعن الطرائد، وعن الأمطار الوفيرة التى تفضل الملك وأرسلها لنا ، ذكر المبعوث دون مزيد من المقدمات عن الهدف المهم لرحلته القصيرة الينا بأن عرفنا برغبة الملك الأكيدة فى حيازته لبندقية خفيفة تعمل بطريقة التفجير ، وفى الوقت نفسه أعلن استعداده لحمل البندقية وما نريد ارساله من هدايا أخرى للملك . وقد تخلصنا من الطلب المتواضع الأول (البندقية) بأن وعدناه بأن نرسل له البندقية مع حامية من عندنا عند عودتها من نهر الفال Vaal بعد أن ننتهى من صيد الفيلة ، وفى الوقت نفسه قدمنا له ترضية عبارة عن لفة سلك مماثلة للسلك الذى وجدنا انه يحظى بقبول فى كابين Kapain وابريق بنى وأزرار مذهبة وخمس قوارير من الخمور مختلفة فى درجة ما تحدثه من السكر ، وهى قوارير مناسبة (لحلالته) ليستخدمها وليعب منها جعته (بيرته) فى المستقبل .

أكلت الكلاب الأحذية :

وواصلنا رحلتنا فى التو فى اتجاه الجنوب الشرقى بروح عالية ومررنا خلال التلال من خلال فتحات وضعناها فى الفصل السابق ، حتى وصلنا الى احدى محطاتنا (مراكزنا) الخارجية (الواقعة خارج التلال) على الجانب الجنوبى للسلسلة • وفى اليوم التالى كان طريقنا يقع عبر حزام من الروابى والآكام المنخفضة بها مرتفعات (حدورات صاعدة acclivities) كثيرة شاهقة ، وقد عانت عرباتنا الثقيلة من صعوبات لا حصر لها عند السير فى هذه المرتفعات، وقد تأخر تقدمنا بسبب انقطاع الحبال • وضايقتنا كلاب البدائيين (الأفريقيين المرافقين لنا) عند محطتنا الأخيرة بأن راحت تنحت الحبال المفتولة ، وكانت هذه الكلاب من قبل تأكل ــ فى مرات غير قليلة ــ أحذية بعض المرافقين لنا ، وكانت هذه الأحذية مصنوعة من جلد غير مدبوغ (فلدتسكوين Veldtscoene هو الحذاء الوطنى المصنوع من جلد غير مدبوغ جيدا) •

اصابة خاطئة :

وظهر غير بعيد عنا قطيع كبير من الجاموس البرى ، فامتطينا خيولنا ، وسرعان ما قتلنا ثورا رائعا • وبينما كان عدد من اتباعنا يطاردون الحيوان عدنا الى العربات وأرسلنا أندريس على حصان تحميل لجلب الجلد لنصنع منه حبال سحب Trek-Touw وسرعان ما عاد (أى أندريس) سريعا ليخبرنا أن بيت Piet قد جرح جرحا قاسيا فى ساقه بسبب طلقة من بندقية عارضة ، وأن لنجاب Lingap الذى رافقه هو الذى أصابت درعه نفس الرصاصة فأحدثت فيه

ثقبا راح يشرح بشكل دقيق وعملي كيفية وقوع الحادث بأن وضع بندقية اندريس ازاء الشجرة بالطريقة نفسها ، فسقطت بندقية أندريس بدورها وانطلقت منها رصاصة لكنها لحسن الحظ لم تسبب حادثا مؤسفا آخر ٠

وتم احضار بيت Piet التعس بعد ذلك بقليل فاستقبلناه بقلق بالغ وتفحصنا اصابته فوجدنا أن ساقه قد تمزقت واحترق لحمها (بفعل الرصاصة) لكنها بفضل عناية الله لم تكسر ٠ ووضعنا خبرتنا في الجراحة موضع التنفيذ فكان لذلك ثمرة طيبة فقد التام الجرح سريعا ٠

نكران الجميل :

ولأنني كنت مدينا للمصاب ببعض المساعدات البسيطة التي قدمها أثناء رحلة الصيد ، فقد تركت غطائي وكوخي له أثناء النهار ٠ وهذا التصرف مني ــ كنوع من الشفقة اعتبر دلالة على الضعف وقابله بيت Piet خاتمة المطاف بالجحود والنكران ، فهو ككل قبيلته ناكر للجميل ٠

جمال يفوق الوصف :

لقد كان كل ملمح من ملامح هذه الأنحاء جميل جمالا يفوق الوصف ٠ مروج معشوشبة نثرت فيها الزهور المتألقة ، وتمتد بين الغابات والبساتين ، فالأشجار الضخام الجليلة تزينها عقود من نباتات الكرم أو النباتات الأخرى المتسلقة ذوات الأريج ٠ وهنا يجد المرء نباتات الصبار الضخام الهائلة بزهورها القرمزية المميزة تنتصب فوق خمائل الزيتون ، وهناك نبات الخشخاش (الأفيون) ونباتات الأمارلس

amaryllis (وهــو نبــات من النرجســيات) بألوانه القرمزية والزنبقية Lilac • وقد رأينا من العربات قطعانا من الحيوانات ، من بينها الأفيال •

الهروب الــكبير :

وفى اليوم التالى رأينا مرة أخرى من فوق احدى القمم وجه المنطقة الجميل وقد غطته هذه الحيوانات الجليلة وكانت ترعى فى آمان كسول ، كما كانت تستحم فى المجارى المائية الرقراقة • ولما تعرضت للهجوم خرج مائة منهــا عــلى الأقل يشقون طريقهم بوطء الأشجار ويكسرون الأفرع وتساقطت الشجيرات والبوص محدثة قرقعة • لقد خلفت هذه الحيوانات دمارا للحياة النباتية وراءها فى الطريق الذى سلكته •

لقد اندفعت بشكل متتابع الى الــوادى الصــغير ، وقد رفعت آذانها وراحت تهز خراطيمها وتصدر أصواتا مرعبة • لقد راحت تسوى بالأرض كل ما تقابله • وأطلقنا طلقــة من الشاطىء فكان فيها قدر الفيل القائد ، فعاد بقية القطيع للخلف مرة أخرى ، وقد كررنا هذه المضايقة حتى أصــيبت الأفيــال بالذهول والحيرة ، وفى لحظــة من اللحظات فكرت الفيلة فى الفرار فى اتجاهات مختلفة لكننا كنا قد أحكمنا الحصار بأن جعلنا مجموعات صغيرة منا تحيط بالمكان فبدا مشكوكا فيه أن أيا منها لن يستطيع الافلات من الحصار • وعلى آية حال فان أصواتنا دلت عــلى أن كفة الميزان مالت لصالح الانسان •

وطاردنا الفيل الذكر :

ومن بين عدة مئات من الأفيال الاناث والأفيال الصغيرة ، لم نجد الا فيلا ذكرا واحدا فتابعناه على ظهور الخيل خــلال

الغابة الكثيفة أشجارها . لقد كان مصابا بأكثر من خمسين جرحا ، واندفع حيوان وحيد القرن ليكون بالقرب من قلب مجموعتنا فشتت شملنا لكنه لم يجرح منا أحدا . وبرغم أن أندريس كان يغرقنا بنصائحه الحكيمة عن أصول صيد الفيلة وقواعدها ، الا أنه كان أول من يخرق هذه القواعد وتلك الأصول ، فقد أطلق النار بعبث على حيوانات وحيد القرن التى كانت تميل الى المسالمة ولم تهاجمنا ، لقد كان يفعل هذا ونحن منشغلون بحرارة فى معمعة ملاحقة الأفيال فى أول النهار .

وكاد أندريس يلقى حتفه :

لقد انطلق حصان أندريس هاربا ، ورفس برجليه الخلفيتين ولم يستطع وحيد القرن بنطحته أن يصل الى جسد أندريس وانما أصاب قرنه سروال أندريس الجلدى الذى تمزق نتيجة ذلك ، وكذلك كدنا نفقد الى الأبد خدمات أندريس القيمة .

وامتلأت عرباتنا بالعاج الثمين :

لقد امتلأت عربتان من عرباتنا الآن بالعاج فكنا مضطرين ــ على كره منا ــ لمغادرة هذه الأراضى العامرة بهذه المادة النفيسة . لقد واجهنا صعوبات فائقة لنجعل عرباتنا الثقيلة تشق طريقها فى حزام الآكام الغابية الكثيفة التى تتخللها المجارى العميقة الهابطة مع سلسلة جبال كاشان . وفى بعض المواضع كنا نشق الطريق ــ بالمعنى الحرفى للكلمة ، فتردد صدى الفئوس فى هذه الغابات المعمرة الصامتة التى لم تألف مثل ذلك .

وقلما كان يمضى يوم دون أن نرى أسدين أو ثلاثة لكن الأسود مثلها مثل بقية الحيوانات كانت تتراجع باستمرار اذا ازعجها الانسان بقربه منهـا • وعلى أية حال ، فان هـذه الحيوانات لم تكن تترك أية فرصة لمضايقتنا أثناء الليـل الا واهتبلتها الا اذا بدأنا نحن العدوان ولم نكن نفعل ذلك بسبب الارهاق الذى ألم بخيولنا • وقد عدت ذات يوم بعـد الظهر مع مافوك Maphook لحيـوان الـكودو Koodoo الذى كنت قد أطلقت النار عليه ، وذلك لأخذ رأس الحيوان الذى كنت قد أخفيته بين الأشجار ، واعترتنى الدهشـة عندما رأيت أسدا ضخما يفترس جسد الحيوان •

فى انتظار صاحب الجلالة الأسد :

وبينما كان الأسد يفترس جسد الكودو كان هناك تجمع بغيض من النسور وكأنه حامية عسكرية فوق الأشجار المحيطة في انتظار انتهاء صاحب الجلالة الأسد من تناول طعـامه لتنقض هى بدورها عـلى ما تبقى • وهـو أمر معتـاد فاذا ما انقض أسد على فريسته تجمعت النسور لالتهام ما يتبقى منه ، وبمجرد ظهورى تحرك جلالته بتثاقل وهو يدمدم معبرا عن سخطه لظهورى غير اللائق وازعاجه وهو يتناول وجبته على أية حال فلم يكن ثمة قصد أن تنتهى معرفتنا هنا فبعد هذه المعرفة التمهيدية فوجئت أنا ورتشارد سنون فى الصباح التالى بحضور الحيوان المخيف فقد فوجئنا بعينيه الشبيهتين بحبتى نبات عنب الثعلب gooseberry تنظران الينـا بحـدة من بين الأشجار الظليلة فأوقفنـا خيولنـا فى الحـال فدوى الحيوان الشرس بزفير مخيف كالرعد واتجه نحو السهل بخفة الكلب السلوقى • لقد كان الجمال البهي المترف لشـعره الأسود المحيط بعتقه قد أغرانا بالدخول معه فى معركة وذلك

خلافا للقاعدة الراسخة لسلبه ما يملك (من جلد وشعر رائع)، وسرعان ما شعر أننا نتابعه فواجهنا ووقف بين أشجار سنط (ميموزا) يقيس قوة مهاجميه ويقدرها متخذا وضعا نبيلا ووقورا • على أية حال فان ظهورنا ومنظرنا لم يعجبه ولأنه لم يستمتع بمذاق رائحة البارود ، فسرعان ما غادر مكانه بين أشجار السنط واتخذ لنفسه موقعا على قمة تل حجرى قريب كان سفحه مغطى بغطاء كثيف من الأشجار الشوكية ، ولم نكن نستطيع رؤيته الا من مسافة لا تزيد على ثلاثمائة ياردة •

وسقط جلالته :

واقتربنا من هذه القمة المحصنة كما لو كنا تماثيل على مدخل بهو رجل نبيل ، ونظر الينا الأسد من عل وراح يتفحصنا بعينيه بازدراء لعدة دقائق وكأنما يتحدانا بفخر وكبرياء بهيئته الرمادية • وكلما ضربت رصاصاتنا الأرض بالقرب منه شيئا فشيئا ، بدأ يفقد حصافته وتعقله بشكل واضح ، فبدا سخطه جليا من خلال عينيه اللتين تقدحان شررا ، ومن خلال حركة ذيله العصبية ، وزئيره المتزايد ، وسرعان ما تسببت قذيفة من بنادقنا فى كسر ساقه فهوى لكنه عاد ليقف على قوائمه الثلاث الأخرى • لقد هب بطيش مغيظ ، وقد وقف شعر رقبته وشعت عيناه بالغضب والحنق وأصبح ذيله مشدودا يدور فى كل اتجاه ، وعلى أية حال ، فقد كان غير قادر على ملاحقة خيولنا فتراجع أمام نيراننا الكثيفة ، وقد خاب أمله فى موقعه الحصين ، فأمطرناه بوابل آخر من الرصاص ، ومرة أخرى زاد سخطه فاندفع فى السهل بطيش ورعونة وغضب يفوق الوصف ،

وكان الدم يسيل من فكه المتدلى ويصبغ الشعر المحيط برقبته بلون أحمر قان ـ لقد كان اندفاعه هـذا مهمـة نبيلة ، وان كانت هى المهمة الأخيرة فى حياته اذ أصبناه بطلقـة أخـرى مباشرة فهوى بعنف على رأسه وتشقلب شقلبة كاملة وهمد جسده وسط سحابة من الأتربة أثارها بسقوطه ٠

★★★

اكتشاف نوع جديد من الظباء Antelpe والرحيل النهائى من جبال كاشان متجهين الى نهـر الفـال Vaal

لقد زادت قائمة الحيوانات المختلفة حجما ونوعا ، والتى صدناها فى هذه الحملة عن مائة رأس ، وكان أدنى ارتفاع لحيوان صدناه ،هو ثلاث أقدام حتى الكتف ، وكان ارتفاع عدد غير قليل منها يصل الى عشر أقدام واثنتى عشرة قدما ٠ وخلال الأيام القليلة الماضية حصلت على عدة نماذج عينـات رائعة فخمة خاصة من حيوان الكودو Koodoo وحيوان الجمز بوك (مهاة جنوب أفريقيا Gemsbok) الهجين (★) وباستثناء بعض الظباء الأصغر حجما التى لا توجد الا فى اتجاه هذه المنطقة التى زرناها فى وقت لاحق ، فان مجموعتى

(★) جعل لها معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية مقابلا عربيـا اضافيا هو شمواه ووصف الحيوان بانه من الحيوانات المجترة مجوفـة القرنين من الظبـاء ـ (المترجم) ٠

من القرون قد امتدت لتشمل كل نماذج الحيوانات من ذوات الأربع فى جنوب أفريقيا •

اضافة جديدة لفهارس عالم اللبونيات :

ومع كل هذا ما هو أكثر مدعاة للفخر لم يرد ذكره بعد ، فقبل مغادرة هذا الفردوس ، والمسرح الرائع للصيادين ، جللت بحوثي باضافة رائعة حقا لفهرس عالم اللبونات Catalogue of Mammelia .

فقد نزلت ميدان الصيد فى ١٣ ديسمبر ومعى سلاح ثقيل كنت قد حصلت عليه من السيد موفات ــ لأن بندقيتى ذات الماسورتين كان بها خلل ــ وقد نزلت بهذا السلاح الثقيل واعتبرته السهم الأخير الباقى ، وكانت جماعتنا تطارد فيلا جريحا بكل طاقتها ، فجذب انتباهنا قطيع من الظباء السوداء سوادا غير عادى ، كانت ترعى فى الوادى المجاور فتعرفنا عليها عن طريق تليسكوب الجيب من المنحدر الذى نقف فوقه ، فهتفت فجأة قائلا لنفسى ان هذه الظباء جديدة تماما بالنسبة لعلم (الحيوان) وأعلنت عن تصميمي على ملاحقتها ، حتى ولو ذهبت الى نهاية العالم فهبطت المنحدر مشيعا بالسخرية من الهوتنتوت لعدم فهمى لحرفة الصيد ولعدم تمييزى بين الغث والسمين ، وذكرى أن ما لفت نظرى لا يعدو أن يكون ظبيا ، لكننى قلت اننى أفضل اصطياد واحد منها عن اصطياد كل أفيال أفريقيا ، وفى التو ، أصبحت وسط قطيع الظباء هذا الذى كان يعبر الوادى ، كان القطيع مكونا من تسعة لونها أحمر ضارب للصفرة ، واثنين لهما لون أسود فحمى رائع ، وكان لها جميعا قرون مقصوفة، وترجلت وسعدت أن أراقب القطيع على بعد خمسين ياردة

للحظات قليلة · وعلى أية حال ، فقد حاولت عبثا أن أسحب زناد البندقيــة ، فلم يستجب لى فقــد هبطت الآلة المفجــرة kLoc ثلاث مرات بعنف خطر ، ولم يكن يعقب الارتجــاج اطلاق فعلى ، وفى الوقت نفسه كان القطيع يصعد تلا شديد انحــداره ، وركبت حصانى لأتابعــه وأقف عــلى امكانيــة الوصول اليه ناعيا حظى التعس ، فألقيت بسلاحى البغيض الى الأرض ، وأسرعت عائدا لمعســكرى لاصــلاح بندقيتى وبالفعل أصلحتها وامتطيت حصانا جديدا وعدت مع رفاقى الى البقعة التى غادرتها آنفا وتتبعنا آثار أقدام دون جدوى، وفى ظهر اليوم الثالث ــ على أية حال ــ كنا نسير بحذر ــ فكان آخر صبرنا أن وجدنا ذكرين من هذه الظباء يرعيان بمفردهما بأمان ، ولم ينتبها لاقترابنا فى الوادى الصخرى· يا لها من مكافأة ! فتشــاورنا للحظة ، وبدأ الهجــوم فتدلت الساق الخلفية لأجمل الظبيين ، وانطرح الثانى أرضا لكنه استعاد نشاطه ووقف فطاردته زهاء ميل فوق الأحجار الحادة قبل أن أصل اليه ···

عبثا يمكننى أن أصف شعورى وأنا أخوض هذه التجربة فبعد أيام ثلاثة من المطاردة المرهقة والقلق المحموم ، وبعــد أن فقدنا كل أمل فى النجاح ، وجدت نفسى ــ أخيرا ــ أمتلك فعلا ما يعد اضافة ثرية للتاريخ الطبيعى ·· هــذه الجائزة ــ كما هو واضح ــ تنتمى الى مجموعة ايجوكرين Aigocerine وهى مساوية فى منزلتها للبقرة الأسكتلندية Galloway · فقرون هذه الظباء مستوية ومرتفعــة بمقــدار ثلاث أقدام وتنساب برشاقة فى اتجاه الظهر على هيئة هــلال · ويمتــد الشعر المحيط بالعنق (العرف) من الآذان ذات اللون الأحمر المصفر الى منتصف الظهر ، أما الذيل فطويل وينتهى بخصلة

شعر ، وهذه التدرجات اللونيــة الســوداء التى تغطى معظم الجسم تتناقض على نحو جميل مع اللون الأبيض الجليــدى الذى يغطى وجه الحيوان وبطنه • وظننا أننا ــ لن نستطيع أبدا أن نشاهد مثل هذا الحيوان ، كما ظننا أننا لم نستمتع بالتأمل فيه والاعجاب به بما فيه الكفاية ، وبعد تفكير طويل وتأمل كان رأى رفاقى أن « هــذا الظبى الأسود الســمورى سيثير اعجاب العالم » •

ومع ذلك فان الترتيبات التى كان مسئولا عنها السيد أومنمبيت Umnombate كانت تســير من سيىء الى أســوأ اذ كانت تتسم بالتسرع وعــدم الانضــباط ، وقــد رفض المرافقون لنا رفضا قاطعا أن يصاحبونا بضعة أميال أخــرى الى الشرق بأمل أن نصطاد حيوانا أنثى يمثل عينة جديدة • لقد رفضوا أن يسيروا معنا فى أى اتجاه سوى الاتجاه الذى يؤدى لنهر الفال ، وفشلت كل محاولات اغرائهم بالرشاوى وعندما هددنا بارسال مبعوث عاجل للملك تطــوع أندريس بالذهاب كمبعوث ، وكان سعيدا بذلك ، الا أن المرافقين لنا جلسوا وقد قطبوا جباههم وراحوا يدخنون التوباكو بهدوء وعدم اكتراث ، وكان هذا السلوك مغيظا لنا •

طاعــون الماشــية :

وهاجم طاعون الماشية murrain ثيراننا وخيولنا ، وأكثر من هــذا فقد نخر فى عزمنا أن عددا منهــا لم يعــد صالحا لمزيد من العمــل ، لذا فقــد قررنا أنه ما دمنــا قد اســتنفدنا معظم أغراض رحلتنا ، فان علينــا أن نعــود للمستعمرة سالكين طريقا لم يتم استكشافها بعد •

حفــل العــودة :

واستقبل مرافقونا قرارنا هذا بفرح حقيقي ، فقد كان الهوتنتوت مستائين من وضعهم الحــالى وكانوا فى شــوق لرقصاتهم وتجمعهم حول أوانى الطعام ، كما كانوا يحنون لابتسامات أحبائهم الفاتنة • فحتى الأسد بقلبــه الجســور يمكن أن يدرك من خلال منظور باهت طعم النهاية الفاتنــة المريحة لخطر ألم به فى البر أو البحر ، بل ان عابد البقــر بدوره يكون سعيدا بالخروج من أرض لا تلقى فيهــا طبقته التقدير الكافى • والمنظر الوحشى لمعظم الحيوانات الافريقية لم يمنع هــذا التــابع المخلص من المشاركة فى أكل لحومها فقد عانى طويلا من الحرمان أكثر من أى شخص آخــر ، ولم يلتزم بأحكام الصيام فى أحيان كثيرة •

ودون أن نضيع لحظة واحدة أصلح كوبس **Kobus** كمانه (آلة الفيولين) التى كان قد كسرها على رأس أحــد رفاقه وشكلنا حلقــة لشرب الشــاى بالنعنــاع البرى وراح الرفاق يرقصون على نغمــاته المتضــاربة حول نار غجــرية أوقدناها ، وبذلك احتفلنا بنهاية رحلة الصيد •

وفى ظهر يوم ١٥ ديسمبر القينا نظرة الوداع الأخيرة على غابات جبــال كاشان استدرنا بوجوهنا صــوب الجنوب وعبرنا سلسلة صــغيرة من التــلال (تلال وتووترزبرج **Witwatersberg**) التى كانت هى كل ما يفصل بيننا وبين سهول نهر الفيال الشاسعة ، فدخلنا بذلك منطقــة جــديدة تختلف تماما فى طبيعتها عن المنطقة التى كنا فيها • لقــد كانت المياه ــفيما قبل ــ متوفرة • حتى أن جماعتنا كانوا يهملون التحوط فى خزن المياه مما نتج عنــه أننا كنا نقضى

الليل بدون ماء فنظل نبحث عنه في الظلمة على أمل العثور على قليل منه · وقد لاحظنا حيوانا من حيـوانات العلنـده Eland بقرن واحد فأحضرته أنا ورتشاردسون الى قافلتنا فراح الهوتنتوت والزنوج Savages يعبون من دمائه بنهم · ولاننا لم نجد بالمرة أية مواد نعد بها حظيرة للماشية ، التي ظلت قلقة طوال الليل ، فقد اضطررنا لمواصلة رحلتنا قبل الفجر بسـاعتين ، وانزعجت أعـداد كبيرة من حيـوانات التيتـل الأفريقي (الهـرتبيس hartebeests) والـكواغة (الحمير الوحشية من النوع المنتشر في جنـوب أفريقيـا) بسبب تقدمنا وجفلت حيوانات الجنو Gnoo ذوات الذيـول البيضاء · التي نلقاها الآن للمرة الأولى منـذ تجـاوزنا كورومان Kuraman واضـطربت بسبب اقتراب العـربات وراحت ترفع رءوسها الغريبة المنحرفة فجأة كما راحت تجأر وتضرب بأقدامها · ولما طلع النهار تجلت أمامنـا مـروج ممتدة مغطاة بعشب ريان رائع تتخلله زهور متألقة وكانت حيوانات العلندة البدينة تتحرك عبر المسرح الهادىء الخالي من الأشجار · والرائحة النتنة لحيوانات العلندة تشبه الرائحة المنبعثة من الماشية ، ويمكن تبينها من مسافة بعيدة ، ومن الحقائق الغريبة أن أجساد حيوانات العلندة عامرة بالذباب الطفيلي والقراد التي يشيع وجودها في هذه الأنحاء ·

الطعـام الشهي :

وبينما كنا نلاحق قطيعـا من عـدة مئات من حيـوان العلنـدة كان يشـبه كثيرا الثيران المعلـوفة Stall-fed oxen ـ اندمجنا في مطاردة حمار وحشي راح يصهل ويقفز فرحا الى جوار خيولنا لفترة طويلة قبل أن يكتشف خطأه وراحت

الأبقار الخفيف وزنها تقفز برشاقة على رءوس بعضها وكانت جوانبهــا الملساء ممتلئة دهنــا وكانت تنز عرقا • وكانت دقيقتان كافيتين لاجبــارها جميعا عــلى المسـير ، ورغم أن بعضها قد استدار بيأس نحو ملاحقيها ، فان هذه الكائنــات الهائلة كانت تميل الى أن القطيع كله لابد أن ينحر معــا • ان لحومها كانت رائعة وتفوق لحوم أى حيوان آخر • لقـــد كنا دائما نبحث عنها بشغف ، وفى هذه المناسبة فقد قتلنــا عددا كافيا لتمليح ألسنتها وصـدورها لتكفينــا فى الفترة القــادمة من الرحلة التى قد لا يتــوفر فيها عــدد كاف من الطرائد • وتركنا بقية أجساد هذه الحيوانات طعاما للنسور ووضعنا طعامنا الشهى فوق خيولنا النحيلة والتحقنا بالقافلة Cafila بعد الظهر • ولأننا كنا قلقين لحاجتنا للماء فقد فرحنا فرحا غير قليل عندما وصلنا لمجرى شونا پاس Chonepas (نبــع ونـدر فــونتين wonderfontein) العميق حيث وجدنا الماء يجرى مقرقرا وكان به عدد من أفــراس النهــر hippopotomi ، لقــد كان هــذا المجرى يجرى متمعجا بين نباتات البامبو التى يبــدو وكأنهــا تحتضنه • وكان بعض رجالنا مشغولين فى عمل حبال سحب من جلد جاموسة برية استعدادا للمرحلة القادمة من الرحلة ، بينما ذهب آخــرون لجلب خشب الوقود • وعلى أية حال فانهــم لم يجــدوا غصنا واحدا يابسا فى المنطقة فوجدنا أنه من الضرورى أن نكسر واحدا من صناديقنا لاستخدام خشبه كوقود لغلى الماء واعداد بعض اللحوم • وكان البدائيون Savages يظهرون دائما كراهية غريزية للكائنات المائيــة the finny tribe (المعنى غير واضح) (★) فقــد كانوا يفرون برعب اذا ظهرت احــدى

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم •

الكائنات المائية ، وقد قام أندريس هنـا بدعابة عمليـة لم يكن هذا وقتها مع مافوك Maphook ، فقفز البدائى كالنمر على ظهره وطرحه أرضا وقبض عليه بغلظة حتى أن بطلنـا الساقط (الذى سقط أرضا) راح يلتمس العفو والرحمة .

واقترب نهر الفال :

ومن موقعنا هذا لم يعد باقيا للوصـول الى نهـر الفال سـوى يومان فقط فى اتجاه الجنـوب كمـا قرر مرشدونا ، فسلسلة الجبال التى ينبع منها غدت عـلى مدى الرؤية فى اتجاه الجنوب الشرقى وان كانت غـير واضـحة لنـواظرنا تماما . وحدث المرشدون بعد أن أعلمونا بالمسافة الباقيـة أمامنا ــ عن عزمهم العودة سريعا الى الملك وطلبـوا بوقاحة البندقية لتقديمها له كما طلبوا أجـرا عـلى خدماتهـم ولما اعترضـنا بأننـا الآن فى منطقة يكثر فيهـا المهـاجرون والمنتقلون من منطقة لأخرى أصروا على عدم التقـدم معنـا أكثر من ذلك أو أن يقهروا الرعب الـكامن فى نفوسـهم من أعدائهم الهولنـديين . ان المعرفة الوثيقة بالميـل الفطرى للبدائيين Savages للكذب بالاضافة لظروف أخرى اقتنعنا بأن المظهر غير العادى لروث الغنم الذى أشاروا اليه كحجـة لتدعيم اصرارهم كان يحدث مثله أثناء عودة كاليبى Kalipi بغنيمته . وعلى هذا فقد اقتنعنا بأنه ليس لديهم ما يخشونه بالاضافة الى اطمئناننا على سلامتنا الشخصية ، ومن ثم فقد رفضنا طلبهم فتظاهروا بغطرسة وعجرفة لا حد لهما ، وفى خاتمة المطاف هددونا بهجوم وشيك من الماتابيلى Matabili القريبين اذا ما ظللنا ممسكين عن تقديم الهدايا لهم .

وكان لدينا بعض الشك فى حقيقة هدف زيارة أومنمبيت Um Nombate ، وبعد هذا التهديد شعرنا بالشك فى مدى

ما يمكن أن يفعله المرشدون باسم تعليمات الملك رغم أنه لم يكن لدينا ما نستند عليه للتشكك في حسن نواياه (نوايا الملك) الا أن هؤلاء المرشدين يمكنهم أن يعوقونا عن التقدم. فكان علينا أن نحتاط وفكرنا فى قتل الأوغاد فى الموقع نفسه ولكن بعد تفكير مترو قررنا اتخاذ احتياطات ضد مفاجآت الليل ، لنرى ما اذا كان النهار سيطلع وهم فى مزاج أفضل أم لا ، وعلى هذا فقد أخرجنا الذخيرة وحددنا موقعا لكل واحد منا لدرء أى هجوم وتم تثبيت الخيول الى عرباتنا مخافة أن يقفز الهوتنتوت ضعاف الأعصاب فوق ظهورها وينطلقوا هاربين عند ظهور أول بوادر للخطر . ولما تمت هذه الاستعدادات قبل الذهاب للنوم ، تم اختيار ايثالدر Etholdur لتنفيذ الجانب المهم من الخطة بأن يكون بمثابة الحارس اليقظ مثل سيربيروس Cerberus (★) على أن يتطوع لمساعدته قلب الأسد Coeur de lion الذى أعلن أنه لا يستطيع اغماض عينيه ، فصاح ايثالدر ــ والبايب pipe فى فمه ــ بروح جسورة : « ألم أقل لكم ان رقابنا جميعا ستقطع بمجرد اقترابنا من نهر الفال » وتركتنا الحامية وتخلى عنا المرشدون ووصلنا لنهر الفال .

استيقظنا بمجرد ظهور نجمة الفجر فى الأفق الشرقى ، ولاحظت أربعة من حيوانات العلندة تقف على بعد ياردات قليلة من المعسكر . ولم يتبينها الحراس الذين كانت عيونهم ــ مع هذا ــ مفتوحة عن آخرها .

وسرعان ما صدرت التوجيهات بربط الثيران الى العربات وبدأ المرشدون فى حزم بضائعهم ومتعلقاتهم استعدادا

(★) كلب ذو ثلاثة رءوس ورد ذكره فى الميثولوجيا اليونانية على أنه حارس باب الجحيم ــ (المترجم) .

لعودتهم للملك ، ولما رأينا استحالة حثهم على مواصلة الطريق معنا وكذلك خطورة منع المكافآت عنهم تعرفنا بحكم الضرورة وحاولنا استرضاءهم بأن آهدينا لكل واحد منهم غطاء رأس صوفى أحمر يضع فيه رأسه ليلا اتقاء البرد ، وبدلة اوربية كاملة بالاضافة لبعض الخرز ، ولم يتبق سوى لفة سلك نحاسية وعلبة ثقاب (كبريت) وبعض الشموع ، وكلها أيضا تم تقديمها كهدية وداع لجلالته ، ورغبتنا فى ارسال خطاب مجاملة لجلالته نعبر فيها عن أسفنا لأننا لا ندرى الوسائل التى نرسل بها البندقية له من نهر الفال • وقابل البدائيون Savages هدايانا بازدراء قائلين ان مثل هذه التفاهات ليست مقابلا معقولا لخدماتهم الطويلة ، وتظاهروا فى الوقت نفسه بأنهم على وشك العودة • وعلى أية حال فبعد أن تشاوروا معا تقاسموا بعناية حبات الخرز وعلق الواحد منهم لفة السلك النحاس حول رقبته ووضعوا دروعهم وما يخصهم فوق رءوسهم ورحلوا غاضبين ، صرح موهانيكوم Mohanycom وقد فتح فكيه الشبيهين بفكى سمكة القرش المفترسة آن صاحب الجلالة سيكون قلبه آسفا بمجرد تلقيه هذه الهدايا التافهة •

النجاة •• النجاة :

وتابعنا طريقنا بلا مترجم ولا دليل ولا حامية فى برية مجهولة تشهد صراعا دمويا بين أطراف متقاتلة ، لقد تخلى الملك عن مجموعتنا الصغيرة الآن في موقع لا نحسد عليه بعد آن كان قد وعدنا بتقديم دليل حتى نهاية حدود مملكته ، الا أن جلالته لم يعتبر من الضرورى أن يرافقنا الأدلاء الى قرب مناطق الخروج • اننا الآن قد فقدنا كل وسائل الاتصال مع جنوده فاذا ما التقينا بهم كان أقل الشرور احتمالا هو أن

يعودوا بنا الى كابين Kapain أضف الى هذا احتمال أن تضايقنا الحامية الخائنة التى تخلت عنا عائدة للملك ، لكل هذا كان واضحا لنا أن أفضل طريق للنجاة بأنفسنا هو أن نسرع بالخروج من حدود مملكة موسيليكاتسى .

لقد كان الماتابيلى يتراجعون سريعا فى صف واحد فى اتجاه الأفق الشمالى فى الوقت الذى كنا نحن نتراجع فى اتجاه الجنوب ، وعبرنا النهر مستخدمين ممرا طبيعيا يشكل شلالا صغيرا ، وقد هدد هذا الممر طريقنا على طول الشاطىء .. ورأينا قطعانا من العلندة ترعى فى المروج الخضر وكأنها قطعان ماشية أليفة وكانت تجرى أمامنا . وكان المجرى الفضى المتمعج لشوناباس Chonapas وقد أعطته الأعشاب المائية لون قوس قزح ، وقد أقنعنا الاتجاه الذى يتخذه هذا النهر أنه لابد أن يكون أحد روافد النهر الذى نود الوصول اليه (نهر الفال) ، وقد صممنا ـ بالتزامنا للشاطىء ـ أن نتجنب أن نقضى الليل بدون ماء وأن نتحاشى بقدر الامكان أن نقع فى أية مشاكل أو صعوبات ومن ثم فقد صدرت الأوامر بنظام جديد للمسير يقضى بأن تكون الثيران والخراف والخيول سائرة بحذاء العربات غير بعيد عنها ، بحيث يشكل مسيرنا كتلة واحدة ، وأن نسير فى مجموعات أو متفرقين كما كان الحال قبل ذلك .

وسرنا حوالى عشرة أميال على هذا النحو ثم ظهر لنا على البعد شبح آدميين معهما عدد من الكلاب ، واختفيا ـ بمجرد أن أدركا وجودنا ـ بين الأشجار ، وعندما اقتربنا فرا بذعر شديد وجلسا مكتئبين وكأنما فقدا كل أمل فى النجاة حتى وصلت خيولنا بالفعل اليهما ، ولم يكونا يتوقعان منا شيئا الا أن نقتلهما على الفور ، لذا لم تكن دهشة هذين البائسين

قليلة عندما فوجئنا بأننا نقدم لهما التوباكو وندعوهما لركوب العربات حيث رحبنا بهما بحرارة ومع هذا فقد كانا قلقين من اصطحابنا حتى أنهما لم يستطيعا الخطو ، وعرفنا أنهما من قبيلة (شعب) البارابوتسا Barepootsa التى يحكمها ملك مستقل هو بابوتسا Bapootsa وتشغل هذه القبيلة (الشعب) التلال الكائنة عند رأس نهر ليوكا Likwa الذى لا يمكن أن نصل اليه كما أكدا لنا قبل ليل اليوم التالى

التقاليع فى أفريقيا قصر على الرجال :

وطبقا للنزوات الأفريقية التى تبدو قصرا على الرجال دون النساء ، فقد كان كل واحد من هذين الرجلين مزودا بنبوت طويل مزين بريش نعام أسود يقوم بدور المظلة فيحميهما من الشمس كما يستخدم أحيانا فى مطاردة الطرائد ، بالاضافة الى استخدامه فى تضليل الأسد اذ يقذفه الواحد منهم بعيدا ليراه الأسدالجريح فيجرى نحوه ، فيبعدونه بذلك عن الشخص الذى قذفه وبذلك يصرفون الأسد عن وجهته الصحيحة مما يمكن بقية المجموعة من الهرب وهم يقذفونه (أى الأسد) فى الوقت نفسه بمزيد من السهام .

وعند الغروب توقفنا عن التقدم بسبب انغراز عربة التحميل فى مستنقع ، وكان ذلك بعد أن تخلينا عن اثنين من الثيران المريضة وبعد أن كنا قد قطعنا خمسة وعشرين ميلا ، وأخيرا استطعنا اخراج العربة من المستنقع ودفع ضريبة ذلك اثنان من حيوانات العلندة كانا يرعيان فى المنطقة المجاورة بأن قتلناهما وجعلنا من جلودهما حبال سحب ، وسحبنا العربة بقوة واستخدمنا حجرا كان جزءا من جدار حظيرة ماشية كما دعمنا مؤخرة العربة بكومة أتربة ، وقد تنبأ أندريس ببعض المصاعب أما قلب الأسد فقد طرح نفسه

فوق قمة ناتئة وظل ساهرا للمراقبة طوال الليل الذى غمر نور القمر المتألق نصفه الأول ٠

وبدأنا مسيرا نشطا قبل شروق الصباح فى التاسع عشر من الشهر وظللنا متخذين مسارا محاذيا لنهر شوناباس chonapus ، واتجهت مارة بنا قطعان من الجاموس البرى فى طريقها خارجة من النهر ، كما مر بنا أسند كان رافعا ذيله ويتابع باهتمام مجموعة من حيوانات الجنو Gnoo التى تجول بالمكان ٠ ليس فى أى مكان آخر فى العالم ما هو أكثر في اشكال الحيوانات مما عليه الحال فى أفريقيا ، وليس هناك ما هو أكثر غموضا من سر توزيعها ومعرفة الأسباب الغامضة التى تؤثر فى ذلك والتى تعد بدورها من الأمور المربكة فى فهم البناء الهائل للمخلوقات ٠ ففى خلال الأيام الثلاثة الأخيرة تخلت حيوانات الجنو Gnoo الرمادية والموشحة جلودها بخطوط داكنة ــ فجأة عن الأرض لتشغلها حيوانات أخرى ذوات ذيول بيضاء وظلت هذه الحيوانات هى السائدة بقية أيام رحلتنا ٠

الحادث الخطير :

وبينما كنا نصطاد الحيوان المتوحش ــ كما يسمى مستوطنو مستعمرة الرأس هذا النوع الأخير ــ اعترى حذائى تمزق ولأتحاشى السير حافيا وهو أمر غير مقبول اضطررت للبس حذاء من جلد خام غير مدبوغ وقد تعقد رباط هذا الحذاء فاشتبك فى ركاب الحصان فى الوقت الذى كانت يداى مشغولتين ولا أستطيع استخدامهما ، وبينما أحاول تخليص نفسى بالقفز من فوق الحصان سقطت على ظهرى ، وفى اللحظة نفسها كان الحيوان الجريح يجأر بصوت عال

ويكافح للنهوض ، وجفل حصانى ، وقبل أن أستطيع تخليص نفسى ركلنى بقسوة فى ركبتى وكاحلى وانطلق فسحبنى مسافة طويلة فوق الأحجار غير الثابتة فأدى ذلك الى تمزق كل ملابسى وسلخ جزء كبير من جلد ظهرى ٠

وتمكنا من قطع خمسة وعشرين ميلا أخرى قبل الساعة الرابعة عصرا مع أننا كنا قد فقدنا ثورا آخر وكان ذلك بفضل الحبال الرفيعة والسيور الجلدية المزدوجة التى رحنا نستحث بها الدواب بلا رحمة ولا شفقة ٠ سلسلة الجبال الزرقاء أصبحت الآن عن شمائلنا وأصبحنا نتقدم على صدر سهل منبسط كما لو كنا نركب سفينة فى محيط ، فلم يكن فى السهل طرق محددة واضحة ، وأخيرا رأينا أمامنا على البعد صفوفا طويلة من الأشجار تمتد موازية للأفق ٠ لقد كانت هذه الأشجار تحف النهر الذى نبغي الوصول اليه ، وانفجرت صيحات الفرح من أفواه الهوتنتوت وخرجوا من صناديق العربة التى كانوا قابعين فيها يحملقون وفرقعوا بكرابيجهم (آسواطهم) بطاقة وحيوية ، وراحت الثيران الصبورة تجرى خببا ، فالهدف الذى نسعى للوصول اليه أصبح أمام كل العيون جيا واضحا يتحدد شيئا فشيئا، وسرعان ما زاد عرض المجرى الذى كان بمثابة دليل لنا ، وعندما اختفت الشمس وراء الأفق كنا نقف على ضفاف نهر الفال ٠

★★★

رحلــــــة

لويس تريشــــاردت

LOUIS TRICHARDT

منحــدر دراكنزبرج

ولد لويس تريشاردت سنة ١٧٨٣م ، وعندما كان فى الثانية عشرة من عمره تمرد ابوه ضد شركة الهند الشرقية الهولندية · واعتبره الانجليز بعد احتلال الكاب خارجا على القانون ، لكنه انتهز فرصة العفو العام الذى اعلنته جمهورية بتافيا Batavian Repblic وعاد هو واسرته الى المستعمرة · وفى سنة ١٨٢٩م ارسل ابنه الاكبر لينشيء مزرعة وراء الحدود الشرقية وانتقل هو نفسه اليها سنة ١٨٣٣م ، وهاجر من هناك بعد ذلك بعامين وكان بصحبته اطفاله : كارلوس وبطرس ولويس وجريماس وابنته آنا Anna ، وصحبه ايضا احفاده ، ودانيل بيفر Piffer وهو ناظر مدرسة كبير السن ، وصحبه ايضا البو Albough واطفاله الملونون ، وعدد اخر من المرافقين والخدم · وعند نهر الاورانج انضمت اليه اربع اسر ، وعند نهر الفال انضمت اليه اسر اخرى وبمرور الوقت انقسمت المجموعة المهاجرة ، فواصلت شعبة منها الرحيل تحت قيادة جينس فان رينسبرج Van Rensburg Janes وعند زوتبانزبرج Zoutpansberg انفصلت المجموعات المرتحلة ، فمجموعة رينسبرج اتجهت شرقا ولاقت حتفها على يد اهل البلاد ، وبعد بحث تاكد ان هذه المجموعة (مجموعة رينسبرج) قد لاقت حتفها ، فكتب تريشاردت للبرتغاليين فى خليج دلجوا Delagoe يسالهم النصيحة ، فوصل جنديان من اهل البلاد ليرافقا تشاردت ومجموعته الى الخليج ، وفى اغسطس ١٨٣٧ م غادروا : زوتبانزبرج Zoutpansberg .

والنص التالى الذى يصف منحدر دراكنزبرج الذى يبعد حوالى ٦٤ ميلا الى الشمال من ليدنبرج Lydenberg الحالية ــ ترجمه السيد س· ج· برنارد Barnard عن كتاب :

Dagboek Van Louis Trichardt (1936-1938)
والذى حرره ج. س. بريلر Preller ونشرته المطبعة الوطنية فى الكاب سنة ١٩٣٨ م . ويمكن لمن يريد التعرف على الأماكن الواردة فى الرحلة ان يرجع لكتاب فلر C. Fuller المنشور فى مدينة الكاب سنة ١٩٣٢ م بعنوان :
Louis Trigardt's Trek across the Drakensberg, 1837-1838.

★★★

الخميس ٧ ديسمبر ١٨٣٧م :

أكملنا طريقنا وقررنا أن نحضر العربات فى غضون يومين . . .

الجمعة ٨ ديسمبر :

غمر الضباب الكثيف الجبل طوال النهار فلم نستطع عمل شيء للعربة ، وأمطرت الدنيا ليلا .

السبت ٩ ديسمبر :

استمر المطر والضباب حتى بعد الظهر ، وحاولنا الهبوط بعربة التحميل الخاصة بى من الجبل ، وسارت الأمور أفضل مما كنا نتوقع ، فقد نزعنا العجلات الخلفية ووضعنا فرع شجرة تحت المحور axle-tree حتى لا ينكسر المسمار الملولب (المسمار المصومل أو المسمار ذو الصامولة) أو ينثنى ، ففى الجبل صعودا كان علينا أن نضع فوقه (فوق هذا الصعود) العجلات .. لقد أردنا أن نسحب العربة لكنها كانت ثقيلة جدا وانثنت عند حجر كبير . وتركنا العربة ..

الاثنين ١١ ديسمبر :

كان علينا أن نسحب العربة الى أسفل خلال فترة الصباح لكننا فقدنا أحد الثيران وقلت انه كان يوجد عدد كبير من

الماشية لويلم Willem وسألت لماذا لم يرسل بوتا Botha أحد أطفاله · ان علينا الآن أن نتأخر يوما آخر وسحبنا العربة الى الممر ، وقام بهذه العملية بيتا وديدرك ، ثم أنزلنا عربة التحميل ···

الثلاثاء ١٢ ديسمبر :

كان الطقس غير مستقر طوال اليوم فلم نستطع أن ننجز شيئا ، وأرسلت الخراف مع بيتا واحتفظت بالحملان هناك في انتظار تحسن الجو لكن الجو لم يتحسن حتى المساء · ولم يكن في امكاني أن أترك الخراف ترعى لأن الضباب جعل المساء مظلما ظلمة حالكة ···

الأربعاء ١٣ ديسمبر :

أنزلت الحملان لكن عددا كبيرا منها (حوالى ثلاثين) كان مرهقا تماما فأخبرت بيتا Pieta أنني قد أعود للعربات لأن جريمياس وآني Anné كانا يعانيان من الحمى ، وأن كورنيليا Cornelia التي لديها طفلان صغيران لا يمكن أن تعمل كل شيء بمفردها ، وطلبت من ويلم Willem أن يحضر الماشية أيضا ، وكانت الخيول مفقودة منذ الأمس ···

الخميس ١٤ ديسمبر :

أنزل ويلم الماشية لبيتا · نهض كارلوس · وجد ويلم الخيول ، لكننا مازلنا نفتقد حصانين ، وكان على ويلم أن يبحث عنهما في اليوم الثاني ·

الجمعة ١٥ ديسمبر :

أثناء فترة ما بعد الظهيرة أنزلنا عربة كارلوس بعد أن عانينا فى سبيل ذلك صعوبات كثيرة ، فأثناء الهبوط كان علينا أن نضع العجل (نثبته ثم ننزعه مرة أخرى) ، وكان الممر ضيقا جدا حتى أنه لم يكن هناك موضع للوقوف ٠٠٠ ولحسن الحظ فان العربة كانت فى الشاطىء الأول first bank (؟) حيث كان وجودها هناك ضروريا لنا ٠٠ كان الطقس جيدا خلال النهار ، لكن المساء شهد تجمع السحب وخيم الضباب فوق الجبل ، وبدأ المطر يهطل ٠٠

السبت ١٦ ديسمبر :

كان المناخ كريها فى فترة الصباح فلم يمكننا من انجاز شىء ٠ وحصلنا على أفرع أشجار وجعلناها جاهزة لاحدى العربات وعزمنا على سحبها الى أسفل الجبل بمجرد تحسن الجو وانتعاشه ولو قليلا الا أننا وجدنا أن حالة الطقس لم تتغير وها هو المساء قد اقترب فرحنا نقطع بالفأس أكبر عدد من الأفرع اللازمة للعربات ٠

الأحد ١٧ ديسمبر :

سحب بوتا عددا من الأفرع ، ولكننى قلت بشكل قاطع اننا نحب أن نعرف أيام الآحاد ٠

الاثنين ١٨ ديسمبر :

أمنا أفرع أشجار للعربات ، وانتهينا من العمل مساء ٠

الثلاثاء ١٩ ديسمبر :

آنزلنا عربة بيتا Pieta وعربتى ٠ وسارت الأمور

سيرا حسنا ، لكن عربتى ــ نظرا لثقلها ، فقد كانت تحمل أشياء ثقيلة كالأدوات الحديدية والبارود والرصاص ــ اصطدمت بنتوء حجرى لذا فلم نستطع الرحيل قبل حلول الظلام • وهطل المطر ليلا واستمر يهطل فى اليوم التالى ، وانطلقت لا ألوى على شىء لأتأكد مما اذا كانت بضائعنا قد أصابها التلف • لقد كان كيس البارود محاطا بالجلد فلم يصل اليه الماء فأحكمت غطاءه مرة أخرى حتى لا يتسرب اليه الماء ، لكننا اضطررنا لتركه هناك طوال النهار •••

الخميس ٢١ ديسمبر :

كان الضباب يغلف الجبل بغلاف كثيف، وكانت الأرض مبتلة جدا حتى آتنا اضطررنا للانتظار بعرباتنا حتى فترة ما بعد الظهر ، فأنزلت جرافتى وعربة بوتا لكن كان علينا أن نترك عربة السيدة شيبر على بعد أسفل الجبل لأن الظلام كان قد هبط بالفعل •••

الأحد ٢٤ ديسمبر :

ذهب أطفال بوتا والسيدة شيبرز الى الكافير ليقايضوا ويحصلوا على الذرة واللحم وكذلك فعل الأولاد الذين تتبناهم البانج Albagh's Bastards واسحاق استريجدوم Srigdom

الاثنين ٢٥ ديسمبر :

عندما نهضنا فى الصباح وجدنا أن اسحاق xxxxx الباغ وكوتجى ابن السيدة شيبرز وفريدريك ابن بوتا قد فقدوا • وقال ألباغ ان ابنه اسحاق قد أخذ بندقيته وكل البارود الخاص به وكذلك الطلقات ، وقالت السيدة شيبرز

ان ابنها كوتجى قد أخذ أيضا بندقية وحزام الطلقات وقرن البارود • أما بندقيتى فلم أجدها اذ أخذها كارلوس Carlus الذى كان قد كلفنى مائة ركسدولار rixdollars . لقد نقلوا كل البارود والرصاص الخاص بالجنديين • وأخذوا من دانيل بيفيفر Pfeffer لفافة من التوباكو ، ونصف لفة وقميصا ومعطفا وغزلا قطنيا وابرا وحلقة غزل وسكينا • وافتقدنا بعض الطلقات من حزام الرصاص ، قال اسحاق ستريجدوم Strijdom أنهم أيقظوه أثناء الليل وطلبوا منه أن يصحبهم لكنه لم يعرف أنهم كانوا يقصدون الهرب • وبعد برهة خرج بوتا فى اثرهم ، واقترحت أن يصحبه كارلوس Carolus لاننى كنت خائفا أن يسرقوا الخيول من بيتا Pieta ، وانخرط كارلوس فى حديث عاصف عن فقد البندقية فنصحته أن يقلل من حديثه عنها وأن الأفضل هو البحث عنها ، وهدد بقطع اذن المتهم ثم يطلق النار عليهم جميعا فوجدت أنه من الأفضل أن أذهب بنفسى ، فانطلقت وتبعنى كارلوس وأخذت اسحاق ستريجدوم معى •

وأخيرا رأينا الخيول فقال ستريجدوم انه رأى شخصا ما بالقرب منها • وبعد برهة هبطنا الجبل • لقد كانت الخيول فى موضعها حيث هى ، وعندما قابلنا بيتا Pieta أخبرته باختصار عن الوضع وطلبت منه أن يرسل من يحضر الخيول • وأخبرت كارلوس أن يخرج مع بوتا للقضاء عليهم ولكنه لم يبد ميلا كثيرا لذلك وأطلق سيلا من الذم والطعن فى أن يتبعهم وهو مرهق وفى الوقت نفسه هدد باطلاق النار عليهم جميعا • فقلت انه فى مثل هذه الأحوال فان عليه أن يمكث هنا ولا يتحرك لأننى لاحظت أن بوتا العجوز كان حزينا بمرارة بسبب الحكم الذى أصدره من هو أصغر منه سنا ،

ورفض أن يتقـدم خطـوة واحدة مع كارلوس فعرضت أن أصحبه بنفسي وطلبت من كارلوس أن يبقى ، فقال كارلوس مرة أخرى انه سيقطع أذن الجاني ثم يطلق عليـه النـار ، فقال بوتا انه سيطلق الرصاص مع كارلوس اذا قتل ابنه . وطلبت من بوتا أن يأتي معى ، فلم يفعـل الرجل العجـوز شيئا سوى أن بكى .

وبعد أن سرنا قرابة الربع سـاعة ، رأيت آثار أقدام بدا لهم أنها آثارهم فاندفعنا في اتجاه النهر آملين أن نصله قبلهم ، وبعد فترة وجدنا ان آثار الأقدام كانت في الحقيقة هي آثارهم وأنهم يسبقوننا ، فتبعناهم مسافة طويلة لكننـا تأكدنا أن جهودنا غير مثمرة ، فقـد لاحظ بوتا اننـا لم نتجاوزهم وأننا لازلنا وراءهم ، وأنهم يتقدمون بسرعة أكبر من السرعة التي نلاحق نحن بها آثار أقدامهم . واقترح أن نتابعهم فوق ظهور الخيول ، فتركته يتخذ طريقه آملا أن أساعد بقدر الطاقة في تصحيح الأمور ومعالجتها . وعنـد عودتنا قدم له كارلوس حصانه فقلت انه يمكنه أن يأخـذ حصاني ليركبه ديدرك Diederik لكنني أضفت أنه يجب أن يطلب أيضا حصان الباغ وحصانين آخرين متاحين وأن الأمور يجب أن تسير بشكل طيب ، كان حصاني لا يستطيع حملي لفرط ارهاقه ، ومن ثم فقد كان على أن أصحبهم بأي وسيلة أخرى فطلبت من البـاغ أن أركب حصـانه بدلا من حصاني ، وأن يعتني بهما معا لكن راح يلتمس كل الأعذار قائلا ان حصـانه هـذا هـو في الحقيقة ملك للو Louw وأنه مازال حصانا صغيرا (مهرا) ، فقلت له كيف يكـون مهرا وهو في عامه الرابع ! . وعندئذ قدم لي بيتا فرسـه ، وكان بوتا مستعدا للذهاب معى . ولكن بعد أن فكرنا في

الأمر برهة قال انه يتوقع أن نواجه صعوبات في ملاحقتهم مع الشاب ديدريك Diedrick • فقلت انه اذا كان لدى خيول لواصلت مطاردتهم حتى ولو كنت وحيدا ولعلمتهم واجبهم أو قضيت عليهم وسجنتهم ، فقال انه يعتقد أنه لو ذهب يطاردهم بحصانه فان ابن (القحبة) bastard سينصب له شركا وقد يطلق عليه النار ليستولى على الحصان ، أما اذا كانت الملاحقة سيرا على الأقدام فلن نلحق بهم • فقلت ان المحاولة اذا كانت منضبطة فمن السهل أن نعثر عليهم لكن كل ما أخشاه أن يحدث حادث سيىء لزملائنا وممتلكاتنا أثناء غيابنا •••

الجمعة ٢٩ ديسمبر :

وصل بيتا للعربات ومعه الماشية • وعندما اقترب من العربات هابطا المنحدر انضم اليه ثلاثة من الهاربين : اسحق، الباغ الصغير وكوتجي سيبرز وفريدريك بوتا •

وعندما وصلوا للعربة سألناهم عن سبب ما فعلوه ، فقالوا انهم كانوا يريدون العودة لأرضنا السابقة ، لكن عندما ابتعدوا مسافة ثلاثة أيام بدأ فريدريك يندم • ويتراجع •• وفى اليوم الرابع قال انه يريد العودة لوالديه وظل يبكى ويصرخ طوال الليل ، فأشفق عليه ألباغ ومن ثم عدنا للعربات • ورفض كوتجي فى بداية الأمر ثم تبعنا • وقد اصطادا ظبيا أحمر ودجاجة برية • واستعدنا كل ما أخذوه أو سرقوه باستثناء ست وثلاثين طلقة تخص أنطوانى (وفقد أيضا بعض البارود الخاص بهذه الطلقات) ولم نستعد أيضا لجاما خاصا بألباغ العجوز ، وأربطة للثيران خاصة بكارلوس •

وسألنى ألباغ ماذا يمكن أن أقترح لعقاب ابنه ، فقلت انهم ما داموا قد عادوا وأعادوا تقريبا كل ما أخذوه أو سرقوه فاننى أقترح أن نسامحهم هذه المرة ، فقالت السيدة شيبرز انها لن تكون راضية الا اذا ضرب ابنها عدة جلدات ، استدعت كارلوس وعددا قليلا فأوثقوه وجلدوه بسير جلدى مزدوج • فعل ألباغ الشيء نفسه مع ابنه ، وكذلك عاقب بوتا ابنه • وضرب كارلوس ابن الباغ فوق عينه بقبضة يده فسببت اللكمة جرحا داميا • وسألته لم فعل هذا ، فأجابنى بأن « ابن القحبة Bastard » يبدو متغطرسا فأكدت عليه أن يترك عقابه لوالديه فكل أب أقدر على معاقبة ابنه بالطريقة المناسبة • وبعد الجلد عفونا عنهم جميعا هذه المرة •

الأربعاء ١٠ يناير ١٨٣٨م :

كان الضباب مخيما على الجبال فى فترة الصباح ، فقلت لبيتا انه من الأفضل أن نواصل بعرباتنا فاحتمال هطول المطر مساء أمر وارد ، ولما أنزلنا خمس عربات بدأت السماء تمطر ، وكان الممر زلقا جدا فخشينا انزال العربتين المتبقيتين ، لذا فقد تخلف ألباغ العجوز وستريجدوم • وفى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر عاد أنطوانى من عند الماشية فسألته عما اذا كانت كلها بحالة جيدة ، فقال ما عدا خروفا من خرفان الباغ اذ أكله نمر أثناء الليل وأضاف أن العجل الذى فقد قبل ذلك لم يعثر له حتى الآن على أثر ••

السبت ١٣ يناير ١٨٣٨م :

أنزلنا العربتين المتبقيتين من فوق الجبل ، واستفدنا فى بقية وقت النهار فى تجميع كل العربات معا والصعود بها (رفعها) فوق مستوى الشلال •••

الأحد ١٤ يناير :

وساعدنا الشلال فى نقل العربات وكونا مخاضة فلم يكن تكوينها يستلزم جهدا كبيرا • فلما عبرناها تساءلنا أى طريق نسلك ؟ الطريق الذى أوجده جان أو الطريق الذى نحن عليه الآن ؟! فاذا سلكنا طريق جان كان علينا أن نقطع مسافة يومين قبل أن نصل الى السفح ، واذا سلكنا الطريق الذى نحن عليه الآن كان المسير صعبا وان كان المنحدر قصيرا موجزا • وفكرنا طويلا فى الأمر ، وذهبنا لنتفحص طريقنا • لقد كان فى بدايته صعبا للغاية ، وأخيرا قررنا أن نشق طريقا خلال البوسكلوف Boskloof

السبت ٢٠ يناير :

كنت مع بوتا ومعنا الماشية وقبل أن نصل بها الى المروج (الفلد) أرسل لى الزعيم المحلى the Chief بعض رجاله يطلبون أن أرسل له ساكانا Sakenna ليخبره بأمر ما ، فقلت لمبعوثى الزعيم اننى سأرسل ساكانا على أن يعود معه الزعيم ليخبرنى شخصيا بالأمر ، وسرعان ما أتى وذكر أن بعض أفراد قبيلته (شعبه) قد رأوا آثار أقدام حوالى مائة رجل ، وبينما هو يتكلم أقبل أخوه حاملا أخبارا مؤداها أن هؤلاء الناس قد ناموا أثناء الليل فى مسكن خاو لأحد أفراد قبيلة الزعيم وأنهم رحلوا مبكرين الى المنطقة التى كانت الماشية ترعى فيها كل يوم بقصد قتل الحراس وسرقة الماشية ، فسألتهم من أى قبيلة هم فقالوا ان زعيمهم يعيش فى اتجاه مازوو Masouw ، فقلت له عن طريق أنطونى أن يخبر هؤلاء الناس أنه فى امكانهم أن يأتوا ويمتلكوا ماشيتى ، وأضاف الزعيم قائلا اننا يجب أن نأخذ حذرنا ليلا لأنهم قد

يسرقوننا ، فأخذت بندقيتى وتسلح كذلك جوستاف وجيريمى وأنطوانى أيضا وصحبونى · وأخبرت بيتا ديدريك بما يتربص بنا من تهديد · وفى المساء وضعت الحراس حول الماشية فى المواضع التى توقعت أن يقتحمها اللصوص ·

كان بيتا وأنطوانى أول من لاحظا جلية الأمر ، ففى حوالى الساعة العاشرة هاجموا الماشية فأطلق بيتا وأنطونى النار ، فجرى المهاجمون بأقصى سرعتهم · وفى التو اتخذنا جميعا أهبة الاستعداد ، ولما سألتهما عن عدد المهاجمين ، قال بيتا انه رأى اثنين ، وقال أنطونى انه رأى ثلاثة ···

الأحد ٢١ يناير :

··· فى الصباح ذهبنا لنستطلع شيئا مما خلفوه فوجدنا درعا جلديا قذفه أحدهم عندما أطلق بيتا طلقته الثانية ··

وفى حوالى الساعة الواحدة ليلا أقبل ثلاثة من الكافير Kaffir واستولوا على واحد من الحيوانات كان بعيدا عن القطيع بمائة ياردة ، ولاحظ بيتا وأنطونى ذلك · وقال بيتا انه لا يستطيع أن يطلق النار خشية اصابة الحيوان ، وأصر على متابعة الكافير والحيوان · وبعد ربع ساعة عاد الكافير فأطلق أنطونى النار ، وكنت مستعدا فى الحال لكنهم (الكافير) ولوا الأدبار ·· ووجدنا فى اثرهم نبوتا وسهما ، ووجدت أن الرصاصة قد أصابت السهم ···

الأربعاء ٢٤ يناير :

لقد أنزلنا العربات دن حوادث مؤسفة ، وصعدنا بها آخر المنحدرات ·

الخميس ٢٥ يناير :

ونزلنا لماشيتنا بالعربات ، لقد مضى شهران وعشرة أيام بالضبط منذ أخذنا أول عربة فوق الجبل الى قمة أول قنـة the first rise ، ولكن لو أن المناخ السيىء لم يؤخرنا ، لكان في امكاننا أن نستغرق ـ فقط ـ نصـف هـذا الوقت في الصعود والهبوط بعرباتنا . وبالنسبة لنا فقد كان يوم اتمام اجتياز هذه المنحدرات الهابطة الصاعدة هو أسـعد الأيام التى شهدناها في فترة محنتنا هذه .

★★★

رحلـــــة

وليم كوتون أوزويل

WILLIAM COTTONOSWELL

بحـــيرة نجـــامى

ولد وليم كوتون اوزويل فى ايساكس Essax سنة ١٨١٨م وعمل سبع سنوات فى شركة الهند الشرقية وبالتحديد فى مؤسسة مدراس Madras establishment التابعة للشركة ، وبعد ان اصيب بالحمى نصح بالتوجه للكاب للاستشفاء فوصلها سنة ١٨٤٤م وخرج مع منجو مر Murray, وهو موظف مدنى للقيام برحلة صيد فى المناطق الداخلية . وفى كورمان KWuruman التقيا بكل من موفات وهوم Hume . وقـد قام اوزويل وصاحـبه بالصيد بين الباكاتالا Bakatala وهناك قابلا ديفيد ليفنجستون Livingstone كما قاما بالصيد بين الباونجكتسى Bawangketse والبامانجواتو Bamangwato وفى سنة ١٨٤٦م عاد اوزويل للمناطق الداخلية بصحبة الكابتن فرانك فاردون Vardon فقـاما بالصـيد ، واكتشف أوزويل نهرى ماريكو Marico ولمبوبو Limpopo حتى موكولوى Mokolwe . وقد تأخر أوزويل ففقد وظيفته الدائمة . وزار الهند وانجلترا وعاد الى جنوب افريقيا فى نهاية سنة ١٨٤٨م. وفى بداية ١٨٤٩م غادر الساحل متجها للداخل للبحث عن البحيرة العظمى التى سمع تقارير عنها فى جولاته السابقة والتى سمع الرحالة السابقون عنها كذلك .

والنص التالى عبارة عن خطاب كتبه اوزويل من مدينة الكاب فى ١٠ يناير ١٨٥٠م للكابتن فرانك فاردون هذا الخطاب فى كتابه : Wiliam Cotton Oswell, Hunter and explorer (London, Heinemann, 1900).

★★★

... في العاشر من مارس غادرت مدينة جراهام قاصدا كولوبنج Kolobeng ، وكان معى خمس عربات وخمسة من خدمي القدامى ، وكنا نشترى الخيول فى الطريق ، وتأخرنا فى كدلزبرج Colesberg لأربعة أسابيع فى انتظار مرى Murry ، وبمجرد وصوله فى ٢٣ ابريل واصلت الرحلة فوصلت كولوبنج Kolobeng فى ٢٥ و ٢٦ مايو ٠ وتقع هذه المدينة فى موقع عار غير ملائم على جانب سلسلة جبال من حجر رملي أحمر حديدى ، وعند سفوح هذه التلال ، وكان مقر البعثة الارسالية التبشيرية يقع على بروز صخرى فوق نهر كولوبنج Kolobeng وقد غادرناه فى اليوم التالى لوصولنا واتخذنا طريقنا ببطء الى ماء يقال له ماء شكوان Shokuan ، وهناك توقفنا فى انتظار لفنجستون ٠ وغادرت كل المجموعة مياه شكوان فى صباح اليوم الثانى من شهر يونية ٠ وكان الطريق الى ماشوى Meoshue يشبه كثيرا الطرق الأفريقية الأخرى ٠ أحيانا يكون منبسطا ومكشوفا ، وأحيانا أخرى يكون مليئا بالأشجار والأشواك ، وثمة طريق آخر الى بامانجواتو Badanguato ٠ ومن هذه المدينة اتخذنا اتجاها شماليا تقريبا وبشكل عام وقطعنا أربعين ميلا حيودا وسلاسل تلال رملية ومسطحات تغطيها الشجيرات القصيرة القليلة كثافتها فوصلنا فى صباح اليوم الثالث لموضع يسمى سيروتلى Serotli (كنا قد سقينا ثيراننا مرة فى الطريق عند لوبوتاني Lobotani) ، وقد ألقيت نظرة على هذه المنطقة باعتبارها مدخلا للصحراء التى كثر الحديث عنها ، ولذلك فسأحاول أن أقدم لك فكرة عنها ٠ تخيل رمالا كثيفة غائرة بها حوالى ستة ثقوب أو منخفضات كالتى يصنعها حيوان الكركدن (وحيد القرن) عندما يتمرغ لافا نفسه على الرمال ــ كما تعود أن يفعل ٠ وفى ...

واحدة من هــذه الثقــوب أو المنخفضات حــوالى ملء كوبين صغيرين من الماء ، وفى هذه البقعة ــ كما أخبرونا ــ تكمن الفرصة الوحيدة لوجود الماء طوال سبعين ميلا (مسيرة ثلاثة أيام بالعربات التى تجــرها الثيران) . ربع جالون لثمانين ثورا وعشرين حصانا وعدد كبير من البشر . وقد اعتاد أهل البلاد عند وصولهم لهــذه المنطقة أن يزيحــوا الرمال عن الثقوب والمنخفضات الصغيرة مؤكدين أن تحت الرمال ميــاه كثيرة Plenty of mesté وفى مســاء اليــوم الأول لوصولنا كان متيسرا لنا حفرتان غرفنــا منهما ميــاها كانت كافية لتقديم جردل لكل حصان ، لكن هاتان الحفرتان لم توفرا ماء للثيران ومن ثم حفرنا مزيدا من الحفر لــكن الماء لم يكف فصممت على ارسال الثيران لتعود خمسة وعشرين ميلا الى لوبوتانى Lobotani لتبقى هناك حتى نتأكد مما اذا كان ما سيتوفر من الماء يفى بالحاجة أم لا . لقد ظلت هذه البهائم المسكينة حتى فترة متــأخرة من صــباح اليــوم الخامس عطشى بلا ماء حتى وصلت أخيرا الى موضع شربهــا ومعنى هذا أنها ظلت بلا ماء طول ست وتسعين ساعة (أربعة أيام كاملة) . أما الخيول فقد أبقيناها معنا لأننا كنا نتوقع أن نجد قدرا من الماء يكفيها ... لقد امتلأت الحفر التى كنا قد حفرناها فى اليوم السابق .. وعادت الثيران من لوبوتانى Lobotani فى اليوم الخامس بعد أن واجهت حوادث صعبة سأقصها عليك يوما ما عندما نلتقى ، فهى حوادث لا تستحق أن تكتب . لقد جهزنا لها قدرا كافيا من المياه ، وتركناها تشرب كل الماء مرة واحدة . وتقدمنا لكننا لم نقطع ســوى ستة أميال حتى مغرب الشمس وذلك بسبب الحرارة الشديدة والرمال . وباستخدام السوط (لحث الثيران) اســتخداما قليلا وصلنا الى موضــع يسمى موكالانى Mokelani على بعــد

خمسة وعشرين ميلا من حفر سرتولى Serotli وبدأ مرشدونا يشيرون الى أننا لو سرنا بهذا البطء فان وصولنا لمورد المياه التالى أمر مشكوك فيه • سيمضى وقت طويل قبل أن أتمكن من نسيان هذه الليلة فى موكالانى Mokalani لقد كنا بعيدين جدا ولا يمكن لأى فرد منا ــ كما أظن ــ أن يفكر فى العودة لأى سبب من الأسباب ، وكان القلق فيما اذا كنا سننجز مهمتنا أم لا يتردد فى نفسى بشكل قوى فى كل المواقف والأحداث التى مرت بنا • لقد كانت ندرة المعلومات المتوفرة عن الطريق ــ باستثناء أنه طريق بلا ماء تقريبا ــ بالاضافة الى صعوبة سحب الثيران للعربات الثقيلة فوق أرض رملية فى اليوم السابق ، مما جعلنى أجعل هذه الحيوانات تحت الرعاية الدائمة •••

وبعد الافطار فى اليوم التالى من رحيلنا من سرتولى Sertoli أرسلنا الخيول فى المقدمة مع مرشدينا ، فالخيول تستطيع أن تصل للمياه أسرع مما تستطيع الثيران التى ما كانت لتظل على قيد الحياة حتى تصل لمورد المياه بسرعتها المعتادة وحالتها التى هى عليه الآن •

الفرج بعد الشدة :

وسرنا فى اثر الخيول التى سبقتنا تقطع الفيافى وتشق الآجام • لقد سبقت الخيول ثيراننا البائسة بتسعة عشر ميلا، تلك الثيران التى كانت تعبر عن عطشها بشكل يثير الحزن ••• لقد قطعنا أربعة وأربعين ميلا ــ بصعوبة شديدة ــ فى احدى وعشرين ساعة • وكان مرى Murry بصحبة الخيول، بينما بقيت أنا وليفنجستون فى المؤخرة • وجلسنا نتناول

غدائنا ، ولم تكن الوجبة مريحة أو مرحة لأن كل من حضر الوليمة كان يدرك تماما أن الثيران البائسة لا يمكنها أن تجر العربات لما هو أبعد من هذا المكان ، ولأن الجميع كان يدرك أن مورد المياه التالى على بعد حوالى ثلاثين ميلا . وصممنا على أن نستمر فى سفرنا هذا بآخر جهد هذه الثيران ثم بعد ذلك نخلى سبيلها، وبعد نصف ساعة فى الصباح وصلنا لحافة الدغل الذى قضينا فيه الليل وسرعان ما ظهرت الخيول على البعد . أثمة ماء ؟! لا ، فالدليل قد ضل الطرق فى هذه البرية غير المحددة طرقها ، ومرى Murry توقف فجأة . ومع الشمس بدا أن ادراك الدليل قد انتعش وبدأ فى التقدم للأمام ... وقال أهل البلاد المرافقون لنا أنه فى مقدورهم أن يسيروا فى الطريق الذى أتينا منه فناحية اليمين منه يمكنهم أن يسيروا غير بعيد فيجدوا ماء . وتبين بعد ذلك أنهم تحدثوا عن بركة صغيرة ، وقد ذهبوا للبحث عنها . ولم نكن قد أنهينا افطارنا بعد ، عندما أقبل أحد الوطنيين حاملا أخبارا مؤداها أن بركة كبيرة عامرة بالمياه قريبة ـ بالفعل ـ منا ، وشددنا الثيران للعربات ـ وكانت هذه الثيران منذ عشر دقائق تبدو وكأنها على وشك الموت . بعد ميلين وصلنا الى ماثولوانى Mathuloani .

لقد كنا قد غادرنا سيروتلى يوم الأربعاء ، ونحن الآن فى يوم السبت ، وجعلنا يوم الأحد يوم راحة للماشية ، وواصلنا مسيرنا مرة أخرى دون أن يكون لدينا أية فكرة عن الوقت الذى سنرى فيه الماء ثانية . وأكد لنا أدلتنا (مرشدونا) أنه حتى خيولنا لن تعانى العطش مرة أخرى ، ذلك لأننا نسير بالفعل فى بطن نهر لكننا لا ندركه ...

... وبعد أن غادرنا ماثولوانى تتبعنا مجرى هذا

النهر الرملى الذى سرعان ما تحددت ملامحه (*) لكن مظهره يدل تماما على الجفاف · وعلى أية حال فقد منحنا قدرا وافرا من المياه وان كان ذلك بعد جهد في الحفر · وفي لوتلكانى Lotlokani (نبع ماء آخر صغير فى موكوكنج Mokokong على بعد ثلاثة أميال من موكوكونيا Mokokoniani)) غادرنا نهر الرمال هذا ، والتقينا به مرة أخرى فى صباح اليوم الثانى ، وغادرناه فى الموضع الذى اتسع فيه ليصبح بحيرة سبخة ، هى الآن جافة ، وخلف هذه البحيرة الجافة تجول دليلنا pathfinder للمرة الثانية ، ولأننى لم أستطع الامساك بامرأة بشمنية رأيتها تتسلل بين الحشائش الطوال ، فلست متأكدا تماما اذا ما كنا سنصل الى الهدف الذى نبغيه فقد أمضينا يومين بلا ماء ، وبينما كنا نسير على غير هدى اكتشفنا وجود هذه المرأة البشمنية ، فقدمنا لها قليلا من الخرز ، فكانت هذه الخرزات القليلة بالاضافة لما اعتراها من رعب مميت سببا فى اعترافها بأنها تعرف نبع ماء وعرضت أن تذهب بنا اليه · وبعد أن مررنا خلال حزام أشجار كثيف وصلنا فجأة الى حوض ملحى أو بمعنى أدق سلسلة من الأحواض الملحية · كنا فى المساء وألقت الشمس الغاربة غيما ضبابيا أزرق على القشرة الملحية البيضاء فجعلتها تبدو وكأنها ماء حتى أننى ظننت أننى قد أصبحت قريبا من البحيرة رغم أننى لم أكن أبعد عن حافة هذا المسطح

(★) هذه الانهار الرملية مربكة بالنسبة لى ، فمن شاطئيها المرتفعين تجرى المياه الى باطنها ··· وتظل المياه تجرى تحت السطح · وبالحفر الى عمق معين ستجد الماء بالتاكيد ، لكنك لا تجده ابدا على السطح الا فى مواضع قليلة خاصة عندما يكون الحجر فوق الرمال وعندما يكون هناك ينبوع ·· وثمة حفر عديدة يحصل منها البالالا والبشمن على الماء ·· وهم يغرسون قصبة مجوفة مسافة قدمين او ثلاثة فى الرمال ويسحبون الماء بافواههم من الطرف الاخر وقد جربت ذلك ولكننى ساحضر معى مضخة فى المرة القادمة ·

الملحى بأكثر من ثلاثين ياردة ، فقذفت بقبعتى فى الهواء ، وصحت فرحا حتى ظنت المرأة البشمنية ، والباكوانBakuains الذين معى أننى قد صرت مجنونا • وسرعان ما اكتشفت خطئى ـ لقد وقع كثيرون بعدى فى مثل هذا الخطأ • كان الى جوار الحوض الملحى الأول نبع صغير ماؤه مالح جدا • ووصلت الثيران اليه ـ أى الى هذا النبع المالح ـ فى صباح اليوم التالى •

دخان بغير نار :

ومن هذا الموضع نرى فى اتجاه غرب الشمال الغربى والى الشمال الشرقى ألوانا داكنة لدخان أسود يرتفع فى السماء ، وكانوا يؤكدون لنا أن هذا الدخان ناتج عن احراق الغاب (البوص أو القصب أو البمبو) المحيط بالبحيرة ! لكننى لا أظن ذلك صحيحا فالبحيرة لازالت على بعد حوالى ثلاثمائة ميل منا • وصعدت مع ليفنجستون عدة آكام وتلال صغيرة ، لنلقى النظرة الأولى على الأيام الثلاثة المقبلة ، لكن عبثا كانت هذه المحاولة ، وفى اليوم الرابع من شهر يوليو تلاشى كل أمل لنا فى رؤية البحيرة ، وذلك عندما انطلقنا ليلا نبحث عن طريق مناسب ، فوصلنا الى نهر حقيقى يجرى (نهر زوجا Zouga) فى اتجاه الشمال الشرقى ، وكان هناك قرية فى مواجهتنا تقريبا وكنا بطبيعة الحال قلقين من بدء الحوار مع أهلها ، لكن أهل القرية كلهم انتقلوا الى الجانب الآخر ، وحاولت أن أقود حصانى خلال المكان الذى بدا سبخا غير ثابت حتى أننى كدت أفقد الحصان، الا أن ليفنجستون واثنين من الباكوان سيطروا على الموقف وسعدنا عند عودتهم (ليفنجستون والباكوان) يحملون أخبارا مؤداها أن الماء

الذى رأيناه يأتى من البحيرة العظمى التى نبحث عنها و نسعى للوصول اليها •

وذهبت الآلام :

وشعرنا كأن كل مشاكلنا ومتاعبنا قد انتهت ، وفى صباح اليوم التالى عندما رست عرباتنا على ضفاف نهر زوجا the Zouga بدأ يتلاشى كل القلق الكامن فى نفوسنا عن نهاية هذه الرحلة ونتائجها • وقال أهل البلاد انهم يرون القمر لامعا لكننا فى خاتمة المطاف رأينا مساحة عريضة من الماء فالنهر تحت أقدامنا ولم نفعل شيئا أكثر من أن نتتبع مجراه • وسأتحدث عن هذا النهر فيما بعد فلن أؤخرك عنده الآن • لقد تتبعنا المجرى صاعدين ستا وتسعين ميلا منذ التقينا به (بالنهر) • لقد تعبت ثيراننا ولم نعد تستطيع أن تقوم الا برحلات قصيرة بحملها الثقيل ، وعلى هذا فقد أفرغت عربتى وأنزلت أحمالها وتخيرت ثورين كانا أكثر نشاطا وصممنا على الانطلاق ، وتركنا العربات الأخرى وباقى الثيران مع العدد الأكبر من خدمنا ، وانطلقنا فى ١٦ يوليو وبعد اثنى عشر يوما من السفر الشاق وصلنا الى قبيلة (★) بامانجواتو Bamangweto وهم يسمون أنفسهم بتوانى Batauani ، وسرنا تقريبا الى جانب المدينة عند الطرف الأدنى للبحيرة •

وصلنا للبحيرة :

وثمة لسان من الأرض أو جزيرة (لم أتبين الأمر) تنتأ بطريقة مميزة ، ومنعتنى التلال الرملية من القاء نظرة

(★) استخدم المؤلف تعبير the half tribe ولعل المقصود ما يشبه القبيلة — (المترجم) •

عريضة على المياه التي تقف عربتنا عندها الآن ، لذا فقد امتطينا خيولنا وسرنا على طول الشاطىء خمسة أميال أو ستة وعندئذ رأيت ما أرضاني تماما ·· انها مساحة عريضة من المياه تربض أمامنا الآن · مساحة ماء شاسعة نحاول عبثا رؤية شاطىء لها تجاه الغرب والشمال الغربى · ان كل الشواهد تدل على أنه لا حدود لها في هذه الاتجاهات ، وكأنها محيط · لقد كانت شواطىء البحيرة في اتجاه شمال الشمال الشرقى من الموقع الذى نقف فيه ــ كما نظن ــ تصل الى حوالى أربعة عشر ميلا ، اذ قسمنا شواطىء البحيرة الى أقسام ، ويمكن للعين أن تتبع آثار الشاطىء الى الشمال وشمال الشمال الغربى لمسافة قصيرة ، أما ناحية الشرق فهى تمتد ببطء ولكن تدريجيا ليقترب بعضها من بعض ثم تضيق فجأة في الوضع الذى تقف عنده العربة · ويجرى من تحتنا الآن نهر يقال ان عرضه مائتا ياردة ، وكان شاطئه الذى نقف عليه مستويا ، ومن المحتمل أن يكون الشاطىء المقابل كذلك ، لذا فهو لا يظهر للعيان من مسافة بعيدة · وبالنسبة لعرضه الحقيقى فاننى بطبيعة الحال ــ لا أستطيع أن أذكر تقديرا صحيحا · فالقوارب لاتعبره أبدا · أما عن امتداده فربما يمكننا أن نصل اليه بالتقريب اذا وضعنا في اعتبارنا تقديرات قبيلة الباتوانى Batouani الذين أكدوا أن رجلا يمشى يومين (خمسين ميلا) على طول الشاطىء الى الجنوب الغربى ويوما (خمسة وعشرين ميلا) الى الشمال الغربى ، سيجد البحيرة التي يأتى منها النهر من شمال الشمال الشرقى ···

وكان لابد لنا ــ بل كنا مضطرين ــ لسماع هذه الأقوال ···

وأثناء الحملة (الرحلة) كانت بعض رحلاتنا اليومية قصيرة بما فيه الكفاية ، اذ كانت غالبا لا تزيد على عشرة أميال ، ومع هذا فقد كان الجهد الذى نبذله شاقا بسبب كثافة الأدغال وثقل وطأة الرمال ، ففى خمسة أميال ونصف قطعنا ما يزيد على مائة شجرة ، ومن ثم فقد استغرقت هذه المسافة ست ساعات ونصف الساعة • وثمة مرتفع رملى كثيف مغطى بالأشجار بكثافة وكان يمتد ميلا ونصف الميل أدى الى تأخرنا مدة ساعتين ، وفى هذه الظروف كنت أسبق بعربتى لأتلمس الطريق العملى والأكثر سهولة ، وغالبا ما كنت لا أرى شيئا سوى رءوس الثيران الأمامية ولم أكن أعلم فى أى مكان تسير العربة حتى أننى كنت أوقف الثيران لأقوم بقطع الأشجار وازاحة الفروع خلال الدغل لأهيىء لها طريقا • وقد تسببت الأشجار الشوكية القصيرة فى احداث مضايقات لنا فكانت أشواكها تدمى أنوف الثيران وسيقانها، كما كانت تمنعها من السير معا •

وتقع بحيرة نجامى Ngami (وتسمى أحيانا انجهابى Inghabe أو نوكا آ • ممبورى Noka a Mampooré أو نوكا آ • باتلاتلى Nokaa Batlatli عند خط عرض ١٩ر٢٠° جنوبا وحوالى خط طول ٢٤° شرقا ، وترتفع فوق مستوى سطح البحر ٢٨٢٥ر٢ قدما • ومن الممكن أن تعتبر خط العرض صحيحا أما خط الطول فلم تكن معنا الأداة المناسبة لتحديده ، فقدرناه بالمسافات ، أما الارتفاع عن مستوى سطح البحر فتقريبى كما تأكدنا باستخدام المقاييس البارومترية (مقياس الضغط الجوى Newmen's barametric thermometers)

والمسافة التى قطعناها من كولوبنج Kolobeng وصلت الى ستمائة ميل وثلاثة أميال مقاسة بواسطة تراشياميتر

tracheameter (★) جيد . وتقع كوبولنج على بعد خمسمائة وسبعين ميلا من كولزبرج Colesberg أو تسعمائة ميل من خليج الجوا Algoa . والآن وقد عرفنا أقصر الطرق فربما قمنا برحلة تستغرق خمسمائة وخمسين ميلا . والطريق المباشر يتخذ اتجاها شماليا غربيا من كوبولنج ويسير فيه الناس عقب المطر ، واذا لم تهطل الأمطار تعذر العثور على الماء فيه .

وليس للبتوانى Batouani اتصالات بالبرتغاليين . والقبيلة الأخرى الكبيرة الوحيدة على ضفاف البحيرة هى قبيلة مكلوما Maclumma وهى منحدرة من الداما را Damara كما أظن . ويقال ان سيبتوان Sebitoane تعيش على ضفاف من روافد نهر تاموناكلى Tamunaklé الذى يصب فى نهر زوجا Zouga وتعرف بلاده ببلاد الأشجار الكبيرة والمياه الوافرة وقد أجرى اتصالات مع البرتغاليين لكن عن طريق قبيلة أخرى ، ولم يجر اتصالات مباشرة . لا تحسدنى على رحلتى ، فالكل يتحدث عن ذبابة تسى تسى فى مواضع بعينها لكن ما دام الزعيم من نوع موزيليكاتسى Moselekatsé فى الغرب وغنى بقطعان الماشية جدا ، فهذه الذبابة كما أظن لا تستطيع أن تنتشر عبر بقاع واسعة .

بقيت كلمات قليلة عن نهر الزوجا Zouge ، والسكان على ضفتيه ... الخ وأنهى حديثى . ان مجراه ــ كما ترى ــ يتخذ فى البداية اتجاها شرقيا تقريبا ثم جنوبيا ثم جنوبا بشرق ، ثم شمالا بشرق ثم شرق الشمال الشرقى ،

(★) لم نستدل على معنى الكلمة ولا مفهوم الجهاز من المعاجم العلمية والفنية المتوفرة بين أيدينا ــ (المترجم) .

وهو عريض على بعـد يومين أو ثلاثة من البحيرة اذ يتراوح عرضه بين مائتي ياردة وخمسمائة في بعض المواضع ، أما شاطئاه فمستويان وذوا طبيعة سبخية ، ثم بعد ذلك يضيق ويظل يسير بين شاطئين مرتفعين من صخر جيرى مسافة ستة أيام ، ثم يتسع مرة أخرى وعند طرفه الجنوبي ينتشر مشكلا بحيرة صغيرة يبلغ قطرها أربعة أميال أو نحوها ، ثم يتفرع الى مجريين ، أحدهما (وهو الأكثر انتحاء نحـو الجنوب) يقال انه ينساح ويتبدد مجـراه في حوض ملحى (منخفض ملحى) الى الشرق ، أما الفرع الأكبر أو المجرى الأكبر فيتجه ـ كما يقول أهل البـلاد • الى الشـمال الشرقى والى شرق الشمال الشرقى خلال بلاد الماتابيلى Matabelé • ولابد أن أذكر أن كل هذه الأنحاء من شاطيء النهر ـ فى المناطق التى رأيناها على الأقل ـ مغطاة وبكثـافة بالبـوص (الغـاب) والبمبو المرتفع ، وهناك ما يشـير الى انها تعرضت للغمـر بالمياه • أيمكن أن ينحنى تجاه الجنوب الشرقى ويتحد مع نهر اللمبوبو Limpopo ؟ طوال عشرة أيام قطعناها كان شاطيء النهر فى الغاية من الجمال ، فالأشجار ـ ومعظمها غير معروف للاكـوان Eakuains ـ رائعة باسقة ، وتعتبر أشـجار الموشيو شونج Mochuchong التى تحمل ثمارا تؤكل خير ممثل للجمال فى عالم الأشـجار لا فى أفريقيـا فحسب وانما فى العالم كله ، وتنمو أشجار المورلوانا هس Morlwanahs بالقرب من مدينة البتوانى Bataoni ، وأضخم أشجار هذا النوع يزيد سمكها (محيط جذعها) عن سبعين قدما ، لكنها غير منتشرة كثيرا • وتتناثر نخيل البالميرا (★) هنا وهناك فى

(★) أوردها معجم الشهابي للمصطلحات الزراعية تحت المسمى العلمي Borassus flabelliformis وترجمها نخيل التال او نخيل التار ، يستخرج من طلعته نوع من السكر (المترجم) •

الجزر وعلى شاطىء نهر الزوجا Zouga وهى منتشرة على طول الموكوكونج Mokokoong (نهر الصحراء الرملى (the sand river of the desert وهى تشبه النوع نفسه الذى نعرفه فى الهند ، وان كانت ثمارها أصغر حجما • وقد أحضرت بعض هذه الثمار معى • وثمة شجرة تشبه كثيرا شجرة البانيان الأصفر فى الهند تنمو على شاطىء النهر • ويقول أهل البلاد انها ــ أحيانا ــ تنزل قطرات سائلة ، ولكننى لم أر شيئا من هذه القطرات • وعلى أية حال ، فاننى • أظن أنها من نفس النوع الهندى ، ذلك لأننى لاحظت أن فرع هذه الشجرة اذا ما جذبه الانسان بشدة الى الأسفل فانه سرعان ما يفلت ليعود ــ بشدة ــ الى موضعه • ونبات النيلة (الصبغة الزرقاء) البرى متوفر بكثرة ، وقبيلة الماكالاكا Makalakka أو الماشونا Mashuna (أظن أنهما اسمان لقبيلة واحدة) يصنعون الملابس ويصبغونها باللون الأزرق، ألا تذكر مدى تشككنا فى هذه النقطة ؟ انهم يستخدمون القطن من نوعين ، أحدهما تنتجه شجيرات والنوع الآخر تنتجه شجرة كبيرة ، والنوع الذى تنتجه الشجرة الكبيرة هو الأردأ والأقل جودة • والباكوبا Bakoba هم السكان الرئيسيون للجرار وضفاف النهر رغم وجود عدد قليل متناثر من قرى (زرائب Kraal) البشمن والباهاروتزى Baharootzi عند الطرف الأدنى • وكلمة باكوبا Bakoba تعنى (عبد) لذا فهم لا يطلقونها على أنفسهم وانما يطلقها الآخرون عليهم ، أما هم فيسمون أنفسهم بابيى Bayeiye وتعنى « الرجال المتفوقون أو المبرزون » • انهم رفاق أذكياء ويتسمون بالكياسة والظرف وهم أشد قوة وأضخم أجساما من البشوانا Bechuanas وهم أرقى منهم فى كل الجوانب، ولغتهم محددة وبها طقات click (طقطقة أو قرقعة) لكن

ليس بها (لعبكة) Bush ، وأظن أنهم لابد أن يكونوا قد أتوا من ناحية الداماراا Damara وليسوا بأى حال من الأحوال مرتبطين بنهر زوجا Zouga أو من سكانه الأصليين وانما هم يصطادون السمك ويرحلون تماما كما ذكر ليفنجستون فى خطابه (fish & float) وهم يفعلون ذلك فى كل المسطحات المائية المجاورة ٠

فالتجديف وركوب القوارب هما وسيلتهما الوحيدة للتقدم ولا يعرفون القوارب الشراعية ، وهم يعيشون ـ بشكل أساسى ـ على الأسماك (وهى ـ أى الأسماك ٠ شىء كريه وبغيض بالنسبة للبشوانا الجنوبيين Southern Bechuanas) يصطادونها بشباك جيد صنعها مصنوعة من نوع من الكتان البرى ، وهم يصنعون حبال طوافاتهم من نبات السوسن البرى aflag ، ويصنعون العوامات المعلقة فى شباك الصيد من عقل (بضم العين وفتح القاف) الغاب (البوص) ٠ واذا حدث أن غطس واحد من هذه العقل ظلت العقل الأخرى طافية ٠ وقد حصلت على قطع من حبالهم وشباكهم وتيلهم وقنبهم hemp ، وسأريك هذه الأشياء يوما ما ٠ وليمنعوا الشباك والحبال من أن تنتن (تصير نتنه) فانهم يصبغونها ويدبغونها بمادة معدة من لحاء أشجار شوكية Camel-thorn (★) وليس لدى الباهاروتزى قوارب طويلة Zouga ولا شباك وانما يصطادون الأسماك بالأسهم والرماح ٠٠ والأسماك متوفرة بكثرة وبأحجام هائلة وللباهاروتزى والباكوبا والبشمن طريقة أخرى للحصول على طعامهم ، يصعب على أن أنقدها أو اعترض عليها ؛

(★) نبات العاقول ويسمى أيضا شوك الجمال ، وهى تفرز منا وتسمى أيضا بنبات الحاج ، والاسم العلمى هو ـ كما ورد فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ـ Alhagi mannifern ـ (المترجم) ٠

فقد حفروا حفرا على طول شاطئ نهر الزوجا Zouga • لقد سقط أحد عشر حصانا من خيولنا في هذه الحفر ، وعلى أية حال ، فلم يمت الا حصان واحد ودفن ثوران ، ولحسن الحظ اننا كنا نملك عددا قليلا آخر استخدمناها كبدائل • بل اننا نحن أنفسنا ، فقد سقط التاجر مرتين أو ثلاث بينما كان يبحث في هذه الحفر ويكشف عنها ليمنع وقوع حوادث مميتة للماشية • فهذه الحفر تغطى وتوارى بدهاء وبراعة اذ كانوا ــ في بعض الأحيان يغطون الأفرع والحشائش التي يضعونها فوق الحفرة بالرمال ، فتبدو الأرض طبيعية وكأنما لا حفرة تحتها ، بل ويضعون روث حيوان وآثار أقدامه فوق الرمال الموضوعة فوق الأفرع التي تغطى هذه الحفرة ، فيبدو ما فوق الحفرة وكأنه طريق مطروق تجتازه الحيوانات • واذا سقط واحد من هذه الحيوانات في حفرة من الحفر تنبه بقية القطيع فيتراجع بعيدا ولا يعود مرة أخرى الا ليشرب ومن ثم يولى هاربا ولا يفلت من هذه الحفر (الشراك) أى حيوان بدءا من الفيل وانتهاء بالظبى الصخرى Steinbuck

لقد بذلنا جهدا كبيرا في الصيد لكن بدون عائد كبير ، فقد قتلت بعض الأفيال الذكور الجميلة • والأفيال وحيوانات الكركدن (وحيد القرن) متوفرة هنا بالاضافة للطرائد الأخرى الا أنها في بعض المواضع تكون نادرة ، ونصطاد الباپوكا حيوانات فرس النهر أيضا ، لذا فهى تغطس وقلما تظهر للعيان فوق سطح النهر الا قليلا ، والأفيال هنا مختلفة بشكل واضح عن أفيال اللمبوبو Limpopo فهى أصغر حجما وأقل ارتفاعا (فالفيل الذكر الكبير يبلغ ارتفاعه عشر أقدام) ، وان كانت أنيابها أكبر حجما ، وقد رأيت اثنين من الكيبابا Quebabas . (حيوانين من حيوانات وحيد

القرن ، للواحد منهما قرن مستقيم) وجرحت واحدا منهما لكننى لم آخذه ، وأسقطنا ثمانية أو تسعا من الليثى léché (★) اذ أسقط بيت سائق عربتى الأول منهما ، وأسقط ليفنجلستون الثانى ، وأسقط مرى murry . الثالث وكانت قرون الليشى léché تشبه كثيرا قرون ذكر أيل الماء mele-water buck (★★) وسلوكه يشبه سلوكه ، وذكر أهل البلاد نوعين آخرين من الظباء ، وقد رأينا نوعا منهما وهو يشبه الظباء من نوع الكردو Koodo غير أنه أخف وزنا وأصغر حجما ، ولم نر النوع الآخر • وتقل الأسود كثيرا على طول النهر وحول البحيرة فلم نسمع أيا منها الا مرة واحدة لذا فقد اعتدنا أن نترك ثيراننا تتحرك بحرية أثناء الليل بين الحين والحين • وعلى أية حال ففى اليوم الذى سقط فيه حصانى فى حفرة (شرك) هذا النهار ومات ، ووجدنا حفرا (شراكا) أخرى ، ضاع منا الطريق الموصل الى كولوبنج kolobeng (ضللنا الطريق) وانطلقنا بخيولنا تجرى خببا بين بعض التلال الصخرية آملين فى أن نتبين الطريق •

وهجم الأسد :

فسمعت غمغمة قاسية غليظة خلفى ، ولما استدرت ، رأيت أسدا لا يبعد عنى سوى بثمانى ياردات ، وكان قد اتخذ أهبته للهجوم فرأسه مرفوع وذيله مرفوع فأطلقت طلقة من بندقيتى كانت كافية لتمكينى من التراجع مسافة خمسين ياردة ، ثم قفزت (فوق حصانى) وأعدت تعمير البندقية

(★) لم نستدل على المقابل العربى أو المعنى فى المعاجم المتوفرة لدينا ـ (المترجم) •

(★★) الترجمة اجتهادية هنا ، ولا نعرف شيئا عن أيل الماء هذا ـ (المترجم) •

ودعوت صديقى (يقصد الأسد) ، ولم تكن قدمى قد استقرت بعد فى الركاب عندما وجدته (الأسـد) عندى ، فألقمتـه طلقة جعلته لحسن الحظ يسقط بين الشجيرات والصخور على بعـد لا يـزيد عن خمس عشرة ياردة أو عشرين ياردة من الموضع الذى أقف فيه •

ان علينا الآن آن نتأكد من مسألة مهمة وهى : أمن غير الممكن أن نصل للمستقرات (المستعمرات) البرتغالية عـلى الزنبيزى باستخدام الطريق البرى ؟آ أرجو أن أقوم بعمـل ما لتوضيح ذلك ، وأن أغادر الكاب فى نهاية الشهر الحالى • ان معى خطابات أتقدم بها للسلطات البرتغالية اذا حـدث أن التقيت بهم ، ولا أتوقع خطرا يحيق بى من أهل البلاد • وفى كل الاحتمـالات فاننـا لم نصل الى المحطات المقـامة عـلى الزمبيزى لكننا قد نكون قادرين على أن نثبت للرحالة القادمين آن ذلك ممكن ، وسيصحبنى ليفنجستون فى رحلتى هذه •

★★★

رحلـــــة

جيمس شـــابمان

JAMES CHAPMAN

الاقتراب من شلالات فكتوريا

ولد شابمان فى انجلترا سنة ١٨٣١م ، ووصل للناتال سنة ١٨٤١م ، وعمل وهو فى سن الحادية عشرة ، واقام فى مدينة الكيب لفترة ثم عاد للناتال حيث شغل وظيفة رئيس شئون العاملين Chief clerk فى مكتب الشئون الوطنية ولكنه كان يفضل حياة اقل قيودا فانتقل الى بوتشفستروم Potchefstroom فى نهاية العام وافتتح متجرا ، وكان يقضى وقت فراغه فى الصيد وجمع نماذج حيوانية ، وقرر ان يجرب نفسه فى صيد الفيلة ، وفى مايو ١٨٥٢م قام برحلة للمناطق الداخلية وصحبه جان فلجون Jan Viljoen وعددا اخر من المرافقين . ومروا بمابوتسا Mabotsa وزاروا ناتوانى Natuani وهناك قتل شابمان اول فيل فى حياته ، وواصل الى نهر بوتليتل Botletle والمنخفض الملحى نتيتوى Ntetwe وثومثــــا Thumtha وزوثار Zouthara . والنص التـــالى من كتاب :

Chapman's travels in the Interior of South Africa (Vol. I, Bell and Daldy, & Edward stanford, London, 1868)

★★★

عندما تلقيت معلومات خاصة عن وجود نهر يسمى شوا Shua (شوان (Shuane) على بعد عشرة أيام الى الشرق من ذوثارال Zoutharel ــ وهــو ــ أى هــذا النهر يشــكل الحدود بين بلاد سيكومى Sekomi وموزيليكتس Mosetikatse ــ صممت عنــد عودتنا فى طريقنــا عنــد مركز جــورج George's post (أوثومثــا (Thumtha) أن أجعــل هذه المدينة نقطة انطلاق لاكتشاف هذه المناطق بالسير شرقا بحثا عن الطرائد ، وان وجدت أن هذا غير عملى تبعت مجرى نهر بوتلتلى Botletlie الى بحيرة نجامى ٠

سرعة النعــام :

وفى ١٢ أغسطس (سنة ١٨٥٢م) بينما كانت العربات تسير بنا فى الطريق القديم عائدين قمت بجولة فوق ظهــر حصانى فاكتشفت آثار أربعة فيلة ذكور مرت هنا فى اليوم السابق ، فتبعتها لعدة أميال ، فلما اكتشفت موضع شربها ، وأثناء ركوبى أطلقت النار على ثلاث نعامات من بين قطيع نعام كبير حجمه كان عائدا لتوه من مورد الماء ، وكان يمكننى أن أقتل عددا أكبر لكنها كانت نعامات صغارا ليس لريشها قيمة ، ورغم أن النعام أسرع من كل الحيوانات الا أن حصانا جيدا يمكن أن يلاحقه عندما يكــون عائدا من مورد الميــاه فى يوم حار ٠

متى تشرب الأفيال الأفريقية ؟ :

وفى يوم ١٤ أغسطس عادت الفيلة الأربعة مرة أخــرى لتشرب ، والفيلة لا تشرب الا كل يومين بمعنى أنهــا تشرب يوما وتمتنع عن الشرب فى اليوم التالى لليــوم الذى شربت

فيه ، ثم تشرب فى اليـوم الثالث ، أى أنهـا تشرب يـوما وتمتنع عن الشرب يوما ، ويكون شربها ليلا ، وبعد الشرب تذهب بعيدا لترعى طعامها • وفى المناطق التى تتعرض فيه كثيرا لعدوان الانسان تظل بعيدة عن الماء ليلتين كاملتين ثم ترده فى اليوم الرابع • لقد التقينا فى غضون ثلاث ساعات بهـذه الأفيـال ونجحت مع فلجون Vilgoen وبيت جـريلنج Piet Greyling فى قتل ثلاثة أفيال ضخام ، كل واحـد منـا قتل فيلا •

كاد الفيل الرابع يقتلنى :

أما الفيل الرابع فقد كلفنا أكثر من ثمانين طلقة بدون تأثير كبير ، وعندما وصلت للبقعة التى كان رفاقى يحاولون قتله فيها ، أطلقت طلقة واحدة ، وكانت هذه الطلقة الأولى منى عليه ، هى لحسن الحظ الطلقة التى أصابت سـاقه الخلفية فكسرتها لكنه حاول النهوض ثانية ، فأطلقت عـدة طلقات أخرى قليلة فسقط ، وبدا ميتا ، فتركت حصانى وما هى الا دقائق حتى كنت فوق ظهر الفيل ، لـكننى شعرت بالحيوان (الفيل) يتحرك حركة عنيفة فتركت ظهره بسرعة وما كدت ألمس الأرض حتى أطاح بخرطـومه إطاحة قـوية كادت تصيب رأسى من الجانب ، فأطلقت بندقيتى ــ كمـا اتفق ــ بينما أجـرى هاربا بأقصى سرعتى ، فقـام الفيـل بنشاط قائما وراح يتعثر فى مشيته فوق الأفرع والنباتات البرية • يا للدهشة ! وعلى أية حال ، فلم يعد ثمة خطر منـه فرغم أنه كان يسير على ثلاثة أرجل ويصيح عاليا فانه لم يكن قادرا على أن يخطو للامام ، فألقمناه احدى عشرة طلقة فهوى • لقد مات الآن تماما • وقررنا ــ بعد هذه التجربة ــ أن نكون أكثر حذرا فى المستقبل •

تحذير لصائدى الأفيال :

ولا بد أن نذكر ــ على سبيل التحذير للصيادين في جنوب أفريقيا أن معظم الأفيال تستعيد قواها وتقوم بأعمال مؤذية بعد أن يبدو أنها قد جرحت جروحا مميتة ، لذا لابد من التأكد من أنها قد أسلمت الروح تماما · لقد شاهدت أفيالا تسقط أربع مرات أو خمس وكأنها ماتت ، ثم تنهض من جديد ·

وفى هــذا اليــوم أيضــا (١٤ أغسطس) قمنا بالصيد لأعداد لا حصر لها من الظباء (ظباء القوقز المعروفة فى جنوب أفريقيا ــ بفتح القاف وتسكين الواو) ، ففى غضون نصف ساعة أطلقت النار على خمسة ظباء منها وكان كل من معنا سعيدا ويتحلى بروح عالية بسبب نجاحنا فى الصيد فى هذا النهار الطيب ، وأخيرا عزمنا العــزم ··· وأثنــاء الليــل ابتلينا بأسد يزأر ويدور حول معســكرنا وهــو يبحث عن مدخل الى الحظيرة ، وفى الصباح اكتشفنا أنه كان يلاحق أثر واحد من رجالنا (ما خلفه واحد من رجالنا) (★) ·

اللحية المكهربة :

وفى ١٧ أغسطس وصلنا الى مركز جورج George's Post حيث وجدنا اثنين من زوجاته فى مسئولية عدد من البشمن فاستبدوا بهما وعاملوهما بطريقة مخزية فى غيبة الزعيم · ووجدت صعوبة فى تدبير مرشدين لتحقيق هدفى فى الاتجاه شرقا ، وبالاضافة كذلك فقد كان رفاقى الهولنديون غــير راغبين فى الاقتراب بأى حال من الأحوال من بلاد موزيليكاتسى

(★) قد يكون المعنى ان الاسد يقتفى اثر الانسان ببرازه على نحو ما يقتفى اثر الماشية ، وهذا هو النص على اية حال :
... he had followed immediately on the spoor of one our men

Moselekatzé ، لذلك فقد اقترحت أن نتجه مباشرة الى البحيرة (بحيرة نجامى) لكننا كنا فى موسم انتشار الحمى فقد بدا هذا الاقتراح غير مقبول ، وشعرت بمزيد من الارتباك فيما يتعلق بالطريق الذى سأسلكه . وكانت عودتى بأنياب اثنين وثلاثين فيلا فقط بعد كل هذه الاستعدادات ـ فكرة غير مرضية ، فرغبت ـ على الأقل ـ فى رؤية مزيد من أرجاء المنطقة ، فهذا خير عزاء اذا لم تتح لى فرصة لمزيد من الصيد . كانت الحرارة تزداد يوما بعد يوم ونمت لحانا (جمع لحية) بشكل كثيف فهى تنمو منذ عدة أشهر ، وعندما كنا نمشطها ونسويها كان ينتج عنها ما يشبه الماس الكهربائى كما كان يصدر عنها صوت شبيه بالصوت الذى يصدر عن تمسيد شعر ظهر القطة ، وربما كان هذا بسبب تأثير نوع خاص من المناخ .

وفى اليوم التالى حثثت رفاقى أن ينطلقوا معى لمسافة الى البوتليتلى Bolletlie لكن هدفنا أصبح معروفا لزوجات جورج ، فضغطن علينا لننتظر حتى عودة زوجهن الذى خرج واتجه شمالا لتجميع العشور (الضرائب) tribute . وقد أخبرتنا أنهن كن قد سمعن منه أنه يرغب فى أن يرينا منطقة رائعة غاصة بالأفيال . ودفعنا هذا العرض المقبول على البقاء هنا عدة أيام .

الخـــــدعة :

لكن بقليل من التفكير اتضح أن هذا العرض ليس الا خدعة يقصدن بها أن يستنزفن ما معنا طوال فترة اقامتنا ، وليجعلننا نصطاد لهن ونوفر لهن اللحوم .. لقد كنا نجهل طبيعة شخصية أهل البلاد . وعلى أية حال فان وعدهن لم

يتحقق أبدا ، فقد كنا نخرج يوما بعد يوم في اثر الطرائد واصطدنا زوجا من ذكور حيوان العلندة وعددا من الزرافات بالاضافة الى حيوانات أخرى صغيرة ، وكنت مضطرا للحديث مع رفاقي الهولنديين بحدة أكثر بسبب الممارسات القاسية الشائعة بين البوير ذلك أنهم يتركون الحيوانات التي جرحوها لتتعذب حتى تسلم الروح وتكون في أثناء ذلك عرضة لهجوم النسور ، وربما راحت النسور تنهشها قبل أن تموت ، فالبوير كسالى يكسلون عن الاجهاز على الحيوان الجريح وتغطية جثته بأفرع الأشجار ٠

ووجدت من الحكمة أن ينشغل رجالي في الصيد ، مخافة أن تخلو أذهانهم فساعتها قد يحسون بعدم الرضا وتمتلىء صدورهم بالمخاوف التي سمعوها عن وحشية البدائيين وعن الحمى التي تنتشر في المناطق التي سنسلكها ٠٠ ان هذه الأفكار لو سيطرت عليهم لألغيت خططي ووجهت وجهي معهم لطريق العودة ٠

الـكلاب البرية :

وفي واحدة من رحلاتنا القصيرة قابلنا مجموعة كبيرة من الكلاب البرية يبلغ عددها أربعين أو خمسين كلبا وقد أحدثت هذه الكلاب فوضى مفزعة بين ظباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) ولم تبد هذه الكلاب أية دلائل على أنها تخشانا ، بل على العكس فقد استعدت للهجوم علينا وعلى خيولنا ، وعلى أية حال ، فان طلقة أو طلقتين جعلت هذه الكلاب تتشتت في مختلف الاتجاهات وهي تنبح ويقال ان هذه الكلاب تصبح خطيرة في بعض الفصول اذا تجمعت ٠

وحمل النسر ظبيا وطار :

ورأينا أيضا نسورا أو صقور يسميها الهولنديون صائدة الظباء lamb fanger (Lamb catcher) تحاصر ظبيا كبيرا وتمسكه بمخالبها وتنطلق به في الهواء ٠

البشمن وحفلات الرقص :

وفي اليوم نفسه دعينا عندما وصلنا لعرباتنا لرؤية الرقص البشمني ، اذ تجمعت حوالى ستين امرأة متزينات بكل الخرز والحلى ، وشكلن نصف دائرة ، ورحن يصفقن ويغنين في الوقت نفسه مكونات ما يشبه مقطوعة الفالس الموسيقية السريعة ، ولازمهن رجال مزينون بخصل من ريش النعام والنسور أسود لونه ، وضعوه فوق رءوسهم ، وبعض الخرز على أجسامهم ، وأمسكوا بمراوح من ذيول حيوان الجنو Gnu بأيديهم وربطوا بثمار المونا Moana (★) الى ربلات سوقهم (بطات سيقانهم) ، ولأنهم يثقبون قشور المونا ويخرجون ما في جوفها ، فانها ــ بسبب كونها مجوفة ــ تصدر أصواتا رائعة سريعة تتخلل الموسيقى الرتيبة الصادرة عن النساء ، وراح الرجال يسيرون أمام النساء رائحين غادين ، يقفزون وينخرون ويغنون ويحاكون كل أنواع التهريج الفظ ويؤمنون ويلتوون ويتخلل كل ذلك بعض الحركات الرشيقة بين الحين والحين الا أن كل هذا وليد لحظته فليس هناك تصميم مسبق للرقصات (أداء ارتجالى) ٠ وبين الحين والحين تنطلق جلجلة وحشية wild Peol من الراقصين

(★) ربما كانت المونا هى جوز الهند بلغة البشمن أو باحدى اللغات المحلية — (المترجم) ٠

الأساسيين فترد النسوة بصرخات مهتزة thrilling yells
(ربما كانت زغرودات) .. وينهى الراقص الرئيسى رقصته وكأنما أصابه السعار أو الجنون المؤقت ويحرك يديه وقدميه بعنف وينطرح على الأرض ووجهه الى الشمس ، لقد أنهى الراقص رقصته بهذه الحركات المجنونة مع أنه بدأ الرقص وكأنه كائن عاقل . وأثناء هذه الحركات والالتواء التى تؤدى بخشونة يسبح هذا الراقص الرئيسى فى سحابة من التراب ، فلا ينتهى العرض الا وقد تغطى جسمه بطبقة غير رقيقة من الطين ، كونها العرق والتراب . واذا ما انتهى هذا الرقص الوحشى اتجه الجميع نحو أطباق من الابصال bulbs (lunches) والحشرات التى تستقر على شجرة الموبانى(★) وهم يحبون هذه الوجبة ويقبلون عليها بشغف .

صفقة الملح الخاسرة :

وراحت الأيام تمر على هذا النحو ، ونحن فى انتظار عودة الزعيم جورج ، وحدث أن طلبنا من زوجاته وأتباعه أن يجلبوا لنا بعض الملح من حوض ملحى قريب ، فأحضروا الملح المطلوب لكنهم بالغوا كثيرا فى طلب المقابل (فى الثمن الذى يتعين علينا دفعه) فرفضنا الصفقة ، وفى الحقيقة فنحن لم نكن نقدر على دفع كيل خرز مقابل كيل ملح . لقد كان هؤلاء الناس يطلبون منا لحما كثيرا رغم أننا اصطدنا لهم أكثر من مائة طريدة ، وكانوا يطلبون منا خرزا وتوباكو ... الخ وعلى أية حال فانهم عندما وجدونا لم نستجب لصفقتهم فى دفع كيل خرز مقابل كل كيل ملح صبوا على

(★) نفضل هنا ايراد النص الانجليزى لعدم تأكدنا من المعنى :
To sone dishes of bulbs (Lutches) and the insect deposits of the mopani trees.

رءوسنا جام غضبهم وسبونا سبا مقذعا ، فكنا مضطرين لطردهم مع كلابنا التي راحت تنبحهم ··· وكانت كلابنا متفرقة مع كلابهم حجما ونباحا ، فأثارت فيهم رعبا وكأنها أسود · وفي الوقت نفسه ، لقد كان البشمن وكلابهم نهمين جدا ، فلو أمن هؤلاء البشمن العقاب لسرقوا كلابنا بل وسرقوا حتى العاج · وكلاب البشمن من نوع صغير وهجين ذوات نباح ضعيف وليست عالية الروح ، وليس هذا بالأمر المستغرب فهم لا يقدمون لها طعاما جيدا الا بالسرقة ، بالاضافة الى أنها تعيش دائما في ظروف بائسة ، وهي تقبع كسادتها البشمن بالقرب من النيران أو على الرماد المحترق ، لذا فهي مشوهة من جراء حروق واسعة على أجسامها ·

وفي ٢١ أغسطس اصطدنا حوالى عشرين رأسا وقدمناها للبشمن البؤساء الذين كانوا أجدر بالاحسان من البامانواتو Bamanwato لكن ما قدمناه للبشمن من طرائد لم يبق في حوزتهم كثيرا فسرعان ما استولت زوجات الزعيم على كل ما قدمناه بالاضافة لاستيلائهن على أسدين شابين كان البشمن قد قتلاهما أثناء النهار ·

جلــود الأســود :

واذا نظرنا لملابس هؤلاء البشمن التي تتكون أساسا من جلود الأسود خلال العام · وعلى أية حال ، ففي بعض الأنحاء لا يقتل الوطنيون الأسود واللبؤات أو الكلاب البرية لأن هذه الحيوانات تعد صيادة للطرائد التي يتخلف منها بعض اللحم يتناولونه ، بل انهم يطلقون سراح الكلب البرى اذا وقع في حفرة من حفرهم المميتة ، فهذه الحيوانات المفترسة بالاضافة للنسور تساعد أهل البلاد على الاهتداء لجثث الحيوانات الميتة ·

الزعيم (العيـــل) :

وأخيرا ، في ٢٧ أغسطس وصـــل الـزعيم جـورج أو الزعيم موجوردى Moogorooi المسئول عن منطقة (ولاية) ماديكنيسانا Madenisana باعتباره واحـدا من الزعماء المحليين (الخوازى Khoisis) وعرفناه بهدف زيارتنا لكن اجابته عن الحاحنا المقرونة بوعود بتقديم مكافآت له ان هو ساعدنا في شق طريق رحلتنا كانت لا تزيد عن أنه (زعيم عيـــل Child) وهو تعبير يستخدمه أهل البلاد ليشيروا به الى عدم كفاءة شخص ما ، وعندما أكثرنا من الاستفسارات لم يفتح فمه بكلمة واحدة • لقد أكد أنه لا توجد أية أفيال **ولا أى ماء في اتجاه الشرق** ، وانما يوجـد فقط كثير من ذبابة تسى تسى tsetse وكان لدينا من الأسباب ما جعلنـا نعتقد أن جـورج بهـذا الرفض انما كان يعبر عن رغبـة سيكومى • لمنع آية اتصالات بين رموزيليكاتسى والبيض ، كما كان خائفا (سيكومى) من أننـا سرعان ما سـنكتشف مدينته بعد وصولنا لنهر شوا Shua •

وفى ٢٩ ديسمبر وجـدنا أننـا قضينا ثلاثة أيام فى مفاوضات مخزية دون أن نصل الى نتيجة مرضية ، فأصررنا على أن نشق طريقنا شرقا بعـربة واحـدة فقط رغم ذباب (تسى تسى) ورغم عدم وجود مرشدين معنا لأن جورج أبعد عنا كل البشمن بحرص بالغ ، ولما رأى أننا أعددنا الثيران والدواب وشرعنـا في البـــدء آتى ليقـول انه سيصحبنا اذا انتظرنا حتى يوم الاثنين ، ومع أنه لم يقدم لنا تفســيرا لهذا التأخير ولم يعد بأن يدلنا على مناطق بها أفيال ، فقـد قبلنا وأطلقنا النار عـلى عـدد من حيوانات الكاجا Queggas لاطعام أهل البلاد فرقصوا وغنوا بلا انقطاع •

وقد وصل الآن مائة بشمنى أو أكثر حاملين معهم قطعة لحم كبيرة من فيل ولحوم أخرى فاستولى عليها جورج كما استولى أيضا منهم على حوالى ستين ناب فيل وجلود نمور وحيوانات ابن آوى وجلود حيوانات أخرى معدة ومنعمة • ولتجهيز هذه الجلود لاعدادها ملابس فانهم يكشطونها ـ اذا كانت سميكة ـ بالقدوم adze حتى تصبح ناعمة جدا ومرنة ، ثم ينقعونها ويكشطونها ويبشرونها بحجر خشن أو بسن فيل ثم يفركونها بأكفهم أو قبضاتهم حتى تغدو جافة ناعمة ، ويصبغون الجلود ببعض اللحاء الرطب •

وفى ٣١ أغسطس انفصل بعض رفاقنا فى الرحلة عنا، واتجهوا صوب البحيرة ، وكانوا من الماتيبى Matebe وذلك خوفا من الاقتراب من البلاد التى يحكمها موسيليكاتسى Moselekatse ، بينما استمررت أنا ومى فلجون وجريلنج ودوال فى الاتجاه شرقا بعربة واحدة ومعنا خدمنا ، وتركت صديقى ويرزنج Wirsing ومعه بقية العربات وما تبقى من الخدم ، واتخذنا طريقا شماليا شرقيا موازين للمنخفض الملحى نتيتوى Ntetwe فتجاوزناه ومررنا بثلاث برك أو أربع جميلة احتشدت فيها دجاجات الماء • وأطلقنا النار على عدد من حيوانات الكاجا Quaggus والجنو Gnus وظباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) التى عبرت من أمامنا بأعداد لا حصر لها أو راحت تنظر لموكبنا يمر فى مملكتها التى لم يكتشفها أحد من قبل •

وعلى هذا النحو ظللنا سائرين لأربعة أيام ، وكنا فى كل يوم نمر ببركة أو بركتين ، وكانت قيعانها حجرية ، وكنا نقيم معسكرا لمبيتنا بالقرب من واحدة منها ، وكنا

ـ بشكل عام ـ ننتظر بالتناوب الى جوار هذه البرك (البحيرات الصغيرة) لنقتل حيوانات الكركدن (وحيدة القرن) ونحن مختبئين خلف جدار حجرى دائرى لا يزيد ارتفاعه عن قدم واحدة كما كنا نسهر بهذا الغرض ليلا فى الوقت الذى كان فيه البامانواتو Bamanwato الكسولون يغطون فى نومهم على الحشائش حول النيران ، وكان الواحد منهم يجعل قدميه أثناء النوم ناحية النار ويضع تحت رأسه ـ كوسادة ـ حجرا أو قطعة خشب ٠ وفى طريقنا الى هنا أطلقنا النار على سبع زرافات وعدد من الجنو وحيوانات الكاجا وظباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) ٠٠ الخ ٠

موزيليكاتسى يحطم المدن :

ووصلتنا الأخبار الآن من كل المصادر أن قائد جيوش موزيليكاتسى قد حطم تماما مدينة لا تبعد عن موقعنا هذا بأكثر من ستة أميال وأن هذا القائد يبحث عنا بعد أن علم أننا نصطاد الأفيال فى هذه الأنحاء ، ويمكن أن يصلوا الينا فى اليوم التالى ٠

النجاة ٠٠ النجاة :

وعندما وصلت هذه المعلومات أسرج واحد من رفاقى الهولنديين اثنين من أفضل الخيول وفر هاربا عائدا الى الثومثا Thumtha وحذر صديقى ورزنج Wirsing قائلا له اننا قتلنا بالفعل أو سنقتل بالتأكيد ٠

مناورات كى نعود :

وتظاهر البامانواتو Bamanwota الذين معنا باسداء النصح قائلين انه كان يجب علينا أن نرسل الجواسيس فى

كل اتجاه ، وأنه لم يكن أمرا مأمونا أن نصطاد لأن أصوات بنادقنا قد تجمع الناس ، وقد يبلغ عـدد هـؤلاء المتجمعين آلافا ، ولكننى بعد أن أدركت ما فى تقاريرهم من تناقضـات أدركت أنهم يهـدفون بمنـاوراتهم تلك أن نعـود من حيث أتينا ، فهددت بالانطلاق ومواصلة الرحلة بدونهم • وعـلى أية حال فان رفاقى الذين كانوا قد فقدوا عددا من أصدقائهم فى مذابح الكافير لم يكونوا يشعرون بالاطمئنان مثلى وبدوا مستعدين لتصديق أن الخطر وشيك ، لذلك لم أعترض على رغبتهم فى العودة الى ترانس فال trans-vaal.

وبينما كنا فى طريق العودة قابلتنا جماعة من الماكالاكا Makalakas مساء ، وكانوا قادمين من الشرق حيث كانوا يزرعون الحنطة وقالوا لنا انهم هاربون من قائد موزيليكاتسى الذى رأوه فى اليوم السابق • وعلى أية حال فقد وجدنا أن هؤلاء الناس قد عادوا لديارهم أثناء الليل محملين باللحوم ، ولاحظنا خلال مناقشتهم للبامانسواتو Bamanwato وهم متحلقون حول النار بريق النصر فى عيونهم أو هذا ما تخيلته ، لقد كان هؤلاء الناس يتظاهرون بصداقتنا ، وشعرت بالرضا أن كل الأخطار المتوقعة ، والتهديدات ، كانت مجرد حكايات غير حقيقية (فبركة) بهدف احباط خططنا فالغش والخداع من خصائص معظم هذه القبائل • وعلمت بعد ذلك من خلال الخبرة التى حصلتها فى رحلاتى أن شكوكى فى هذه القبائل شكوك حقيقية لها أساس •

الحمى :

وقد حدث الآن من الأمور ما يجعلنا نعجل بالعودة دون تأخير ، بصرف النظر عن ادعاءاتهم ، فقـد هاجمتنا الحمى

بدون استثناء ، نحن وأهل البلاد ، وكانت من نوع الحمى الروماتزمينة ، وكان هجوما شرسا ومفاجئا فأسرعت لذلك ـ باللحاق بصديقي وزنج في ثمثا thumtha أو مركز جورج كما تسمى أيضا . ووصلنا الى هذا المركز في غضون أيام قليلة ، فوجدنا أن مجموعتنا هذه قد هاجمتها الحمى أيضا في ذات اليوم الذى تعرضنا فيه لهجومها رغم أن المسافة كانت بيننا وبينهم بعيدة . وعلمنا بعد ذلك أن أصدقاءنا من الماتيبى Matebe قد أصيبوا أيضا بالحمى في الوقت نفسه ، ولتزداد متاعبنا وجدنا أن ثيراننا وخيولنا كانت تعاني من آلام حادة في عيونها لدرجة أن بعضها كان قد أصيب فعلا بالعمى ، وكان المتسبب في هذا المرض هو فراشات صغيرة تمرح في الأعشاب القريبة من ينابيع الماء . ووجدنا أن الماء بالملح كان مفيدا فأعدنا القدرة على الابصار لبقية الدواب التي لم تكن قد أصيبت بالعمى تماما . وبعد أن مكثنا في مركز جورج أياما قليلة واصلنا رحلة العودة .

★★★

رحـــــلة

فرانسيس جالتـون

FRANCIS GALTON

بـلاد الأوفامبـو

OVEMBO LAND

ولد فرنسيس جالتون – ابن عم شارلز داروين – في برمنجهام Birmingham سنة ١٨٢٢ م في أسرة كيكر Quaker الشهيرة ، وطاف بالشرق الادنى وعمل في المجـال الطبى • وهجر مهنة الطب عندما أصبح ثريا ، ورحل الى مصر والسودان وسوريا ، وفي الفترة من ١٨٤٥ الى ١٨٥٠ وجد ميلا لممارسـة الرياضة ، ثم صمم على ممارسة الصيد والكشف في مناطق جديدة مستلهما اعمال أوزويل Oswell وليفنجستون Livingstone ، واحد معه الى جنوب افريقيـا – كرفيق – شـارلز اندرسـون Anderson • وقد نصحه السير هنرى سميث – الحاكم – بأن يعدل عن تجريب طريق بتشوانالاند Bechuanaland الى بحيرة نجامى ، فقـرر أن يتجـه الى بلاد الدمارا (دمارالانـد Damaraland) في المرحلة الأولى • فذهبوا الى خليج ولفز Walvies bay بمـركب شراعى ، وكان النمـاكوا Namaquas يغيرون على الدمارا ، لكن جالتون حقق بعض النجاح في التحذير من انتهاك القانون ، وقرر جالتون – بعد أن سمع عن بحيرة الى الشمال وعن امة عظيمة وكبيرة خلفها – أن يؤجل محاولته للوصول الى بحيرة نجامى من ناحية الغرب ، وأن يبحث عن بحيرة اوماندوند Omanbonde وعن شعب الاوفامبو Ovambo • وبالقرب من اوكامبوتى Okambuti تحطمت عربته ، فغادر جالتون لارسن Larsen لاصلاحها هى والعربة الاخرى ، واندفع مع اندرسون وقد ركبا حصانين ومعهما بعض دواب التحميل • وضل المرشدون الدمارا الطريق بالقرب من نبع اوتجيكونجو Otjikongo

والنص التالى من كتاب :

Galton's Nerrative of an explorer in tropical South Africa (John Murray, London, 1853).

وقد حقق جالتون اخيرا شهرة كعالم ارصاد جوية وعالم نفس تجريبى وخبير احصاء وعالم بتحسين النسل eugenist وخبير بصمات .

* * *

نوع جديد من البشر :

.. رأينا ثلاثة من السود يجرون قادمين من ناحية أوتجيكونجو Otjikongo ، وبمجرد أن تبينا ملامحهم صاح البشمن والدامارا قائلين : أوفامبو .. وكان الأمر كما قالوا :

لقد كانوا جزءا من قافلة طال توقعها كانت قد وصلت حالا بعد أن كنا قد بدأنا رحلتنا ، ولأن آثار أقدام دوابنا وطريقتنا فى التجمع آثارت دهشتهم كأقصى ما تكون الاثارة فقد أرسل رجال القافلة هؤلاء الأفراد الثلاثة ليجعلونا نعود من حيث أتينا . لقد كانوا رفاق سوء خشنين وعيونهم حادة ، وقد أصروا أن نعود من حيث أتينا ، فضحكنا منهم ، فانتحوا جانبا بالرجل البشمنى التابع لنا واستخدموا معه كل أنواع التهديد حتى جسر على التقدم بمشقة ، وفى الوقت نفسه فاننى صدمت ببرود هؤلاء الرجال وعدم خوفهم ، وطريقتهم فى حسم الأمور وهى ليست بعيدة عن التحضر تماما ، ووجدت اننى ازاء نوع جديد من الرجال يختلف تماما عن البشمن والدمارا فهم كانوا راغبين فى معرفة بعض الشىء عن الغرباء قبل السماح لهم بالمرور فى بلادهم فعدت معهم الى معسكرنا الذى غادرناه صباحا .

لقد كان معارفى الجدد يختلفون فى منظرهم تماما عن الدامارا ، ولكنهم يشبهون كثيرا الجوداموب Ghoudamüp كان منظرهم رديئا ، وكانوا نحالا بارزى العظام ، وملامحهم حادة قوية وملابسهم غير مسرفة وقليلة ومضحكة ، وكانت

رءوسهم حليقة وقد كسروا أسـنانهم الأماميـة ، وكانـوا يحملون سهاما خفافا ، يبلغ طول الواحد منها ثلاثة أقدام ونصف قدم ، وكان الواحد منهم يحمل في يده الأخرى رمحا حسنا صنعه قصيرا طوله ، وفوق ظهر الواحد منهم كنـانة تحوى ما بين عشرة الى عشرين سهما مسمما ، ويضع خنجرا فى جراب (قراب) محكم وهو اما مثبت بحزام حول الوسط ، أو مثبتا حول الذراع فوق الكوع ، ويضعون حـول رقابهم قلائد يعرضونها للبيع ، ويحمل الواحد منهم فوق كتفه عصا منقمة يعلق فيها عددا من الصرر (جمع صرة) فى بعضها أدوات من الحديد للتبادل ، وفى بعضها قمح وآنيـة لحفظ المـاء .

وكان عدد الاوفامبـو أربعـة وعشرين ، ورئيسـهم (قائدهم) رجل طويل تدل نظراته على أنه مغامر مقدام . وقد أعجبت حقا بانضباط معسكرهم ونظامه ، وكان سلوكهم مهذبا بالفعل . وسرعان ما أصبحنا أصدقاء ، ونحرت ثورا من أجلهم ، ومن أجلنا أيضا ، قدموا بعض القمح الذى كان بمثابة تغيير فى طعامنا يستحق أن نشـكرهم عليـه . لقد اهتموا بنا كثيرا لكنهم رفضوا بحسم أن يقـدموا لنادليـلا منهم وأصروا على أن نعود معهم الى قرية شابوبا Chapunpa's werft ووعدوا ـ فى الوقت نفسه ـ أنهم اذا ما أنهوا صفقاتهم وعادوا فانهم سيأخذوننا معهم ، كان أول سـؤال وجهه قائدهم لنا (وكان اسمه شـيكورونجـو اونسكومبى (Chikorongo-Ontompé) هو ما اذا كنا من طائفـة جالبى المطر Rain makers فأجبتـه بأننا آسـفون فلسنا جالبى مطر لكننى نسافر أينما نريد ومتى نريد وبدون مرشدين ، فارتجل لنا جملة أكاذيب طـويلة « ومتقنـة »

ـ لكنه بعد ذلك أنكر كل كلمة قالها ـ لقد قال لنا ان جالبى المطر مطلوبون بشدة فى بلاد الأوفامبو وأن قبيلة منهم تعيش بالقرب من نهر كبير من ناحيـة الشـمال وأن النانجـورو Nangoro يرسلون امرأة محملة ببعض الهدايا لهؤلاء الناس (جالبى المطر) ، فاذا قل المطر فى أى عام قتلوا هذه المرأة وأكلوا لحمها فيرسلون لهم امرأة أخـرى ، وقال لنـا أيضا ان البشمن فى طريقنا الى نانجورو شرسون جدا ، وأنه ورفاقه كانوا فى حالة حرب معهم ، وأنهم ـ أى البشمن ـ سـاخطون وهائجون أكثر من أى وقت مضى · أتلك كانتـا الأكذوبتين اللتين سمعتهما عن الأوفامبو ، وهما من ضـمن الأكاذيب التى لم أسمع مثلها فى أى وقت مضى، أما الأكذوبة الأولى فكانت طبيعية ، وأما الثانية فلا أدرى لم تكبد عنـاء حبكهـا ·

عن لغة الأوفامبو والدامارا :

ولنطلق على هذا القائد من الآن فصاعدا اسم شيك - مراعاة للاختصار بدلا من اسمه الطويل · لقد كان شـيك يتحدث بلغة الدامارا تماما وان كان بلكنة خاصة ، وكذلك كاتوندوكا Katondoka ونتجو Netgo وهما نائباه ، أما الآخرون فكانوا ـ بالكاد ـ مفهومين · ولغـة الأوفامبو أكثر مرونة وموسيقية وهم يتحدثونها وكأنهم يغنون وهى لا تفتقد شيئا سوى وهم يتحـدثونها وكأنهـم يغنـون وهى لا تفتقد شيئا سوى حرف اللام (L) مثلهم مثل الدامارا الذين لا يستطيعون نطقه ، فأطفال الدامارا لا ينطقون حرف اللام الا اذا كانوا يريدون نطق حرف الراء (R) مثلهم فى ذلك مثل كل الأطفال ، فاذا ما كبروا ـ أى أطفال الدامارا نسوا كيف كانوا ينطقون حرف (L) فهم دائما يضعون الراء (R) مكان اللام (L) لذا فاسم السيد كولبى kolbe أصبح

كوروبى Korube ، واسمي الذي يناديني رفاقي به هو بل Bill تحـول فى ألسنتهم (الداماارا) الى ايرو Eiro • لقد عانوا في السيطرة على نطق اسمي ، وفى خاتمة المطاف و بعد محاولات عديدة استقر على بورتينو Bortonio ، واللاحقه (يو) تستخدم للتصغير أما اسم أندرسون Anderson فكان بالنسبة لهم مليئا بالحروف الساكنة فأطلقـوا عليـه اسـم كابانديرا Kabandera وتعنى صائد الطيور • وكثير من الكلمات بلغة الأوفامبو تشبه الكلمة بلغة الداماارا شبها كبيرا فعلى سبيل المثال فان جملة (أحضر النار) بلغة الداماارا هى (ات أميوريرو et Omiorio) وبلغـــة الأوفامبـــو هى (الا آوميوليلو ella Omuliloo) •

وطريقة الأوفامبو في اقامة المعسـكرات طريقـة مميزة فهم لا ينامون الى جوار كتل خشبية محترقة وانما هم يجمعون من السهل أحجارا الواحدة منها بحجم الطابوقة (حجر البناء الصغير)، ويوقدون نيرانا تتخذ شكل صفوف ثلاثة أو صفين، وفى كل صف خمس نيران تقريبا ، ويضعون الأحجار حول كل نار من هذه النيران بحيث تشكل هـذه الأحجـار دائرة قطرها قدمان لتمنع الرماد المتطـاير وتمنع الجمـرات من الخروج بعيدا عن النار ، ثم ينامون ويستغرقون فى النـوم بين صفوف النيران هذه ، وهم ينظمون معسكرهم بانضباط شديد ، وتعتبر خطتهم هذه خطة جيدة فى مناطق تتوافر فيها فروع الأشجار والشجيرات ، لكن لا تتوافر الكتل الخشـبية الضخمة ، واذا ما انطفأت النيران بعد منتصف الليـل ظلت الأحجار ساخنة تشع حرارة فى الوقت الذى يكونون فيـــه مستغرقين فى النوم • وقد قمنا نحن بالتصرف كما يتصرف الداماارا فأشعلنا نارا هائلة ونمنا فى الجهة المقابلة لها لأننا

كنا نمتلك قدرا كبيرا من خشب الوقود • ولم أكن أنا أميل للنوم بين نارين لأن الدخان يضايقنى ولخطورة الشرار، فقد احترق أكثر من نصف فراش هانز Hans ذات ليلة وهو نائم ، وقد حمته بعض جلود الخراف التى كان يطرحها فوقه من أن يصبح عرضة للشــواء ، كما أنقــذت وعاء البارود الخاص به • وعندما تصبح كتلة الخشب نصف محترقة فانها تنثر رمادها حولها ، فتحمله الرياح لمسافة •

الدامارا لا يتناولون الملح :

وعند الأوفامبو قدور صغيرة يطبخون فيها ، وهم يأكلون القمح (أو الذرة) بعد غليه فى الماء ، وهم يأكلون أيضــا بعض الملح وهو مالا يفعله الدامارا فى أى مناسبة (تناول الملح) • والحق أن الدامارا لا يستطيعون امتلاكه فليس فى أراضى بلادهم ملح • وثمة ينابيع ملحية فى المناطق الدنيــا من بلاد السواكوب Swakop وقد وجدنا هذه الينابيع بعــد مغادرتنا شبمانزودورف Scheppmandsdorf وثمة أحواض ملحية كبيرة وجدناها بعد ذلك فى بلاد الأوفامبو لكن شيئا كهذا لا يوجد فى بلاد الدامارا • وفى أوروبا يفترض أن الملح ضرورى للحياة ، لكننا لم نجد الأمر كذلك هنا ، فذات مــرة ركبت مع أندرســون وثلاثة رجــال آخــرين فى رحلة استغرقت ستة أسابيع ولم نستخدم الا علبة ملح واحــدة ، وكانت هذه العلبة هى كل ما استخدمناه جميعا من ملح طوال هذه المدة ، ولم نكن نتناول سوى اللحم والقهوة ، وحتى هذه الأخيرة لم يكن تناولها بوفرة أمرا ضروريا وكان من الممكن الاستغناء عنهافى أى وقت دون أسف • ويستخدم الناماكوا الملح بين الحين والحين لكنهم لا يخزنونه • ولا شك أن هؤلاء الناس الذين يعتمدون فى غذائهم على اللحوم والألبان فى

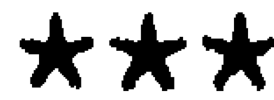
غذائهم يحتاجون للملح أقل من أولئك الذين يعتمدون على الخضروات ، لكن نصف الدامارا يعيشون ببساطة على ثمار الجوز Pif-nut ولا شك أنه طعام غير مغذ ، كما أنه عسر الهضم ، ولابد أن يتناول المرء منه كميات كبيرة حتى يقيم أود حياته • والهوتنتوت بالقرب من خليج ويلفس Walfisch والذين يعيشون فى الغالب على القرع (اليقطين) nera gourd لا يفكرون في جمع الملح مع أن البحر أمامهم ، والملاحات (الأحواض الملحية) من خلفهم ، وهو الأمر الذى كانوا سيفعلونه لو عرفوا أن الأوربيين في شوق شديد اليه ، والحقيقة الأخيرة التى يتعين على ذكرها فيما يتعلق بالملح أن الحيوانات فى سواكوب Swakop لا تتردد كثيرا على الصخور الملحية للعقها كما يحدث فى أمريكا ، وقد زرت هذه الصخور الملحية (أدنى أوسوب Oosop) عندما كانت المنطقة حولها عامرة بالطرائد ، وكانت آثار الأقدام توضح أنه مضى عليها شهر ، ولم تكن هناك آثار تشير الى تقدم الحيوانات الى الصخور الملحية التى يتراوح ارتفاعها بين قدم وعشرين قدما فوق الأرض ، فى موضع به نبع ملحى يقطر فوقها •••

والأوفامو قوم اجتماعيون وهادئون ، ويبدون وهم يصدرون الأوامر بصوت خفيض وأحيانا بعد أن ينتحوا بمن يأمرونه جانبا •

القدرة على العد :

وهم يستطيعون العد فهم قد شرحوا لى مرة عدد زوجات نانجورو Nangoro مستخدمين أصابعهم بسرعة لتبيان العدد، كما أنهم قاموا بعد ثيرانى بالسرعة نفسها التى كنت

ساعدها بها • وفى اليوم التالى عدنا معهم ، وفى الغد وصلت لمقرى my werft ، ثم تفرق التجار الأوفامبو الى مجموعات وذهبوا للمقايضة • ولم يتخلف منهم الا القائد شيك Chik حيث كان يتلقى ثورا يرسلونه اليه بين الحين والحين • وقضى شيك معظم وقته معى وأخبرنى بقدر كبير من المعلومات عن الأوفامبو والنانجورو • ووجدنا أن الأمر قد يتطلب أسبوعين للوصول هناك ، لقد أصبحت ثيرانى نحيلة جدا فقد عطلنا الأفامبو ، وقد كانت الحشائش فى هذا الجانب من الأومورامبا Omoramba من نوع مختلف وتأثرت خرافى بشكل محزن بسبب تغير نوعية الطعام ، فأصبح ذيل (لية) الواحد منها كالحبل، بعد أن كان سمينا عامرا بالدهن، ولم يكن ثمة طرائد حولنا لاصطيادها •••



٢ مايو :

لقد أصبحنا نحن والأوفامبو مستعدين ، فانطلقنا ووصلنا فى غضون ساعتين الى موضع الالتقاء العام ، وكنت مندهشا لرؤية القافلة التى ستضمنا وطريقة تشكيلها ، ووصف هذه القافلة يعطينا فكرة عن البضائع وكمياتها ، وطرق المواصلات الى الشمال من بلاد الداماراا • ويشهد هذا الطريق أربع قوافل من هذا النوع سنويا ، اثنان منها الى مقر شابوبا Chapupa واثنان من الأوفامبو وبلاد الدامارا ، وهاتان القافلتان تتخذان طريقا قريبا من البحر فى بعض الأحيان ، وقد أخبرنى كاهيكينى Kahekené عن هاتين القافلتين ، وسمعت كثيرا من التفاصيل عنهما •

لقد كان لدينا خمسة عشر ثورا من ثيران الركوب والتحميل وثمانية للذبح ، وبقرتان وعجل صغير وثلاثون خروفا وثلاثة من الماعز ، كانت الماعز مفيدة جدا لاستخدام جلودها في رتق ما ثقب من أوعيتنا الجلدية كما أنها مفيدة في عمل القرب (الأوعية الجلدية) ، وهى لا تحسن الرحلة (السير مسافات طويلة) كالخراف ·

وأقمنا معسكرنا ـ كما هو معتاد ـ ليلا ، وتركنا الثيران ترعى حولنا ، وكنا لا نتوقع وقوع أحداث ، لكن الدامارا الذين كانوا يتجولون بين الأشجار لمحوا ـ لحسن الحظ ـ أسدا كان يقترب من واحد من ثيران الركوب الخاصة بى ، وكان غير بعيد عنه ، وقد رحل الأسد بالطبع ـ كما هى عادة الأسود ـ عندما تم اكتشافه وهو يتربص تربصا شريرا ، وكنا نسمعه طوال الليل وهو يزأر بغضب ، وزئير الأسد وهو يجول حزينا بعد أن فشل فى الصيد ذو لحن حزين كما أنه صوت غير موسيقى ، لكننى لم أسمعه أبدا يعبر عن غضبه في معرض الوحوش بانجلترا، فقد كان زئيره صوتا جديدا تماما بالنسبة لى · ولم أكن أدرى انه صوت أسد حتى أخبرونى بذلك · وصيحة الحمار الوحشى أيضا ذات طابع خاص فصوتها من بعيد أقرب ما يكون الى صوت اليمامة منه الى أى صوت آخر roocoo-Cooing of a dove وأنشأنا حظيرة (كرال) وأدخلنا فيها الثيران ليلا ، واتخذت قرارا بأن أنقل ذلك (أقيم حظيرة) للثيران كل ليلة حتى أتخلص من القلق ·

المرأة نافعة :

لقد كان معى خمسة من الدامارا وأربع زوجات· النساء مفيدات جدا ، فهن يحملن أشياء الرجال ، ويشيدن أكواخهم ،

ويطبخن طعامهم ، وبذلك يتركن الرجال غير مرتبطين بعمل من هذه الأعمال الآنف ذكرها فيجرون ويركبون الثيران ويفعلون كل ما نطلبه منهم • وليس لدى المرأة من الدامارا كثيرا ما يستوجب الشكوى ، فهن رفيقات ذوات قيمة ، والواحدة منهن يمكنها تطليق نفسها كما تريد غالبا ، ونتيجة ذلك فان قاعدة الزواج لا تعتمد على العنف ولا على المصلحة وانما على العاطفة والشعور ، ولا تكلف المرأة الرجل الداماري شيئا فهي التي تجمع جوزها her own pignut ، بل انها تستخدم استخداما ايجابيا فهي التى تشيد الكوخ وتطهى الوجبات ، وتحمل أشياء الرجل ان انتقل من مكان الى مكان • ونادرا ما يضرب الرجل الداماري زوجته ضربا مبرحا ، فاذا ما فعل غادرته وذهبت • وكان توقير الرجال للزوجات على هذا النحو يشكل صعوبة كبيرة أمامنا لاقرار النظام فقد اردت كثيرا معاقبة سيدات (زوجات) من مجموعتى ففشلت فى حث أزواجهن على جلدهن من أجل خاطرى ، ويطبيعة الحال فقد كان لدى من الحكمة قدرا يمنعنى من جلدهن بنفسى واصدار الأوامر — لغير أزواجهن — بجلدهن •

المرأة لا تحفظ السر :

لقد كدن يقتلننى بسبب كثرة كلامهن (ثرثرتهن) الذى لا ينتهى ، لكن دعنى أعترف أن شخصياتهن فيها كثير من الجوانب الطيبة ، فهن صبورات تماما ، رغم أنهن غير ممتلئات أنوثة بمفهوم الأنوثة الذى نعرفه ، وليس لديهن عواطف جياشة (غير مغناجات) (★) لأزواجهن وغير

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم — (المترجم) •

عطوفات بالنسبة لأطفالهن ، وفى الحقيقة فان الزوج ـ فى الغالب ـ ما كان يتغير كل أسبوع (أى تهجره زوجته الى زوج آخر) ونادرا ما كنت أعرف من هو زوج السيدة ما لم أسأل • واحدى الفوائد الجليلة للنساء فى مجموعتى أنهن يكشفن أى خطة أو أى سر يريد أهل البلاد الذين أقيم معهم أن يكتموها • وقد دلت التجربة علـى حقيقتين : الأولى أن المرأة تبتهج بافشاء سر أى شخص للشخص الآخر ، والثانية أن الزوج والزوجة يتبادلان كل ما يعرفانه من أسرار ، ومن هنـا فان النســوة المتزوجات فى مجمــوعتى كن بمجــرد اقترابى من مقرهن ، سرعان ما يخرجن كل الأسرار المتعلقة بالسكان الذين أفضوا بها الى زوجاتهم •

لقد كان هذا أسلوبا فى التجسس أثبت فعاليته • وقد أثيرت بعض الصعوبات متعلقة بالاشاعات التى تثيرها النساء فى أوكامابوتى Okamabuti ، وقــد تصرف شــك Chik ازاءها بكياسة • فقد أخبر رجلى كمبانيا Kambanya زوجته أن الأوفامبو يخططون لسرقتى وقتلى بمجرد وصولى لبلادهم ، فقامت زوجة كمبانيا باخبار الزوجات الأخريات، اللائى قمن باخبار أزواجهن ، وتضخمت الحكاية بتداولها بين عدد كبير من الناس ، وأضيفت اليها تفاصــيل كثيرة ، ولأننى لم أكن أعرف أصل الحكاية فقد استدعيت شك Chick لأسأله عما سمعت فأكد براءته من هذا الأمر ، فقلت له ان عليه أن يبحث الأمر ويتقصاه ان كان يريد تبرئة نفســه ، ففعل ذلك بطريقة فيها اقتدار ، وتتبع كل الخيــوط حتى وصــل الى رجلى التمس كامبانيــا Kambanya الذى ابتــدع (فبرك) هذه القصة ليحثنى على العودة وعــدم الذهاب الى بلاد الأوفامبــو ، ومن ثم فقــد تم جلد كامبانيــا ، وزادت صداقتى توثقا بشيك Chik •

٢٣ مايـو :

واصلنا مسيرنا راكبين لمدة ست ساعات حتى وصلنا لموضع اللقاء الثاني (أوتوى Ootui)وهنـاك وجدنا كل الأوفامبو في معسكرهم ، كما وجدت جماعات من الدامارا متناثرين تحت الأشجار ، وعندما كنا راحلين في اليوم التالي أحصيت القافلة فوجدت فيها ستا وثمانين امرأة دامارية ، نصفهن تقريبا يحملن أطفالا فوق ظهورهن، وعشرة رجال من الدامارا أيضا • وكانت مجموعتنا تتكون من أربعة عشر ، ومجموعة الأوفامبو من أربعـة وعشرين ، وبذلك يكـون المجموع ١٧٠ نفسا ، وكان في القافلة ٢٠٦ رءوس ماشـية من ذوات القرون • ثلاثة أرباعها أبقار أو عجول أبقار •

وتفرقت نساء القافلة وعددهم ست وثمانون في مجالات مختلفة ، فبعضهن ذهبن للعمل في أرض الأوفامبو ، وبعضهن ليحصلن على أزواج ، وبعضهم ليبعن المشـد (الكورسـيه) النسوى المصنوع من قشور بيض النعام • وكان شيك Chik . يعتقد أن القافلة في هذا الوقت أكثر عددا من المعتاد بقليل •• يمكننا اذن أن نقـول ان صـادرات الدامارا من الثيران للمناطق الواقعة الى الشمال منهم تبلغ حوالى ٨٠٠ ثور سنويا وعلى سبيل المبادلة بالأسلحة والأشياء التى تتخذ للزينة من الناماكوا والمراكز الارسـالية الى الجنــوب ، وليس لدى الدامارا اتصالات أخرى فالأراضي الواسعة تفصلهم عن أمم الشرق والشاطئ الرملي يحدهم من الغرب •

٢٤ مايـو

بوصـولنا الى أوتشيكانجو Otchikango وتعنى نبـع القرد baboon-gountain ، مررنا بنبع دائرى لافت للنظر

فى وسط أرض من حجر طباشيرى · لقد كانت تشبه الدلو تماما ، قطره تسعون قدما وعمقه ثلاثون قدما ، ويطلق عليه السكان اسم أوروجو Orugo وجدرانه قائمة ، وقاعه مسطح وفى وسطه بئر صغيرة يمكن للمرء أن يزحف اليها ، كل الأرض الى الأعلى من الحجر الكلسى ويرى المرء آبارا أخرى جافة تشبه الأوروجو لكنها أصغر ، وثمة ثقوب وتجويفات أخرى تشبه علبة الكبريت الدائرية baboon-fountain ، وبعضها أكبر يبلغ قطرها قدما ، وفى هذه التجويفات تنمو الأشجار (الصغيرة) فتبدو وكأنها أطباق زهور ، أما التجويفات العميقة المكشوفة فهى بمثابة شراك خطرة يمكن أن يسقط فيها الانسان والحيوان ، انه منظر مدهش وقد أخبرنى السيد أوزولى Oswell أنه رأى شيئا كهذا قرب بحيرة نجامى ·

٢٥ مايو :

غادرت أوتشيكانجو (والكلمة تعنى نبع القرود) للمرة الثالثة ، وظللنا فى حالة ترحال طوال النهار وحتى الساعة الرابعة عصرا ، ومررنا بمنطقة وعرة كثيرة أشواكها لا تستطيع العربات اجتيازها فكان علينا أن نمر فوق سلسلة من التلال المنخفضة · وكانت اقامة المعسكر ليلا ، وكذلك قضاء الليل فى هذه المواضع أمرا ممتعا ، فأينما يولى المرء وجهه يجد نيرانا مشتعلة للتدفئة والطبخ ، وكنا جميعا فى روح معنوية عالية ، وراح الأوفامبو يغنون غناء جميلا ··

٢٦ مايو :

وصلنا موضعا يسمى أوتشيكوتو Otchikoto يشبه دلوا عميقا تماما مثل أوروجو Orujo الذى ذكرته آنفا ،

لكنه أوسع وأكبر اذ يبلغ قطره ٤٠٠ قدم ، لقد شكل صفحة مياه تربض تحت أقدامنا عميقة غائرة ‥ انها بركة جبلية قابلناها فجأة وعلى غير توقع ، وقد سبرت غورها وانحدارها الى عمق يزيد على ١٨٠ قدما ‥ وكان هذا هو العمق نفسه على بعد خمس أقدام أو ست من محيطها (شواطئها المحيطة بها) ، ويمكن الوصول للماء بأن يسلك المـاء واحدا من طريقين ضيقين غير ممهدين ، لا يصلحان الا للسـير عـلى الأقدام (أى لا يمكن للعربات أن تصل عن طـريق واحـد منهما) وقد سحبنا الثيران الى نهاية أحد هذين الممرين لتشرب من الحوض الذى راح الرجال يملأونه بنزح الماء من هـذه البحيرة ٠ وكان فى ماء البحـيرة سمك صـغير ‥ مدهش ! كيف وصل السمك الى هناك ؟! وقد قيل لى ان السمك يوجد أيضا فى نبع أوتجيرونجيوبا Otjironjiube لكننى لم أر ذلك بعينى ٠

عفريت النبع :

وثمة خرافات لا تنتهى عن أوتشيكوتو Otchikoto رئيس البحيرة (عفريت البحيرة) الذى قضى بأن أى كائن حى ينزل الى البحيرة (البركة أو النبع) لا يمكنه الخروج منها ، وقد بددنا هذه الخرافة أمام أهل البلاد بأن خلعنا ملابسـنا ورحنا نسـبح فيهـا ، وراح كل أفراد القافلة يحملقـون بدهشة ، بل ان البشمن الذين يعيشون بالقرب منها كانوا هم أيضاً مندهشين وغير مصدقين ، وكان هؤلاء البشمن قد أتوا لتحية الأوفامبو الذين كانت علاقتهم طيبة معهم ٠

أسحر هـذا ؟!

ورغم أن الأوفامبو يعيشـون على ضـفاف نهر كبير ،

الا أننا لم نر أحدا منهم يسبح أبدا ، ويبدو أن التماسيح فيه كثيرة مما يجعل الأهالى يخافون من السباحة فيه • لقد كانت علاقتنا مع شيك Chik طيبة حتى الآن بل وتوثقت صداقتنا ، لكنه بدأ يتشكك بعض الشيء فينا ، فقد بدت سباحتنا في أوتشيكوتو Otchikoto أمامه سحرا ، مما أفزعه • ومرة أخرى كان الدمارا التابعون لى يضايقون الأوفامبو بأننا أكثر نشاطا منهم ، وهى حقيقة قد يقبلها الأوفامبو لكنها الآن ــ بعد سباحتنا ــ أصبحت مؤكدة لا تحتاج لجدال ، وراحت النسوة الست والثمانون يغنين أغانى تشير لتفوقنا • لقد كانت احداهن وهى الكبيرة ترتجل الأغانى فتصيح الأخريات مزغردات على هذا النحو : « تر •• تر •• ترى •• ترى ... tirri-terri » • ومن المؤكد أن ثقة الأوفامبو فى نفسهم قد جرحت • لقد سخر شيك Chik في بداية الأمر من بنادقنا • لقد رأى بنادق قبل ذلك فى بنجويلا Benguela لكن لابد أنها كانت غير جديرة بالاهتمام ومن الصعب حملها وتوجيهها ، لدرجة أنه سخر من مقارنتها بالسهام ، وعلى أية حال فانه شيئا فشيئا بدأ يخشى البنادق وما يمكن أن تسببه حقيقة •

الرهبــة :

لقد كانت هناك بطة تسبح فى الماء غير بعيد ، ولم تكن تبعد أكثر من ستين ياردة ، وان بدت بعيدة جدا ، لأنها كانت الى الأدنى منا ، وقد أطلقت عليها بندقيتى بتصويب محكم ، وفى اليوم التالى كان أندرسون يطلق النار على بعض الطيور ، وقد أفزع شيك Chik جدا واعتراه الرعب حتى أنه لم يلتقط الطيور المتساقطة • وضحكنا كثيرا فى

أوتشيكوكو • فقد كان هناك كهف ملىء بالخفافيش والبوم فسبحنا اليه واكتشفناه ، وكان المكان مليئا بالحمام واليمام، وبين الحين والحين كان صقر أبيض ينقض، وصادقني القائد البشمني (الزعيم البشمني) وتبادلنا الابتسامات والهدايا الصغيرة •

٢٩ مايـو :

لقد عثرنا على آثار حوافر ثيران ، وسار الى جواري نتجو Netjo العجوز وهو رب أسرة ، وكان سعيدا مرحا ، وراح يشير الى كل ما يتعلق بالأوفامبو المجاورين • ومررنا بنبع حوله قصب (بوص أو غاب) ومستنقعات سبخة وبعد ذلك بساعة وصلنا الى أوموتشاماتوندا Omutchamatunda وكان الموضع غاصا بالأوفامبو وقطعانهم • وتلقونا بكرم بالغ وعينوا لنا شجرة نقيم معسكرنا تحتها • وقدم لنا الأوفامبو زبدا لندهن به أجسامنا ، لكنه لأنه كان زبدا نظيفا ، ولأنهم أعطونا أيضا قمحا فقد فضلت أن نأكله بدلا من أن ندهن به أجسامنا • وكان هناك عدد قليل من الطرائد، فأطلقنا بنادقنا على بعضها ، وقمنا باصطياد بعض البط وطيور الحجل ، واستحممنا •

القمح لا ينمو هنا كما لا توجد نساء ، ان هذا المكان ــ ببساطة ــ هو بمثابة زريبة (حظيرة) ، وهو بعيد عن المناطق التي يزرع فيها الأوفامبو قمحهم •

٣٠ مايـو :

الرب أوماكورو Omakuru :

ومررنا بقبر الرب أوماكورو ، فألقى الداماراً جميعا الحجارة على النصب الذى يغطيه ، وراحوا يغنون تاتى ــ

كورول tati kurul (أيها الأب ·· أيها الأب) ، ووصلنا الى حوض ملحى كبير يقال له اتوشـــا Etosha · انه يلفت النظر بكل الأحوال ، فجوانبه مجددة وغابية ، وسطحه ناعم وعليه طفح ، ويبلغ عرضه تسـعة أميـال ، لكن السراب منعنى من تحديد طوله لكنه بالتأكيد يزيد على خمسة عشر ميلا ، وقال شك Chik إنه لا يمكن اجتيازه أبدا فى الموسم المطير ، وأنه يصبح أقرب ما يكون البحيرة فى هـذا الموسم (الموسم المطير) ، ووصلنا أخيرا متأخرين فى المساء لمكان التوقف التالى Werft عنـد الحـد الجنوبى للمسطح الكبير GrandFlat الذى يسـمونه أوتشيهاكـو ــ وا ــ موتينيـا Otchihako-Wa-Motenya الذى يبدو ممتدا كمصب نهر معشوشب لا أشجار به ، وان كانت تحفه الغابات ·

مباراة فى الرماية :

ولم يستطع الأوفامبو هنا أن يصدقوا أن فى مقدورى تحويل الأصوات الى رموز مكتـوبة عـلى الورق · فأقنعتهم بكتابة أسماء عدد منهم ، ثم قرأتها عليهم · وقمت بتعليم عدد قليل منهم ألف باء اللغة ·· وأقمت مباراة فى الرماية ، وكان هناك عدد كبير من البشمن البدائيين فى المنطقـة ، ولأن كل الأوفامبو يحملون سهاما ، لذا فقـد كان هنـاك متبارون كثيرون · فوضعت فراء خروف كهدف وكان بعداه حوالى ثلاث أقدام وقدمين ، وجعلت الرجال على بعد ثمانين خطوة منه · كانت الجائزة عبارة عن ترياكو · وتنافس عشرون رجلا ، أطلق كل منهم ستة أسهم ، ومن ثم فقد كان هناك مائة وعشرون قذفة ، لـكن لم يصب الهـدف الا مرة واحدة ، بينما طاشت القذفات الأخرى ، أما التصويب من قرب (من خمس ياردات الى عشر) فقـد كانت نسـبة

الاصابات الصحيحة عالية • وكنت أقدم الجوائز على نحـو متتابع للدامارا والبشمن والأوفامبو ، لـكن المباراة كانت بائسة (غير جيدة) أسـوأ بكثير من مبـاريات الرماية فى انجلترا •• وكنت تواقا لتجريب الرماية بالبنادق ، فقـد كان أندرسون قد أصاب نعامة فى بلاد الدامارا بطلقة جميلة منضبطة وكان الطائر (النعامة) يقف عـلى بعـد مائتين وثمانين ياردة منه ، وكانت بين نبات كثيف لكنه قصير ومع هذا فقد كان يخفي بدن النعامة ، بينما كان عنقها مشرئبا عاليا فى ارتياح جسور • لقد سار أندرسون ببطء ، لكن الطائر انتبه ، وسرعان ما أصبحت الأرض أمام أندرسـون مكشوفة ، ولم يكن يستطيع أن يقترب أكثر ، فصوب الى أعلى الرقبة قاصدا أن تصيب الطلقة بدن النعامة، ولكن الارتفاع كان عاليا (ارتفاع اندرسون عن مستوى الأرض) ، وثبت أن التصويب كان سليما فقد أصابت الطلقة رقبة النعـامة اصابة قاتلة •

اقتراب أصعب المراحل :

وتم ارسـال كاتوندوكو Katondoko ليخبر نانجورو Nangoro بقرب وصول القافلة ، وليحمل رسالة منى اليه • لقد اقتربت الآن أصعب مرحلة من مراحل رحلتنا ، لقـد قطعنا تسع عشرة ساعة متواصلة من السفر الفعلى وعاملنا الثيران بقسوة رغم ضعفها لتناولها حشائش غير مفيدة أثناء الطريق ، وعبرنا المسطح (السهل) فى أربع ساعات وكنـا ملتزمين بجانبه الشرقي المتطرف لأنه يتسع ناحيـة الغـرب ويمتد معانقا الأفق •

الشـجرة الأم :

وعلى بعد أربع ساعات من الحد الشمالى للسهل مررنا بشجرة ضخمة فخمة • انها الشجرة التى تمثل الأب والأم لكل

الداماراً the parent of all the Damaras ، وتوقفت القافلة لحظة وراح البدائيون يرقصون ببهجة ويدورون حولها . ونمنا بلا ماء ، وفى الصباح تأخرنا عن مواصلة الرحلة بعض الشيء ، ولكننا واصلنا الرحلة مع اشراق الصباح ، ومررنا فى الساعة الحادية عشرة ببئر خاوية ، ومررنا بعدها ببئر أخرى لا تبعد عنها كثيرا . واندفعنا خلال أشجار شوكية بعد ذلك طوال الوقت ، وكدنا نفقد الثقة فى أوندونجا Ondonga لكن فجأة اختفت الشجيرات الدغلية لنجد أمامنا حقول القمح الواسعة التابعة للأوفامبو ، ممتدة أمامنا صفراء متموجة كموج البحر . وتناثرت أمامنـا أشـجار النخيـل بمختلف حجومهـا ، بما لا نحصيه عددا ، والأشجار ذوات الأخشـاب المفيدة تنمو بكثافة ، وثمة مسـاحات غـير مزروعة تركت كمراع . لقد كان المنظر العام يوحي بأننا ازاء منطقة خصبة غاية في الخصوبة . لقد كانت بالنسـبة لنا كأرض جوشن Goshen ، فحتي سائق عربتي بارد المزاج انفجر مندهشـا ومبتهجا . وكان منزل نيتجو Netgo العجـوز هـو أقرب المنازل ، ومن ثم فقد ادعى لنفسه الحق في استضافتي أولا . وكان لديه زوجتان أو ثلاث ، وعائلة كبيرة مدهشـة قدمها لنا فردا فردا ، ثم صعد بي وباندرسـون الى السطح وأطلعنى عـلى أجـرانه ودقيقـة وديوكه ودجاجاته ، أما الخنازير ، فقد اعتذر لنا عن عـدم رؤيتهـا لأنه أرسـلها بعيدا ، وآخيرا قدمت لنا السـيدة نتجو الـزوجة (رقم ١) طبقا من فطير ساخن وآنية لبن رائب فشرعنا فى الأكل بنهم، واحترقت أصابعنا ونحن نقطع الفطائر الساخنة لتكون لقما كبيرة ، ورحنا نغمسـها فى اللبن الرائب ونزدردها ازدرادا ثم ذهبنا الى منزل شيك chik الذى أجلسنا تحت شـجرة

رائعة وأخذ دوابنا لتكون في رعايته ، وآخبرنا أنه قد بقى لنا يوم كامل من الرحلة لنصل الى نانجورو Nangoro وأن الطريق من هنا الى أن نصل اليه ، كله حقول قمح كالتى نراها الآن ٠

لقد انتهى موسم الحصاد الآن لكن الأعواد لازالت قائمة ومن ثم سمح للماشية بالرعى فيها ٠

محصول كالذرة المصرى :

ولدى الأوفامبو نوعان من المحاصيل ، أحدهما يشبه الذرة المصرى ، والآخر نوع من القمح (الحبوب) جديد بالنسبة لى لكنه نوع ـ كما قيل لى من البادجيرا الهندية badjera ، له رأس أسطوانى ملىء بحبوب داكنة ٠ ورغم أن شجرته ليست أكبر من شجرة الذرة الا أن كيزانه تحمل حبوبا كثيرة : وهذان النوعان من (القمح) أو (الحبوب) تبلغ شجرة النوع منهما الطول نفسه الذى تبلغه شجرة النوع الآخر ـ حوالى ثمانى أقدام ، وعند الحصاد يميل الحاصد الشجرة ويقطع رأسها فقط (يقطع الكيزان) ٠ ولم تتناقص دهشتنا فى اليوم التالى من الوفرة الزراعية التى تنعم بها المنطقة ٠ وقد أخبرنا شيك Chik بمعلومات وافرة عن حيازة المزارع وطريقة عزقها ، فعلى كل فلاح أن يدفع نسبة من التوباكو الذى يزرعه الى نانجورو Nangoro (التوباكو هو العملة الرئيسية المتداولة عند الأوفامبو) ، أما القمح (الذرة ٠٠ الخ) فيمكن زراعته دون دفع نسبة منه ، ويتم عزق الحقول قبل أى موسم بذر ، وهم يزرعون اللوبياء والفاصولياء والبسلة لكنهم لا يعرفون الدورة الزراعية المنتظمة ٠ والنخيل التى تنمو هنا من نوع النخيل نفسه الذى رأيته بالقرب من أومانبوندى Omanbondé

لكن ثمار النخيل ممتازة تماما مثل الدوم المصرى Egyptian doum ، بينما ثمار نخيل أومانبوندى مرة · أما الأشجار الأخرى التي رأيتها فكانت مثمرة · انها متنـاثرة فى المنطقة ، وكانت معظمها أشجارا ضخاما تماما كالأشجار الموجودة فى الحدائق الانجليزية · وكانت خضرتها شديدة وأوراقها كثيفة لذا فهى تمد الانسان بظـل ظليـل حقيقى وليس الأمر كذلك فى بلاد الدامارا حيث تسـود الأشـجار الشوكية بأوراقها القليلة الذابلة · أما الثمار فعلى نوعين ـ نوع لم آره بنفسى فلم يكن موسم اثماره قد حل ، ومن هذه الثمار نوع من الكرز ، عـلى حد قول تمبو Timboo الذى اعترف ذات مرة بكل ما تنتجه منطقة ماسابا Masapa بالقرب من موفيزا Moviza فى بلاد الأوفامبو · أما النوع الآخر ففاكهة حمضية شديدة الحموضة ليست بعيدة الشبه عن التفاح فى شكلها ولونها ورائحتها وحجمها وان كان فى قلبها بذرة · وليس من شجرة منتصبة وسط زراعات القمح فى بلاد الأوفامبو ·

فالأوندونجا Ondonga ـ وهى الكلمة الدالة على الأرض (★) ـ ذات منظر موحد (منظرها تقليدى) وأظن أن أيا من الغرباء لا يمكنه أن يشق طريقه فيها لأى مسافة · ولا آدرى ما كنت سأفعل هنـا لو أحضرت عـرباتى فلم نكن بقادرين على قيادتها فى حقول الأوفامبو ، فلن تكن الطرق أكثر من ممرات ضيقة بين الحقول وكنا مضطرين للالتزام بهذه الممرات وعدم الخروج عنها ، ولم يكن هناك حشائش الا قليلا ، وقد أبعد الأوفامبو ثيرانهم بعيدا عن الحقول فى زرائب (حظائر) ، أما الآن فانهم يعـودون بقطعـانهم من

(★) المقصود الارض الزراعية كما سيتضح ـ (المترجم) ·

الثيران فى أعداد صغيرة ليأكلوا من خشاش الحقول بعد الحصاد • وبالقرب من كل بيت يرى المرء خمس أبقار أو ست وعدد من الماعز صغيرة حجمها وان كانت تدر قدرا كبيرا من الحليب ، وتوفير المياه لهذا العدد مسألة شاقة جدا لأن الآبار تحفر على عمق عشرين قدما أو ثلاثين فى تربة رملية ، ثم يمضى وقت حتى يرشح الماء (ينز) ببطء ، فتتوفر كمية تكفى بالكاد • فقد عانيت كثيرا فى توفير المياه لقطيعى الصغير ، لكن شيك Chik قال انه لازال هناك بعض الآبار لم ينضب ماؤها بعد ولكنها من ممتلكات نانجورو Nangora وقد يسمح لثيرانى بالشرب منها ، ويتكالب الأوفامبو محدثين جلبة وضجة حول الماء فاذا ما أردت أن أسقى أيا من ثيرانى كان على أن أدفع ثمن هذا خرزا • وقد كنت مسرورا بحسن النية وحرارة العاطفة التى تظهر بوضوح بين الأوفامبو ، وقد كانوا كلهم ريانين ممتلئى الأجسام واضح من مناظرهم أنهم يتناولون طعاما جيدا ، حتى العميان منهم والذين بلغوا من العمر عتيا ، بينما يبدو العميان وكبار السن فى بلاد الدامارا مخلوقات بائسة • ونظر الناس بخجل الى لكن شيك Chik عبر لى — أثناء الرحلة كلها — أننى يجب أن أبتعد عن كل الناس فى بلاده حتى يقابلنى نانجورو Nangoro وأحظى بالقبول لديه ، وعندها سيأتى الناس الى من كل حدب وصوب ويتلطفون معى • وقد مدحنى شيك الى بعض من أخلص أصدقائه وكانوا كرماء معى حقا فأوقفونا فى الطريق وقدموا لنا الجعة (البيرة) والبقسماط (البسكويت) وغيرهما • ولم تكن البيرة التى قدموها سيئة رغم أنها حلوة المذاق وغير غليظة القوام ، وهى معمولة من خلاصة الحبوب والماء ، وتستغرق يومين أو ثلاثة حتى تصبح صالحة للتناول • وهى

لا تسبب السكر الا اذا تجرع المرء منها كميات كبيرة ، لكن كأسا أو كأسين منها تجعل الانسان يحس بالرغبة في النعاس ٠

وقطعنا مراحل قصيرة ونمنا ليلة في بيت أحد أصدقاء شيك الذى وضع ثيراننا في حظيرته ، وكنت متخوفا كثيرا من ان تشرد ليلا فان حدث هذا فقد تسبب كل أنواع الدمار (؟)، وقد أحسست بالمرض بسبب الاعتماد على الغير في بلاد الأوفامبو لأنني لم أعد سيد نفسي ٠ لقد كان كل الناس متحضرين ومتمدينين لكننى لم أكن أستطيع أن أذهب أينما شئت لقد انتابني شعور كالشعور الذى ينتاب البدائيين (الأفريقيين) اذا ذهبوا لانجلترا ٠ لقد كان معطفى الأحمر مصدر بهجة للأولاد الصغار والبنات الصغيرات فراحوا يجرون ورائي يغنون ويصيحون وهم فرحون سعداء ٠ وقد أثارت ثيران الركوب والتحميل اهتمام الأوفامبو فهم لم يروا قبل ذلك ثيرانا تستخدم بهذه الطريقة فراحوا يتفحصون بعناية الاخراج (جمع خرج) والسروج ، وطريقة وضعها ٠

ولكى أكون فكرة عن عدد السكان الأوفامبو ، أحصيت عدد المساكن العائلية التى مررت بها ، فوجدت أننا نمر على ثلاثين منها كل ساعة ونحن ركوب ، واستمر الوضع على هذا النحو تقريبا طوال ثلاثة أميال ، على أن يوضع في الاعتبار أن طبيعة المنطقة وأعداد النخيل المتزايدة ٠٠ كل ذلك لا يمكننى من الرؤية الا في حدود الميل ونصف الميل على كلا الجانبين ، وعلى هذا فان هذه الثلاثين مزرعة ـ باعتبار كل مسكن عائلى يقع في وسط المزرعة ـ ثلاثة أميال مربعة أو تسعة ، تضم كل مزرعة ما بين ثلاثين الى أربعين نفسا ، وبذلك تكون الكثافة السكانية مائة نسمة في

الميل المربع ٠ ولا توجد مدن فى الأوندونجا Ondonga لقلة عدد السكان قلة ظاهرة ٠

ومررنا أثناء رحلتنا بعدد قليل من الداماراDamara كانوا قد وصلوا مؤخرا من أومارورو Omeruru ليقدموا تعويضا (أو ترضية) الى نانجورو عن بعض السرقات التى ارتكبها مواطنوهم ضد الأوفامبو ٠ وتقابلنا بعد ذلك بمسافة غير بعيدة بأربعة من الأوفابانجارى الذين كانوا قد قدموا من ناحية النهر العظيم ، وقد كانوا خائفين ومتشككين ولم يقم شيك Chik بالترجمة بينى وبينهم ٠

وأخيرا بدت تجمعات جميلة من الأشجار تظهر للعيان وعندها قال شيك ان الأوامر الصادرة تقضى بتوقيفنا ، ولم يكن المكان المسور الخاص بنجانجورو يبعد عنا أكثر من ربع ميل ٠ وقد أقمنا فى موضعنا عند تجمعات الأشجار هذه ما يشبه المعسكر ٠ لقد نصبت خيمتى وأحطنا موضعنا بسروج الخيول وغيرها من الدواب وببعض الأفرع القليلة لكن العشب والماء وخشب الوقود لم يكن أى منها متوفرا ٠ وبعد مجادلات كثيرة ومنازعات لأجعل شيك Chik يحصل لنا على اذن باستخدام بعض الآبار القريبة ، لكن كان علينا أن ننتظر نصف يوم حتى ينفض عنها مستخدموها ٠ ولم أجد مكانا أرسل فيه ثيرانى لترعى ، ولم يتعطف أحد بعرض أى من الحقول التى تم حصاد زروعها لتأكل ثيرانى من خشاشها، ولم يكن شيك راغبا فى بذل جهد كبير لتحقيق طلباتنا ٠ فقد كان دائما يقول : « يجب أن تنتظر ، ننجارو سيأتى ويراك غدا وبعد ذلك سيرتب كل الأمور بنفسه ٠٠ لكن ثيرانى كانت جائعة وظمآنة ٠ وكان أفراد الأوفامبو بعيدين عنا

لا يقتربون منا ، فقد كان شيك هو الشخص الوحيد الذى كان مسموحا لنا آن نتحدث معه ونتصل به • وكنا جميعا متضايقين غير مرتاحين ، ولم أكن أتوقع أن يشن الأوفامبو هجوما علينا لكننى أدركت أنهم حريصون على ترك ثيرانى فى حالة سيئة حتى لا أكون مستقلا تماما فى قراراتى •

ان أوندونجا Ondonga موضع يصعب جدا الخروج منه • حقيقة لقد كان يتعين على أن أكر راجعا بسرعة اذا حدث ما يستدعى ذلك ، ولم أكن أعلم الا بالكاد كيفية حدوث ذلك • بل لقد كنت متشككا فى حالة العودة الاضطرارية مما اذا كنت سأهتدى الى بيت نيتجو Netjo فالمنطقة متشابهة الملامح كما سبق أن ذكرت ، كما أنها متموجة (أرضها غير مستوية) مما يحد من مدى الرؤية ، فالمرء لا يرى أكثر من ميل أو ميلين على امتداد بصره • وكانت هناك مشكلة الماء اذا لم نضل الطريق اليه بالقرب من بيت نتجو Netgo اذ ستبقى رحلة قوامها واحدة وعشرون ساعة منها ساعتان فى أندونجا Ondonga وتسعة عشر ساعة فى منطقة مسطحة وأخرى ذات أشجار شوكية ولا ماء فى كليهما ••• ووجدت أن بعض الأوفامبو يتآمرون مع بعض الدامارا المكلفين بحراسة ثيرانى ، فقام أحدهم (من الداماراً) بابعاد ثيرانى الى مكان قاحل بدلا من الذهاب بها الى حيث العشب ، وكنت قد صحبت هذا الشخص الداماري معى من مقر شابوبا Chapupa ، لذا فقد اتخذت اجراء فعالا فجلدته على ظهره وكتفيه لدرجة أدهشت الأوفامبو ، وكان من نتائج هذا الجلد أن استقام الرجل وصلح حاله •

٦ يونيــو :

لــم يصـــل نانجورو Nangoro لكنه أرسل لنا قليلا من الخبوب كهدية وطلب منا اطلاق بنادقنا ليعرف أى نوع من الأصوات يصدر عنها ، وكان لدينـــا قدر كبير من الذخـيرة فسلينا آنفسنا باطلاق النـــار ، وكان عـــدد من الأوفامبـــو يراقبوننا من مسافة قريبة باهتمام بالغ •

٧ يونيو :

لقد بدت الثيران نحيلة جافة واعتراني الخوف أن تموت فساعتها سنطرح ما معنا ونعود سائرين على الأقدام ، وهو انهاك لا أستطيع احتمال تخيله الا قليلا • وعلى أية حال ، ففى منتصف النهار تقريبا أتى شيك ليخبرنى أن نانجورو fashion فى طريقـــه الى فاستعددت للقائه • لقـــد كانت هناك جماعة من الرجال قادمة نحونا وفى وسط هذه المجموعة رجل كبير السن سمين ، لقد كان قصير النفس جدا • لقـــد كان هذا السمين العجوز هو الملك نفسه • لقد كان يتهادى فى مشيته وينظر بقسوة ، ووقف وسط رجاله يحدق فينا ، وكان يتكىء على عصا نحيلة يبدو أنها رمز للملك (صولجان)، ولم أكن أدرى ما يجب أن أفعله أو أقوله فهو لم يلتفت الى انحناءتى الدالة مـــع الاحترام ، لذا فقـــد جلست وواصلت كتابة مذكراتى حتى يصفو العقـــل الملكى ، وبعـــد خمس دقائق أو ست سار نانجورو Nengoro وصـــدر عنـــه قباع كقبـــاع الخنزير (صـــوت الخنزير) يدل عــــلى رضـــائه واستحسانه ووضع عصاته (صولجانه) فى ضلوعى بطريقة دالة على المزاح والود ثم جلس • وأظن أنه كان يعرف لغـــة الدامارا بقدر كاف لكنه أصر على أن يقوم شيك بالترجمـــة

لى ، وتحيط بالملك حاشية صغيرة يلبسون ملابس جيدة وهم دائما محيطون به ملاصقون لمرفقه ، ويضحكون بشدة عندما يقول ما يستوجب الضحك ، وينصتون بوقار واحترام اذا نطق بالحكمة ، وكل ذلك يتم ببساطة وبشكل طبيعى تماما ·
وقدمت الى نانجورو Nangoro الأشياء التى أحضرتها له كهدايا واعتذرت له بشدة لأننى لم أحضر له ما هو أفضل · والحق أن هداياى المبهرجة الملـونة لم تلفت انتباه هـؤلاء الناس الا قليلا ، فهم ينظرون للمبالغة فى التزين ouue النظرة نفسها التي ينظر بها الرجل الانجليزى · والسود والبيض سواء فى النظر للمودة Fashion وكان وضعى كرجل رحالة في أوربا لم يكن يملك ما يدفع به حسـاب الفنـدق سوى صندوق ملىء بالأصداف والأخفاف (جمع خف) الدامارية · وكان على أن أقدم ما يساوى عشرة جنيهات خرزا من النوع المطلوب ، لكن نصف هذا القدر كان يمـكن اعتبـاره هدية مناسبة وطيبة لنانجارو وتجعلنى محترما فى نظر شعبه كله ، ولأنه ــ أى نانجارو ــ كان لا يزال مقطب الجبين لأنه كان من غير المألوف بالنسبة لزعيم أفريقى أن تزوره وتمر فى بلاده دون دفع الاتاوة ، ففى هـذا تجـاوز للحـد واهدار لهيبته ، لذا فقد أصر على أن أهديه بقـرة ، بالاضـافة الى ثور ··· وتجاذبنا أطراف حديث قصير ونظر الى بنادقنـا وجعلنا نطلقها ، ثم تحدث قليلا وغادرنا وهـو يقـول انه أعطانا الحرية فى الاتجار مع شعبه · كما نريد ، وسرعان ما تزاحم حولنا الأوفامبو الذين شـهدوا لقـائى مع الملك فراحوا يضحكون ويتحدثون لكنهم كانوا حريصين ألا يلمسوا حاجياتنا كما كانوا حريصين على عدم ازعاجنـا بأى شـكل الأشكال · لقد كانوا سعداء مرحين وكانت ملابسهم جيدة ويتحلون بقدر كبير من الخرز والحلقات ، ولم يكن الواحد

منهم يحمل معه شيئا آخر سوى صندوق صغير يحتفظ فيه بخصلة شعر يستخدمها في دهن جسمه ونثر المساحيق عليه. وكانت السيدات ممتلئات أبدانهن، ريانة صدورهن، يدل منظرهن على انهن كادحات عاملات بشكل طيب. وكان شعر الواحدة منهن قصيرا من المقدمة لكنه طويل منتشر من الخلف على هيئة مروحة. كان منظرهن جميلا ووجوههن منبسطة سعيدة لكن ملامحهن أكثر خشونة وكانت الواحدة منهن تلمع من أعلاها الى أدناها بسبب ما دهنت به بدنها من زبد وخضاب أحمر. لقد بدون مؤثرات على نحو مدهش فهن يقفن دائما في مجموعات وقد وضعت احداهن ذراعها على رقبة الأخرى ... انهن يغنين طوال النهار ويتمايلن وفقا للنغمات وكن يخلبن لب من حضر معي الذين كانوا حساسين متجاوبين. وبدأت أشترى الحبوب والفاصوليا منهن فكانت الواحدة منهن تحضر سلالا صغيرة ممتلئة لا تزيد سعة السلة منها غالبا عن حفنة من الحبوب، وكن ندفع لقاء الحبوب خرزا. وكنت قد أحضرت معي قضيب حديد يبلغ سمكه نصف بوصة أما طوله فأربعة أقدام، وقد اشتريت به مائة رطل من الحبوب. وكان تمبو Timboo هو أكثر المساومين نجاحا فقد جلس في الوسط بين الخرز وحوله حوالى عشرين أو ثلاثين امرأة متزاحمات يردن بيع حبوبهن. وراح يثرثر ويتكلم بعظمة طوال النهار بلغة المساومين وطريقتهم لأنه كان قد التقط كلمات قليلة من لغة الأوفامبو الذين كانوا بدورهم يعرفون قليلا من لغة الدامارا.

الحفل الملكي الراقص :

وفي كل ليلة كان نانجورو Nangaro يعقد حفلا راقصا يحق لعلية القوم في بلاد الأوفامبو حضوره دون

دعوة، وقد دعانى متفضلا ــ عن طريق تيبو Tippo وهو واحد من ثلاثة من رجال الحاشية كنا تحت حمايته · وبمجرد أن بدأ الليل حتى أقبل الضيوف من كل جانب ، ولأن المنطقــة مليئة بالنخيل فان فردا من كل مجموعة كان يلتقط غصنا (جريدة) جافة ويوقد طرفها فتغدو كمشــعل لقــد أحدثت هذه المشاعل اضاءة رائعة ، وكان التأثير الذى تركته هــذه المشــاعل بضوئها المنبعث من كل جانب ، تأثيرا شــاعريا ، وذهبت حوالى الساعة الثامنــة الى الممشى الرملى بين ســياج الأشجار التى تفضى الى الموضع المسور ، الخاص بفانجورو · دخلنا درنا لليمين فى صــالة الرقص (حلبة الرقص) التى كانت بالفعل غاصة بالناس الذين راحوا يتحدثون ويتعابثون ويمزحون كما لو كانوا فى صالة رقص انجليزية ·

وفى احدى الاركان كان هناك رجل يحمل جيتارا واهنا او بانجو Bango وفى مواجهته من يدق على الطبلة Tom-Tom بشدة · وكانت الرقصة الأولى استعراضا ملحوظا للبراعة ، وأكاد أقول للرشاقة والأناقة ، فقد أداها اثنا عشر رجلا أو أربعة عشر أما الآخرون فينظرون · واصطف الراقصون فى صفين ، ظهر كل راقص لظهر الراقص الآخر (اصطفا فى صــفين متدابرين) ثم راحــوا ينتقلــون من صف لآخـــر (يتبادلون المواقع) بخطى سريعة رشيقة ، وبعيون حــذرة يقظة ، وبين الحين والآخر يدور واحــد من الراقصين فجأة ويوجه ركلة مرعبة · · · وتبتدى المهارة فى تجنب الركلة وفى تسديدها وهذه الركلة ان أصابت كان لها قوة الركل بحافر الحمار · وقد لاحظت أن الثلاثة الذين يشكلون بطانة الملك يرقصون رقصا جيدا وناجحا للغاية · والحق أننى لم أكن أرغب أبدا أن أكون مظاهر التبو Tippo تحت أى ظرف

من الظروف (لم أكن أرغب أن يكون ظهرى الى ظهوره فى حلبة الرقص) . وراحت النسوة يصفقن للراقصين بحماس شديد ، وبعد ذلك أتى الافتتاح (دخول الضيوف حلبة الرقص) Promenade فدخلنا جميعا معا فى حشد ثم اصطففنا حول الحلبة فى حلقات على صوت الطبلة Tom-Tom ورحنا نضرب الأرض بأقدامنا بايقاع منتظم ، أما الرقصة الثالثة فأداها البشمن الذين كان لهم مقر كبير (قرية كبيرة أو كرال كبير) الى جوار ساحة نانجورو Nangoro المسورة ، وكانوا يقومون بدور الحراس الشخصيين له . لقد كانت هذه الرقصة تنكرية فيها تمثيل صامت بالحركات Mimicry سواء لخطوات الحيوانات أو غيرها ، وأخيرا كان هناك رقصة عامة أنهت الأمسية ، ولم أر الا ثلاثين أو أربعين زوجة من زوجات نانجورو Nangoro فى هـذا الحفـل ، وكانت الواحدة منهن تضع أساور نحاسية ليسهل تمييزهن عن نساء العامة ، وأظن أن زوجاته الأخريات اللائى لم يحضرن الحفل الراقص كن كبيرات السن لا يستطعن الرقص .

تعويذة البصق فى وجه الغريب :

ولقد واجهت مشكلة مع نانجورو ، لعدم تآلفى مع عادة أساسية من عادات الأوفامبو يتم ممارستها مع الداخل لبلادهم للمرة الأولى ، اننى لم أحب هذه العادة رغم علمى بأهميتها . . فالسود جميعا وغالب البيض يؤمنون بالخرافات ، ويبدو أن خوفا خاصا يعتريهم من غريب يقضى بسحره على الشخص الذى يحدث أن يتناول الطعام معه . ولا أدرى السبب الذى يجعل وقت تناول الوجبة هو أنسب الأوقات لتحقيق أثر السحر أو التعويذة ، وعلى هذا فانهم يعدون تعويذات وأسحارا مضادة لتلك التى يمكن أن يقوم بها الغريب ،

وتتخذ هذه التعاويذ أشكالا مختلفة ، ولما كان نانجورو شابا ابتكر لنفسه تعويذه مضادة لاستخدامه الخاص فقد كان خياله خصبا ، وبطبيعة الحال فقد استخدمت حاشيته التعويذة نفسها ، ثم أصبحت هي التعويذة المضادة في كل بلاد الأوفامبو ، وكانت هذه التعويذة المضادة هي نفسها التي اعترضت عليها • ومؤداها أن يجلس الغريب ويغمض عينيه ويرفع رأسه للسماء ، ثم يقوم واحد من الأوفامبو بوضع شيء من الماء في فمه (أى فم الأوفامبوى) ويمضمض الماء في فمه جيدا ثم يقف ويبصق الماء على وجه الغريب ، واذا ما تم تنفيذ هذا الطقس السحرى مرة سارت الأمور بعد ذلك بهدوء الا أن هناك من جعلنى أميل الى أن هذا الأمر — كالتطعيم أو ندبة التلقيح — فى حاجة الى تكراره بين الحين والحين حتى لا يموت تأثير التطعيم الأول (فى حاجة الى جرعة منشطة) وقد استسلم نيتجو Netjo العجوز لاعتراضاتى فى اليوم الذى تناولت طعامى فى بيته ، وكذلك فعل شيك chik عندما التقيت به للمرة الأولى ، وحل المشكلة بأن وضع قدرا من الزبد بين عينى بدلا من قذف الماء من فمه على وجهى • لكن عقلية نانجورو لم تكن لتقبل هذا بسهولة وظل الشك يملؤها ورغم أنه دعانى لشرب الجعة (البيرة) فى قصره الا أنه دبر أن يكون خارج قصره عند وصول الجعة ، وبدلا من أن يجلس هو نفسه ليشرب معى جلس ثلاثة من أفراد حاشيته بدلا منه •

ومخطط مساكن الأوفامبو معقد ، أما منزل نانجورو فهو حقا متاهة (شبكة معقدة) بكل معنى الكلمة ولم أستطع أبدا أن أجد طريقى حوله ، فثمة جدران (أسوار) يتراوح ارتفاعها بين ثمانى أقدام وتسع ، أما الأعمدة المستخدمة

فمربعة ومنعمة ، ومتماسكة جيدا (مصفوفة بعضها الى جوار بعض) الا فى بعض المواضع هنا وهناك حيث تترك بعض الفراغات حتى يتمكن القاذف من اطلاق سهم عبر هذه الفراغات الى خارج السكن ، وثمة موضع يتخذ شكل دائرة غير منتظمة يصل قطرها الى مائة ياردة وهى مسورة وليس لها الا مدخل واحد ، ويؤدى الى هذا المدخل ممر مزدوج وهو ممر تحده وتحدده صفوف الأشجار ، وثمة ساحة دائرية خارجية مسورة أيضا يخرج من أحد جوانبها ممر يؤدى الى حظيرة الماشية ، وممر آخر يؤدى الى ساحة الرقص وممر ثالث يؤدى الى غرف نانجورو ، وممر رابع يؤدى الى أجران الغلال وممر خامس يؤدى الى مكان درس الغلال وممر سادس يؤدى الى غرف الزوجات ، وممرات أخرى تؤدى الى مقر اقامة ثلاثة من أفراد الحاشية ، وقد حاولت أن أرسم مخططا سريعا للمكان لكن عقلى لم يستوعبه جيدا ٠

وقد أتى نانجورو الى معسكرى ذات صباح ليتبادل معى الأحاديث وليرى البندقية أثناء اطلاقها ، وتحدثنا عن البلاد الواقعة الى الشمال من بلاده وعن النهر العظيم الذى يمكن الوصول اليه بسفر سهل لا يستغرق أكثر من أربعة أيام أو خمسة لكنه لم يعرض تقديم مساعدة اذا فكرت فى الوصول الى هذا النهر ، وأخبرنى أن التجار (وهو يقصد البرتغاليين) الذين وصلوا الى هذا النهر لم يعبروه أبدا لكن أفراد شعبه ذهبوا الى هناك معهم (مع البرتغاليين) وساعدهم الأوفابانجارى Ovapangari فى عبوره ٠

ولم يكن نانجورو Nangoro ممن يسهل الحديث معهم ، فقد عانيت كثيرا فى استخلاص الاجابات عن أسئلتى ولم يكن شيك Chik حاضرا لسبب أو لآخر ٠ وكان موضوع الثيران

ـ دائما ـ موضوعا حساسا ومؤلما ، فلم يعطني نانجورو حق استخدام الحقول التى تم حصادها لتأكل ثيرانى من خشاشها ، كما لم يعطنى الحق فى أن أسقى ثيرانى من الآبار قبل أن تشرب ثيرانه ، وكان من نتيجة ذلك أن كانت ثيرانى تظل بدون شرب حتى الظهر تقريبا ، ثم اننى كنت أذهب بها الى أرض قاحلة على بعد ميلين أو ثلاثة ولم يكن بها من العشب الا بمقدار ما يكون فى حديقة جرينتش Greenwich فى فصل الصيف . وكانت الثيران تعود كل يوم مساء وقد غدت أشد نحولا مما كانت عليه فى اليوم السابق . لقد أصبحت الآن فى حال يرثى لها ، لقد أصبحت ضعيفة حقا .. وكان على أن أفهم منذ البداية أننى لن أستطيع العودة ولن أستطيع مواصلة الرحلة بدون اذن نانجورو ، لذا فقد كنا دائما فى حالة قلقة .



لقد تقلصت ممتلكاتى من المواد التى أستطيع مبادلتها الى حفنات قليلة من الخرز ، ولم أكن أستطيع البقاء فى المنطقة فترة أطول ، ولا يستطيع المرء أن يسافر هنا دون أن يكون لديه ما يبادل به ، تماما كما أن المرء لا يستطيع السفر فى انجلترا دون مال ، لذا فقد أصررت على أن يسمح لنا بمغادرة أوندونجا Ondonga فى الوقت الذى كانت فيه ماشيتى على وشك الموت وكانت مؤنى على وشك النفاد ولا أستطيع البقاء أكثر من هذا ، وتوسلت بشدة لأحصل على دليل يصحبنى لأصل الى النهر أو الى أى مكان أجد فيه المرعى والطرائد .

١٣ يونيو :

أرسل لى فانجورو آمرا : « هذا اليوم يمكنك أن تبيع وتشترى ، وفى اليوم التالى يجب أن أذهب اليه لأستأذنه فى المغادرة ، وفى اليـوم الثـالث لابد أن أكر عائدا الى بلاد الداماراا » .

رحلـــــة

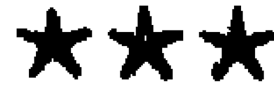
شــارلز أندرســـون

CHARLES ANDERSON

نهـــر أوكافانجـو

ولد شارلز اندرسون في السويد سنة ١٨٢٧ م ، من والد انجليزى وام سويدية · ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره عبر الى انجلترا وباع مجموعة من الطيور والحيوانات والجلود · واوصى فرانسيس جالتون Francis Galton بأن يصحبه شارلز اندرسون في رحلته لكشف نهر اوكافانجو · وبينما كان ينتظر وصول السفينة في خليج ويلفز Walvis اتجه مع جالتون صوب الشرق لمبادلة ما معها من بضائع بالعـاج ، وربما ايضا للتعرف على الطريق الى بحيرة نجامى Ngemi · فتركا عربتهما عند نبع مياه الفيل Elephant Fountain وتابعا طريقهما ومعهما مجموعة من الثيران الى تونوبيس Tounobis ؛ وكان عليهما بعد ذلك ان يعودا · وقرر اندرسون ان يمكث في جنوب غرب افريقيا واقام هناك كتاجر وساعده جالتوم بكرم وغير اندرسون العربات واقتنى قطيعا من الماشية قاده الى مدينة الراس Cape Town · واشترى المؤن المطلوبة وعاد بحرا الى خليج ويلفز Walvis واندفع متجاوزا تونبيز Tounbis ومعه قطيع ماشية وفى سنة ١٨٥٢ م وصل الى بحيرة نجامى Ngami · وزار السويد وانجلترا حيث نشر عمله عن بحيرة نجامى لكنه سرعان ما عاد لجنوب افريقيا وادار منجم نحاس الى الشمال من رهيبوت Reheboth وساعد بعض المستكشفين فى رحلتهم الخطرة الى بلاد الاوفامبو Ovamboland وليرفه عن نفسه مارس صيد الفيلة وكشف منطقة كونين Kunene · وليتجنب جمـاعات الاوفامبو Ovambos واصل رحلته عبر كوكو فيلد (مروج الكوكو)

وفشل المرشدون فى الوصول الى ينابيع اوكوهو Kaokoreld)
Okohokanna فاضطر للعودة . واصر بحسم على الوصول الى
كونين Kunene بالمرور الى الشرق من اوفامبو ، وبدأ رحلته
مستخدما طريق اومانبوند Omanbonde . والنص التالى من كتاب
اندرسون المعنون : نهر اوكوفانجو Okovango المنشور فى
لندن سنة ١٨٦١ (الناشر Hurst & Blackett)



.. فى ليلة ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٧م التى كان يجللها قمر ساطع رائع اتخذت موقعى وحيدا ـ كما هى العـادة فى واد شديد انحداره ، ضحلة ميـاهه ، حيث يمكننى أن ألقى نظرة شاملة على مناطق الأومانبوندى Omanbondé وفى حوالى الساعة الحادية عشرة اقترب قطيع من الأفيـال ولما كان الفيل القائد على وشك عبور الوادى الذى أقف به أطلقت النار فأصابته الطلقة فى الجزء الأمامى من الكتف، وظننت أننى قتلته بالتأكيد ، الا أنه بدأ يئن بصوت خفيض ودار فجأة واندفع بشكل مرعب محطما كل ما يعوق هروبه .

وأصبح كل شىء هادئا الآن ، وبعد أن انتظرت بصبر وقتا طويلا آملا فى ظهور بعض الطرائد ، اعترانى الملل من جراء المراقبة غير المجدية ، فاتخذت طريق العودة لمعسكرى، وعلى أية حال ، فما كدت أخطو عـدة خطـوات حتى لمحت ـ بسرور بالغ ـ حيوانين من الكركدن الأسود (وحيدى قرن) يسيران بمهل على حافة الوادى السبخ من الناحية الأخرى ، فأنزلت عباءتى وبندقيتى الاضـافية عن كاهلى وانبطرحت أرضا وبدأت أزحف نحو طريدتى التى لم تكن فى الحسبان ، وكانت المنطقة ـ لسوء الحظ ـ لا تقـدم لى أدنى سـاتر أو غطاء ولا حتى مجموعة حشائش طـويلة وكان الوقوف فى

هذه الحال مصدر خطر ، وتقدمت زهاء عشرين خطوة عندما رأيت حيوانى وحيد القرن يستديران فجـأة مبتعـدين عن المياه ويتجهان مباشرة نحوى ، وقد سبب لى ذلك رعبا شديدا واحساسا بالخطر حتى أن الفكرة الأولى التى راودتنى هى أن أجرى وأولى هاربا ، لكننى ـ بعد تمعن ـ قررت أن أثبت وأنتظر اقترابهما ، فلما اقتربا وأصبحا على بعد حـوالى ستين ياردة منى توقفا فجأة وحملقا بشك فيما أمامهما من أشياء داكنة ولم يسفر بحثهما عما يبعث فيهما الاطمئنان تماما ، فراحا يدمدمان ويهزان رأسيهما الثقيلين الى أعـلى وتراجعا للخلف خطوة أو خطـوتين كمـا لو كانا قد بدءا يستعدان للهجوم : فلما رأيت ذلك قررت أن أكون المسـارع وأن أبدأ فى مهاجمة خصمى هذين فأطلقت قذيفتى فأصابت الهدف • لقد انحرف الحيوان الذى تلقى الطلقة الى اليمين قليلا ثم اندفع بوحشية للامام يتبعه الحيوان الآخر ، وشعرت بالاقتناع أن أحد الحيوانين قد جرح جرحا خطيرا ــ ان لم يكن مميتا ، وأعدت تعمير بندقيتى وتبعتهما مستعينا بما يصدر عنهما من أصوات أثناء تقدمهما • وما هى الا دقائق حتى وصلت لهما • لقد وقفا بسكون تام وكأنهما يتنصتان ، لكن عندما حاولت الزحف فى اتجاههما تقدم نحوى وحيد القرن الذى فى المؤخرة (الواقف خلف زميله) بشكل مرعب وكنت سعيدا أننى أنقذت نفسى بالفرار سريعا ، ومع ذلك فاننى متأكد أن الحيوان المصاب قد أضـحى عاجـزا عن الحركة تماما ، وأنه يمكننى أن أجهز عليه تماما فى صباح اليـوم التـــالى •

وعلى هذا فقد بدأت فى الصباح البـاكر بمجرد توفر الضـوء الـكافى الذى يتيح البحث عن طريدتى بأمان فى

اصطحاب تابعي Damera (كوزنجو Kozengo) ورجل آخر هو شوكورو Chookoroo ليحمل بندقيتى الاحتياطية • وبعد أن سرنا مسافة قصيرة وصلنا للبقعة التى تركت فيها وحيدى القرن فى الليلة السابقة • برك من الدماء كانت تدلنا على تقدم الحيوان الذى أصيب فى رجله اليمنى الخلفية اصابة بالغة ، ولأننى أعلم مدى الشراسة التى يكون عليها وحيد القرن الجريح فقد حذرت رفيقى بشدة ، ونبهت أن يحرسانى ويحرسا نفسيهما وبينما كنا على وشك الخروج من أجمة أشجار منخفضة ، لندخل أجمة شجيرات شوكية ، حتى رأينا الحيوان الضخم المخيف منطرحا على جنبه ، وتشير كل الشواهد الى أنه ميت ، ولما اتضحت هذه الحقيقة عاد كوزنجو ضاحكا وهو يصيح : « لقد مات جاكوكو Jacocco — مات » فقلت : « حسنا ، لكن خذ حذرك فقد كان معه حيوان وحيد قرن آخر فى الليلة الماضية » •

وتقدمت خطوة أو خطوتين حتى وجدتنى وليس بينى وبين حيوان وحيد القرن سوى شجرة صغيرة ، ولاحظت — فجأة — أن المرافقين لى قد وليا هاربين ، ولم أر سببا لهروبهما المفاجىء حتى وجدت نفسى فجأة على بعد خطوات قليلة من رأس بشع لحيوان وحيد القرن الى اليمين منى مباشرة ، وفى ظل هذه الظروف ، أدركت أنه من الحمق أن أطلق النار عليه وبسرعة وليت مبتعدا ، فتبعنى بخطى سريعة اذا وضعنا فى الاعتبار انه مصاب فى رجله ، وجانبنى الحذر أثناء هروبى فسقطت يمينا فى طريق الحيوان الهائج الذى انسحب فجأة ، فاستدرت لأطلق النار لكننى خشيت أن يندفع الحيوان مرة أخرى للأمام خاصة أنه كان يدمدم بعنف ، وبعد أن جرى لمسافة قصيرة توقف مرة أخرى

فزحفت بحذر حتى أصبحت على بعد حوالى مائة ياردة منه وبعد لحظة غير وضعه ليكون جانبه كله أمامى ، فأطلقت النار فسقط ميتا ٠

وبعد أن تأكدت أنه أصبح جثة هامدة صحت أستدعى رجلى الهاربين فلم يجب أى منهما ، فاستنتجت أنهما عادا للمعسكر، فلما اطمأننت لهذه الفكرة رحت أحملق فى الحيوان الممدد فاسترعت انتباهى ــ فجأة ــ أصوات وضوضاء تقترب منى ، انها أصوات مجموعة أشخاص تناقش حدثا مثيرا ، وما هى الا لحظات حتى رأيت جمعا من أهل البلاد على رأسهم شوكورو chokoro وبادماكر Paadmaker ــ وكنت قد أرسلت هذا الأخير فى اثر فيل جريح ٠ وكان شوكورو يصرخ بمرارة ، بينما كانت يدا بادماكر ملتصقة بجنبيه وكأنما أصابه ألم مفاجىء ٠ وكان انطباعى الأول أن الفيل الجريح ألحق به أذى ٠ لكن وا أسفاه ، لقد كان الأمر أخطر من هذا، فسألت : « أين كوزنجو Kozengo ؟ » فكانت الاجابة الجادة المؤلمة فى كلمة واحدة : « مات ! » فرحت أكرر غير مصدق: « غير ممكن ٠٠ كيف ؟ ولماذا ؟ ٠٠ ان حيوانات وحيد القرن لم تختف أبدا عن النظر » واستطردت وكأنما أحدث نفسى « بالاضافة أننى لم أسمع أى صرخة أو استغاثة » فقال شوكورو البائس وهو ينتحب « آه يا سيدى العزيز ٠٠ لقد مات كوزنجو ٠٠ لقد قتلته حيوانات وحيدة القرن » فقلت : « أرونى الرجل والبقعة التى قتل فيها » ، واستدرت لأتبع الرجال ، ولم نذهب بعيدا فعلى مرمى حجر وجدت القتيل المسكين منطرحا الى الأدنى من الشاطىء يابسا لا حراك به ، وقد شقت جبهته الى شقين بفعل قرن الحيوان الهائج ، وقد تناثر جانب من مخه على التراب ٠٠

۰۰۰ وبعد يومين من مغادرتنا أومورامبا Omuramba تغيرت المناظر تغيرا كاملا ، وكان التغير ــ غالبــا ــ للأسوأ فبدلا من منطقة الأحجار المسامية التى تتناثر فيها مجموعات الشجيرات الجميلة ، والغابات ــ دخلنا الآن منطقة تســودها الرمال المتحــركة والتربة المتمــوجة التى تغطيهــا أدغال الأشجار الشوكية البغيضة التى تكون أحيــانا من الكثــافة بحيث يتطلب شق طريق بينها ســاعات طويلة ، وأكثر من هذا فقد كانت الثيران غير معتادة على السير فى هذه الرمال الكثيفة ، وراحت تجر العربات بتثاقل ، وبالاضافة لذلك فقد كان ثمة صعوبة أخرى خطيرة تفرض نفسها وهى نقص المياه ۰ لقد كانت الأمطار بين الحين والآخــر لــكن بقــدر ضئيل ، فالأمطار قليلة فى هــذه الأنحــاء وأحيانا لا توجد أمطار على الاطلاق ۰ وكنا نضطر حتى نصل الى بعض المياه المتجمعة بين الأحجــار الكلسية أو الى بعض الآبار الخــربة المهدمة ــ لنروى ظمأنا ۰ ومع هذا فانه يوجد هنا كثير من الوديان الصغيرة الجميلة ، كان معظمها جافا ، وأخيرا فقــد أرهقتنا هذه الوديان ــ جميعا ــ ارهاقا شديدا ۰

. . .

وفى التاسع عشر من شهر ينــاير كان قد مضى علينــا يومان ونحن لا نملك ــ تقريبا ــ قطرة ماء لنقدمها للماشية التى معنا ۰ وكانت الحرارة شديدة والشمس تحرق جلودنا وكأنها نار ملتهبة ، وبدا مرشدنا وهو رجل عجوز حساس ، بدا هو نفسه مرهقا بائسا وراح يكرر أن محاولتى التوغل فى هذا الاتجاه قد تؤدى الى أن نقضى جميعا نحبنا فليس ثمة بئر واحدة أو نبع ماء واحد على مدى مائة ميل ، لكن هذا الكلام الذى يردده كان مجرد اشاعات سمعها ، أما هــو شخصيا فلم يسبق له أن تعرف على المنطقة بنفسه ۰ وكانت

أقواله هذه مثبطة للهمة ولـكنتى قررت المضى فى مغـامرة على مسئوليتى الشخصية ، وعلى هذا فقد أسرجت حصانى العجوز وحملت الخمير بالماء القليل الذى معنا ، وانطلقت مصحوبا باثنين أو ثلاثة من أهل البلاد المرافقين لى بحثا عن الماء ذلك السائل الثمين ، وأعطيت أوامرى لباقى المرافقين لى أن يعودوا أدراجهم مصحوبين بالعربة اذا لم أعد لهم خلال اليوم التالى •

وتـركت الـرجال ، وتبعتنى الخمـــير بأقصى سرعة تستطيعها ، وانطلقت بحصانى ، وبعد حوالى ثلاث سـاعات من السير الشاق كان الحظ حليفى ، فاكتشفت ، ويا لفرط سعادتى • واديا صغيرا ليس به الا كمية قليلة من الماء لكنها كافية لاستخدامنا لأيام قليلة ، فعدت مرة أخرى الى عربتى وباقى الرجال فى الليلة نفسها فقابلوا عودتى بالمـاء بفرح غامر • وفى اليوم التالى واصلت المسير حتى وصلنا للماء • أن القارىء الذى لم يخض مثل هذه التجربة لن يسـتطيع أن يدرك مدى البهجة والسعادة التى غمرتنا عندئذ •

وقد طلب دليلنا باصرار الآن أن يتركنـا وأن يعـود لدياره مدركا أنه لم يعد مجديا لنا ، وفى حالة ما اذا دبر لنا بديلا له ، فانه لم يكن لدى مانع من تلبيـة طلبه ، وان كانت الحقيقة هى أننى لم أكن فى هذه المرحلة فى مسيس الحاجة لمرشدين خاصة وأن تقدمنا ـ بسبب بشـاعة المـرج الذى نقطعه ـ كان بطيئا جدا لدرجة أن أحدا من البشمن لم يكن راغبا فى البقاء معنا • وعلى أية حال فقد كان هناك اعتبار واحد يجعل بقاء مرشد معنا ينتقل من مكان الى مكان مسألة مفيدة لنا ، فهو سيكون قادرا عـلى اخبار قومه عنـا وعمن نكون ، وعن هدف رحلتنا ، فهـو سـيكون أقدر على

اقناعهم كما أنهم سيكونون أكثر استعدادا لتصديقه أو علي الأقل سيكونون أكثر استعدادا لسماعه ، اما ان قلنا نحن بأنفسنا عن أهدافنا فقد نكون عرضة للسخرية ، وقد يظنون أننا أتينا من بلاد معادية لهم ، فليس أخطر على الرحالة من أن يصل ـ فجأة ـ الى منطقة دون تمهيد أو مقدمات فى بلاد يقطنها شعب غير متحضر .

ولم ينتظر مرشدنا العجوز حتى نأذن له بالانصراف بل على عكس ما هو متوقع ، فقد عاد بعد غياب استغرق ثلاثين ساعة ومعه عدد من الشباب ليعملوا معنا كمرشدين فى المرحلة التالية من الرحلة ، لكننى لم أرتح لمنظرهم ، فقد بدوا صغارا جدا وجهلة، ومع هذا فقد قبلت خدماتهم لا لشيء سوى للسبب الآنف ذكره ، فلا جدوى منهم فى الواقع ، كما أن وجودهم لن يقدم أو يؤخر سوى أنه يمكن استخدام الشباب فى جمع المعسكر ايذانا بالرحيل .

وبينما كنا فى انتظار عودة مرشدنا العجوز كنت قد قمت باستكشاف المنطقة التى سنصلها (التى أمامنا) كما أننى لحسن الحظ اكتشفت مجموعة من الأخاديد الصغيرة Vleys حقيقة لقد كان ماؤها سيئا اذ كانت ترتاده بين الحين والحين جماعات من الأفيال أحال غائطها (برازها) وتمرغها هذه الأخاديد الى ما يشبه دورات المياه أو البالوعات ومع هذا فقد فرحت كثيرا بهذه الأخاديد (الشقوق التى بها ماء) فهى على الأقل ستبقينا على قيد الحياة فى هذا الجو القائظ الشديد جفافه .

ولما اكتملت استعداداتنا بعد انضمام مرشدينا الجدد لنا أصبحنا قادرين بعد فترة يسيرة على مواصلة الرحلة ،

وفى اليوم التالى أسعدنى الحظ أن أكتشف شقا به ماء رائق، وأقول اننى اكتشفت لأن أدلتنا ـ كما سبق أن توقعت ـ قد ارتحلوا فجأة هذا الصباح ٠ وبعد أن سرنا دقائق قليلة بعد هذا الشق ذى الماء الرائق حدث لعربتنا حدث خطير ، فبسبب اهمال السائق فان محور العجلات (الاكس Axle) الخلفى اصطدم بشجرة شوكية ملقاة على الأرض فكسر أحد طرفيه (طرفى الأكس) ، ويعد كسر (أكس) العربة فى أى ظرف من الظروف مسألة خطرة ، وتزداد الخطورة اذا كان هذا الكسر فى ظرف كظرفنا حيث لا توجد أخشاب مناسبة ، وحيث البرية ، ومن حيث وجودنا بين مناطق لا يميل أهلها لاستضافة الغرباء ٠ لقد كان يتحتم على طوال مائة وخمسين ميلا أن أعرف أن هذا عمل ليس سهلا ولا يبعث على السرور ، خاصة وأنه ليس فى هذه المناطق الا نوع من الأشجار تسمى أكاسيدالزرافة aacia giraffe ، وهى شجرة موطنها بلاد دامارا Damara Land وما حولها ـ تصلح لنعمل منها محور العربة (الأكس) ٠ ويجب أن أذكر أيضا أنه حتى هذا النوع من الأشجار لا يوجد بالمئات ولا أقول بالآلاف ، فمعظم الأشجار من هذا النوع قد نخرت من قلبها أو أضعفها النمل وتسللت اليها الديدان فأصبحت هشة لا تصلح لشىء ٠ انها تبدو على البعد سليمة متينة لكن عند تجريب استخدامها فى عمل أى قطعة مناسبة لعربة أو فى أى عمل من أعمال النجارة أو البناء يكتشف المرء أنها لا تصلح ٠

وذات مساء بينما كنا نتابع طريقنا كنا على وشك التسمم بسبب بعض البقول البرية Wild beans التى جمعها الطباخ أثناء الطريق ، اذ رأيته على وشك وضعها فى وعاء الحساء ، فقلت له : « لقد أصبت بمرض شديد بعد أن

تناولت بعض هذه البقول خضراء دون طبخ » وأضفت أنه من الممكن ألا تسبب أذى اذا تم طهيهـا ، ووجـدنا أن طعم البقول بعد طهيها لذيذ ، فرحنا نأكل منها بوفرة وما كدت انتهي من تناول وجبتي مع الطبـاخ وبريرا Pereira حتى أصبنا بالغثيان والقيء وأحسسنا بصداع عنيف واضطراب شديد في القلب ، وعلى أية حال فقد انقذتنا العناية الالهية اذ تقيأنا الطعام السام ، ولم تحدث عواقب وخيمة لذلك خلا الاحساس بالقرف من جراء طعم هـذا الطعـام في أفواهنا واستمر هذا طوال الليل كما استمر احسـاسنا بالهبـوط والانهاك ، وهو الاحساس نفسـه الذى يعقب تنـاول المرء جرعة كبيرة من زيت الخروع ٠

وهذه الحبوب (البقول) ضارة جدا بالانسان الا أنهـا نافعة للماشية والأغنام والماعز ٠

ولن أرهق القارىء بأن أروى عليه الأحداث يوما يوما فهى بشكل عام أيام ملأى بالارهاق والعناء ، فأحيانا كنـا نحظى بوفرة من المياه وأحيانا وأحايين كنا نعانى من كل متاعب الظمأ وعندما كنا ننشغل باصلاح العربة كنت أترك رفاقى وأذهب باحثا عن طريدة سواء على ظهر حصانى أو سيرا على الأقدام ، أو أذهب باحثا عن شق (أخدود صغير) به ماء أو للاستدلال مقدما على الطريق ، أو لكل ذلك معا ٠

لقد بذلت جهودا كبيرة لتأمين لحوم الطرائد لى ولرفاقى، ومما يؤسف له أننى لم أنجح كثيرا رغم هذه الجهود بسـبب قلة الحيوانات البرية لوفرة حشود ذباب الماشية ، وهو ذباب مؤذ وسام يغزو هذه المنطقة ويغمرها ٠ ان هذا الذباب يهاجم البشر والحيوانات على حد سواء ، والذبابة من هذا النـوع تسحب قدرا كبيرا من الدماء عند كل عضة (لسعة) ٠ لقـد

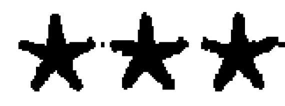
كان المرافقون لى من آهل البـلاد يعـانون بشدة من الآلام المبرحة عند هجوم هـذا الذباب · أما الدواب فقـد كانت جديرة بالشفقة · لقد كانت تعاني كثيرا من هـذا الذباب لقد كانت بطون هذه الحيوانات البائسة مسـلخة ممزقة ، مطلية بالدم المتخثر من جراء قرصات (لسعات) هذا الذباب اننى لا آبالغ آبدا فى هذا الوصف · وقد آكد لى البشـمن Bushmen أن الماشية والحيوانات الأخرى تموت غالبا نتيجة السم الذى يبثه هذا الذباب الشره للدماء فى أجسـاد ضحاياه ، وآنا أصدق ما يقولون · ولقد ظلت أسراب هذا الذباب تتبعنا لعدة أيام ، وكانت تتجمع ليـلا عـلى هيئـة عناقيد تحت العربة ·

وعلى أية حال فان آسراب الذباب المرعبة هذه لا تستطيع آن تطارد الأفيال القوية ، رغم آنها ــ أى الأفيال ــ لا تسلم ــ بلا شك ــ من آذاها ·



لقد تآخرنا لأسبوع كامل بسبب الأمطار الغزيرة وبسبب جهودنا فى تقطيع لحوم الفيلة وتجفيفها · وفي السابع من فبراير آصبحنا ــ على آية حال ــ قادرين على التحرك للامام وان كان تقدمنا بطيئا هذا اليوم وخلال اليومين التاليين · حقيقة لقد كانت المسافة كلها التى قطعناها لم تكن لتستغرق آكثر من ساعة فى الظروف العادية المناسـبة ، فقـد أدت الرطوبة الشديدة وكثافة الأشجار الى تآخرنا · فبـدلا من الحيود الرملية التى تغطيها الأشجار الشـوكية القصـيرة ، آصبح يتحتم علينا الآن آن نقطع حيودا عالية تغطيها أشجار باسقة كثيفة ، وكانت بعض هذه الأشجار جديدة بالنسبة لى اذ لم يسبق لى معرفتها ، وكانت الشـجيرات تحت الأشـجار

العالية ، كثيفة جدا ، حتى أن الرجل لا يستطيع اجتيازها حتى وهو سائر على قدميه ، ومن ثم فقد استغرق شق طريق للعربات وقتا وجهدا كبيرا ، ويمكن للقارىء ادراك ذلك اذا أخبرته أننا قضينا ثلاثة أيام في عبور جيد لا يزيد عرضه عن ميل ، وأن ذلك حدث أكثر من مرة ، وكان يعمل في شق الممر سبعة رجال أو ثمانية يعملون بشكل مستمر من الصباح حتى المساء • لقد كان مثيرا أن نحصى عدد الأشجار والشجيرات التى نقطعها لنعد ممرا مسافته ميل أى بواقع ١٧٠٠ شجرة في ٣٠٠ ياردة ، لقد كان الأمر يحتاج الى ١٢٫٠٠٠ ضربة فأس لقطع الفروع والسوق ـ التى يتراوح سمكها بين سمك الاصبع وسمك ساق الرجل ـ خلال ميل واحد • وكان علينا أن نقطع مائتى ميل في هذه المنطقة قبل أن نصل الى الهدف النهائى للرحلة ، وقد نجحنا بالفعل في القيام بهذا العمل الشاق ، وبذلك استلزم الأمر ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ ضربة فأس لقطع مالا يقل عن ٢٠٠٫٠٠٠ شجيرة •



لقد أصبحت ممرات الأفيال الآن كثيرة متعددة ، وراحت تعبر المنطقة وتعيد عبورها في كل اتجاه ممكن • وفى بعض الأحيان تبدو ستة ممرات من هذه الممرات أو أكثر من ذلك أو أقل ـ تبدو وكأنها مغطاة عند نقطة معينة ، خاصة عند شقوق المياه ، ومن هنا كان من الصعب أن نختار الممر الصحيح • وكنا لا نقدر على اهمالها (تركها جميعا) فلم يكن ثمة مناص من اجتياز أحدها حتى يتسنى لنا الوصول للمياه • وذات مرة كانت بعض هذه الطرق الخادعة تعود بنا مرة أخرى فى اتجاه بلاد دامارا Damara Lend • وعلى أية حال فان هذا كان يؤدى الى بعض الاضطراب لكننى كنت

أعرف فى النهاية الطريق الصحيح أما البشمن فقد كان بعضهم يناقض بعضهم الآخر ، حتى أننى كنت أعانى تماما من الارتباك نتيجة تناقضهم هذا ، فأحيانا كانوا يشيرون بالاتجاه شمالا بينما يشير آخرون منهم الى اتجاه الشمال الشرقى ، ببنما يرى فريق ثالث أنه يتحتم علينا أن نتجه شرقا للوصول الى النهر • وقد كانت معاناتنا من هذا الاضطراب أمرا مزعجا ثقيل الوطأة خاصة وأن حركتنا ثقيلة بما معنا من عربات لدرجة أننى قررت أن أترك العربة عند أحد الشقوق المائية ، وأن أواصل الرحلة للأمام وليس معى الا ثور تحميل واحد ، وذلك لاستكشاف المنطقة ، والوصول للنهر اذا أمكن •

ولانجاز هذا العمل سريعا مع توفير قدر من فرص النجاح أخذت معى أقل قدر من الضروريات وتخيرت لصحبتى بعض أهل البلاد المرافقين لى والذين يتسمون بالقدرة على التحمل ومواصلة السير بسرعة • وفى اليوم نفسه الذى انطلقت فيه ، وعند الغروب تقريبا رأينا عمود دخان صغير ينبعث من بين مجموعة من الأشجار ، ولما أرسلت مجموعة من المرافقين لى ليحوموا حول المكان نجحنا فى الامساك بكل البشمن القاطنين فى مستوطنة بشمنية صغيرة ، ولم تكن هذه المجموعة سوى عدد قليل من النسوة والأطفال ورجلين أو ثلاثة • وكانت هذه المجموعة البائسة ــ بطبيعة الحال ــ خائفة خوفا شديدا لكننى هدأت من روعهم بأن قدمت لهم هدايا من اللحوم والتوباكو • ووجدت من الحكمة ألا أخبرهم أننى فى حاجة الى مرشدين ، وانما اكتفيت بالقول أننى فى طريقى للنهر • وعلى أية حال ، فقد كنت مصمما على تدبير رجلين كمرشدين ــ فى الصباح ــ حتى اذا لم يرحلوا ليلا • وقد أدت طريقتى الى نتائج طيبة ففى بكور الصباح التالى

وجدتهم سعداء يسلون أنفسهم بأمان ويشعلون النيران ، ويدون تأخير أمرت اثنين منهم أن يصحبونا لكنهما نفرا منا تماما ، لكني افهمتهما أنهما يجب أن يطيعانى ، لكن موقفهما لم يتغير ·

وبعد عدة ساعات من السفر المريح توقفنا عند شق ماء جميل فانعشنا أنفسنا ، وقبل أن ننهى وجبتنا المتواضعة ظهر البشمن وقالوا انهم عائدون الى ديارهم ، وفى الوقت نفسه أشاروا الى طريق من طرق الأفيال وذكروا أنه الطريق الذى ينبغى لنا أن نسلكه (للوصول الى النهر) ، لكننى لم أدعهم يذهبون فقد ترجلت وحاصرت واحدا منهم فوافق ــ على كره منه ــ أن يصحبنا · والآن فمن الطبيعى أن تكون وظيفة المرشد هي أن يقودنا أثناء الطريق ، ولكن من الصعوبة أن تحتأفريقيا أصيلا أن يكون قائدا لمجموعة ، فهو يلتمس دائما كل مناسبة ليكون فى المؤخرة ، وخشيت ان أنا تركت الرجل حرا أن يولى هاربا فربطت يده اليمنى بالذراع اليسرى لأحد المرافقين لى وتركت بينهما مسافة ثلاث أقدام حتى لا أعوق حركتهما ، ثم أمرت هذا الرجل البشمنى (من البشمن) أن يتقدم ، ولتحاشى أى محاولة منه للهرب سرت قريبا منه في اثره · لقد اعترى الرجل البشمنى خوف شديد وتوقف مرارا متوسلا أن أطلق سراحه لكننى ــ بطبيعة الحال ــ لم أعره الا أذنا صماء ·

وفى عصر هذا اليوم وجدنا بعض آثار حديثة لجماعات البشمن فتتبعناها فوجدنا بعد فترة يسيرة امرأة من البشمن تحفر بحثا عن جذور النباتات ، فبثثت فيها الاطمئنان لكنها راحت ترتعد عندما خاطبها مرشدنا الذى أطلقت يده الآن

فأصبح حر الحركة ، وبعد خمس دقائق وصــلنا لمســتوطنة بشمنية مكونة من عشرين كوخا أو ثلاثين •

وبينما كان رجالى هنا يعدون كل شيء لقضــاء الليــل أجريت حوارا مع زعيم البشمن فى هذا المكان ، وكان شــابا ذكيا لطيفا ، وقد أخبرني أنه يمكننا الوصول للنهر خــلال يوم ونصف اليوم بسفر مريح لا مشقة فيه • انهــا أخبــار رائعة زاد من روعتها أنه وعدنا أن يصحبنا للنهر بنفســه • وهكذا قضيت ليلة مريحة وأنا سعيد سعادة لم أحظ بمثلها منذ أيام كثيرة ، وكانت روحي المعنوية عالية •

وفي صباح اليوم التالى تحركنا مبكرا ببطء ، وحوالى الظهر وصلنا الى أومورامبا Omuramba ويسمى أوبونجو Obongo وهو أول مجرى مائي حقيقي منتظم بشكل دورى نقابله طوال مائة وخمسين ميلا قطعناها ، وحتى هذه النقطة فان هذا المجرى يجرى في اتجاه الشمال ، وفي باطن هذا المجرى وجدنا شقوقا مختلفة مليئــة بالمــاء بل وحتى بعض الينابيع الطبيعية ، وهي الأولى من نوعها التى رأيناها منذ غادرنا منطقة الأحجار الكلسية المسامية التى تحدثنا عنهــا في الصفحات السابقة • وتوقفنا هنا حوالى ساعة ونصــف ساعة ، ثم واصــلنا رحلتنا حتى غــربت الشــمس فأقمنــا معسكرنا لقضاء الليل •

وفي اليوم التالى كان علينا أن نحل المشكلة التى شغلت عقلي مدة طويلة والتى كانت تمثل مشكلة بالنسبة لي لا فى رحلتى الحالية فحسب ، بل طوال حياتى • وقد شعرت لذلك بقلق غير عادى ازاء الوصــف الذى قدمته للنهر فى مرحلة

الكشف . لقد تحدث بعض البشمن الذين قابلناهم أثناء تجوالنا على أكثر من أنه ليس أومورامبا Omuramba أى ليس أكثر من واد عميق تتخلله شقوق تمتلىء بالمياه ، بينما أكد بشمن آخرون أنه مجرى مائى دائم يعبره أهل البلاد بالقوارب Canoes وتكثر فيه أفراس النهر والأسماك والتماسيح ، وقد فزعت خشية أن يكون الاحتمال الأول غير صحيح ، ففى هذه الحالة تكون كل النفقات بالاضافة لكل الجهد المبذول فى الكشف قد ذهبت هباء .

وعندما أشرق الصباح سرنا على الأقدام ، لكن هواء الصباح كان حادا وقاسيا ، وقد واجهت فى البداية بعض الصعوبات فى الانسجام مع المرشدين . وبعد حوالى ستة ساعات من التقدم السريع توقف هؤلاء البشمن فجأة وسحب كل واحد منهم من جعبته ثلاثة سهام أو سهمين كانوا يخبئونها بعناية بين الأشجار ، وعندما طلبت تفسيرا لهذا الاجراء قيل لى ببساطة ان أهل أوفاكوا نجارى Ovaquangari اذا أحس الواحد منهم بقوته أصبح عديم الضمير لا خلاق له يستولى بالعنف على أى شىء يستهويه ، ولما كانت السهام جديدة بالنسبة للبشمن وذات قيمة ، فانهم لم يميلوا للتخلى عنها بل انهم حذرونى كى أتخذ عدة الدفاع عن نفسى (أن أكون تحت الحراسة) لأن أهل القرى التى سنمر بها قساة متوحشون . انها حكاية قديمة رغم أننى لم أهمل التحذير، لكننى توقعت أن وصولنا المفاجىء لقراهم سيثير فيهم الرعب أكثر مما سيدفعهم لتدبير أمور معادية .

وبعد تأخير قليل واصلنا مسيرنا ، وقطعنا شوطا طويلا قبل أن أدرك فى الأفق البعيد مجرى مائيا أزرق داكنا ، فهتفت لنفسى : آه .. آه .. انه ليس مجرد مجرى مائى

مؤقت » وما هى الا دقائق قليلة حتى التقت عيناى بصفحة ماء واسعة على البعد • وصدق حدسى ، فانفلتت منى صيحة فرح ورضا عند رؤية المشهد العظيم • وما هى الا عشرون دقيقة حتى آصبحنا على ضفاف نهر عظيم كان يبلغ عرضــــه فى المنطقة التى التقينا به حــوالى مائتى ياردة ، انه ــ اذن ــ وفقا لكل الاحتمالات الموكورو موكوفانجا Mukuru Mukovanja للأوفامبو Ovampo الذى أفهمنا البشمن أنه يتجه غربا ، ولأننى أخذت آقوالهم على محمل الجد فقد مضى بعض الوقت وآنا واقف أمام النهر قبل أن آكتشف أننى وقعت فى خطأ • يا الهى ، لقد صحت فجأة قائلا لنفسى : « إن النهر ينســاب نحو قلب القــارة الأفريقيــة ، ولا يتجه للمحيط الأطلنطى ليصب فيه » •

★★★

رحلـــــة

ديفـــد ليفنجستون

DAVID LIVINGSTONE

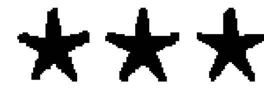
شـــلالات فكتـــوريا

ولد ديفيد ليفنجستون فى بلانتير Blantyre فى سنة ١٨١٣م ، وعمل بمصنع قطن ولكنه راح يقرأ بنهم وخطط لنفسه لدراسة الطب واللغة اليونانية والاديان • وفى سنة ١٨٣٨ م قبلته جمعية لندن التبشيرية وفى نهاية فترة تدريبه بها تسببت حرب الافيون فى اعاقة هدفه الأساسى وهو السفر للصين ، ومن ثم فقد وجد من يحفزه على السفر الى بتشوانا لاند وهو مجال كان قد بدا العمل به موفات Moffat وقد وصل الى جنوب افريقيا سنة ١٨٤٠ وبعد ان زار شعوب الباكوينا Bakwena والبامانجويتو Bemangwato والباكا Bakaa اسس محطة Station (مركزا) فى مابوتسا Mabotsa ، وبينما كان فى مابوتسا هاجمه اسد فسبب له اذى شديدا فى ذراعه وكتفه • ولانه لم يكن على وفاق مع رفاقه الارساليين ووجد نفسه مع سيشل Sechele وسرعان ما حثه على نقل مركزه الرئيسى الى موقع جديد على ضفاف نهر كوبولنج Koboleng وقام لفنجستون برحلتين الى قبائل ناحية ماجاليزبرج Magaliesberg لكن اتجاهات البوير Boers جعلته يتطلع للشمال وليس للشرق ، حيث هناك مجال ارحب لتحويل الناس للمسيحية • وفى سنة ١٨٤٩م صحب اوزويل Oswell لبحيرة نجامى • وفى العـام التالى انطلق مع زوجته (وهى ابنة موفات Moffat) ليصل الى سيبيتوين Sebituane زعيم قبيلة (شعب) ماكولولو Makololo لكنه اضطر للعودة بسبب ذبابة تسى تسى • فى تاماناكا Tamanaka وبسبب معاناة زوجته من مرض الحمى •

وفى سنة ١٨٥١م وصل – ومعه اوزويل – الى الشوبى Chobe وسيبتوين واكتشف نهر الزمبيزى عند سيشيكى Sesheke .
وفى سنة ١٨٥٢ م عاد الى المناطق الداخلية وظل يجول باحثا عن موقع مناسب وصحى يمكن ان يصبح مركزا للبث الحضارى على ان يسهل – من هذا المركز – الاتصال بالساحل الافريقى الشرقى أو الغربى ، وقد اقتنع خلال رحلته الى لندن انه ليست هناك امكانية لانشاء طريق للعربات التى تجرها الثيران وغيرها من الدواب من داخل القارة الى المحيط الاطلنطى (الساحل الغربى) ، فقرر أن يكشف امكانية نهر الزمبيزى وعندما تتبعه النهر (الزمبيزى) هابطا فى مجراه اكتشف شلالات فكتوريا .

والنص التالى من « رحلات ليفنجستون الارسالية والبحثية فى جنوب افريقيا ، والذى نشره فى لندن جون مراى John Murray سنة ١٨٥٧ م »

Livingstone's Missionary Travels and Researches in South Africa. John Murray, London, 1957.



فى الثالث من نوفمبر ودعنا أصدقاءنا فى لينيانتى Linyenti وصحبنا سيكيليتو Sekeletu وحوالى مائتين من الأتباع (المرافقين) وتناولنا جميعا طعامنا على نفقته ، وقد أخذ ماشية لهذا الغرض من كل محطة station وصلنا اليها . وكان الرجال المهمون (الزعماء) من شعوب (قبائل) الماكولولو Makololo والليبيول Lebeole والنتلارى Ntlarie والنكواتليل Nkwatléle الخ من بين المجموعة أيضا . وقد مررنا ليلا خلال منطقة عامرة بذبابة تسى تسى بين لينيانتى Linganti وشيشيكى Seshe'ke . وكان أغلب المجموعة قد سافروا فى ضوء النهار ليعدوا لنا أماكن نومنا . أما أنا وسيكيليتو Sekeletu ومعنا حوالى أربعين شابا فقد انتظرنا خارج المنطقة الموبوءة بذبابة تسى تسى حتى يحل الظلام ، ثم

انطلقنا ، وفي حوالى الساعة العاشرة صار سواد الليل حالكا (أغطش الليل) فلم تعد الخيول ـ ولا الرجال ـ ترى شيئا ٠ وأبرق البرق في السماء مكونا ـ في المرة الواحدة ـ ثمانية أفرع أو عشرة ، بحيث أصبح ـ تماما ـ على هيئة شجرة ٠ وكان ضوء البرق الشديد يمكننا من رؤية المنطقة كلهـا فى لمحـات سريعـة ـ أكثر من مرة ٠ أما الفترات ما بين برق وبرق ، فقد كانت حالكة السواد الذى يغمرنا فتسيطر علينا فكرة أننا أصبحنا عميا ، مرة أخرى ، فتضـطرب الخيـول وتصهل وتدور حول نفسها وكأن كل حصان منها يبحث عن الحصان الآخر ، وعند كل برق جديد يكتشف الرجال أنهـم اتخذوا طرقا مختلفة فيضحكون ويتعثرون ويواجه بعـضهم بعضا ٠ أما الرعد فكان عاليا صاكا للمسامع لا يسمع رعد فى مثل قوته خارج هـذه المناطق الاسـتوائية ، وقد أكد لى أصدقاء هنود أن الرعد فى أفريقيا الاستوائية أشد صـوتا منه في أى مكان آخر فى العالم ذهبوا اليه ٠ وبعد قليل هبط مطر شديد غير منقطع فزادنا اضطرابا وعمت بيننا الفوضى ٠ وسرعان ما شعرنا ببرد شديد وزحنا نرتجف ، فغيرنا اتجاهنا بعد أن آنسنا نارا على البعد ، لعلنا نحصل منها عـلى جذوة فنصطلى بها ٠ أليس غريبا أن نعانى من شدة البرد ليلا بعد أن عانينا من الحرارة الشديدة نهارا ٠ لقـــد أوقد بعض الناس هذه النار أثناء سيرهم لأنه من النادر ألا يكون هنـاك بعض المسافرين فى هذا الممر آتين من العاصـمة أو ذاهبين اليها ٠ لقد فقدت ملابسى فانطرحت على الأرض الباردة متوقعا أن أقضى ليلة تعسه ، ولكن سيكيليتو Sekeletu تعطف عـلى فغطانى ببطانيتـه بينما قضى هـو ليلته دون غطاء وتأثرت كثيرا بهذا العمل البسيط الذى ينم عن كرم ورقة أصيلة ٠ ان هؤلاء الناس اذا انقرضوا بسبب تقدم الحضارة ووصولها

لهم ــ تماما كما حدث لبعض أجناس الحيوانات ــ لكان هذا أمرا يدعو للشفقة والرثاء • انه من الممكن أن يتلقى هؤلاء الناس الكتاب المقدس ليكون عزاء لأرواحهم عند الموت قبل أن يأتي هذا اليوم الذي ينقرضون فيه •

وبينما كنا في سيشيكي Sesheke زودني سيكيلوتو باثني عشر ثورا ــ منها ثلاثة للركوب ــ بالاضافة الى فأس وخرز حتى أتمكن من شراء قارب عندما يتحتم على ذلك في الليامبي Leéambye فيما وراء الشلالات ، كما قدم لي كثيرا من الزبد الطازج وعسل النحل وبذل قصارى جهده ليجعلني مرتاحا أثناء الرحلة • لقد كنت معتمدا اعتمادا كاملا على كرمه لأن كل المؤن التي جلبتها من الرأس (الكاب Cape) كانت كلها قد نفدت منذ بدأت رحلتي من لينيانتي Linyanti الى الساحل الغربي ، فهناك سحبت سبعين جنيها استرلينيا من مرتبي ودفعت لرجالي منها واشتريت مؤنا لاستخدامها أثناء العودة الى لينيانتي Linyanti • لقد نفد الآن كل ما معي ، وقام الماكولولو Makololo بتجهيزي مرة أخرى وأرسلوني للساحل الشرقي ، وقد شعرت بامتنان عظيم لهم • والعملة النقدية لا قيمة لها هنا فالذهب والفضة غير معروفان بالمرة • وقد لحق بنا موريانتساني Morianlesane وزعيم ، سيشيكي Seske'ke عم سيكيليتو Sekeletu وفي الثالث عشر من هذا الشهر استقل بعضنا القوارب وأبحروا هابطين في النهر الى التقاء النهر بفرع شوبي (عند ملتقى شوبي the Confluence of Chobé) بينما راح الآخرون يقودون القطيع على طول شاطىء النهر وقضينا ليلة واحدة في مباريا Mparia وهي جزيرة عند ملتقى شوبي Chobé الآنف ذكره ، وهي جزيرة تتكون من صخر بركاني به بلورات من الكوارتز quartz مغطاة بقشرة من خام

النحاس الأخضر • وحاولنا فى اليوم التالى أن نواصل الابحار هابطين فى النهر ، فتسببت رياح شرقية قوية فى تأخير تقدمنا لعدة ساعات ، فقد ارتفع موج النهر بشدة تهدد بغمر القوارب واغراقها • ان النهر فى هذه المنطقة واسع وعميق ، وتقبل فى مجراه جزيرتان كبيرتان تبدوان من الشاطىء الآخر • وبينما كنا ننتظر هبوب رياح مواتية راح أصدقائى يقصون على حكايات متوارثة عن هاتين الجزيرتين، وكما هى العادة فقد امتدحوا حكمة سبيتوان Sebituane الذى كان يحتجز الباتوكا Batoka ، ويغرى القبائل الجوالة بالقدوم للجزيرتين ، ويتركهم بلا طعام (يجوعهم) ، وما معهم من ماشية ــ النهر • ويعتقد الباروتز Barotse أنه يكمن فى بعض أجزاء النهر غول (أو حيوان غريب شكله) هائل وأنه سيقتنص القارب ويوقفه جاعلا اياه بلا حراك رغم كل جهود القائمين بالتجديف • وبينما كنا بالقرب من ناميتا Nemeta ابتعد المجدفون عن بقعة بعينها اعتقادا منهم بوجود الغول بها ، وتركوا عرض النهر وسلكوا أحد فروعه • وهم يعتقدون أن لدى بعضهم معلومات عن الرقى والدعوات التى تبعد أذى الغول • وانه لأمر غريب أن تجد حكايات مشابهة لدى أمم الشمال الأوربى مشابهة لحكايات قلب القارة الأفريقية ، أيمكن أن يكون هذا بقية تراث متعلق بالحيوانات لازال موجودا ؟! فالعظام المتحجرة ، الموجودة فى الصخور الكلسية المسامية فى هذه المنطقة يمكن أن تبين لنا ــ شيئا عن حيوانات الحقبة القديمة ، اننى آمل فى ذلك •

وبعد أن هبطنا مع النهر حوالى عشرة أميال وصلنا الى جزيرة نامبين Nampene ، وعندها تبدأ منطقة الجنادل

rapldo فأصبحنا مضطرين لمغادرة قواربنا والسير على الأقدام بحذاء النهر ، وفي المساء التالى نمنا في مواجهة جزيرة شوندو Chondo ، ثم عبرنا الليكون Lekone (أو اللكوين Lekwine) وفي بكور الصباح التالى أصبحنا في جزيرة سيكوتي Sekote (نسبة الى أحد الزعماء المحليين) وتسمى كالاى Kalai وسيكوتي هذا هو آخر زعماء الباتوكا الذين اقتلع سيبتوين جذورهم .. ويحيط الجزيرة شاطيء صخرى ومنطقة مائية عميقة ، ويضرب موج النهر شواطئها بعنف. ولأن سيكوتي يحس بالأمان في جزيرته هذه فانه يجسر على عبور النهر ليهاجم أعداء الماتيبيلى Metebele التابعين لسيبتوين . وعندما تراجعوا اتخذ سيبتوين من المواضع المحيطة بأحد الجنادل مجالا لنشاطه ، ثم هبط من نااليل Naliele في فرع ليامبى Leeambye وأبحر طوال النهار بالقرب من شواطئه أما في الليل فقد كان يبحر وسط النهر ، وذلك لتجنب أخطار أفراس النهر . ولما وصل الى كالاى انتهز سيكوت Sekote وجود القوارب الكبار التى تم استخدامها في مناطق الشلالات وعبر النهر ليلا . وقد وقع معظم شعبه في الأسر وتعرض للقتل ، ومنذ ذلك الحين أصبحت الجزيرة تحت سيطرة الماكولولو Makololo . انها جزيرة واسعة جدا اذ تضم مدينة كبيرة . وقد وجدت في الجانب الشمالى منها ــ الكولتا Kolta الخاصة بسيكوت الكبير مزينا بعدد من الجماجم البشرية الموضوعة فوق أعمدة ، وثمة جمجمة فرس نهر هائلة على أحد جوانب الكولتا ــ ولم يعبث أحد بهذه الجمجمة الا أنها بدت قديمة بفعل الزمن ، وعلى مسافة غير بعيدة ، وتحت بعض الأشجار رأينا قبر سيكوت

وقد زين بسبعين نابا ضخما من أنياب الفيلة ، وقد غرست هذه الأنياب نحو الداخل (في اتجاه القبر) وثمة أكثر من ثلاثين نابا أخرى موضوعة فوق قبور أقربائه • وقد لحق بهذه الأنياب العاجية بعض التلف بفعل الشمس والمناخ ، وان كانت الأنياب التى يحميها الظل فى حالة جيدة ، لقد شعرت بميل لأخذ عينة من أنياب فرس النهر الموجودة حول هذه المقابر ، لأنها أكبر أنياب فرس نهر سبق لى أن رأيتها ، لكننى خشيت أن ينظر لى الناس باعتبارى سارق قبور (أو مقلق أرواح الموتى resurrectionist) فيربطون بين حدوث أية احداث سيئة بعد ذلك ، وبين فعلى هذا ، ويعتبرون الأحداث السيئة التى حدثت لهم عقابا على انتهاك حرمة الموتى •

ويعتقد الباتوكا أن سيكوت كان يمتلك جرة دواء (سم) دفنها هنا ، وأن هذه الجرة اذا تم فتحها سببت وباء وأمراضا تجتاح المنطقة • لقد عمل هؤلاء الطغاة كثيرا من الأعمال التى تسبب رعبا هائلا لشعبهم •

ولما كان الموضع الذى نحن به ، هو الموضع الذى سنتجه منه الى الشمال الشرقى ، فقد قررت أن نزور فى اليوم التالى شلالات فكتوريا التى يسميها أهل البلاد موزيواتونيا Mosioatunya وشونجوى Shongwe وهذا الاسم الأخير هو الأقدم • لقد كنا نسمع عن هذه الشلالات منذ قدمنا للمنطقة • حقيقة لقد كان من بين الأسئلة التى سألها سيبتوين Sebituane هى : هل سبق أن « دخنت » الأصوات فى بلادك ؟ Have You Smoke the Sounds in Your Country ?

انهم لم يقتربوا من هذه الشلالات اقترابا كافيا يتيح لهم معرفتها معرفة حقيقية ، وانما كانوا يسمعون صوتها ــ بحذر ــ وهم على البعد بسبب رذاذ الماء الكثيف الذى يصل بعيدا ، وبسبب الصوت الهائل الناتج عنها ، حتى انهم يقولون ان الصوت عندها يصدر دخانا أو على حد التعبير بلغتهم المحلية Cosi Oa tunya • وكانت هذه الشلالات ــ فى الماضى ــ تسمى شونجوى Shongwe ولم أتأكد من معنى هذه الكلمة ، وان كانت الكلمة التى تعنى اناء أو جرة « Pot » تشبهها وقد يكون معناها « المرجل الهائج أو الغالى » الا أننى غير متأكد من ذلك • ولأننى ــ بالاضافة للسيد أوزويل Oswell كنا أول أوربيين زارا الزمبيزى فى قلب هذه القارة الأفريقية ، ولأن المنطقة التى وصلت اليها هى المنطقة التى تصل بين ما هو معروفا وما هو غير معروف بالنسبة لهذا النهر ــ فقد قررت أن أعطى الاسم الانجليزى الوحيد الذى ثبته لأى جزء من القارة • وأفضل برهان على الجهل السابق بهذا النهر من أن الجغرافيين الذين لم يرحلوا الى النهر ، والذين اكتفوا بقراءة كل ما كتب عن أفريقيا منذ بطليموس (الجغرافى) حتى الآن ، جعلوا نهر ليبامبى Leeambye منبت الصلة بنهر الزمبيزى ، وجعلوه ينساب فى صحراء كلاهارى Kalahari ، ويضيع فى رمالها ، كما أكدت الخرائط القديمة أنه ينبع من التلال العالية التى وصلنا اليها الآن » • ان قولهم هذا أو تأكيداتهم تلك لا تخرج عن كونها تأكيدات بلا دليل (رغم صحتها أحيانا) تماما كما يؤكد أهل تمبكتو أن نهر التيمز ونهر بول Pool هما نهران منفصلان رغم أنهم (أى أهل تمبكتو) لم يروا أيا من النهرين • ونهر ليبامبى Leeembye هو نهر الزمبيزى ، فكلتا الكلمتين تعنى الشىء نفسه ــ أى النهر الآنف ذكره •

واعتزم سيكيليتو اصطحابي ، الا أن ما وصل كان قاربا واحدا وليس قاربين كما كان قد أمر ، فسلمني هذا القارب الوحيد . وبعد أن أبحرنا في النهر تاركين كالاى Kalai رأينا ــ لأول مرة . أعمدة بخار من المناسب أن نطلق عليها (دخان) وكانت هذه الأعمدة تبدو للنظر من بعد خمسة أميال أو ستة ، لقد بدت وكأنها أعمدة دخان حقيقي منبعث من نار مشتعلة نتيجة احراق قدر هائل من الحشائش الأفريقية ، لقد ظهر لنا الآن خمسة أعمدة كانت تتمايل مع الريح ، وبدت كأنها تواجه حيدا منخفضا تغطيه بعض الأشجار ، وبدت قمم أعمدة البخار هذه ــ على البعد ــ وكأنها تختلط بالسحب . وكانت هذه الأعمدة في جزئها الادنى بيضاء ، أما أطرافها العليا فبدت سوداء ، ومن هنا وصفها أهل البلاد وصفا غير صادق ، قائلين انها دخان . لقد كان المنظر كله في الغاية من الروعة والجمال . كانت شواطىء النهر وجزره مزدانة بخضرة غابية متباينة تباينا شديدا في ألوانها وأشكالها . وفي فترة زيارتنا كانت أشجار متنوعة مغطاة بالزهور . وكان لكل شجرة ملامحها الخاصة وسماتها، وكانت أشجار الحميرة (أو التبلدى)(★) الخالصة الضخمة هى الأعلى والأضخم ، لقد كان كل فرع من فروعها بمثابة شجرة مستقلة كبيرة ، بالاضافة لمجموعة من النخيل الرشيقة السامقة المرتفعة تطاول السماء بسعفها الشبيه بريش

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية :
(Adansonia digitata) baobab
با او باب او تبلدى (بكسر التاء والباء وتسكين اللام) والكلمة الاولى سنغالية معربة والثانية سودانية ذكرها أحمد ندى وهو شجر من فصيلة الخبازات فى ثماره لب يؤكل ، ويسمى ايضا حميره (بضم الحاء وفتح الميم) فى السودان ــ (المترجم) .

الطيور · لقد كانت هذه النخيل تضيف لجمال المنظر مزيدا من الجمال · وكما في الهيروغليفية فان (الكلمة الدالة على النخيل) تعنى دائما « البعيد عن الدار » لأن المرء لا يمكن أن يتجاوز فكرة أصولها الأجنبية · وهناك أشجار الموهونونو mohonono الفضية وهي بالنسبة للأشجار الأفريقية تشبه أشجار الأرز بين أشجار لبنان ، فهذه الأشجار (الموهونونو) تبدو جميلة في تناقض لونها مع أشجار الموتسورى Motsouri الداكنة ألوانها ··· وبعض الأشجار يشبه أشجار البلوط oak (★) وثمة أشجار أخرى تشبه أشجار الدردار وأشجار الكستناء ، لكن أحدا لا يمكنه أن يتخيل جمال المنظر فلا شيء في انجلترا مثله ، ان عيني لم تقع على منظر بمثل هذا الجمال علما بأنني أنظر بعيون أوربية ، فهذه المناظر الرائعة لابد أن تلقى عليها الملائكة نظراتها وهي محلقة في السماء · لم يكن ينقص المنظر ليكون آية الآيات في الجمال سوى الخيال في خلفية الصورة · ويحيط الشلالات من ثلاثة جوانب بحيود يبلغ ارتفاع الواحد منها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قدم ، وكلها مغطاة بالغابات ، وتبدو التربة الحمراء بين الأشجار · وبعد أن أصبحنا على بعد حوالى نصف ميل من الشلالات غادرت

(★) البلوط شجرة من الفصيلة البلوطية ، وكلمة البلوط آرامية الاصل ، وقد اورد معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية حوالى خمسين نوعا من البلوط منها : بلوط الجزائر ، بلوط مائى ، بلوط بهشى الورق ، بلوط اسود ، بلوط دوغلاس ، بلوط كبير الثمر ، بلوط احمر (وهو بلوط يتحول لون ورقه فى الخريف الى اللون الاحمر الداكن) ، بلوط زندى ، بلوط الفلين ، بلوط لاطى الزهر ، ملولى (ويسمى ايضا بلوط البرتقال) بلوط اخضر ، بلوط العفص ، بلوط كبير الثمر ، بلوط لبنان ، بلوط قرمزى ، بلوط المناقع ، بلوط رومى ··· الخ ·

راجع مزيدا من الانواع ، وكذلك المقابل اللاتينى لها فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ، مادة Oak – (المترجم) ·

القارب الذى قطعنا به هذه المسافة كلها ، وركبنا قاربا آخر أخف وزنا وركب معنا رجال يعرفون طبيعة الشلالات وسبق لهم التعامل معها ، اذ سبق لهم أن أبحروا فى النهر وسط الدوامات ويعرفون المواضع التى بها نتوءات تسبب سرعة جريان النهر عندها ، وقد وصلنا بالفعل الى جزيرة تقع وسط مجرى النهر ، وكان الماء يدور حول احدى حوافها ، ولما اقتربنا أكثر كان ثمة خطر أن يجرفنا الماء الذى كان يندفع اندفاعا شديدا ويرتطم بشواطىء الجزيرة الا أن النهر ــ الآن ــ كان منخفضا ، ومن ثم فقد وصلنا لموضع ما كنا لنصله لو أن النهر كان مرتفعا ، ومع أننا وصلنا للجزيرة وكدنا نصل للبقعة التى سنراقب فيها المنظر ونحل المشاكل غير الواضحة بالنسبة للنهر ، بدا أن النهر يضيع فى الأرض (يسيخ فى الأرض) فعند الطرف المقابل (الحافة المقابلة) يبدو النهر وكأنه غاص فى شق (أو صدع) لا يبعد أكثر من ٨٠ قدما ، أو على الأقل اننى لم أستوعب وضع النهر حتى زحفت بحذر الى الحافة ، ورحت أحدق من أعلى لأرى نهر الزمبيزى العريض بشاطئيه لقد اتضح لى أن عرض النهر يبلغ ألف ياردة ٠ ان النهر ينحدر الى الأسفل لمائة قدم ثم ينضغط ــ فجأة ــ فى مساحة (عرض) خمس عشرة ياردة أو عشرين ، ان الشلال كله هو ــ ببساطة ــ عبارة عن شق (صدع) فى صخر بازلتى شديد يجتازه النهر، ويقطع ــ أى هذا الشق شاطىء الزمبيزى من اليمين الى اليسار ثم يمتد ناحية اليسار بين التلال ثلاثين أو أربعين ميلا ٠ واذا أراد شخص ما أن يتخيل الصورة فليضع التيمز Thomes فى ذهنه ويجعله ممتلئا بالتلال المغطاة بأشجار منخفضة فى المنطقة الواقعة مباشرة خلف المجرى (القناة) ، ويجعله يمتد الى جريفسند Gravesend وأن يكون باطن مجراه من

أحجار بازلتية لا من طين لندن ، وأن يتخيل شقا من طرف القناة (المجرى) الى طرفها الآخر ، ويمتد هذا الشق من ناحية الشاطىء الأيسر مسافة ثلاثين ميلا بين التلال ، ويتخيل أن مجرى الماء (الجديد) يكون أدنى من مجرى النهر (الأساسى) بمائة قدم ، ثم يقفز نهر (ماء نهر) التيمز بعنف (ليصب) فى الخليج حيث يجبر على تغيير اتجاهه لتجرى من شاطئه الأيمن الى شاطئه الأيسر (كذا) ثم يندفع بعنف عنيف هائجا مصدرا زئيرا ــ بين التلال ، ان القارىء (الانجليزى) ان تخيل هذا ، فسيكون لديه فكرة ما عن أكثر المشاهد مدعاة للدهشة • الى الأسفل فى الشق الواقع الى اليمين من الجزيرة لا يرى المرء شيئا خلا سحبا بيضاء كثيفة ، وفى الوقت الذى زرت فيه المنطقة ورأيت هذا المشهد ، كان يوجد فى هذه السحب قوسان من أقواس قزح لأن الشمس كانت فى الأوج • ومن هذه السحب يندفع بخار كهرمانى أسود ، يشبه مجرى النهر تماما ويرتفع ، ـ أى هذا البخار مائتى قدم أو ثلاثمائة ، ثم يتكاثف وتتغير درجاته اللونية ويصبح وكأنه دخان داكن ، ثم يهطل مطرا كثيفا يبللنا حتى الجلد ويكون سقوط هذا المطر ــ بشكل أساسى ــ على الجانب الآخر (المقابل) للشق الى الخلف من الحافة ببضعة ياردات حيث يوجد حزام من أشجار دائمة الخضرة ، مبتلة أوراقها دائما ، وتنساب غدران صغيرة من عند جذور roots (كذا) هذه الأشجار وأثناء سقوطها من فوق منحدر شديد يتصاعد عمود بخار •

والى اليسار من الجزيرة نرى الماء فى القاع يدور فى دوامات ضخمة • بيضاء تتجه نحو امتداد الشق الذى يتشعب الى شعب (فروع) بالقرب من الشاطىء الأيسر للنهر • وقد

أسقطت حجرا عند الشاطىء الأيسر للجزيرة واستنتجت أن الماء يهبط (يندفع للأسفل) من ارتفاع يصل الى مائة قدم (★) ان جدران هذا الشق الهائل عمودية ويتكون كل جانب من جوانب الشق من قطعة صخرية هائلة ومتجانسة . والحافة التي ينساب من فوقها الماء قد نحتت (بفعل الماء) بمقدار قدمين أو ثلاث ، وتساقطت قطع حجرية منها ، فبدت ـ أى الحافة ـ مثلمة (مشرشرة) على نحو ما . فالماء لا ينساب بشكل متساو على طول الحافة ، اللهم الا في الجانب الأيسر حيث يبدو في الحافة شق واضح ، وبدت ككتلة حجرية على وشك السقوط . والصخرة بنية داكنة ، الا عند القاع بارتفاع عشر أقدام حيث اللون غير واضح بسبب الارتفاع السنوى للماء ، والى الجانب الأيسر من الجزيرة يمكن القاء نظرة رائقة على المياه الهائلة التى تسبب عمود بخر الماء (رذاذ الماء) الذى يتصاعد بشكل واضح ، ويشكل ما يشبه الثلج المندوف فى القاع . انه منظر ظل مسيطرا على خيالى عدة أيام ..

.. لقد ذكرت أننا رأينا خمسة أعمدة من البخار (الرذاذ) تتصاعد من هذه الهاوية الغريبة . لقد تكونت هذه الأعمدة بفعل انهمار الماء انهمارا عنيفا في مساحة صلدة ، ومن بين هذه الأعمدة الخمسة يعتبر العمودان الى اليمين من الجزيرة ، والعمود الى الشمال منها ، هما أعظم (أضخم) هذه الأعمدة ... وعلى أية حال فقد كان وقت زيارتنا فى فترة انخفاض النهر (ليامبيى Leeambye) لكن ـ وعلى قدر ما يمكننى أن أخمن ـ فثمة فيضان مقداره

(★) هذا يعنى ان ارتفاع الشلال الرئيسى هو ٢٧٣ قدما .

خمسمائة أو ستمائة ياردة من الماء ، تبدو عند حافة الشلال على عمق ثلاث أقدام على الأقل · انني أكتب ذلك على أمل أن يتمكن آخرون ممن رأوا هذا المشهد من تقدير المسافة تقديرا أفضل مما قدرته ، فالحقيقة أنني لم أفعل أكثر من تسجيل الانطباع الذى أحسست به في ذلك الوقت ، لقد اعتقدت ــ ولازلت ــ أن عرض نهر الزمبيزى في المنطقة أعلى الشلال ، يبلغ ألف ياردة ، لكن حكمى على المسافات عبر المياه حكم بائس (غير دقيق) فقد حدث أن أشرت لصديق بحار أن مسافة ما في خليج لوندا Loanda تبلغ أربعمائة ياردة الا أنه أكد ــ لدهشتي ــ أنها تبلغ تسعمائة ياردة ·

وقد حاولت أن اقيس عرض نهر ليبيامبى Leeambye بحبل قوى لكن رجالى بعد أن قطعوا مائتى ياردة أو ثلاثمائة انخرطوا فى نقاش فلم يسمعوا صيحاتى التى تحذرهم أن الحبل قد تعقد ، لذا فقد انقطع الحبل بسبب مواصلتهم الحركة ، وبعد أن انقطع علق ببقايا جذع شجرة في القاع ، وعبثا حاولت أن أتذكر الطريقة التى كنت قد تعلمتها بقياس عرض النهر بقياس زاوية السدسية Sextuant · لقد كنت أعرف هذه الطريقة يوما ، انها طريقة سهلة ، لكننى نسيتها الآن ·· أين تذهب الأفكار ، انه شىء يبعث على الغيظ ، وعلى أية حال ، فقد قست النهر في اتجاه هبوطه بخطة أخرى ثم ثبت أن البرتغاليين قد قاسوه عند تيتى Tete فوجدت أن عرضه يزيد عن ألف ياردة بقليل ، وعرضه عند الشلالات كعرضه عند تيتى ان لم يكن أكثر · وأرجو ألا يكتشف من يأتى بعدى أننى مبالغ (١) ·

---

(١) المحرر : العرض ١٨٦٠ ياردة ·

ويقول الماكولولو Mokololo ان الشق (الصدع) أعمق كثيرا ناحية الشرق ، وفى موضع واحد نجد أحد جانبى الصدع مائلا بحيث يمكن للناس آن يهبطوا اليه منحدرين والواحد منهم في الوضع جالسا ، وذات مرة تابع الماكولولو بعض الهاربين من الباتوكا Patoka ولم يستطيعوا وقف اندفاعهم (تزلجهم) بعنف حتى وصلوا للقاع بعد أن تحطموا وتكسروا قطعا ـ بكل ما تعنيه الكلمة حرفيا ـ فى قاع الشق • والماكولولو يصفون مجرى الشق (الصدع) الأسفل بأنه يبدو لهم كالحبل الأبيض « White Cord » ...

والآن فرغم أن حافة الصخرة التى يخر النهر من فوقها (ينساب النهر فوقها وينهمر ماؤه منها) لا يبدو أنها ستتحمل كثيراً لأكثر من ثلاث أقدام (نحتا) ، وليس هناك ما يدل أن الجدار المعاكس (المقابل) للصدع سيبلى (سيتفتت) عند القاع فى الأجزاء المرئية ، الا أنه من المحتمل أن أجزء الصدع التى تبدو من السطح وكأنها (حبل أبيض) ليست كذلك بالفعل ـ انما هى أعرض بكثير ، وقد يكون جانبا الصدع يسمحان بتسرب المياه ، وربما كانت هناك تشعبات في هذا الصدع بما يشبه المجارى المائية بين الصخور ، لكننى لست متيقنا من ذلك •

واذا وضعنا فى اعتبارنا شدة النحت عند شفة (حافة Lip) الصخرة البازلتية الشديدة فان الوقت الذى ستبلى فيه (تنتهى بفعل النحت) ليس ـ من الناحية الجيولوجية ـ بعيدا جدا • وانى آسف لنقص الوسائل التى تمكننى من قياس عرضها عند الشلالات حتى نتمكن مستقبلا من معرفة مدى تآكلها (ما أحدثته المياه فيها من نخر) •••

قوس قزح موطن الآلهة :

وفى ثلاثة مواضع بالقرب من هذه الشلالات بما فى ذلك الجزيرة التى نقف الآن فى وسطها ــ يعبر الناس هذه الشلالات ويتجهون بصلواتهم ودعواتهم نحو مصدر الصوت ، فثمة ثلاثة زعماء من زعماء الباتو Batoka يصلون للباريمو Barimo ويقدمون لها الأضحيات (المترجم : من الواضح أن المقصود هو الشلالات أو الصوت المنبعث منها) • لقد كانوا ينظرون لمنظر الشلالات وما حولها وللقوس الظاهر فى السماء بخوف ذى طابع غيبى دينى ، وبدا النهر بالنسبة لهم غامضا حافلا بالأسرار ، فقد كان بعض أصحاب القوارب يغنون :

« آه يا نهر ليبيامبى ، لا أحد يعرف ، من أين تأتى والى أين تذهب »

The leembye Nobody knows, whence it comes and wither it Goes

وفى كل مكان ينظر الناس الى تلك الألوان فى السماء على أنها لا تعدو أن تكون قوس قزح أما هم فقد تذهب أفكارهم الى أن هناك بيت الله • وقد كان بعض الماكولولو الذين ذهبوا معى الى قرب جونيى Gonye ينظرون لهذه الظاهرة بخوف غيبى فاذا رأوا قوس قزح فى السماء صاحوا موتسى أوا باريمو Motse' oa barima وهى عبارة تعنى أيدى الآلهة (المترجم : لعل المقصود مثوى الآلهة Pestle of the gods) انهم هنا لا يستطيعون الاقتراب من الرمز أو المعنى الكامن ، فهم

يرون فى قوس قزح ذلك العـــالى الصـــامد بثبـــات فوق كل ما تحته ، وكل ما تحته متغير ، فهو يغير ولا يتغير ، وهم غـــير واعين بطبيعة هذا الإله الذى لا يحرك فى صدورهم نوازع حب الجمال والخير ...

رحلـــــــة

فريدريك ســيلوز

FREDERICK SELOUS

عن شعب الماشوكولومبوى

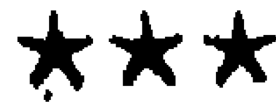
Mashakulumbwi

ولد فريدريك سيلوز فى لندن سنة ١٨٥١م • وبعد ان قام برحلات الى فرنسا والمانيا امتهن الطب ، ورحل الى جنوب افريقيا فوصلها سنة ١٨٧١ م • وفى العـام التالى (١٨٧٣ م) قام بزيارة لزعيم قبيلة (شـعب) الماتابيـلى Matabele وهو الزعـيم لوبنجـولا Lobengula وارشده جان فلجون Jan Vilpoen فى رحلة صوب الشمال • وقام باصطياد الفيلة فى وادى الامنياتى the Umniati وتاجر فى العـاج • وفى سنة ١٨٧٣م مارس الصيد على طول المناطق الغربية لجاواى Gweai وفى العام التالى (١٨٧٤ م) وصل لمناطق شوبى Chobe وشلالات فكتوريا • وزار انجلترا وعندما عاد الى جنوب افريقيا قضى موسم صيد كاملا فى مناطق البتشوانا Bechuanaland وفى سنة ١٨٧٧ م ، سافر هابطا فى نهر الزمبيزى من وانكى Wankie حتى مصب الكافو Kafue حيث عبر هضبة مانيـا Maniça وكان قد خطط فوصل الى انياتى Inyati لكن اصابته بالحمى منعته من الوصول الى هدفه • وفى سنة ١٨٧٨ ذهب الى مناطق :امنياتى Umniati وهونيـــانى Hunyani وامسنجــدس Umsengedsi وفى ١٨٧٩ ذهب الى مســطحات موبـابى Mobabi flats ومناطق الشوبى Chobe • وفى سنة ١٨٨٠م خطط لزيارة مناطق (بلاد) الماشوكولومبوى ، ولكنـه لم يتلق ردا بالموافقة على الحصول على كمية من البارود • وقد

استقر فى ذهنه ان نهر اومفولى Umfuli يتجه الى امنياتى لا الى الزمبيزى • ولما زار انجلترا قام بنشر كتابه (جولات فى افريقيا) Wanderings in Africa • ولما عاد الى جنوب افريقيا فى نهاية عام ١٨٨١م بدأ فى جمع العينات المختلفة بالاضافة لممارسة الصيد ، وتابع نهر امنسجدسى الى نهر الزمبيزى وابحر صاعدا فى مجرى نهر زمبو Zumbo وفى سنة ١٨٨٣م كان بالفعل عند منابع نهرى مازو Mazoe وسابى Sabi ، وفى سنة ١٨٨٤م كان فى مناطق امفكوير Umvukkwes .

وفى سنة ١٨٨٦م قطع رحلاته التى كان يمارس اثناءها الصيد وزراء انجلترا مرة اخرى • وفى العام التالى اكتشف كهوف سينويا Stnoie Cares ووصل موقع سلزبورى Salisbury وامتالى Umtali او بالقرب منهما • وفى سنة ١٨٨٨ م قصد لزيارة باروتسلاند Barotseland لكنه سمع عن وجود اضطرابات هناك فعبر نهر الزمبيزى عند ونكى Wankie وهبط فى هذا المجرى الاخير ، وليتحاشى ابتزاز زعماء الباتونجا Batonga فقد اتخذ طريقا شماليا قاصدا المنابع العليا لنهر كافو Kafue •

Selous's Travel and Adventure in South-East. Africa. London, Rawland Ward and Co., 1893.



تلال مخروطية جرداء :

• • أثناء اليومين التاليين استمر طريقنا وعرا فى منطقة أظنها أصعب منطقة فى العالم للسائر على قدميه • انها منطقة مكونة من كتل مشوشة من تلال مخروطية منفصلة يتراوح ارتفاعها بين خمسمائة قدم الى ألف قدم • انها تلال حجرية جرداء الى أبعد حد لها منظر جاف مرعب ، فالماء عزيز جدا وليس ما يمكن اصطياده من طرائد الا نادرا • الحق أقول لكم انه لا يمكن لأى حيوان من ذوات الأربع أن يعيش فى هذه المنطقة البائسة • وعلى أية حال فان مرشدينا كانوا يعرفونها جيدا فتتبعوا الطريق (الممر) ــ أو بالأحرى

ما كان ذات يوم ممرا أو طريقا ـ الذى لم يكن من اليسير تبينه . لقد تعبت حميرنا تعبا شديدا خلال سفرنا فى هذا الطريق طيلة يومين . وقد اعترتنى الدهشة وأنا أرى هذه الحيوانات (الحمير) تقفز صاعدة وهابطة فى مواضع خطيرة ، وهى تفعل ذلك دون مرشدين مهرة ورغم نقص المياه وصعوبة الأرض ، فقد كان أمرا مرهقا جدا أن تمر هذه الحمير بين التلال .

مغادرة زونجوى Zongwi :

وبعد الظهر غادرنا زونجوى ، وأصاب أحد رجال الباتونجا Batongas ـ وكان قد صحبنى لتناول اللحوم ـ مرض الدوسنتاريا (الزحار) بشكل حاد . لقد كان رجلا شابا تبدو عليه سمات القوة والنشاط ، لكنه مات فى صباح اليوم التالى فى حوالى الساعة السادسة .

القاء جثة الميت فى أقرب حفرة

الموت كحدث عادي ، بل وفكه :

وقد بقي أصدقاء المتوفى الى جوار الجثة ، وعلمت ـ بعد ذلك ـ أنهم لم يتكبدوا عناء فى الدفن، فقد ألقوه ـ ببساطة ـ فى حفرة مليئة بالماء تقع أسفل معسكرنا . وقد خفت أن يؤدى هذا الحدث المفاجىء الى متاعب بين الأولاد المرافقين لى لكنهم بدوا غير منشغلين أبدا بما حدث بل راح بعضهم يقلد التقلصات التشنجية لأصابع الميت البائس ، كما راحوا يقلدون بعيونهم تحولات عينيه ، ويقلدون بألسنتهم تدلى لسانه وبروزه خارج فمه وهو يحتضر ، هم يضحكون أثناء ذلك . وقد أخبرنى بول أن أصدقاءه أرجعوا مرضه المفاجىء

لمكيدة دبرها له أعداؤه فى قريته his own krael اذ أعدوا له سحرا يورده موارد الموت ·

وفي اليوم الثالث بعد مغادرتنا زنجوى تغيرت الطبيعة الى الأفضل كثيرا فبدت التلال أكثر استدارة وانتظاما وغطتها غابات أشجار الماهوبو ــ هوبو Mahobo-hobo والما شابل Machabel (★) ، وكانت هذه الأشجار مورقة تماما ، وبينها وتحت ظلالها تمت الحشائش بكثافة ، وقد قضيت ساعتين في منتصف النهار اصطاد الفراشات وكان من بينها بعض الأنواع الجميلة مثل نوع Achraea acrita · وقد وجدتها مماثلة للفراشات التى اصطدتها في المنحدرات الشمالية والشرقية فى مناطق الماشونا Mashuna الى الجنوب من الزمبيزى على ارتفاع يتراوح بين ثلاثة آلاف قدم وأربعة آلاف قدم ، وفى مناطق الماشونا أيضا التقيت بغطاء نباتى كالغطاء النباتى فوق التلال التى أنعم بصيد الفراشات فوقها الآن ·

وفى مساء اليوم التالى عسكرنا عند قرية باتونجا Batonga الصغيرة والتى تقع فى واد خصب عند سفوح سلسلة من التلال ــ وهى التلال نفسها ــ كما أظن ــ التى تمتد من مساقط فكتوريا حتى الكافوكوى Kafukwi . وهنا (أى فى قرية باتونجا هذه) اصطحبت دليلا آخر (مع أن الرجلين الآخرين وهما من زونجوى Zongwi ظلا معى) · وذلك ليصحبنى (أى هذا الدليل الجديد الى مونزى Monzi زعيم الباتونجا Batonga الذى يعيش فى الهضبة العليا

(★) لم نستدل على مقابل عربى لها فى المعاجم الزراعية المتاحة ·

التى علمت من خريطة رافنشتين Ravenstein أن الدكتور ليفنجستون قد مر فوقها منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة وذلك أثناء رحلته من بلاد الماكولولو Makololo الى الزمبيزى الأدنى • وقد أخبرنا دليلنا الجديد أنه ليس أمامنا الآن الا أن نتسلق هذه التلال لنكون بعد ذلك فوق هذه الهضبة حيث تكثر الطرائد وتكون الرحلة سهلة هينة بالنسبة لحميرنا ، وقد سعدت كثيرا بسماع هذا ، وفى الصباح التالى شرعنا فى تسلق التلال بسهولة مستخدمين ممرا متوجا قطعناه سيرا على الأقدام ، ولما وصلنا للقمة سرنا زهاء ساعة خلال منطقة تكسوها الغابات حتى وصلنا الى مجرى مائى توجد خلفه مرتفعات مكشوفة تكسوها الأعشاب والحشائش ، وهنا أطلقت نيرانى على بقرة وحشية كستنائية اللون ، ومن ثم توقفنا لتناول افطارنا من صيدنا هذا ، ولم أطلق النار على قطيع كبير من الحيوانات هرولت مقتربة من حميرنا ، وذلك لأننى كنت أتوقع أن أصطاد — غير بعيد من هذا المكان — طرائد كثيرة • وفى المساء أطلقت النار على بقرة وحشية أخرى وفى صباح اليوم التالى كان من حظى اصطياد خنزير ذكر وحشى • ومن هنا حتى مونزى Monzi قطعنا الطريق ونحن فى الغاية من السعادة ، اذ كان طريقنا بين غابات يتلو بعضها بعضا وتلال مكشوفة • وكانت المنطقة غير مأهولة بالسكان ، كما كان الماء متوافر بها ، وكانت عامرة بالطرائد • وكان المناخ أيضا — فى هذه المنطقة المرتفعة — منعشا حتى تحت أشعة الشمس ، أما ليلا فقد كان الجو باردا جدا ، وكنت أصطاد ما أريده من الطرائد كل يوم. لقد كنت أود صيد حيوان الهرتبيس (التيتل — بفتح التاء وتشديدها وتسكين الياء وفتح التاء الثانية) والحمر المخططة وحيوانات العلندة (ظبى أفريقى ضخم — بفتح العين

واللام) ، وكانت جميعا متوفرة • وأخيرا وصلنا الى مونزى •

ولما كان الدكتور ليفنجستون هنا سنة ١٨٥٣م ، كان الزعيم مونزى يعيش بالقرب من تل صغير يسمى أو ــ كيسا ــ كيسا U-kesa-Kesa (وقد أشارت خريطة رافنشتين الى هذا التل باسم كيسى ــ كيسى kesi-kesi) • ومنذ زاره الدكتور ليفنجستون ، فان هذا الزعيم ربما يكون قد غير مقر اقامته (نقل قريته) أكثر من مرة ، أما أثناء زيارتى فقد كان يقيم قريته على بعد ثمانية أميال الى الشمال الشرقى من (أو ــ كيسا ــ كيسا) •

لقد وجدت الزعيم مونزى رجلا عجوزا هزيلا ضعيف البصر ذابل العينين ، دامعهما ، كما كان قلقا غير مستقر ومع هذا فقد كان حلو الحديث ودودا • لقد تذكر الدكتور ليفنجستون الذى زاره منذ خمسة وثلاثين عاما ، ومنذ ذلك الحين لم يزر المنطقة رجل أبيض سواى ، ومن ذلك استنتجت أنه يوجد مشروع أوربى فى هذه الأنحاء من أفريقيا • لقد كان الزعيم مونزى البائس يعانى من نقص فى قطعانه أثناء زيارتى ، فقد سلبت قطعانه كلها منذ شهرين على يد جانب من قوات ليوانيكا Lewanike التى كانت تلاحق قوات ماراناسينيان Marancinyan الذى كان ــ كما سبق أن ذكرت ــ طامحا لزعامة الباروتسى Barotsi chieftainship وقام بشن غارة على سيشيكى Seshenki فى عمق المناطق التابعة لليوانيكا Lewanika • ويعرف مارانسيان بأسماء أخرى اذ يطلق عليه أيضا سيكابنجا ، وماكونجورا وكان يعيش وقتها مع عدد كبير من أتباعه بالقرب من تلال نياندابانجى Nyandabonji الى الشمال من مقر مونزى

بحوالى خمسة عشر ميلا ، وبدا واضحا أن رجال ليوانيكا كانوا خائفين من مهاجمته منذ عادوا • الا أنهم على أية حال ــ عندما كانوا على بعد عدة أميال من مدينته ــ جمعوا كل قطعانه التى استطاعوا الوصول اليها من قرى الباتونجا الصغيرة ، ولم يواجهوا مقاومة تذكر ، وبذلك لم يعودوا دون غنيمة •

وقد توقفت أكثر من يوم عند مقر مونزى ، وكنا على علاقة طيبة جدا بشعبه ، وتعاملنا معه ، فقد أعطيناهم أفضل العلندات (بفتح العين واللام) والحمر الوحشية ، ووجد الصبية التابعون لى متعة كبيرة فى تناول البطاطا والفول السودانى (قد يكون المقصود حب العزيز ــ groundnuts) بالاضافة لكميات كبيرة من اللحوم الجيدة ــ والحقيقة أنهم استمتعوا استمتاعا كبيرا وكانوا سعداء تماما ومستعدين للسير معى الى أى مكان •

وكان كثير من الرجال هنا عراة تماما • وقد رأينا أيضا بعضهم قد جعل شعره على نسق جماعة (قبيلة) ماشوكو لمبوى Mashuku-Lumpwi وهو نسق فى التصفيف يجعل كتلة الشعر مربوطة فى مؤخرة الرأس ، أما بقية الرأس فحليقة • ووجدت من غير الممكن أن أحصل على معلومات دقيقة عن المنطقة عند التقدم ، فلم يبد أى واحد فى المنطقة ملما بأبعد من عشرين ميلا الى شمال البقعة التى ولد فيها وأقام • وأخيرا اهتديت الى رجلين قالا انهما سيرشدانى الى الطريق الى كافوكوى Kafukwi لكننى اقتنعت انهما لم يذهبا هناك أبدا ولا يعرفان شيئا عن الناس فيها • وبعد مغادرة مدينة مونزى سافرنا عبر تلال لا أشجار بها ، وكانت الحشائش تغطى جانبا كبيرا من المنطقة • وكانت حشائش

عالية يبلغ طولها ما بين ست أقدام وسبع أقدام • وعلى أية حال فقد سرنا فى طرقات جيدة حددتها لنا آثار أقدام أهل البلاد ، فأدت بنا من قرية الى قرية وتناولنا افطارنا بالقرب القريب من احدى هذه القرى وبتنا بالقرب من قرية أخرى• وكان البشر فى القرية التى بتنا عندها ــ كلهم من الماشوكو لومبوى Mashukumbwi وكانوا جميعا ــ بلا استثناء ــ عراة تماما ، وشعر الواحد منهم على النسق الذى سبق أن ذكرته ، وطريقة التصفيف هذه قصر على هذه القبيلة (هذا الشعب) • وعند القرية التى بتنا عندها لم نستطع أن نجمع من فروع الشجر والقش ما يكفى لعمل (خص) أو مأوى لنا ، كما لم نستطع جمع الأخشاب الكافية لايقاد النيران لاعداد طعامنا ، فقد كانت المنطقة حولنا عبارة عن سهل مكشوف معشوشب • لذا فقد كنا مضطرين لبذل قصارى جهدنا فى اعداد مقرنا باستخدام أعواد القمح، كما استعرنا من الماشوكوا أخشابا لاستخدامها كوقود ، وهم يجلبون أخشاب الوقود هذه من مناطق بعيدة •

وبعد حلول الظلام أخبرنا أحد أدلتنا ــ وكان قد دخل القرية وعاد الينا ــ أن عددا كبيرا من رجال السيكابنجا Sikabenga قد وصلوا الى القرية ، وأنهم قد أتوا فى اثرى • وعلى آية حال فانهم لم يصلوا لمعسكرنا هذه الليلة ، ولكنهم زارونى فى اليوم التالى ــ فى الصباح الباكر • وكان من بينهم حوالى خمسة عشر رجلا ــ كلهم من الباروتسى Barotsi ، وكلهم يحملون معهم بنادق ، وقد أتوا مصحوبين برجال من مختلف القرى التى مروا بها ليلا ، وليس برجال الماشوكو فحسب •

وكان كل رجل من رجال الماشوكو يحمل معه حزمة من سهام القذف ، وكانت ـ أى هذه السهام ـ مستدقة بشكل دقيق . ويبلغ طول السهم منها حوالى سبع أقدام ، وكانت السهام جميعا ذات رءوس . وقد وضعت الخراطيش حول وسطى ، واتخذت حذرى وحملت بندقيتى . على أية حال ، فان الباروتسى كانوا ودودين ، قالوا ان أخبار مرورى بمقر مونزى قد وصلت لزعيمهم سيكابنجا ، وأن الباتونجا هم الذين أخبروه بذلك ، ومن ثم فقد أرسلهم فى اثرى محملين بنابين من العاج ، لمبادلتهما بذخيرة ، فأخبرتهم أننى لا أمتلك بارودا للبيع ، فليس لدى منه سوى ما هو موجود فى خراطيشى واننى احتفظ به لتعمير بندقيتى . وأخبرتهم أننى لا أستطيع اقتسام خراطيشى معهم لأن رحلتى طويلة ، لذا فكل ما معى من البارود يلزمنى لاستخدامى الشخصى . ولم يصدقوا مقالتى ـ على أية حال ـ وظنوا أن بعض صفائح البسكويت التى احتفظ بها وكذلك بعض الحقائب التى تحوى كتبا طبية وبعض الأشياء الأخرى ـ تحتوى على بارود .

فطلبوا منى أن أعود معهم الى سيكابنجا قائلين ان الماشوكو سيقتلوننى ـ يقينا ـ قبل أن أصل الى كافوكوى . فسألتهم لماذا جمعوا الماشوكو ليلا فقالوا انهم رجال سيكابنجا وأنهم قدموا لدفع المال لهم باعتبارهم ممثلين لسيكابنجا ، وراحوا مرة أخرى يحثوننى على العودة الى مدينتهم ولما رفضت سألونى عما اذا كنت قد سمعت أن معسكر الدكتور هولوب Holub قد هوجم ونهب منذ عامين خليا ، وأن ذلك كان على يد الماشوكو وأخبرونى أننى لن أعبر ـ أبدا ـ الكافوكوى . وقالوا : « لن تعيش أكثر من يومين ، وفى اليوم الثالث سينفصل رأسك عن جسدك » . وعلى أية حال فاننى لم أعر تهديداتهم اهتماما وأخيرا أعطيتهم بطانية

كهدية الى سيكابنجا ، وياردات قليلة من قمـــاش الـــكاليكو لأنفسهم • ومن ثم غادرونا ومعهم الماشوكو ، وحملنا حميرنا، وتابعنا رحلتنا •

الوصول لنهر ماجويى Magoi-ee:

وبعد ساعتين وصلنا لنهر ماجويى الذى ينبع الى الجنوب قليلا من (أو ــ كيسا ــ كيسا) • ويتجـــه شـــمالا ليلتقى بكافوكوى • وهنا أطلقت النار على حمار وحشى ، وقررت أن نعسكر عند نهر ماجويى هذا لتوفر المياه ولأن النهار كاد أن ينقضى • وأكثر من هذا فقد رغبت أن أسأل مرشـــدينا بالتفصيل عن المنطقة التى سنصل اليها ، فالحق أننى لم أكن مرتاحا لمنظر الماشوكو ولم أكن راغبـــا أن أكـــون فى قلب بلادهم متذكرا ما حدث للدكتور هولوب بين هذه الجمـــاعات المتوحشة ، منذ وقت غير بعيد • وكانت فكرتى أن من الحكمة أن أغير طريقى فبـــدلا من الاســـتمرار شـــمالا ــ فى خط مباشر ــ الى الكافوكوى ــ يستحسن أن أتجه شرقا وأن أعبر (النهر) فى منطقته الدنيا عند سيمالمبوى Semalembui حيث عبره الدكتور ليفنجستون منذ سنوات قبل ذلك ، وبهذه الطريقة يمكننا تجنب منـــاطق ســـكناهم خلا المرور ببعض قراهم (قرى الماشوكو) النائية ، وقد وافقنى على ذلك كل من بول وتشارلى الا أننا ــ لسوء الحظ ــ سمحنا لأنفسنا بأن نقتنع برأى مرشدينا الجهلة الذين قادونا لنـــكون بين فكى الموت • لقد قال لنا مرشدونا انهم لا يعرفون الطريق الى الشرق ولا يعرفون مواضع المياه (وقولهم هذا كان صحيحا الى حد كبير ، بلا شك) وأنه يمكننا بالاتجاه شمالا أن نتجنب مدن الماشوكو والا نمر الا ببعض القرى المنعزلة حيث السكان مسالمون •

وهكذا تم اثناؤنا عن اتخاذ طريق كان سيؤدى بنا الى الكافوكوى ٠

وفى الصباح الباكر تجاوزنا قرية صغيرة أخرى حيث كان الناس خائفين منا بشكل واضح ، وبعد أن غادرناها تتبعنا طريقا يتجه شمالا ، وكان هذا الطريق موازيا لمجرى نهر ماجويى ، ويشار لهذا النهر فى خريطة رافنشتين باسم ماكوى Makoe ٠ وخلال النهار عبرنا منطقة تعج بحيوانات العلندة (بفتح العين واللام) والحمير الوحشية وغير ذلك من الطرائد ٠

ومررنا خلال قطاع غابى حيث كانت توجد ذبابة تسى تسى Tse-Tse بأعداد كبيرة ، وبعد الظهر وصلنا لنهر أنجويزى Ungwesi حيث وجدنا عددا أكبر من قرى الماشوكو ، ولأن شطرا كبيرا من النهار كان قد انقضى بالفعل ، فقد قررنا أن نعسكر على الشاطىء الآخر للنهر ، وفى البداية كان الناس خجولين منا ، فراحوا يراقبوننا عن بعد ، وان كان المقاتلون العراة ذوى نظرات خطرة ويحملون رماحا طويلة مزودة برءوس ٠ وسرعان ما قدم الينا رئيسهم headman مصحوبا بعدد قليل من الأتباع وتأكد أننا لا نقصد به ولا بشعبه شرا ، فأصبح ودودا جدا ، وأشار علينا باقامة معسكرنا فى موضع جيد ودل رجالى على مواضع جمع أخشاب الوقود ، ومواضع جمع الحشائش للحمير ٠٠ الخ واقتنعت أن هذا الرجل كان طيبا بالفعل فقد كان ودودا ذا وجه مريح ٠ وقدمت له هدية بسيطة جعلته مسرورا تماما ، وبعد عودته لقريته رجع الينا محملا بسلة طعام أهداها لى وكان معه هذه المرة زهاء ثلاثون رجلا كانوا عراة تماما ، الا أن الواحد منهم كان يضع فى شحمة أذنه شوكة من شوكات

حيوان الشيهم (بتشديد الشين وفتحها وتسكين الياء ـ ويسمى أيضا النيص) ، فهل يمكن اعتبار هذه الشوكة قطعة ملابس ؟! وكان كل واحد منهم يحمل مجموعة من الرماح فوق كتفه اليسرى ، وفي الوقت نفسه يحمل رمحا أو رمحين في يده اليمنى • وانى أعترف أننى لم أرتح لرؤية هؤلاء المتوحشين المقاتلين ، وذلك لأننى خلال كل رحلاتى لم أقابل أبدا قبل ذلك أفراد قبيلة لا يخرج أفرادها من أكواخهم اذا لم يكونوا مستعدين تماما لخوض معركة • وقد عرفت من رئيس هذه المجموعة أن نهر أونجويزى Ungwesi هو النهر نفسه الذى عبره الدكتور ليفنجستون في منطقة قريبة من منبعه بين مونزى وسيمالبوى ويشار لهذا النهر فى خريطة رافنشتين باعتباره نهرا يسير ليلتقى بالكافوكوى • وهذا خطأ ـ على أية حال ـ فهو يجرى ليلتقى بالماجويى Magoi-ee على بعد أميال قليلة من هنا •

وفى صباح اليوم التالى زارنى الزعيم (رئيس المجموعة) مرة أخرى وقدم لى رجلا (مرشدا) ليصحبنى الى مينينجا Minenge الزعيم الأكبر للمنطقة Canoes الذى تقع القرية التى يقيم فيها على شاطىء نهر ماجويى على بعد ستة أميال الى الشمال من هنا ، وهو ليس بعيدا عن الكافوكوى • وقد أخبرنى أن مينينجا يمتلك قوارب Canoes فى هذا النهر الأخير (الكافوكوى) ويمكنه أن ينقل مقتنياتى وحميرى عبر النهر • وباختصار فبعد أن بدأنا مواصلة رحلتنا رأيت قطيعا من حيوانات الهرتبيس (حيوان التيتل الأفريقى الضخم) يرعى على شاطىء نهر أونجويزى Ungwesi ولأننى عرفت أن (الزعيم) مينينجا كان خارج مقره فى رحلة قصيرة لمدة نصف يوم ، وأننى لن أستطيع مغادرة زمام

منطقته ، لذا فقد فكرت أنه من الحكمة أن أطلق النار على واحد أو اثنين من هذه الحيوانات ، ان تمكنت من ذلك ، وبذلك أوفر امدادات من اللحوم ، وأطلقت النار على ثلاثة منها وتوقفنا لتناول الافطار بينما كان الصبية التابعين لى يقطعون لحومها • وأرسلت كذلك أحد المرشدين التابعين لى ليعود للقرية التى كنا قد غادرناها لتونا ليسلم لرئيسها عارضا عليه فيها أن أعطيه بعض اللحوم اذا أرسل لى رجلين من رجاله ، وأقبل الرئيس بنفسه مصحوبا بعدد كبير من رجاله الطيبين وقد أحضر معه ـ كهدية لى ـ وجبة جيدة وحب العزيز (فول سوداني ؟) ، فأعطيته هو ورجاله قدرا كبيرا من اللحم وبدا لى أنه كان مبتهجا وسعيدا •

وبعد الافطار تتبعنا نهر أنجويزى Ungwesi حتى قرب التقائه بنهر ماجويى ، وهنا تركنا أنجويزى وعبرنا نهر ماجويى • وسرعان ما وجدنا أنفسنا بين عدد من قرى الماشوكو الصغيرة ، ووجدت أننا قد أصبحنا ـ فجأة ـ وسط منطقة مزدحمة بالسكان • وأصبحت الأرض ـ الآن ـ مزدانة بقطعان الماشية من سلالات صغير حجمها ، وسرعان ما أحاط بنا جمع غفير من العراة ، يحمل الواحد منهم مجموعة من الرماح ، وعلى أية حال ، فقد بدت هذه الجموع طيبة لا خطر منها ، وبدا الرجال سعداء تماما أثناء سيرهم الى جانب حميرنا ، وراحوا يضحكون ويصيحون ويصخبون بصوت عال ، وأخيرا وصلنا الى قرية مييننجا ، وكانت ـ كالقرى الأخرى • صغيرة جدا • وكانت تقع بالقرب من شاطىء نهر ماجويى في وسط مساحة من الأرض تم تطهيرها من الحشائش الطويلة التى تغطى معظم الأرض هنا ، وتم عزقها فى خطوط غير منتظمة وتنظيمها فى حقول، تمهيدا لبذرها بالذرة فيما

بعد • وكان مييننجا فى قرية صغيرة أخرى ــ على بعد ياردات قليلة من قريته ــ عندما وصلنا هنا وسرعان ما أرسل اليه أحد الرجال يخبره بقدومنا فقدم • لقد كان شخصا طويلا نحيلا وهمجيا بدائيا ، أما تعابير وجهه فكانت محايدة ، فلا هى طيبة حسنة ولا هى رديئة منكرة • ولما سألته عن الموضع الذى سنعسكر فيه أجاب أن نقيم على طول الجانب الأيمن لقريته ولما اعترضت بأن هذا الموضع ليس به أشجار قريبة يمكننا قطع فروعها لاقامة الاخصاص المقلوبة ، ولربط الحمير ، لكنه أجاب أن هذه المنطقة لا يجب أن يفكر المسافرون عبرها بالنوم بأمان بين الأشجار ، واقترح أن نقيم أخصاصنا من أعواد الذرة ، وأن ندق أوتادا نربط بها الحمير • وقد أدركت أننا الآن فى عرين الأسد ولابد من الانصياع للأمر فطلبت من رجالنا انزال الحمولات من فوق الحمير واقامة أخصاص من أعواد الذرة فى الموضع الذى حدده •

والآن فان البقعة الوحيدة المستوية كانت تمتد على طول القرية ، ومن هنا فان ظهير معسكرنا كان على بعد ياردات قليلة من كوخ الزعيم وعلى جانب زرائب القطعان • لقد كانت القرية اذن تقع الى الخلف مباشرة من معسكرنا ، وبينها وبين النهر الذى لم يكن يبعد أكثر من مائتى ياردة • وأمامنا تمتد مساحة مكشوفة تم تطهيرها من الخشائش الطويلة ، وتم عزقها فى خطوط غير متوازية ، وتم تقسيمها الى حقول غير منتظمة وتحفها الحشائش الطويلة على بعد حوالى ستين ياردة •

وآرسل لى مييننجا Minenga الآن جرة مليئة بالبيرة ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ذهبت مع بول الى كوخه وقدمت له

هدية كانت عبارة عن بطانية وقطعة من قمـاش الكاليـكو (القطنى) الملون المزخرف وأخبرته أننى أود منه أن يجول بى حول نهر كافوكوى وأننى أود عبور النهر فى اليوم التالى . فقال لى ان الطريق مفتوح أمامى وأن أولاده سيأخذوننى فى جولة فى النهر فى قاربه الشخصى ، لكنه أردف قائلا انه يود أن أمكث معه فى اليوم التالى لأشرب معه البيرة أو أن أخرج لاصطياد الطرائد له وقال ان منطقته غاصبة بحيوانات العلندة eland والحمير الوحشية .. الخ . وقال أيضا ان قاربه الكبير موجود على مسافة بعيدة نسبيا ، وأننى اذا بقيت معه اليوم التالى فانه سيرسل فى طلب هـذا القارب ليـكون عند أقرب مكان للعبور ، وبذلك يمكننى عبور الكافوكوى دون أى تأخير فى اليـوم التالى . وقد دفعنى هـذا الـكلام الى الاستجابة لرغبته اذا أمدنى برجال يدلوننى عـلى مواضـع الطرائد وأننى سأخرج بكور الصباح وأحاول اصطياد بعض الطرائد له . فشكرنى وقدم لى مزيدا من الجعة (البيرة) ، وغادرته وقد حملت انطباعا أنه رجل طيب جـدا ، وأننى سأتمكن من عبور الكافوكوى دون أية متـاعب . وقبيـل الغروب أعد الصبية التابعون لى أخصاصا (جمع خص بضم الخاء) من أعواد الذرة الجافة ووضعوا جميرنا فى زرائب قطعان ميننجا . وعندما حل الظلام جاء الى معسكرنا كل أهل القرية وجلس النسوة والبنات حول النيران الموقدة ، ورحن يأكلن اللحم مع الصبية التابعين لى ، ورحن يقدمن لهم حب العزيز (أو الفـول السـودانى وهـو الأرجح) والبطاطا مقـابل تنـاولهن اللحـوم . وذهب الشـباب ـ غـير حاملين للرماح ـ للرقص مع رجال الباتونجا Batounges المرافقين لى ، وكانت الموسيقا المصاحبة للرقص تصـدر عن آلات مكونة من قطع مسطحة من خشب قوى موضوع على فوهة

قرعات .. (يقطينات) ضخمة ، ويضربون الخشب بعصا ، فيصدر عن القرع ضوضاء هائلة أبعد ما تكون عن الموسيقا. لقد كانت الجلبة مرعبة حتى أنني قدمت ـ كرشوة ـ لقارع هذه الآلة قطعة صغيرة من قماش الكاليكو ليمتعنا بالكف عن القرع (العزف) . وبعد تأمل والقاء نظرة على هؤلاء البشر خلصت الى أن هؤلاء البشر رغم بربريتهم وتوحشهم الا أنه من السهل التعامل معهم اذا عاملناهم على نحو لائق .

لقد كانت الساعة التاسعة ـ فيما أظن ـ عندما أرسل مينينجا Minenga ابنه ليطلب من بول وشارلي ومني أن نأتي لنشرب معه الجعة . لقد كنت قد خلعت ملابسي بالفعل وتدثرت بالبطانية وكان علي اما أن أواصل نومي أو أن أقوم لألبس ملابسي مرة أخرى ، فقلت ان الوقت متأخر جدا الآن وان علي أن أصحو مبكرا في الغد لممارسة الصيد ، ولم يذهب شارلي أيضا ، أما بول فقد كان ـ كمعظم الزولو ـ مولعا ولعا شديدا بالجعة الوطنية فلم يستطع مقاومة العرض ، فذهب بمفرده . ولما عاد مرة أخرى قال لنا ان مييننجا Mangwate سأله أسئلة كثيرة عن سبب مجيئي الى هذه البلاد ، وعن البلاد التي سأذهب اليها ، وعن الغرض من رحلتي ، وعما أنوي فعله بالبضائع التي أحملها ... الخ وأخبره أن البشر في الجانب الآخر من كافوكوي من النوع الخطر ، وأنه سيرسل معي أحد أبنائه ليصحبني خلال المناطق غير الآمنة . . .

وفي ضوء الأحداث التي حدثت بعد ذلك ، فانني أعتقد الآن أنني لو كنت قد ذهبت مع بول وشارلي لشرب الجعة مع ميتنجا ، وكان من الطبيعي أن نكون غير مسلحين ـ لتم

اغتيالنا بالتاكيد ، وأشعر بالاقتناع أن العازف (القارع) على الآلة الموسيقية (آنفة الذكر) كان سيتم ارساله ببساطة مع أحد الشباب لاحداث جلبة (موسيقية) والقيام بالرقص واحداث اضطراب في الوقت الذى يجرى فيه قتلنا • لقد كنا نحن الثلاثة نتصرف بطريقة نظامية ، وكانوا هم يعرفون أنه ليس من شخص رابع يخشونه ، فقد كانوا يرون بأنفسهم أن رجلى المانجواتو Mangwate ورجلى الماشونا Mashunas الذين يحملون البنادق ـ كانوا جميعا فى حالة رعب وخوف • وعلى أية حال فقد كانوا يودون أن يجمعوا ثلاثتنا معا ، ليتم اغتيالنا دفعة واحدة ، ولأن بول قد ذهب بمفرده فانهم لم يتحرشوا به •

وأخيرا ذهب الراقصون ، وذهبت لأنام ولم أحلم بشىء سيىء يمكن أن يحدث وانما وطنت نفسى على أننا فى علاقات ممتازة مع هؤلاء البشر ، وفى الصباح الباكر ذهبت الى كوخ مينجا مع بعض الصبية التابعين لى وطلبت منه تزويدى بالرجال الذين وعد أن يزودنى بهم ليدلونى على موضع الطرائد التى سأصيدها • واعترتنى الدهشة عندما أخبرنى أن أحدا من الرجال المطلوبين غير حاضر الآن ، بينما كان يبدو فى مساء اليوم السابق شغوفا للغاية بقيامى بصيد بعض الطرائد له ، وعلى أية حال فبعد تأخير طفيف أرسل ابنه ورجلين آخرين معى • وعبرنا النهر من مخاضة تقع خلف القرية مباشرة ، حيث كان الماء فى هذه المخاضة باردا جدا ولا يتجاوز ارتفاعه خصر الرجل • ثم سلكنا طريقا ضيقا يؤدى الى الجنوب ، سرعان ما أدى بنا الى مساحة حرقت الحشائش الطويلة بها ، وهنا سرعان ما لمحنا بعض الحمير الوحشية وبعض الهرتبيس (التيتل) • وسمحت الحمير

بالاقتراب منها لأكون على بعد يزيد عن مائة وخمسين ياردة ، وقد قتلت حمارين منها بطلقتين ، وكان يمكنني اصطياد عدد أكبر منها ، لكنني كنت أود اصطياد حيوان الهرتبيس لأتناول لحمه مع مجموعتي ، وأطلقت بندقيتي على هرتبيس من بعد مائتي ياردة فلم أصبه الا أنني سرعان ما أصبت أحد هذه الحيوانات • وقدمت لرجال مييننجا حمارا وحشيا ونصف الهرتبيس واحتفظت بالحمار الآخر ونصف الهرتبيس الآخر لاستخدامي ورجالي ، ثم عدت الى المعسكر الذي لم يكن يبعد أكثر من ميلين •

وقد شكرني مييننجا كثيرا عندما أخبرته بعد عودتي أنني سلمت رجاله حمارا وحشيا ونصف هرتبيس وقد شكرتني زوجاته أيضا ، وقدم لي وعاء جعة • قضيت بقية النهار في القراءة والكتابة في الخص ، وكان يحيط بنا دائما زحام من الماشوكو الذين تجمعوا من كل الجوانب لرؤية الرجل الأبيض • وكان بعضهم يضع حول خصره خيوطا قليلة تضم خرزا أما الآخرون فكانوا عراة تماما • ولا يرجع العرى الى فقرهم ، فهؤلاء البشر يملكون أعدادا كبيرة من قطعان الماشية يمكنهم استخدام جلودهم كأغطية ويمكنهم اعداد الملابس منها ــ انها عادة الناس ــ في هذه الأنحاء ــ أن يسيروا عراة تماما • ويمتلك عدد كبير من الرجال قطعة صغيرة من جلود القطط هيئوها على هيئة حقيبة يضعون فيها التوباكو والداشا dacha (؟) وغير ذلك • وعلى أية حال فهذه القطع الصغيرة من الجلود (الحقائب) يعلقها الواحد منهم ــ دائما ــ اما حول عنقه أو فوق كتفه وتتدلى وراء ظهره أو حول فخذه ولا يتوقع المرء أن يراها معلقة حيث يعلق الأوربيون حقائبهم • ويصفف بعض الرجال شعرهم

على هيئة مخروط يشبه سلة الفراولة يبلغ ارتفـاعه قدمين ونصف القدم بالتمام • وقاعدة هـذا المخروط هي مؤخرة الرأس لكن الواحد منهم يدفع بهذا المخروط الى أعـلى والى الأمام لتكون ذؤابة المخروط فوق منتصف الرأس ، ويثبتون في أعلى هذا المخروط شريحة طويلة قاتمـة من قرن بقـرة وحشية ، تبدو وكأنها قطعة من عظام فك حوت ، ومع أنهـا ثابتة الا أنها تتمـايل مع كل حـركة من حركات الرأس ، ويرتفع هذا المخروط بما فوقه من قطعـة قرن البقرة فوق الجمجمة بأكثر من خمس أقدام • ولابد أن هؤلاء النـاس يعيشون في مناطق مكشوفة تماما فهم لا يستطيعون السير في الأحراش والغابات بهذا المخروط المرتفع فوق رأس الواحـد منهم • وكان يزور معسكرنا أثناء النهار بضع مئات من هؤلاء الماشو مما أتاح فرصة طيبة لملاحظتهم • ان منظرهم لطيف ويوحي بالقوة والثبات ، وكثيرون منهم لهم ملامح معقـوفة تجعلهم كالنسور ، ولونهم أقل دكانة من ألوان الآخرين من بني جنسهم ، وبدا لي أن من بينهم من اختلطت دماؤه بدماء غير زنجيـة بشـكل واضح ، ربما اختلطت دماؤهم بدماء عربية أو دماء عناصر أخرى من الشمال الأفريقي •

وأخيرا غربت الشمس ، وغادر زوارنا (من الماشو) وقبيل الغروب بقليل زرت ـ مرة أخرى ـ مييننجا ومعي بول وقلت له انني أود أن أرحل في الصباح الباكر فأجابني أن الطريق مفتوح أمامي وأنه يمـكنني أن أواصـل رحلتي في الوقت الذي أريده وأن ابنه سيصحبني عبر الكافوكوي ، وأنه لن يتركني الا بعد أن يواصلوا الرحلة معي ثلاثة أيام في الجانب الآخر من النهر • وطلبت مني زوجته بعض الأسلاك النحاسية فعدت وقطعت لها حلقة من هـذا السلك وقدمتـه

لها ، فشكرت شكرا وافرا وطلبت منى أن أشرب معها الجعة قبل أن أغادر المنطقة صباحا · وعدت الى المعسكر وأنا لازلت أظن أن مييننجا رجل طيب وأن زوجته صديقة وطيبة · وفي هذا المساء وضعنا الخميز مرة أخرى في زرائب القطعان وكان الصبية التابعون لى يستبدلون باللحوم الفول السودانى وغيره الا أنه عند حلول الظلام لم يعد فى المعسكر غريب واحد · وبعد أن تناولنا عشاء طيبا ناقشنا موضوع عبور النهر فى صباح اليوم التالى · وكان قلبى مضطربا · وفى يوم ٨ يوليو ـ وهو اليوم الأخير للقمر (آخر يوم للقمر) غمر الظلام الدامس الليل فلم يكن ثمة الا ضوء النجوم ·

ورغم أنه فى المساء السابق كان معسكرنا يغص بالزائرين والمتطفلين من رجال ونساء وأطفال ، كانوا يرقصون ويغنون ويثرثرون حتى ما بعد منتصف الليل فان هذا المساء كان ساكنا سكونا لم يغب عن بالى ، فلم يكن فى معسكرنا غريب واحد ، ولم يكن ثمة صوت سوى مناقشات هامسة ، كما بدا لى أن القرية خلف معسكرنا لم يكن بها أى مظهر من مظاهر الحياة ، كما كانت ساكنة لا حركة بها · ولابد من الاعتراف أننى لم أشعر بالارتياح لكل هذا ، فقد كان هذا يتناقض تماما مع الضوضاء والجلبة والحيوية التى غمرتنا فى اليوم الأول لوصولنا للقرية · وبدا الصبية التابعون أيضا غير مرتاحين فجلسوا فى مجموعات حول نيرانهم وراحوا يتهامسون وهم يحملون رماحهم فى أيديهم ، وعلى أية حال فكلما أوغل الليل راح الواحد منهم اثر الآخر ينطرح نائما كما راحت النيران تخبو شيئا فشيئا فغمر المكان صمت وسكون كاملين ·

لم أستطع النوم ، وكنت ـ على أية حال ـ منطرحا تحت بطانيتى ، وراح عقلى يفرض على كثيرا من الأفكار كما رحت

أقلب كثيرا من الخطط في نفسي ، وفي حوالي الساعة التاسعة لاحظت رجلا يتقدم بحذر حول طرف معسكرنا ومر بسرعة الى الأدنى من خط دخان النيران ، ولما توقف بالقرب من النيران عند طرف بطانية بول وشارلي اكتشفت انه أحد الرجلين اللذين كانا قد اصطحبانا كمرشدين من مقر مونزي، ورأيته ينحني ويهز بول بقدمه ؛ ثم سمعته يهمس له بعجلة وقلق ، ثم سمعت بول يقول لشارلي : « أخبر سيدنا بالأخبار ! أيقظه ! » فهببت وقلت : « ماذا في الأمر يا شارلي ·· انني مستيقظ ! » فقال شارلي « لقد ذكر الرجل لنا في التو يا سيدي ان كل نسوة القرية قد غادرنها ، وأنه يظن أن تدبيرا سيئا يحاك لنا » لقد كنت أنا أظن ذلك فلبست حذائي بسرعة وارتديت معطفي ، ووضعت نطاقي الذي لم يكن به على أية حال سوى أربعة خراطيش ، وأصدرت أوامري للصبية باطفاء كل النيران ، ففعلوا بالقاء الرمال عليها ــ وذلك حتى يلف الظلام معسكرنا تماما ، فنختبيء في جنح الظلام ·

لقد كان بول وشارلي الآن جالسين على بطانياتهما وقد حملا البنادق في أيديهما ، وذهبت اليهما وأجريت معهما مناقشة هامسة واقترحت على بول أن يذهب معي ونزحف حول القرية لنتعرف ونتنصت حتى نكتشف ما يزمع أهل القرية فعله · وقلت : « انتظر لحظة » بينما كنت أخرج مزيدا من الخراطيش القليلة وما كدت أنحني على بطانيتي لأخرج الحقيبة التي تحوي الخراطيش حتى وجدت ثلاث بنادق مصوبة لوجهي ، وأن بنادق أخرى مصوبة حول الخص (بضم الخاء) · لقد كانت فوهات كل البنادق متغلغلة داخل خصنا (كوخنا)، عندما انطلقت منها النيران · لابد أن يكون المهاجمون قد

زحفوا الى خلف معسكرنا وأطلقوا النيران من بين أعــواد الذرة • لقد كانت الطلقات الثلاث التى مرت أمامى مباشرة تهدف لقتلى وقتل بول وشارلى ، وهذا بلا شك ، الا أن أحدا منا لم يصب ، وهذا حظ باهر • وبمجرد أن توقفت لالتقاط بندقيتى التى كانت فوق البطانية بجوارى قفز بول وشارلى، وتجاوزانى ، فقلت لهما بالهولنـدية « داخـل الحشـائش » وأعددت نفسى لألحق بهما ، وسرعان ما أعقب اطلاق النيران اطلاق السهام •

ويمكننى القول اننى احتفظت برباطة جأشى فى هــذه الظروف • لقـد كانت بنـدقيتى ـ عنـدما التقطتها ـ غير معمرة (غير محشوة) فكان على أن أدس فيها الخرطوشة • وكما قلت آنفا ، فقد كان بيننا وبين الحشـائش الطـويلة مسافة قصيرة فى الأرض المكشوفة ، وكانت الأرض معزوقة ومقسمة الى حقول بشكل غير منتظم ، وتراجعت فى هــذه الأرض بين زحام من الصبية التابعين لى ورجال الماشوكو •

وبذلت قصـارى جهـدى لأطلق النار عـلى واحـد من الغادرين المهاجمين لنا ، ولكن فى مثل هـذا الظـلام الحالك يستحيل أن يميز المرء بين الصـديق والعدو ، لقـد وجهت بندقيتى ثلاث مرات لاطلاق النار على أحد الماشوكو لكن كان يقع فى مسار الطلقة أحد الصبية التابعين لى ، فأحجم • لقد أصبحت على بعد عشر ياردات من الحشائش الطويلة ، لـكن عندما كان ظهرى لها ، صدرت صرخة وانطلقت منها مجموعة من الماشوكو لتقطع علينا خط التراجع ، فتراجعت وسقطت فوق أحد خطوط العزق وسـقط فوقى رجـلان من الرجال المندفعين من الحشائش فركلنى أحدهما فى ضلوعى وسقط فوق جسدى • وسقط الآخر فوق ساقى • ووقفت على قدمى

مرة أخرى وانطلقت داخلا الحشائش الطويلة لحسن الحظ. فأحسست بالأمان الى حد ما ، وسرعان ما زحفت للامام لحوالى عشرين ياردة ثم جلست ساكنا أتسمع . ووقفت مرة أخرى فرأيت الماشوكو يجولون في معسكرنا ، وان كان من المحال ـ على أية حال ـ التحقق من أى شخص بالقدر الذى يمكننى من اطلاق النار عليه فالنيران لم تشتعل بشكل جيد بسبب ما ألقى عليها من رمال (فيما سبق) .

ولم أعد أفكر في اطلاق النار ، فقد أصبح لدى من الوقت ما يكفى للتفكر في الوضع المرعب الذى وجدت نفسى فيه . رجل انجليزى منعزل وحده فى قلب أفريقيا فى وسط منطقة يتسم شعبها بالعدوانية ، بدون بطاطين وليس من شيء معه سوى ما يقف فوقه ، وبندقيته ليس من ذخيرة لها سوى أربعة خراطيش . اننى أشك فى أن مارك تابلى Tapley نفسه يمكن أن يجد شيئا جذابا في موقفى هذا أيمكننى فقط أن أجد بول أوشارلى أو حتى واحدا من الكافير Kafirs التابعين لى . لو أن ذلك حدث لكانت فرصتى فى العودة الى بندا ـ ما ـ تنكا Mend-ma tenka متزايدة لأننى ساعتها سيكون معى مترجم ، فأنا لا أعرف من لغات شمال الزمبيزى الا القليل . لقد رحت الآن أحرك الحشائش للخلف وللامام بحذر آملا في أن يكون أحد الصبية التابعين لى كامنا بالقرب منى ، لكن ذلك كان بلا جدوى ، وأخيرا خطر بعقلى أن كل الرجال المرافقين لى الذين هربوا من الموت لابد أنهم أوغلوا بعيدا فى أعمق أعماق الظلمة وابتعدوا بأقصى ما يستطيعون عن مقر مينجا حتى يكونوا بمأمن قبل طلوع النهار ، فقررت أن أفعل مثلما فعلوا . لقد عرفت أن الصبية التابعين لى ، ماداموا قد قرروا الهرب فرادى أو

مجتمعين سيتخذون طريقهم الى الجنوب عبر الفلد (المرج ذى الأشجار المتناثرة Veld) وأنهم سيخافون من السير فى الطرق المطروقة كما سيخافون من الاقتراب من القرى التى كان احتمال نجاتى من الوقوع فى يد أهلها احتمالا يسيرا • لقد كانت القرية الأولى التى ظننت أنهم سيجسرون على الذهاب اليها هى قرية الزعيم مونزى فالناس هناك لبسوا من الماشوكو كما أن علاقتنا بهم كانت طيبة • ومن ثم فقد قررت أن أفضل الخطط هى التى تؤدى بى الى قرية مونزى وأن أسلك مناطق الفلد (مروج الأشجار المتناثرة) وأن أنتظر عند مونزى وصول الرجال المرافقين لى •

وكنت أحتفظ فى حزامى بسكين وصندوق كبريت وساعة نظرت اليها وتمعنت فى ضوء النجوم فوجدتها تشير الى الحادية عشرة • وكان على فى البداية أن أعبر نهر ماجويى Magoi-ee • لقد قمت الآن بنصف دورة حول القرية وأنا مختبىء دائما داخل الحشائش الطويلة حتى وصلت الى الشاطىء ثم اتخذت طريقى بحذر الى المخاضة (موضع من النهر يسهل خوضه) • ووجدت ــ على أية حال ــ عددا من الرجال يراقبون الموضع وكان أحدهم يتحدث مع رفاقه بصوت خفيض بينما أنا أقترب ، وقد نبهنى حديثه لحسن الحظ للخطر المرتقب ، وتوقفت ساكنا أتسمع لثوان قليلة وتراجعت بحذر الا أننى بعد أن ابتعدت بحوالى ثلاثمائة ياردة قررت أن أجازف بعبور النهر • ووجدت الشاطىء يهبط عموديا ووجدت المجرى يبدو أسود كئيبا وكنت أعلم أنه ملىء بالتماسيح ، وبدا الماء عميقا وقررت ألا تبتل ملابسى فخلعتها ووضعتها مع حذائى فى صرة فى يدى اليسرى ونزلت للنهر • ووجدت الماء عميقا ولما كنت سباحا

ماهرا فانني لم أجد صعوبة فى عبور النهر محتفظا ببندقيتى بعيدا عن الماء ، ووجدت صعوبة فى اجتياز المنطقة الطينية عند الشاطىء الآخر لكنني نجحت أخيرا ووضعت بنـدقيتى بين الغاب (البوص) ثم عبرت النهر مرة أخـرى وأحضرت ملابسى بأمان • لقد كان الماء باردا وارتديت ملابسى داخل الحشائش المرتفعة ، وألقيت نظرة على البعـد لمعسـكرى • ورأيت الماشوكو وهم يوقدون النيران الآن ويزيدون اشتعالها بمزيد من الحشـائش الجـافة ، وفى ضـوء النيران رأيت واستنتجت أنهـم يقتسـمون ممتلكاتى فيما بينهم ، فأدرت ظهرى للمنظر البشع ، وبدأت رحلتى وحيدا ليس من دليل لى سوى نجم الصليب الجنوبى •

★★★

دليـــــــل
المصـطلحات والتعبـيرات
الأفريقيـــــة
الـــواردة بالرحـلات

(ا)

انجوانا Ingwana : العدد الف ٠

انكواجى Inquagee وتعنى الشوكة بلغة الماتشابى (واحدة من لغـات البانتو) ٠

أوتشيكانجو Otchikango : كلمة تعنى نبع القرد ، وهو نبع فى بلاد الأوفامبو Ovambo (راجع رحلة جالتون) ٠

أوماكورو Omakuru الرب : معبود بلغة الدامارا (رحلة جالتون) ٠

الأوندونجا Ondonga : كلمة تدل على الأرض الزراعية بلغـة الأوفامبو ــ (رحلة جالتون) ٠

ايتى Aite : كلمة هتاف لتوقير الملك ــ (رحلة موفات الثانية) ٠

(ب)

باكوبا Bakoba : هذه الكلمة تعنى (عبد) وتطلقهـا بعض القبائل على قبائل اخرى ، وهو اسم غير مقبول ، أما القبيلة نفسـها فتطلق على رجالهـا اسم بابيى Bayeiye وتعنى الرجـال المتفوقين المبرزين ٠

بالا Palla ، نوع من الأيائل بلغة البتسوانا ٠

البانتو Bantu :

أطول قامة وأقوى بنية من البشـمن والهوتنتوت ورغم اقتنـائهم الماشـية ــ كالبشمن والهوتنتوت ــ الا أنهـم يتفوقون عليهـم من حيث اتقانهم للعمل الزراعى فهم يزرعون مساحات واسعة ويحصدون كميـات كبيرة من الحبوب وغيرها ، فاقتصادهم يجمع بين الزراعة والرعى وقد عرفوا اشغـال الحديد ، واستطاعت أعدادهم المتزايدة البقـاء اعتمادا

على ما يزرعون وعلى منتجـات الماشية · وفي القرن العاشر للميلاد كان البانتو يشغلون بالفعل جانبا من جنوب افريقيا . وقد وصلوا تدريجيا وفي مجموعات يتلو بعضها بعضا وانتشروا في أكثر من مكان في جنوب القارة ، وفي منتصف القرن السابع عشر كانوا بالفعل مسـتقرين في الناتال وأجزاء من مديرية الكاب ، وكان هذا نتيجة قـرون عديدة من الهجرة والاستقرار والتوسع ، ومن أقسام البانتو : النجوني Nguni والتسوانا Tswana والسوثو Sotho والهيريرو Herero والأوفامبوا أو الأفامبو Avambo .

البريكوا Briequas اسم يطلق من قبل بعض الجماعات الأفريقيـة على البتسوانا أو البوسهوانا Booshuanas .

البشمن Bushmen :

يظن أن البشمن كمجموعة بشرية معاصرة هم أقدم سـكان المنطقة · وهم يعرفون بأسماء متعددة ، فالأوربيون يسمونهم بشمن أى رجـال الأحراش ، والزوسا (الاكزوسا) يسمونهم توا Twa والسوثو Sotho يسمونهم روا Roa والهوتنتوت يسـمونهم سـان San or Sean وهم موجودون الآن في مناطق بتسوانا وفي ناميبيا وفي انجولا ، وقدر الباحثون عددهم سنة ١٩٨٠ بحوالى ١٠ر٠٠٠ نسمة وهم قصار القـامة وجلودهم صفراء أو بنية وتتميز لغتهم باستخدم الطقات Clicks .

بورو مولوتسانا Borow Molutsana : صـباح الخـير بلغـة البتسوانا ·

بوكو bucku هو الاسـم الذى يطلقـه الهوتنتوت على النبات المعروف باسم الديسمة واسمه العلمى Cliosma مشتق من الكلمـة اليونانية نفسها والتى تعنى العطر ·

بيتى Baite كلمة هتاف لتوقير الملك (رحلة موفات الثانية) ·

(ت)

تاتي ـ كورول Tati-kurul : عبارة تعنى ايهـا الأب ، ويخاطب بها الداماراً نصب الاله ـ (رحلة جالتون) ·

تاو Taw : وتعنى الأسد بلغـة الماتشـابى ·

التسوانا Tswana : فرع من فروع البانتو ، يعيشون فى المنطقة التى عرفت باسم بتشوانا لاند .

تسى تسى Tse Tse : ذبابة تسبب مرض النوم (راجع رحلة سيلون ورحلة لفنجستون مثلا) .

تشهوفر Tchehovre بمعنى المجنون بلغة : إماتشابى (احدى اللغات البنتوية) .

التوانا Twana فرع من البانتو يتسم بالشجاعة والمثابرة واستطاع الاستقرار حول بحيرة نجامى Ngami .

توم ـ توم Tom-Tom : الطبلة او اداة تشبهها ـ (راجع رحلة جالتون) .

تيون هافل Tecon havel : بمعنى الصيد غير الناجح أو عدم تحقيق الهدف أو عدم اصابة الطريدة ـ بلغة الكوروتا (واحدة من لغات البانتو) .

(ج)

جاكال Jackal لسان جلدى يغطى عورة الرجل أو المرأة من الأمام بالاضافة لقطعة اخرى من الخلف ، يستخدمه الهوتنتوت ، وعند المشى أو الجرى ينتفى الهدف من هذا الجاكال ويظهر ما كان يراد اخفاؤه ، وجاكال نسبة الى ثعلب يحمل الاسم نفسه منتشر فى المنطقة يستخدم جلده فى عمل هذا اللسان .

جاكوكو Jacocco : حيوان وحيد القرن بلغة بعض القبائل المحيطة بنهر أوكوفانجو Okovango .

جالب المطر Rain maker : رجل فى المجتمعات البدائية الأفريقية (وفى حضارات اخرى ايضا) يدعى القدرة على انزال المطر .

(راجع رحلة جالتون) .

الجريكا Griqua : أدى التوسع الأبيض المنطلق من مستعمرة الرأس ناحية الشمال الى الاحتكاك بالجريكا (أو الجريكوا) القاطنين فى بلادهم الجريكالاند ، ورغم أننا لا نعرف كثيرا عن تاريخهم الا انه يمكن القول أنهم عناصر مختلطة من الهوتنتوت والناماكوا والبشمن

والكورانا بل والأوربيين فيما بعد · ومع توسع البوير فقد الجريكا أراضيهم وأصبحوا شعبا تابعا ·

جماب Gmaap تعنى نهر الطين ·

حرب الكافير Kaffir : بدأت سنة ١٨٣٤ بين الزوسا (الاكزوسا) وهم أحد فروع البانتو من ناحية والبوير من ناحية أخرى (اشارات لها فى رحلة ألان جاردينر) ·

(د)

داكا dakka : عشب له أثر الحشيش ـ بلغة البشمن ·

(ذ)

ذقن الكافير ، هى شجرة الزاميا المنتشرة على سفوح جبال دراكنزبرج ، راجع رحلة جاردينر ·

(ر)

روميلا Ruméla ·· روميلا : كلمة ترحيب بالغرباء لدى قبائل البانجو اكتسى Bangwaketse ـ (رحلة موفات الأولى) ·

(ز)

زاميا Zamia : أو شجرة ذقن الكافير ، شجرة منتشرة على سفوح جبال دراتنزبرج ، راجع رحلة جاردينر ·

زكوا ـ سبك Zeekoe-Spek : كلمة تعنى منحة البحر ، ويطلقها الهوتنتوت على فرس النهر (راجع رحلة بورشل) ·

(س)

سبوجسلانج ، من لغة الهوتنتوت وتعنى نفث الأفعى ـ (رحلة وليم بورشل) ·

السوتو الجنوبيون Sotho : فرع من فروع البانتو يعيشون فى ليسوتو Lesotho (باسوتولاند سابقا) ·

سيبريا Cyprea نوع من الأصداف يستخدمه الهوتنتوت وبعض الشعوب الأفريقية الأخرى فى الزينـة ·

سيريبـال Serebaal تعنى الضائع (الضايع) الذى لا وطن له ولا جماعة ، وقد تعنى المنبوذ وذلك بلغـة الماتشابى (واحدة من اللغات البانتوية) ·

(ش)

شونجوى Shongwe اسم تطلقه بعض قبائل نهر الزمبيزى على ما عرف بعد ذلك باسم شلالات فكتوريا (وهناك قبائل أخرى تطلق عليها اسم موزيواتونيا) ·

الكارو Karro : نوع من الأشجار الشوكية ·

الكاروسو ـ ا Carosooe وتعنى الأحشـاء أو الأمعاء بلغـة الماتشابى (واحدة من لغات البانتو) ·

كائين دى هارى Kaeen de harree عبارة تعنى بهجـة الشمس المشرقة ، بلغـة الكروانا ·

كرال Kraal : ترد هذه الكلمة فى هذه الرحلات بعدة معـان يحكمها السياق ، فهى فى الغـالب (حظيرة) أو زريبـة Cattle's Kraal كما ترد بمعنى تجـمع سـكانى خاصـة اذا كان الحـديث عن البشمن Kraal of Bushmen وفى هذا السياق اثرنا ترجمتها (قرية) · ويبدو أن هذه الكلمة (Kraal) منتشرة بين أكثر من لغـة أو لهجـة أفريقية ، فقـد وردت أيضا فى سياق رحلات غرب أفريقيـا ·

كروس Krosse : فراء خروف متصل بفراء آخر بسـير جـلدى يضعه الواحد من الهوتنتوت على كتفه اذا اشتد البرد أو يطرحه باهمال على كتفه أو ذراعه اذا اشتد الحر ، والكلمة ترجع لأصل هولندى ـ Karosse

الكنو knoo حيوان فى حجم البقرة العادية ·

كواكا Kwaka الظبى أو البقر الوحشى بلغة البشمن — (رحلة بورشل) ·

الكودو Koodo : نوع من الظباء بلغة قبائل بحيرة نجسامى ، وأيضا حول نهر الفال — (راجع رحلة هاريس Harris) ·

كورهى Korhee الحجر الأبيض بلغة الكورانا ·

كورى Kori : طائر يشبه الطاووس ، والكلمة بلغـة الشسوانا Sichuana.

كوكو kookoo ، كلمة منتشرة فى شرق جنوب أفريقيا ، (لغات البانتو) بمعنى شروق الشمس ، وتطلق على بعض الينابيع — (راجع رحلة كمبل) ·

كومو كومو Como Como : اسم تطلقه القبائل الأفريقية فى جبال الدراكنزبرج على نبات السرخس أو الخنشار (بضم الخاء وتسكين النون) ·

الكى جاريب Ky-Gariep : الاسم المحلى لنهر الفـال ·

الكيبابا Quebaba : وحيد القرن بلغة قبائل بحيرة نجسامى ·

كيزى جات Kysi-gat : أو ثيزى جات Thysi-gat : اسم يطلقه الهوتنتوت على الحفر آلتى يعدها البشمن للايقاع بالحيوانات ، والكلمة مزيج من اللغة الهولندية ولغـة الهوتنتوت — (رحلة بورشل)

(ل)

اللمبـا Lemba ، فرع من البانتو فى زمبابوى الحاليـة ·

اللورى Loorie طائر أحمر صغير فى جنوب أفريقيـا ·

ليرا Leraa بمعنى الزعيم أو المغوار فى فرقة من اللصوص بلغـة الماتشابى ·

الليشى Léché : حيوان منتشر حول بحيرة نجامى ·

ماب Maap : مرادف لكلمة جماب Gmaap ، وكلاهما يعنى نهر الطين — (راجع رحلة وليم بورشل) ٠

ماجاجا Magaaga تعنى جبل الحديد فى لغـة الشعوب الناطقة بلغـة البانتو ٠

مارو ماشينا Maroo Machina : بمعنى رمح القرية ، وهو ايضا اسم علم يطلق على بعض الأشخاص — (رحلة كامبل) ٠

الماشابل Mashabel نوع من الشجر فى جنوب شرق أفريقيـا — (راجع رحلة سيلوز) ٠

ماشونو Machanoo : بمعنى سقف الفم ٠

ماكاتـامى Makatame : تعنى نبع البطة Duct-Spring لغـة البانتو ٠

الماكوس Makoas : الحضر أو أهل المدن بلغـة قبيلة الزعيم ماكابا (راجع رحلة موفات الأولى) ٠

الماهوبو هوبو Mahobo-hobo : نوع من الشجر فى جنوب شرق أفريقيـا — (راجع رحلة سيلوز) ٠

مدفع ميدان محمول field piece — كان هذا السلاح شائعـا فى القرن السابع عشر ، وغالبا ما كان مصاحبا للحملات الكشفية المنظمة فى هذه الفترة ٠

مسـتى Meste كلمة محلية تعنى المياه — سمعها وليم أوزويل وهو فى طريقه لبحيرة نجامى ، بالقرب من لوبوتانى ٠ انظر رحلة وليم أوزويل ٠

الموتسورى Motsouri : أشجار أوراقها داكنة الخضرة · شاهدها ليفنجستون على نهر الزمبيزى ·

موتسى أباريمو Motsé oa Barimo عبارة تعنى أيدى الآلهة (؟) وهى عبارة تقولها القبائل القريبة من الزمبيزى ، ومنها قبيلة الياكولولو عند رؤيتهم قوس قزح ·

موزى أو تونيا Mosi oa Tunya : عبارة تعنى أن الصوت يصدر دخانا ذلك أن القبائل المحيطة بشلالات فكتوريا كانوا يظنون أن الرذاذ الشديد المنبعث من الشلالات مرافق للصوت وأنه دخان – (راجع رحلة لفنجستون) ·

موزيواتونيا Mosioatunya اسم تطلقه قبائل الزمبيزى على ما عرف بعد ذلك باسم شلالات فكتوريا · وهو الاسم الذى أطلقه ليفنجستون عليها ·

الموشيوشونج Mochuchong : أشجار تحمل ثمارا تؤكل ، متوفرة حول بحيرة نجامى · اعتبرها الرحالة أوزويل Oswell خير مثال للجمال فى عالم الأشجار لا فى أفريقيا فحسب وانما فى العالم كله ·

موكها Mookha : النظرة الحادة بلغة الكورونا (واحدة من لغات البانتو) ·

موكرى Mooquee بمعنى الصحة أو ادراك الأمور على نحو صحيح ، بلغة الكورانا ·

الورلواناهس Morlwanahs : نوع من الأشجار ، سميك الساق فقد يبلغ محيطها سبعين قدما · غير منتشرة كثيرا ·

الموتا Moona : ربما كان معناها جوز الهند بلغة البشمن – (راجع رحلة شابمان) ·

موهونولو Mohonono : أشجار ذات أوراق شاهدها ليفنجستون على نهر الزمبيزى ·

ميونســـتوى Meoonstwee : تعنى أســود بلغــة الماتشــابى ـ (واحدة من اللغات البانتوية) ·

نجامى ، بحيرة : عند خط ١٩ر٢٠ ° جنوبا وخط طول ٥٥ر٤ شرقا ، ولها أسمــاء متعــددة منهــا انجهــابى Inghabe ونوكا أ مبورى Noka a Mampoore ونوكا أ· باتلاتلى Noka a Batlatli · انظر رحلة وليم أوزويل ·

النجونى Nguni : هم بانتو ينطقون بلغــة خاصة بهم وهى لغــة النجونى ، فهذا الاسم يشير لمجموعة لغوية بين النانتو ، وليس لمجموعة عرقية بالمعنى الضيق · كانوا يعيشون فى الساحل الشرقى لجنوب أفريقيا التى تمتد من بلاد الزولو وناتال الى حدود مستعمرة الراس (الكاب) ، وفى سنة ١٩٧٥ كانوا يشغلون أجزاء من الترنســفال والناتال والكاب وبلاد الزولو ، ويرى بعض الباحثين أن الزولو والنديبيلى Ndebele والسوازى Swazi والزوسا (الاكزوسا) Xhosa يتحدثون لهجة أو أخرى من لغــة النجونى ·

نخوسى انكولو Nikhosi enkolu : تحية تقال عند مرور الملك (راجع رحلة موفات الثانية) ·

النهر الاسود Black river : ويقصد به نهر الأورانج ·

النهر الأصفر Yellow River : الاسم الذى أطلقه الانجليز على نهر الفال ·

نهر اليفانت (نهر الفيل) : هناك نهران بهذا الاسم أحدهما يصب فى المحيط الهندى الى الشمال من الساحل الشرقى لاتحاد جنوب أفريقيا الحالى ، والثانى يصب فى الأطلنطى الى الشمال من مدينة الراس (الكاب) ·

النهر العظيم Great river : يقصد به نهر الأورانج وأحيانا الفال ·

نهر فال Vaal River هو الاسم الذى يطلقه هوتنتوت كلارووتر Klaarwater على نهر كى جاريب (النهر الأسود) ·

نهر الطين Maap أو Gmap

النوجاريب Nu Cariep ، الاسم المحلى لنهر الأورانج وتعنى النهر الأسود ·

نوكا باتلاتلى : هى بحيرة نجامى · انظر رحلة وليم أوزويل ·

نوكا ليورى ، بحيرة : هى بحيرة نجامى · انظر رحلة وليم أوزويل ·

هاساجاى Haseagai الرمح بلغة الهوتنتوت ·

الهرتبيس : حيوان التيتل الأفريقى الضخم ·

الهوتنتوت Holtentots : أطول من البشمن ، وان كانوا مثلهم صفر الجلد · لغاتهم زاخرة بالطقات (كلغة البشمن) وهم يسمون أنفسهم الخوى خوان Khoikhoin ومعناها أسياد الرجال (أو رجال من أصلاب رجال) وعندما وصل البرتغاليون الى جنوب افريقيا فى أواخر القرن الخامس عشر ، وجدوا الهوتنتوت يعيشون فى منطقة خليج تابل Table ومنطقة خليج موسل Mossel ومنطقة خليج سالدانها Saldanha وفى حوالى منتصف القرن السابع عشر كانوا يعيشون حول منطقة الرأس (الكاب) على طول شاطىء نهر أورانج وعلى ساحل ناتال وفى كثير من مناطق ما يعرف الآن باسم زامبيا ·

الهيرورو Herero فرع من البانتو الجنوبيين الغربيين أو بانتو الجنوب الغربى ·

هيلامبـا امانذى Hlamba-Amanzi : عبارة نعنى الرجل الذى عبر الماء ، بلغة الزولو ، وقد أطلق الملك شاكا هذا الاسم على أحد الهاربين اليه ـ (راجع رحلة هنرى فين) ٠

(ى)

ييبو Yebo : نعم » أو كلمة تفيد الموافقـة بلغة الزولو ٠

المحـــــرر

ـ اريك آكسيلون .

ـ باحث انجليزى مهتم بادب الرحلات .

ـ عمل فى الجمعية الجغرافية البريطانية فترة من حياته .

المترجـــم

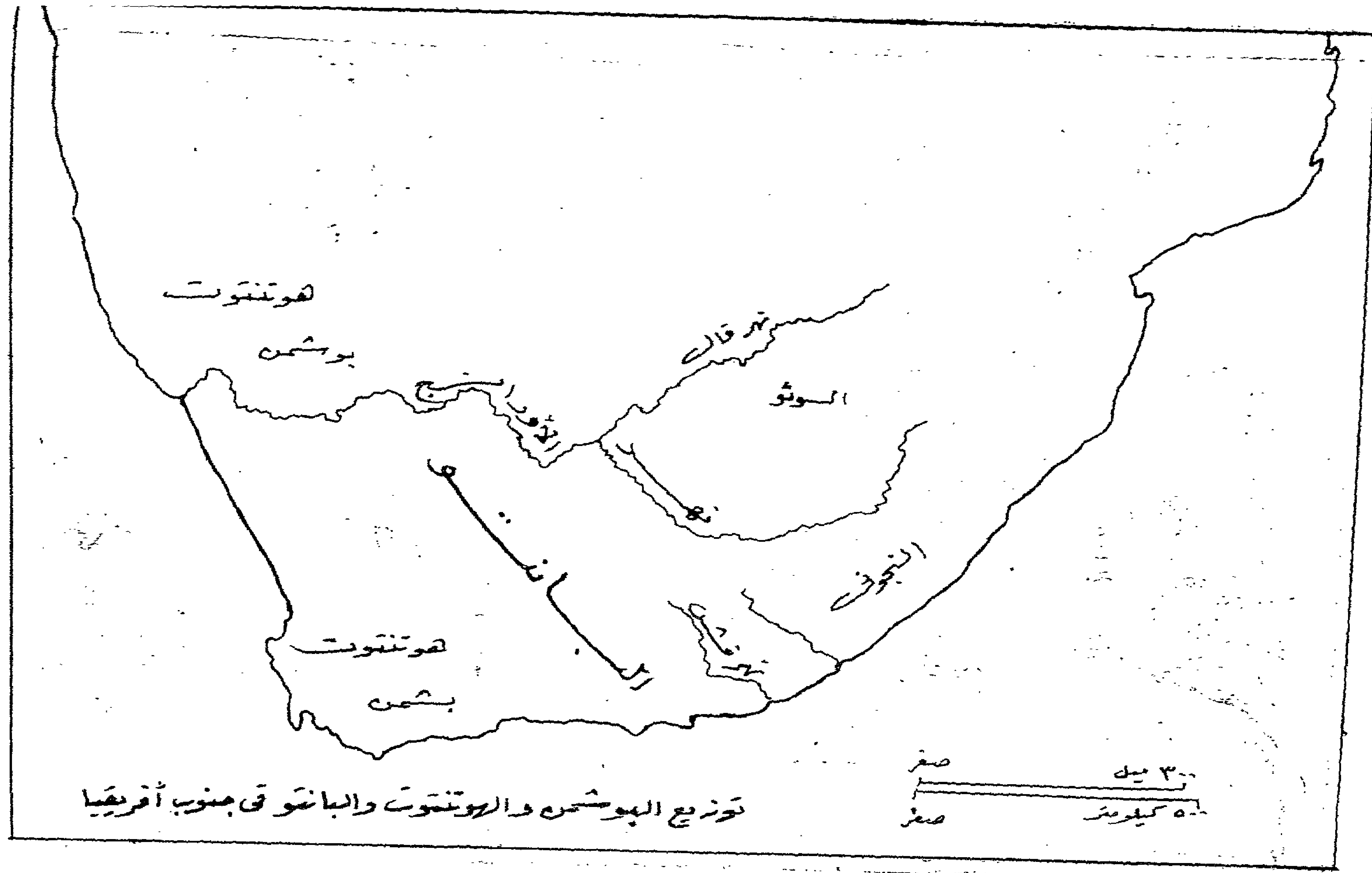
ـ د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ .

ـ حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية .

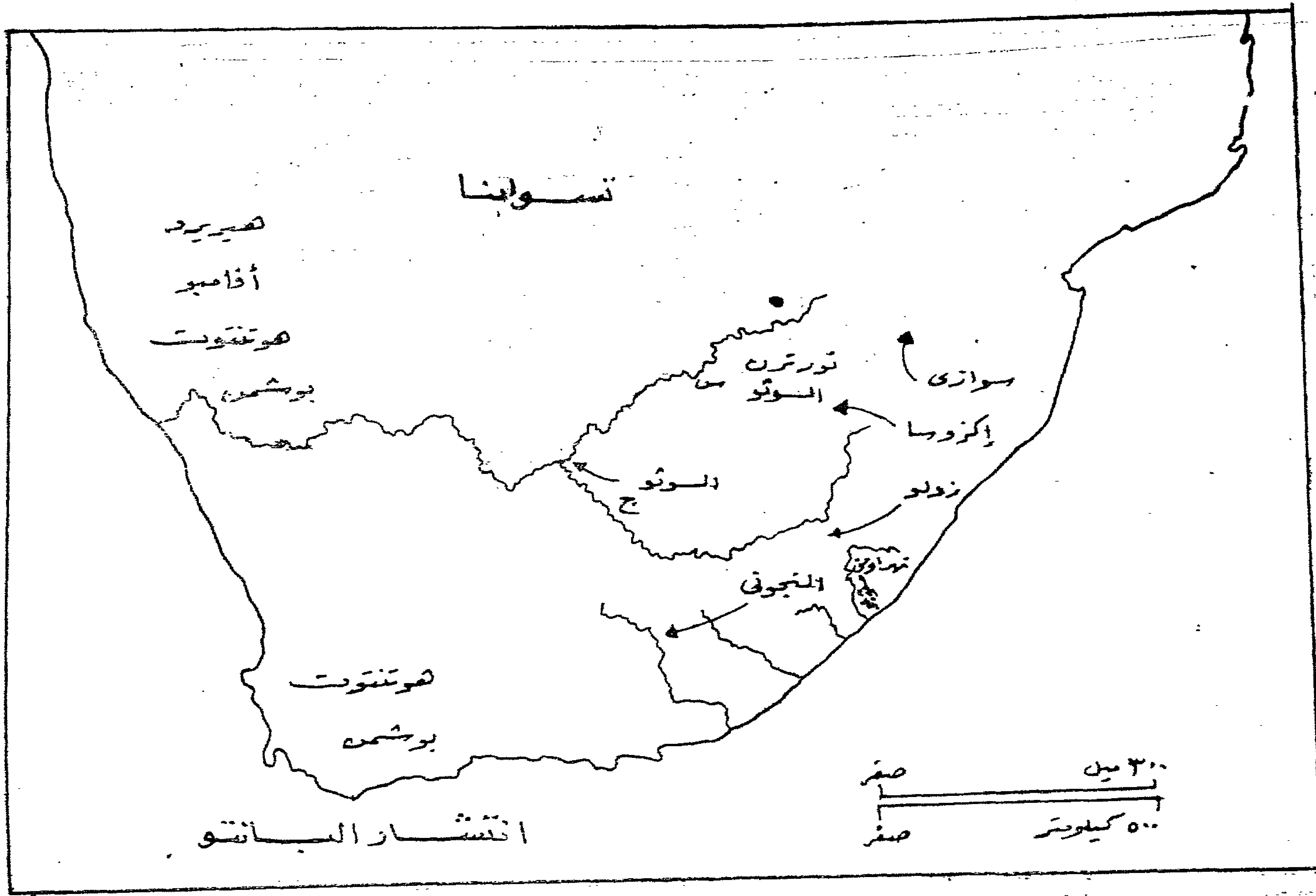
ـ أستاذ مشارك (جامعة الرياض) .

ـ قدم للمكتبة العربية ترجمات كاملة لأشهر الرحالة الأوربيين منها : رحلة بيرتون الى مصر والحجاز ٣ ج ـ رحلة ردولف الى مصر وفلسطين ، ٣ ج ـ رحـــلة فارثيما ـ أشـــهر الرحلات فى غرب أفريقيا ... الخ .

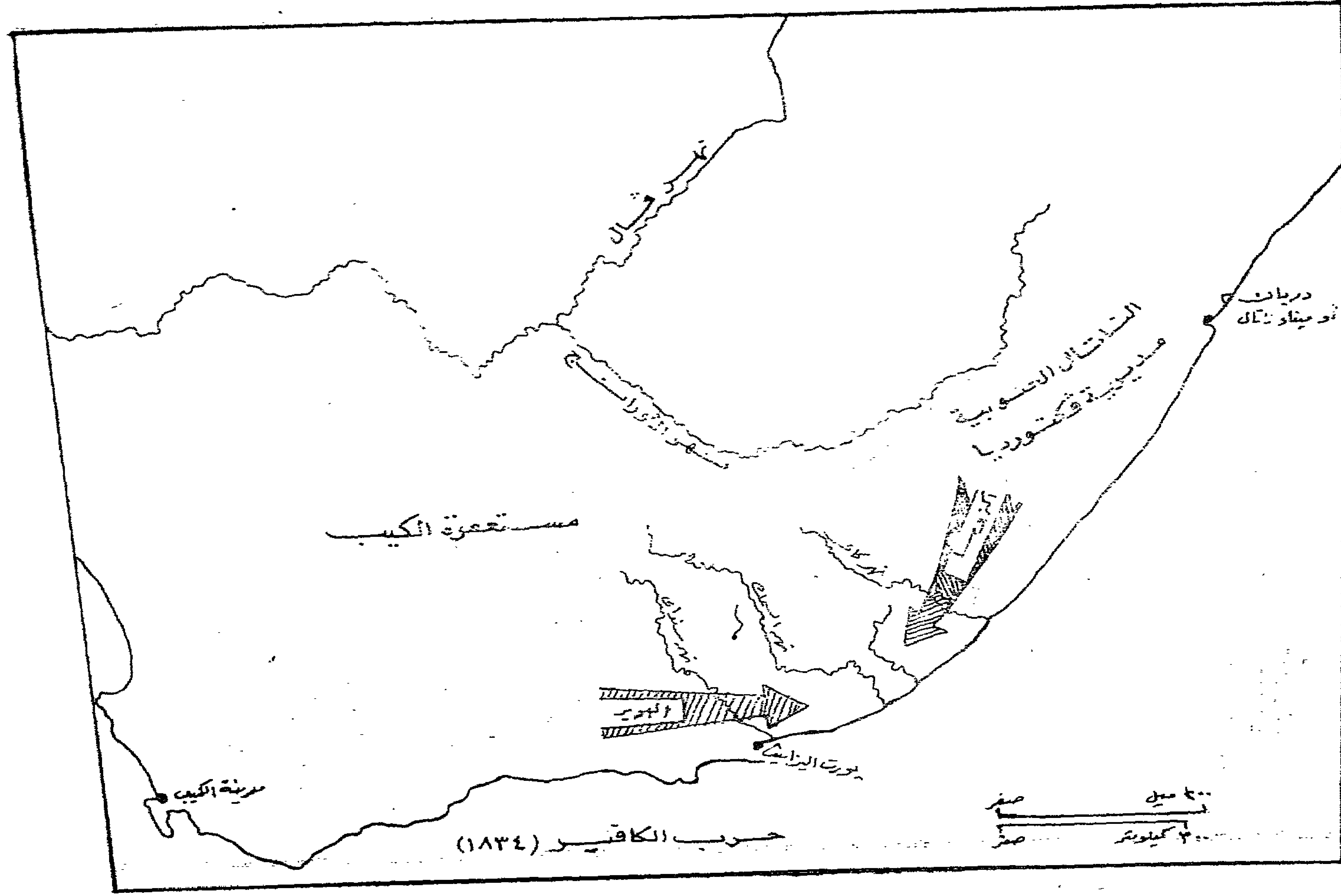
الخرائط والصور



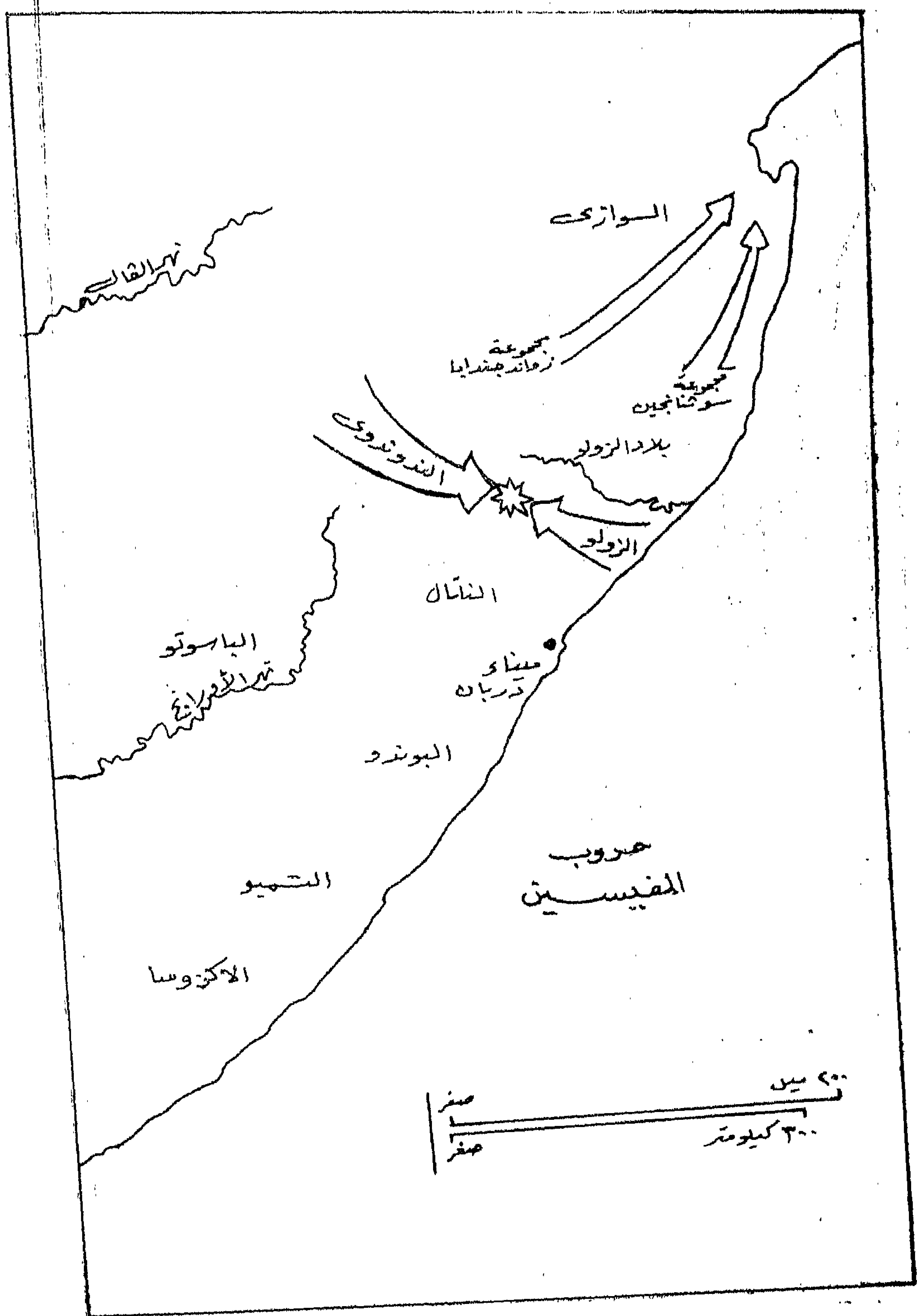
توزيع البوشمن والهوتنتوت والبانتو في جنوب أفريقيا

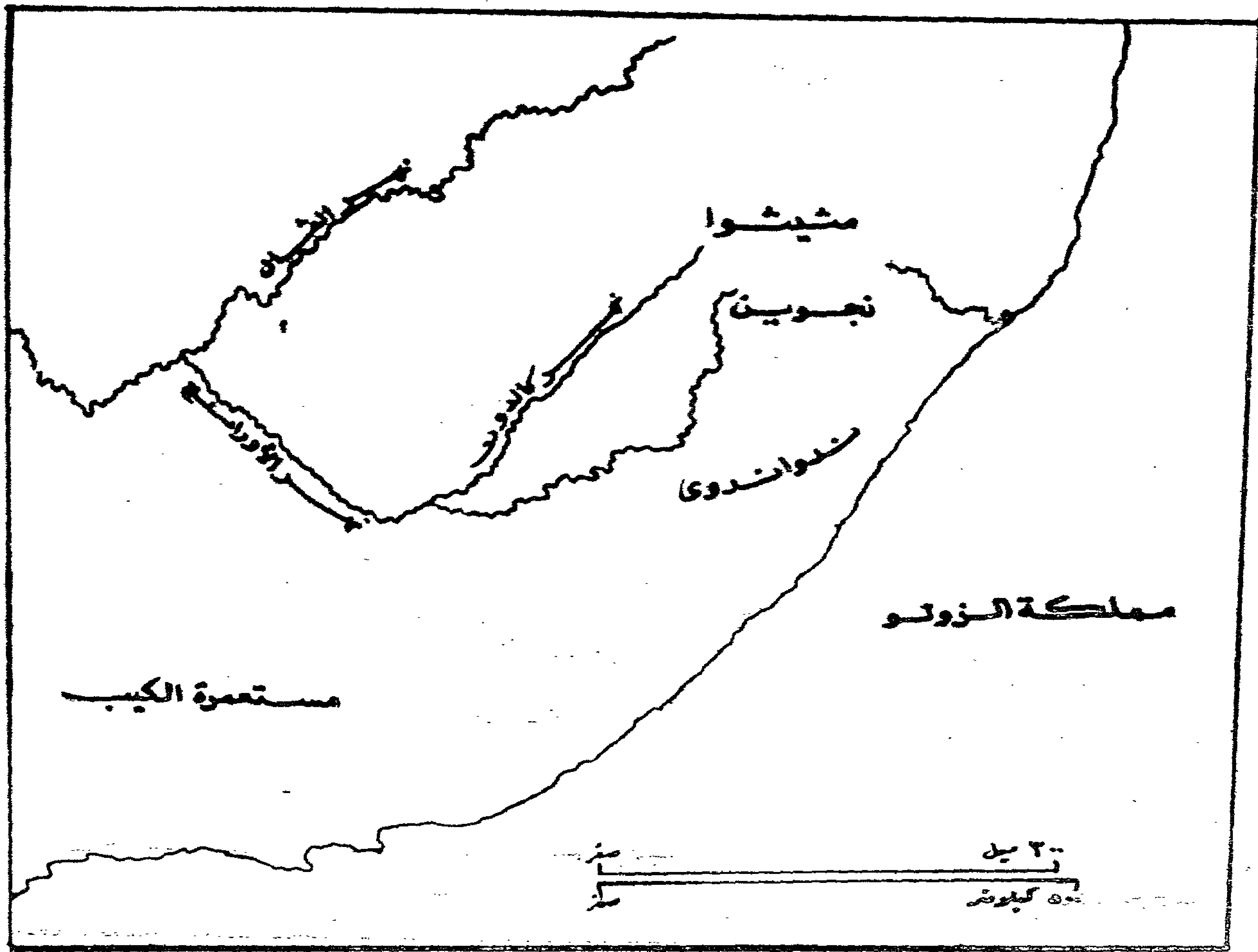


انتشار البانتو

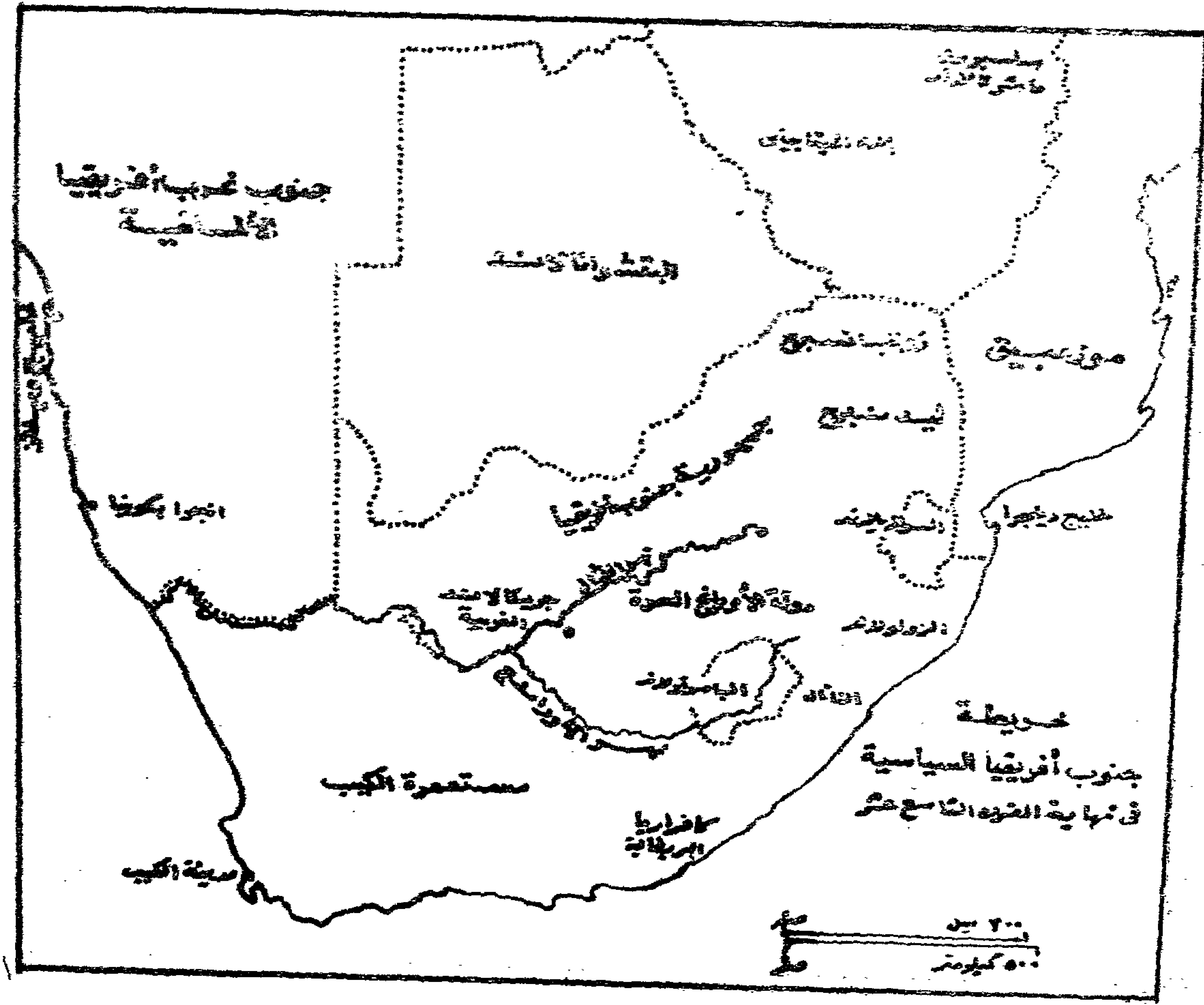


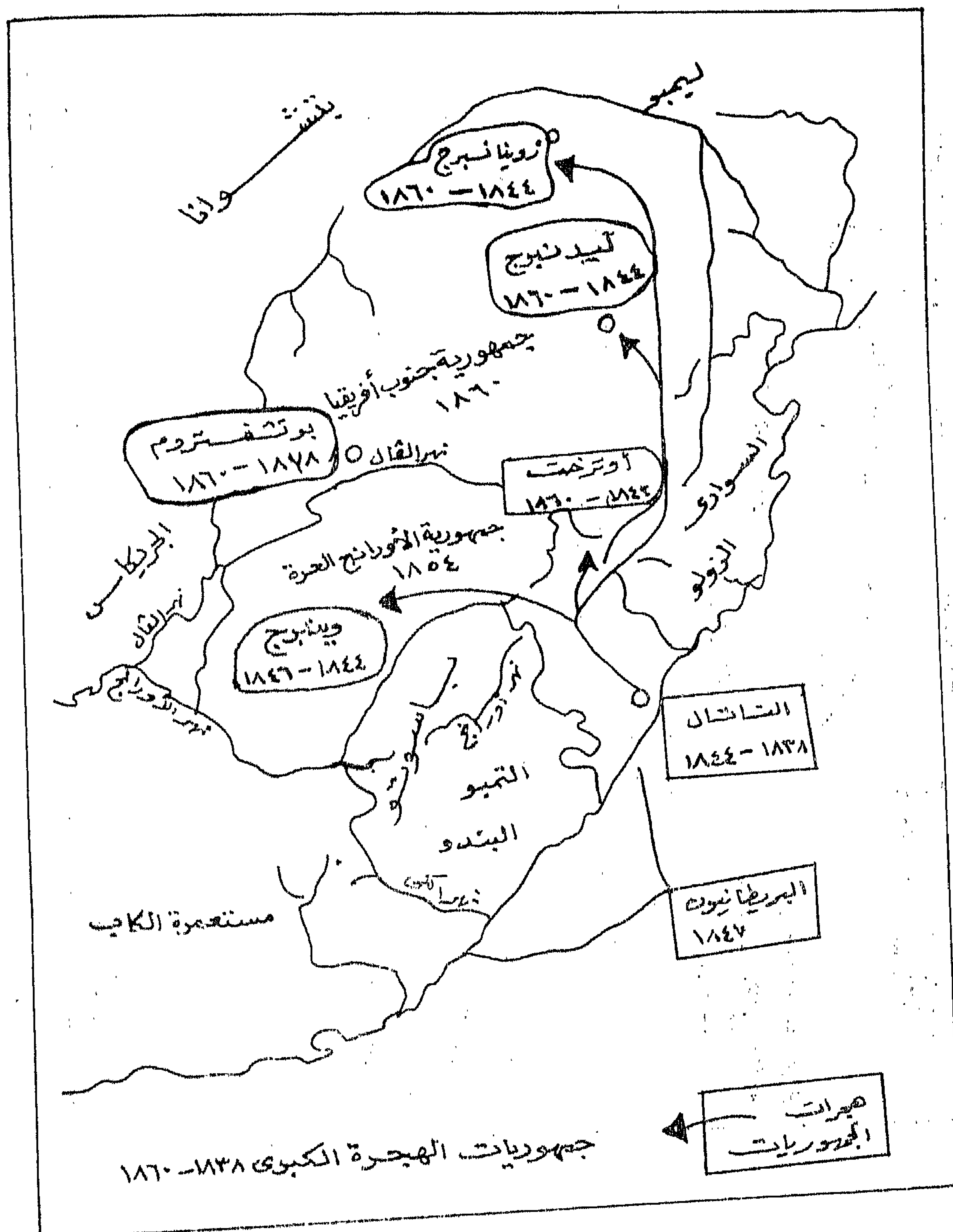
حرب الكافير (١٨٣٤)


السوازي
مجموعة
زواندجندابا
مجموعة
سوشانجين
بلاد الزولو
الندوندوي
الزولو
نهر الفال
الناتال
الباسوتو
نهر الأورانج
ميناء
دربان
البوندو
حروب
المفيسين
التمبو
الاكزوسا
٢٠٠ ميل
صفر
٣٠٠ كيلومتر
صفر

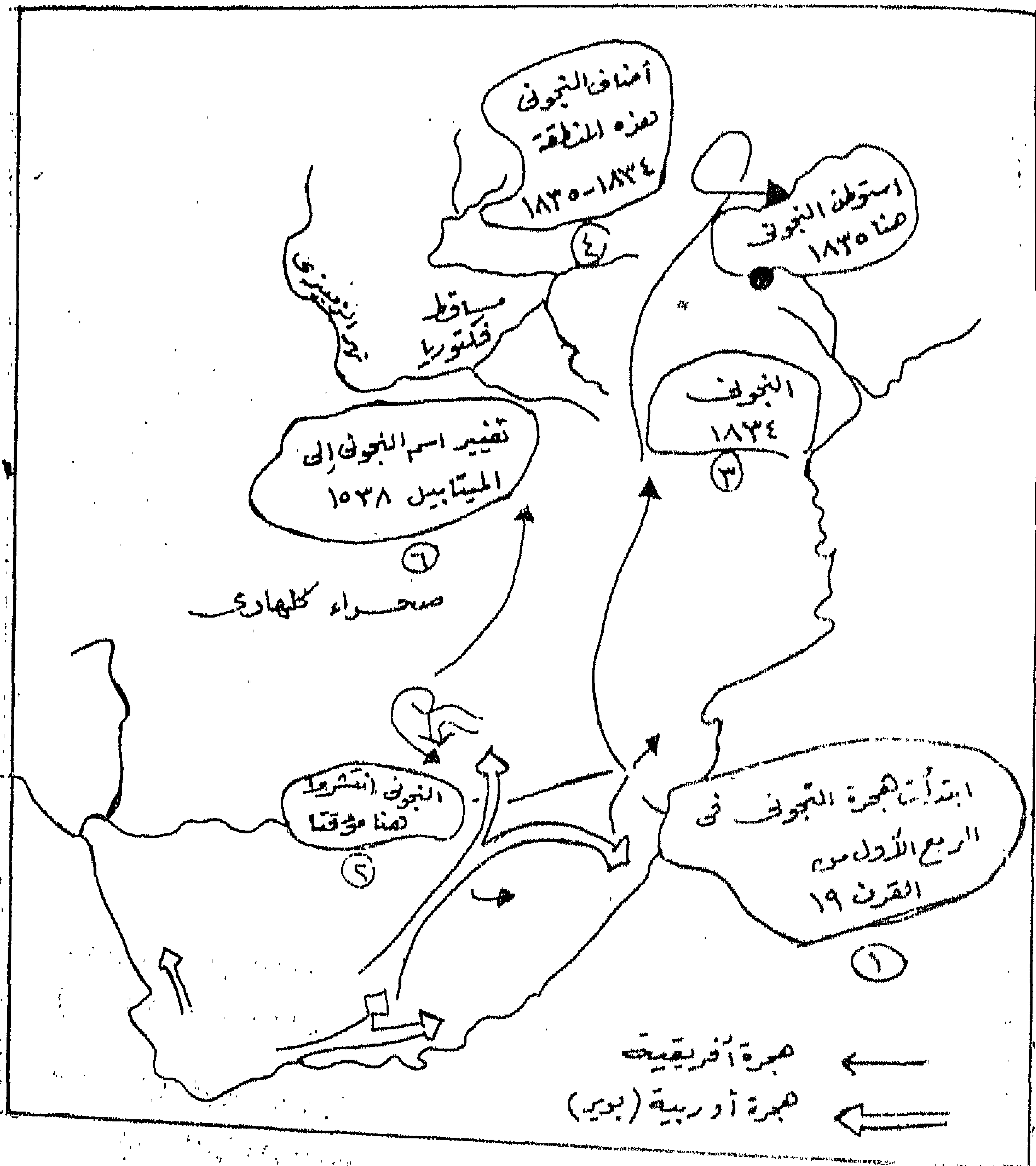

مشيشوا
نجوين
نتواندوى
كالدون
نهر الأورانج
مملكة الزولو
مستعمرة الكيب
صفر
٣٠٠ ميل
صفر
٥٠٠ كيلومتر

موزمبيق
الترنسفال
البتشوانا
بوتوريا
جوهانسبرج
خليج دلجوا
بلاد السوازى
نهر الفال
دولة الأورانج الحرة
الناتال
بيترمارتسبرج
بلاد الباسوتو
دربان
السوازيلاند
والباسوتولاند
نهر الأورانج
جريكالاند الشرقية
البوندولاند
صفر ٢٠٠ ميل
صفر ٤٠٠ كيلومتر
مستعمرة الكيب
الترنسكاى


خريطة
جنوب أفريقيا السياسية
في نهاية القرن التاسع عشر
جنوب غرب أفريقيا الألمانية
موزمبيق
ليدنبرج
جمهورية جنوب أفريقيا
دولة الأورانج الحرة
مستعمرة الكيب
مدينة الكيب
خليج دلجوا
نهر الأورانج
الباسوتولاند
زولولاند
كافاريا البريطانية
٢٠٠ ميل
٥٠٠ كيلومتر



جمهوريات الهجرة الكبرى ١٨٣٨ – ١٨٦٠

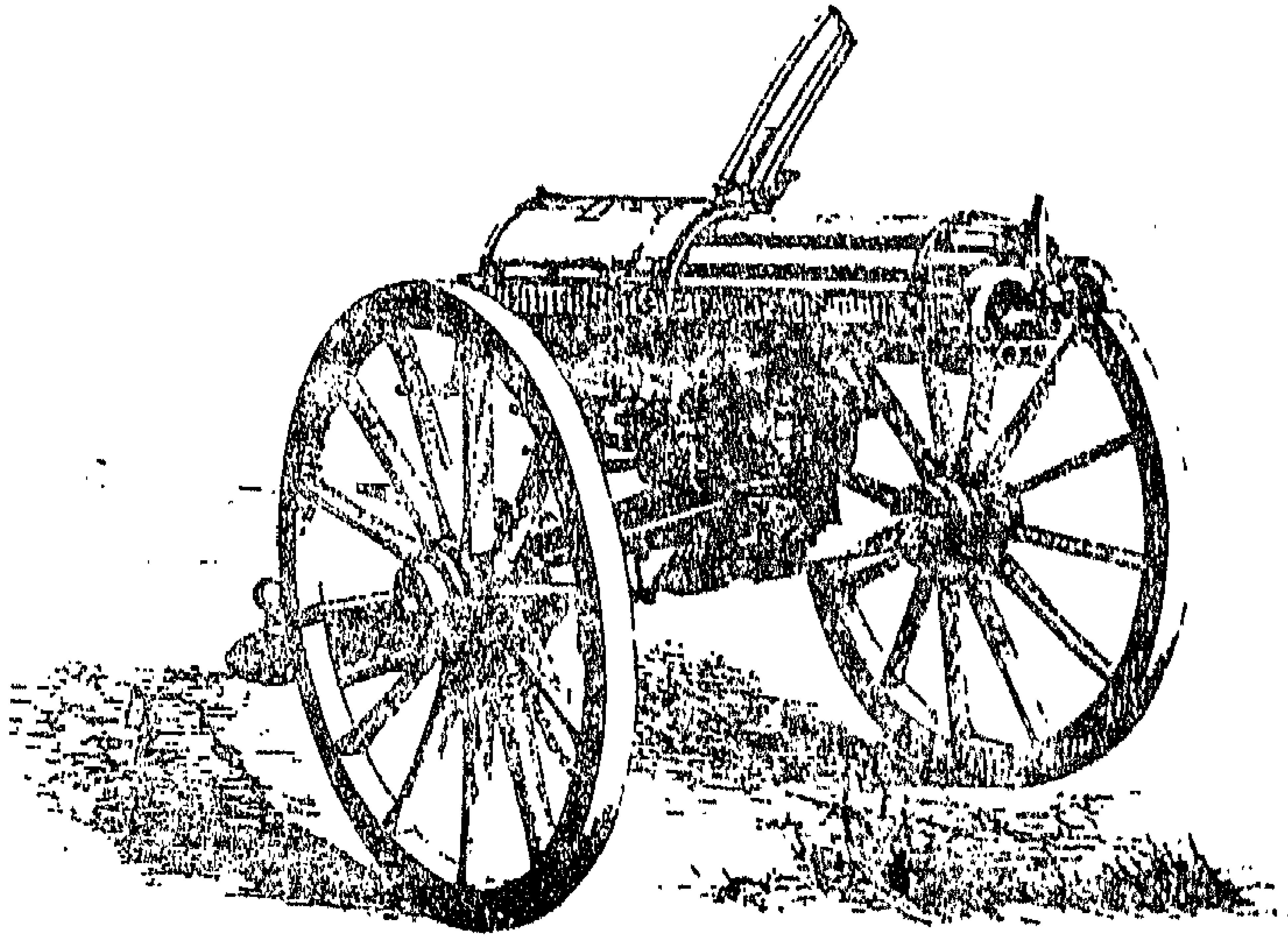


هجرات النجوني وبداية الهجرة الكبرى

سكان جنوب أفريقيا
(١٦٥٢ - ١٧٧٥)

هجرة أوربية
هجرة أفريقية

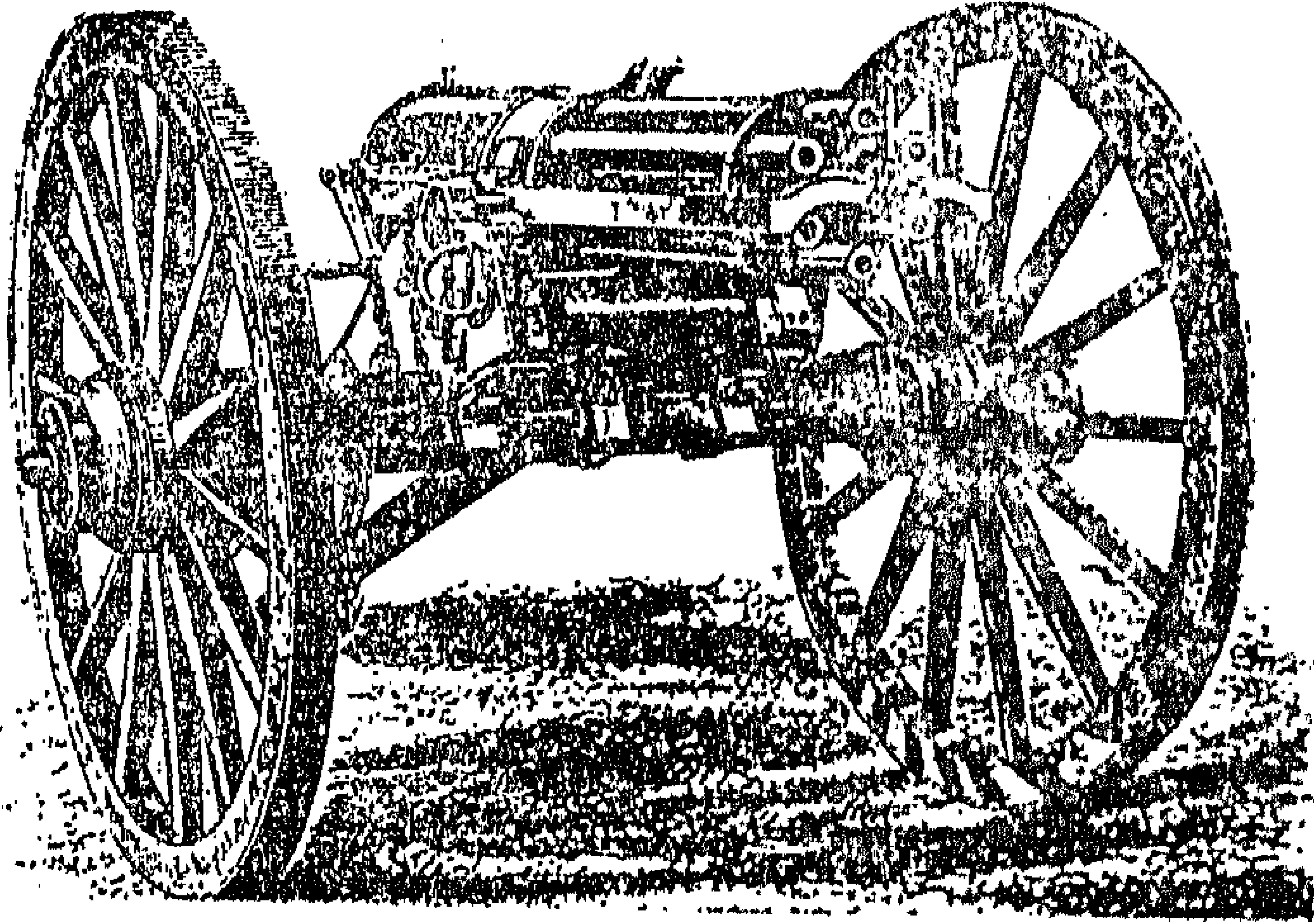
الهوتنتوت
صحراء كلهارى
البوشمن
نهر الزمبيزى
النفوذ البرتغالى
نهر أورانج
نهر الفال
١٧٠٠
الزولو
الهوتنتوت
هولندا
كيب تون
١٦٥٨



شكل (١)

الـ Gatlin Gun ، وكان يتميز بكثافة النيران وفقا لمقاييس العصر .

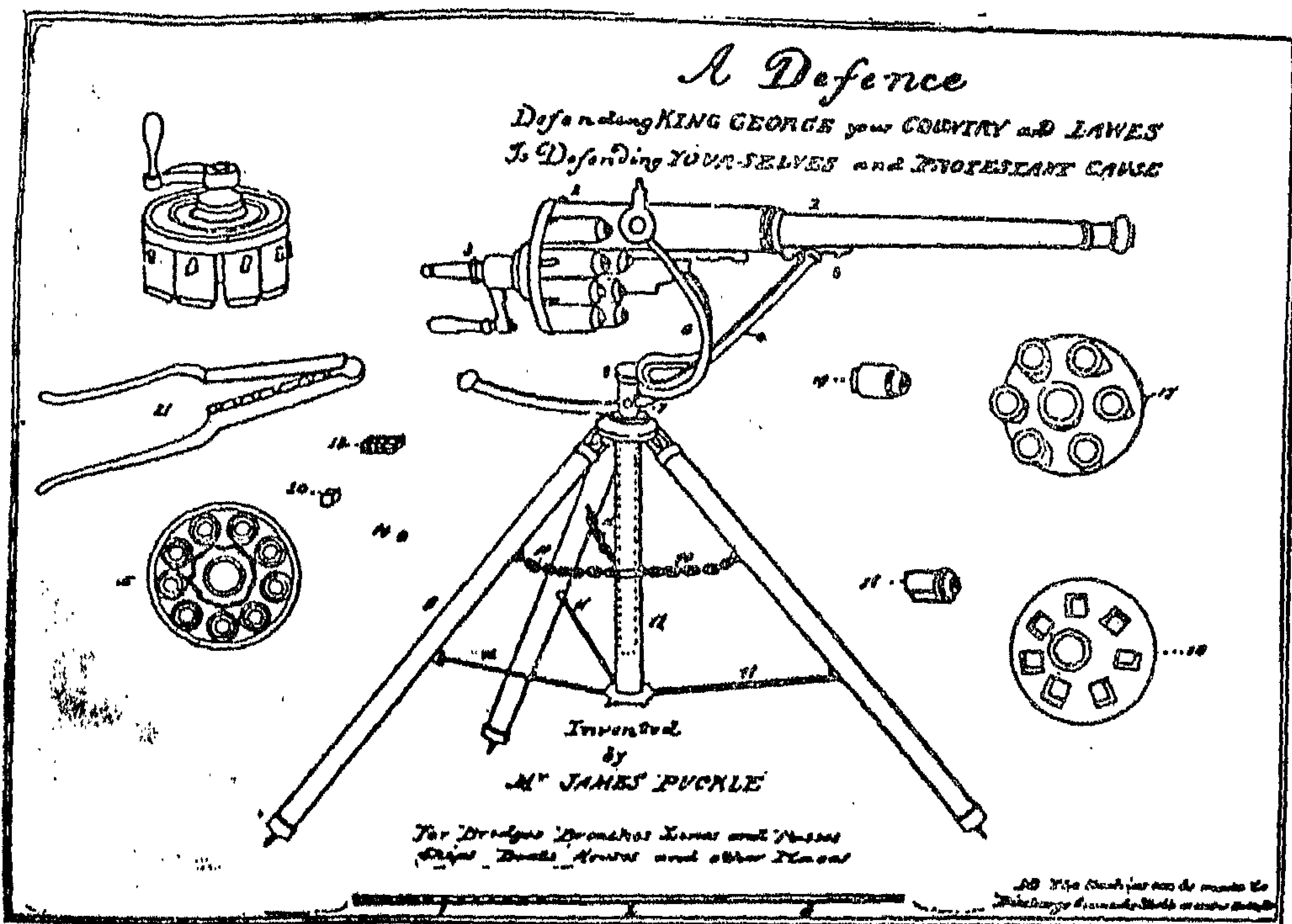
المصدر : Ellis, John : The Social history of the machine Gun. London, Croom Helm, 1975, p. 21.



شكل (٢)

منظر آخر للـ Gatling Gun على عجلات (هناك نوع آخر يطلق من السفن الحربية بلا عجلات) . لقد استخدم الانجليز هذا السلاح ضد الاشانتى (فى غانا) وضد الزولو (فى جنوب افريقيا) . وهو يصلح للدفاع من وراء ساتر (ولكنه استخدمه للهجوم ايضا) والصورة لطراز ١٨٦٥ .

المصدر : Ellis, John : The Social history of the machine Gun. London, Croom Helm, 1975. p. 27.



No. 1 The Barrel of the Gun
2 The Sett of Chambers Charg'd put on ready for Firing
3 The Screw upon which every Sett of Chambers play off and on
4 a Sett of Chambers ready charged to be Slip'd on when the first Sett are pull'd off to be recharg'd
5 The Crane to rise fall and Turn the Gun round
6 The Curb to Level and fix the Guns
7 The Screw to rise and fall it
8 The Screw to take out the Crane when the Gun with the Trepeid is to be folded up
9 The Trepied whereon it plays
10 The Chain to prevent the Trepieds extending too far out
11 The hooks to fix the Trepied and Unhook when the same is folded up in order to be carried with the Gun upon a Man's Shoulder
12 The Tube wherein the Pivot of the Crane turns
13 a Charge of Twenty Square Bullets
14 a single Bullet
15 The front of the Chambers of a Gun for a Boat
16 The plate of the Chambers of the Gun for a Ship shooting Square Bullets against Turks
17 For Round Bullets against Christians
18 a Single Square Chamber
19 a Single round Chamber
20 a single Bullet for a Boat
21 The Mould for Casting Single Bullets

Whereas our Sovereign Lord King George by his Letters pattents bearing date the Fifteenth day of May in the Fourth Year of his Majesties Reign was Graciously pleased to Give & Grant unto me James Puckle of London Gent my Exors Admors & Assignes the sole priviledge & Authority to Make Exercise Work & use a Portable Gun or Machine (by me lately Invented called a Defence) in that part of his Majesties Kingdom of Great Brittain called England his Dominion of Wales, Town of Berwick upon Tweed and his Majesties Kingdom of Ireland in such manner & with such Materials as should be ascertained to be the sd New Invention by writing under my hand & seal and Inrolled in the High Court of Chancery within Three Calendar Months from the date of the sd pattent as in & by his Majties Letters Pattents Relation being thereunto had Doth & may amongst other things more fully & at large appear NOW I the said James Puckle Do hereby Declare that the Materials whereof the sd Machine is Made are Steel Iron & Brass and that the Trepied whereon it Stands is Wood & Iron And that in the above print (to which I hereby Refer) the said Gun or Machine by me Invented is Delineated & Described July the 25th 1718.

Jas Puckle

A9 2/80

المصدر :

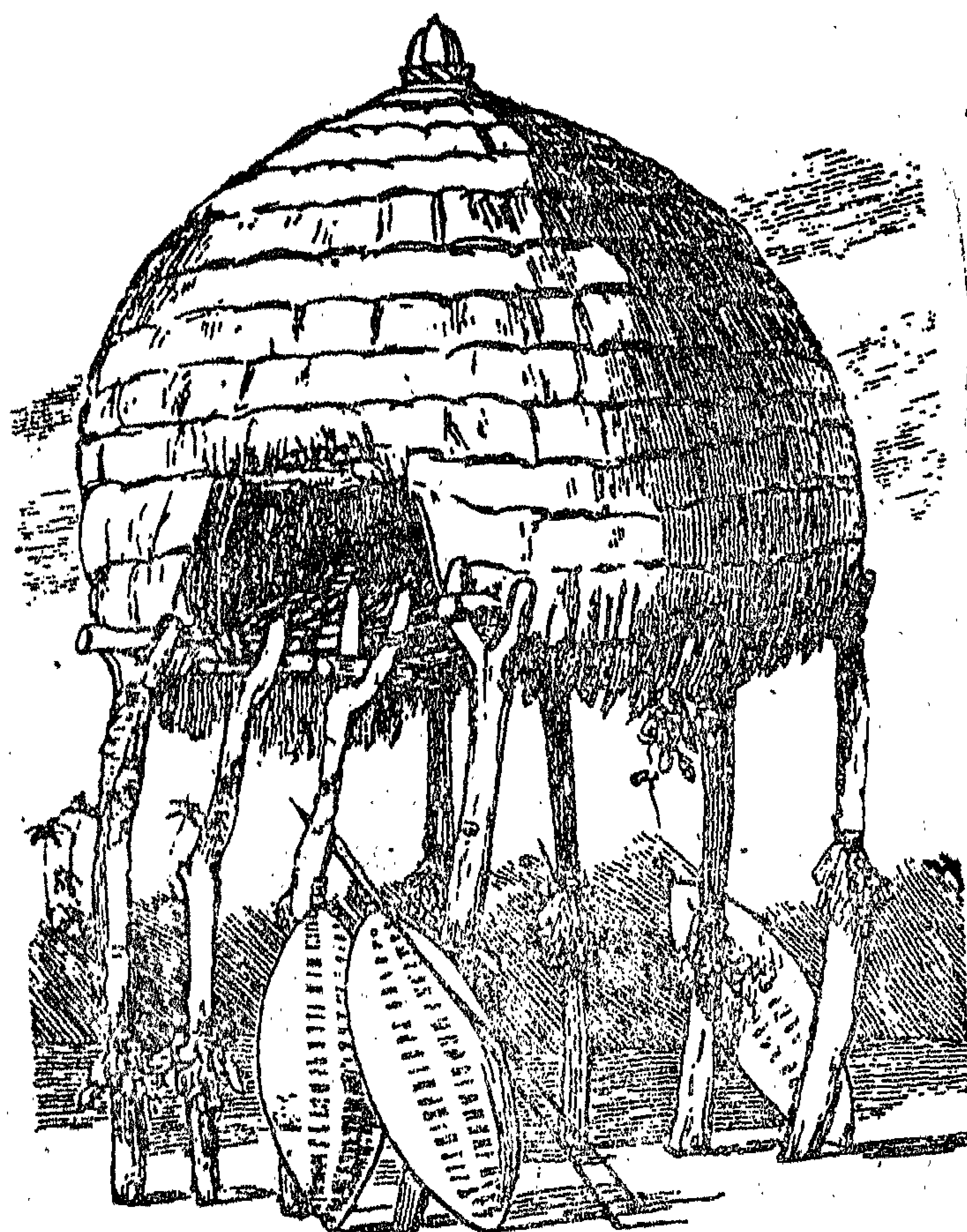
Ellis, John : The Social history of the machine Gun
London Croom Helm, 1975.



شكل (٤)

لازال البشمن حتى اليوم يستخدمون الاقواس والسهام المسمومة فى الصيد . (كانوا يستخدمونها ايضا فى القتـال) .

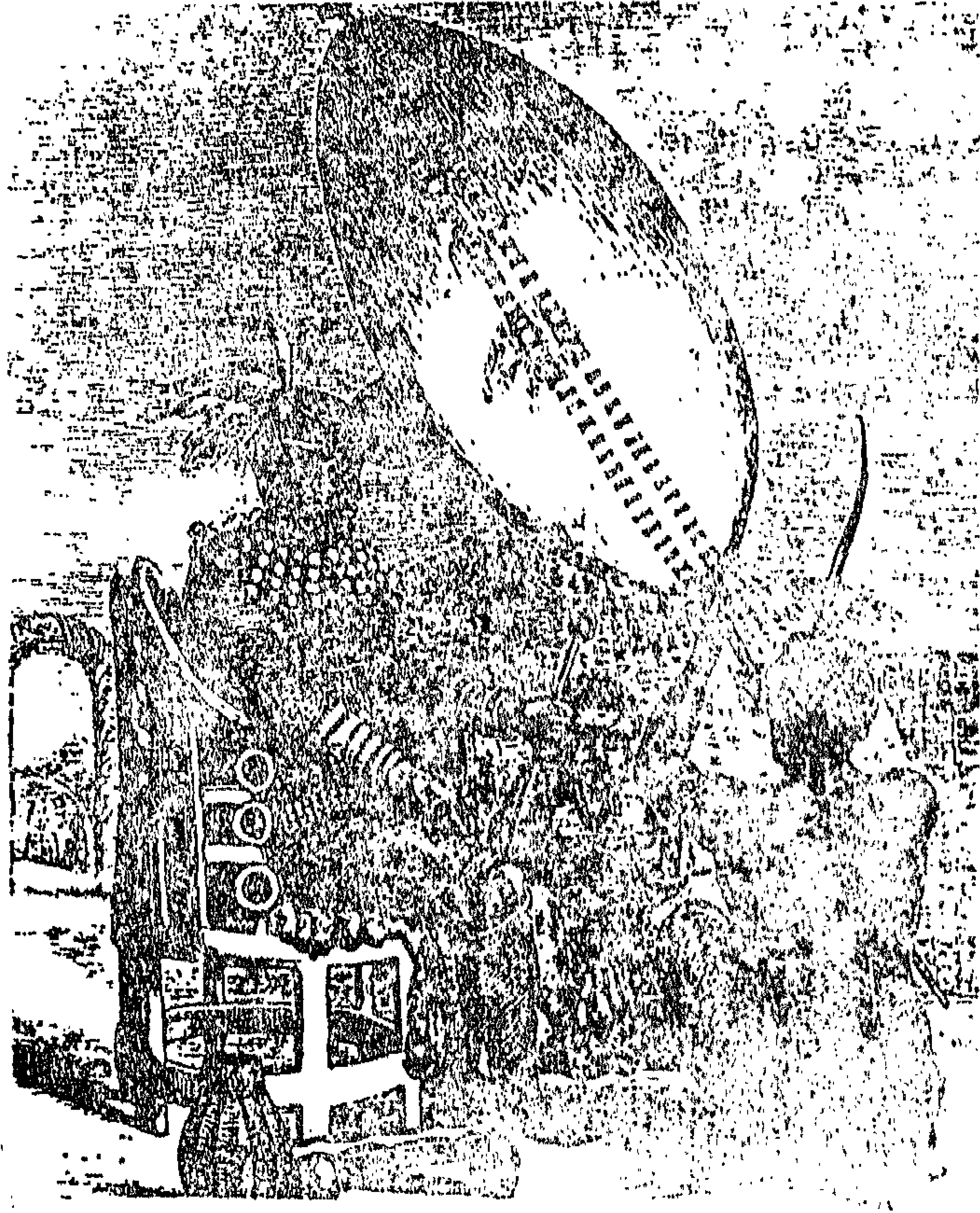
المصدر : Were, Gideon S. : A history of South Africa.. Lonron, Evans, 1974, p. 5.



شكل (٥)

هكذا يبدو مخزن السلاح عند الزولو .

Were, (Gideon S.) : A history of South Africa.
London, Evans, 1974, p. 72.



شكل (٦)

ملك الزولو مباندى على عرشه (١٨٤٠ ـ ١٨٧٣) ٠

المصدر :

Were, Gideon S. : A history of South Africa.
London, Evan, 1974, p. 89.

اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند رسل
احلام الاعلام وقصص اخرى

ى· راى تكايارم جابرتسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

الدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت· و· فريمان
الجغرافيا فى مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ر· ج· فوربس و ا· ج· ديكستر هوز
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليستر ديل راى
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الانجليزية

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسوا دوماس
آلهة مصر

د· قدرى حفنى وآخرون
الانسان المصرى على الشاشة

اولج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية فى السينما

ديفيد وليام ماكدوال
مجموعات النقود · صيانتها
تصنيفها — عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة · الانجليزية
والفرنسية

د· عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر
اصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسان

بيل شول وادينيت
القوة النفسية للأهرام

د· صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ئى ماتلو
تولستوى

فكتور برومبير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل واحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
الجزء والكل « محاورات فى مضمار
الفيزياء الذرية »

سدنى هوك
التراث الغامض · ماركس
والماركسيون

ف· ع· ادينكوف
فن الأدب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
ادب الأطفال « فلسفته ، فنونه
وسائطه »

د· نعمة رحيم العزاوى
احمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د· فاضل احمد الطائى
اعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

د· السيد عليوة
صنع القرار السياسى فى
منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د· روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الاخلاق
للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

ا· سبنسر
الموتى وعالمهم فى مصر
القديمة

د· ناعوم بيتروفيتش
النحل والطب

جوزيف داهمومس
سبع معارك فاصلة فى العصور
الوسطى

د· ابنوابر تشامبرزرايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية ازاء مصر

د· جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى
السنة

بيير البير
الصحافة

د· غبريال وهبة
اثر الكوميديا الالهية لدانتى
فى الفن التشكيلى

د· رمسيس عوض
الأدب الروسى قبل الثورة
البلشفية وبعدها

د· محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز فى عالم
متغير

فرانكلين ل· باومر
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج

شوكت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر فى
الوطن العربى

د· محيى الدين احمد حسين
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

ج· دادلى اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د· جوهان دورشنر
الحياة فى الكون كيف نشأت
واين توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى
حرب الفضاء

د· السيد عليوة
ادارة الصراعات الدولية

د· مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والمحدثين
مختارات من الأدب اليابانى
« الشعر — الدراما — الحكاية —
القصة القصيرة »

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

انطوني دي كرسبني وكينيث مينوج
أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زافيلسكي ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوي
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر الاسلامية

رونالد د. سمبسون ونورمان د. اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. انور عبد الملك
الشارع المصري والفكر

ولت وتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي

الان كاسبيار
التذوق السينمائي

سامي عبد المعطي
التخطيط السياحي في مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمي المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون ٢ جـ

روى روبرتسون
الهيروين والايدز وأثرهما في المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية : نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سرى طه
الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
وظائف الاعضاء في الألف الياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية اسماك الزينة

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون . ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ جـ

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الاغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

م. هـ كنج وآخرون
التغذية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد ابو سديرة
الحرف والصناعات في مصر الاسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ جـ

اريك موريس والان هو
الارهاب

سيرل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. كوملان
الأساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسي - تحليل المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة .
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافي
روائع الآداب العالمية جـ ١

روى آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاى متشيو
الثورة الاصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل البي وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

ادامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الاوركسترالي

ابو القاسم الفردوسي
الشاهنامة ٢ جـ

[illegible]
الحياة [illegible] ١ جـ

جاك كرابس جونيور
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلي
قيام الدولة العثمانية

توني بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين ين بنج وآخرون
مختارات من الآداب الآسيوية

ناصر خسرو علوي
سفرنامة

نادين جورديمر ، بريس اوجوت وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى ٧ جـ

جان لويس بودري وآخرون
في النقد السينمائي الفرنسي

العثمانيون في اوربا
بول كولز

موريس بيير بارليه
صناع الخلود

زيجمونت هبنر
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

الفريد ج· بتلر
الكنائس القبطية القديمة فى مصر ٢ جـ

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الافستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
من النقد السينمائي الامريكي

نفتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن اوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

مونى براح واخـرون
السينما العربية من الخليج الى المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

ابرار كريم الله
من هم التتار

ج· س· فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ جـ

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الاداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د· بيارد دودج
الأزهر فى الف عام

ستيفن رانسيمان
الحملات الصليبية

هـ· ج· ولز
معـالم تاريخ الانسانية
٤ جـ

جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام

د· عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ جـ

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجـهول

ارنولد جزل واخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ جـ

بادى اونيمود
افريقيا - الطريق الاخر

د· محمد زينهم
فن الزجاج

برنسـلاو مالينوفسـكى
السحر والعلم والدين

آدم متز
الحضارة الاسـلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د· عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

ايفرى شاتزمان
كوننا المتمدد

سونداری
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج· برجين
الإعلام التـطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على للسـادات

ج· كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دوبونو
التفكير المتجدد

ويليام هـ· ماثيوز
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جـورج· سـتاينر
بين تولستوى ودوستويفسكى
٢ جـ

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعيـة

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسـجيلى

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
انواع الفيـلم الاميركى

جارى ب· ناش
الحـمر والبيض والسود

جوزيف م· بوجز
فن الفرجة على الافلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت· ج· هـ· جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودولف الى الشرق
٣ جـ

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ جـ

هنرى بيرين
تاريخ اوربا فى العصـور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم افضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتي

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى
والأمن القومى العربى

د. ليربوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
موجز تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين
والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة ايام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ازرا ف. فوجل
المعجزة اليابانية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

روبرت سكولز
اقاق ادب الخيال العلمى

ونفرد هولمز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الاخيرة

جوزيف ومارى فيلدمان
ديناميه الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

كنت ا. كتشن
رمسيس الثانى

جان بول سارتر واخرون
مختارات من المسرح العالمى

روزالند ، رجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولمز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرادنر
مونتسارات

د. على عبد الرءوف البمبى
مختارات من الشعر الأسبانى

ونفرد هولمز
كانت ملكة على مصر

الن شورتر
الحياة اليومية فى مصر القديمة

روبرت سكولز واخرون
افاق ادب الخيال العلمى

بول ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
اشهر الرحلات الى غرب افريقيا

ف. بارتولد
تاريخ الترك فى اسيا الوسطى

فلاديمير تيماتيسانو
تاريخ اوربا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

د. مصطفى محمود سليمان
الزلزال

م. و. ثرنج
تصميم المهندس

ف. ر. جرنى
الحيثيون

ستيفن موسكاتى
الحضارات السامية

د. البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الادب العربى المكتوب
بالفرنسية

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

يانيس ريتسوس
البعيد

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١٤٢٨٦

ISBN — 977 — 01 — 5524 — 1

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثانى أن تواصل مسيرة المشروع الاول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتاليف فضلا عن إعادة طبع الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث، والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعذرًا لشباب هذا الجيل لقدم طبعاتها.

وفى هذا الإطار يهتم المشروع بكتب الجغرافيا والرحلات، ومن أهم ما صدر منه فى هذا المجال:

(١) رحلة بيرتون ٣ جـ (٢) رحلة الامير رودلف ٣ جـ

(٣) رحلة بتس

(انظر قائمة الاصدارات آخر الكتاب)

يطالعُ القارئ فى هذا الكتاب عشرين رحلة غطت جنوب أفريقيا بمعناه الجغرافى الواسع الذى يشمل الآن: اتحاد جنوب أفريقيا وناميبيا وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وانجولا، على مدى أكثر من مائتى عام، بدءاً من حوالى سنة ١٦٨٥ حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

وأروع ما فى هذه الرحلات هو الملاحظات البشرية العميقة التى تُعين على فهم الإنسان فى مرحلة فطرته الأولى مما يُساعد على فهمه بعد أن تدرج فى مدارج الحضارة.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٢٥ قرشاً